62 - 61
HIWAR ALFIKR
مجلة فصلية فكرية تصدر عن المعهد العراقي للحوار

حوار الفكر

حزيران 2022
السنة السابعة عشرة - ذو القعدة ١٤٤٣ هـ - حزيران ٢٠٢٢

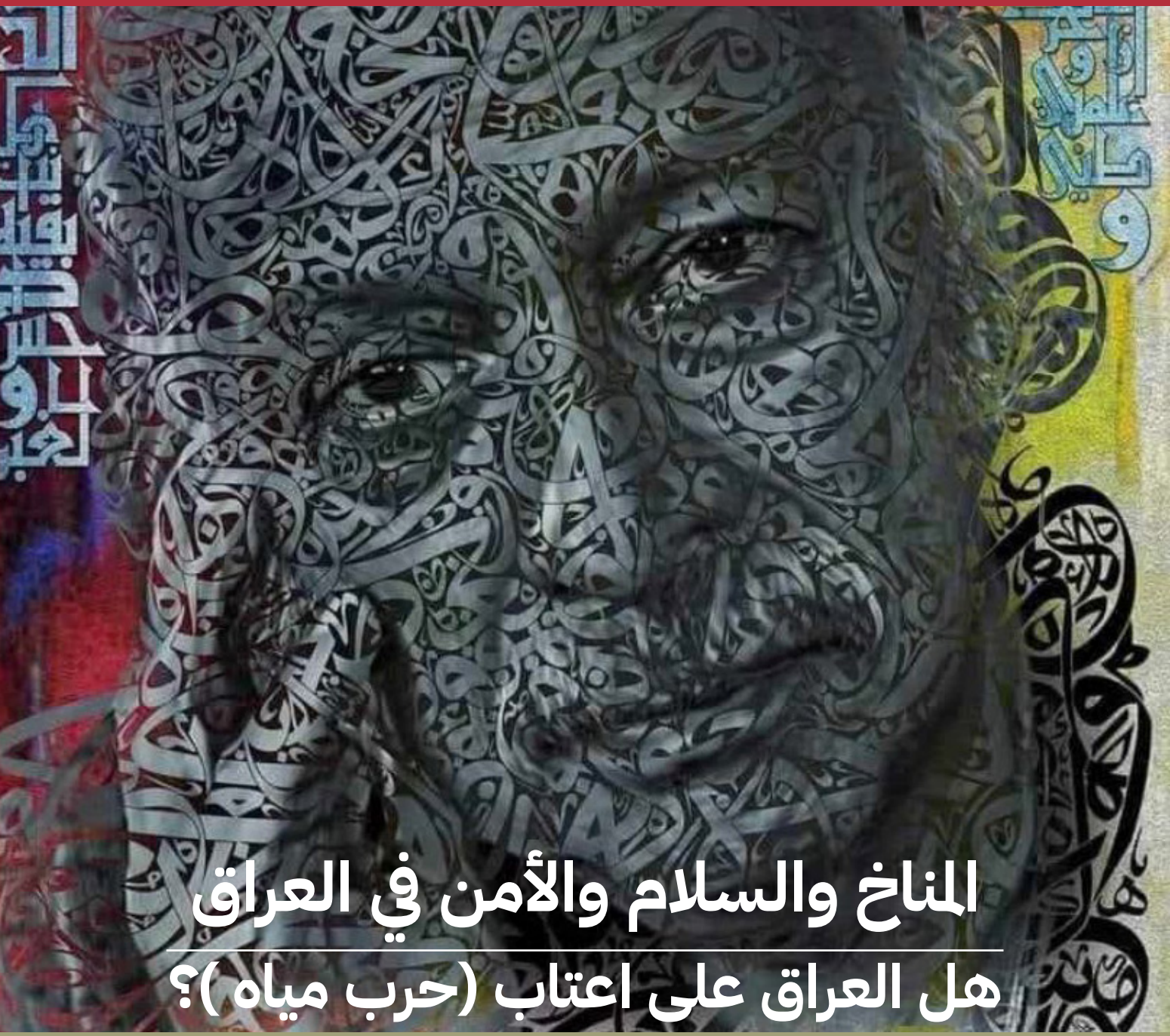

المناخ والسلام والأمن في العراق

هل العراق على اعتاب (حرب مياه)؟

العلاقات العراقية السعودية... نبوءة تحقق ذاتها .. كاثرين هارفي

التوازن العسكري في شرق المتوسط وتداعيات .. الحرب الروسية الاوكرانية

دبلوماسية الطاقة الحذرة لكردستان تُفصح عن موقفها من الصراع في أوكرانيا

EARTHLINK

الراعي الرسمي لـ

المعهد العراقي للحوار

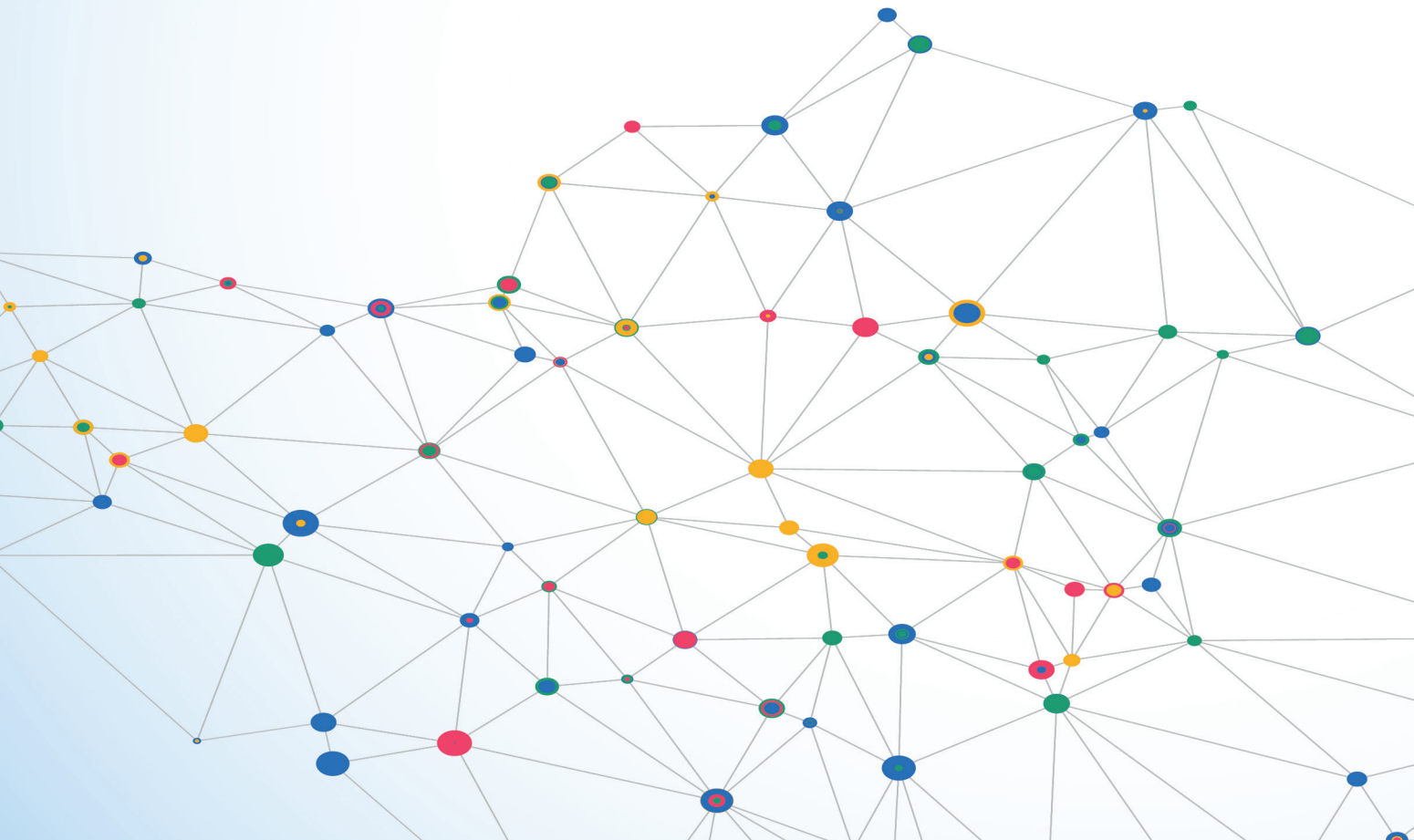

الان صار بامكانك
اقتناء كل اعداد
مجلة حوار الفكر
وجميع اصدارات
المعهد العراقي
للحوار

للمزيد من المعلومات | 964 781 116 7230

حوار الفكر

مجلة فصلية فكرية تصدر عن المعهد العراقي للحوار

المشرف العام
الشيخ د٠همام باقر حمودي

رئيس التحرير
عباس راضي العامري

نائب رئيس التحرير
أ٠د٠ علي عبدالامير ساجت

الهيئة الاستشارية

معالي أ٠د٠صالح الحسناوي	أ٠د٠عامر حسن فياض
د٠مظهر محمد صالح	د٠يوسف محمد صادق
أ٠د٠صلاح الجابري	أ٠د٠عبدالجبار احمد
د٠فرح ضياء	د٠حيدر سعيد

هيئة التحرير

د٠عادل بديوي	د٠علي فارس حميد
د٠كرار انور البديري	د٠سهاد اسماعيل العزاوي
د٠خالد عبدالاله عبدالستار	د٠جمال ناصر الزيداوي

الترجمة
قسم الترجمة في المعهد العراقي للحوار

الادارة والعلاقات
سدير غازي - حسن محسن حسن
عبدالله رشيد

- رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ١٠٦١
- معتمدة في نقابة الصحفيين العراقيين تحت الرقم ٤٥٦

- جميع الحقوق محفوظة
- لايحق إعادة نشر المواد المنشورة في المجلة دون استئذان إدارتها
- لا يحق الاقتباس من المواد المنشورة في المجلة دون ذكر المصدر
- الافكار الواردة في المجلة لا تعبر بالضرورة عن رأي المعهد او مجلة حوار الفكر

ملف العدد

IO
المناخ والسلام والأمن في العراق

العراقي للحوار
Iraqi Institute For Dialogue

07905400123
Head@hewariraq.com
hewarelfikr@gmail.com

السنة السابعة عشرة - ذو القعدة ١٤٤٣ هـ - حزيران ٢٠٢٢

ستراتيجية الامن القومي العراقي.. الخيارات الصعبة..... ٦
رئيس التحرير

ملف العدد

لماذا سيفضي تغير المناخ إلى تفاقم عدم المساواة والمظالم في العراق..... ١٢
ديلان أودريسكول

المناخ والسلام والأمن في العراق: ورقة حقائق..... ١٦
المعهد النرويجي للشؤون الدولية (NUPI)

هل العراق على اعتاب (حرب مياه) ؟..... ٢٤
المعهد العراقي للحوار

مفاوضات فيينا وافاق إنقاذ الاتفاق النووي الإيراني..... ٤٠
ميس سمير صبري*

الشرق الأوسط والمنافسة مع القوى العظمى..... ٥٢
الجنرال كينيث ماكنزي

التوازن العسكري في شرق المتوسط
وتداعيات الحرب الروسية الاوكرانية..... ٦٤
اللواء الركن المتقاعد الدكتور عماد علوّ

حرب الكل ضد الكل عودة الطائفية في الشرق الأوسط في حقبة مابعد الولايات المتحدة..... ٨٢
ولي نصر

تركيا وديناميكية ادارة التغيير..... ٩٢
أ.د منعم صاحي العمار - م.د معمر منعم العمار

العلاقات العراقية السعودية نبوءة تحقق ذاتها..... ١١٢
كاثرين هارفي

الإصلاح (مفهومه، أنواعهُ، متطلباتهُ)..... ١٢٠
علي محسن عاصي التميمي

أثر التنمية المستدامة
على استقرار النظام السياسي في العراق..... ١٣٦
م.م. سيماء علي مهدي

تطور المجتمع المدني في منطقة الفرات الأوسط في العراق في حقبة ما بعد الحرب..... ١٤٢
مرسين الشمري

الفصل بين السلطات في العراق..... ١٦٤
ليلى هادي

الانسان في رؤية الدكتور علي شريعتي..... ١٧٠
محمد محفوظ

الأمن ألمجتمعي وتأثره بالشائعات..... ١٨٠
حسين الجميل

الحوار و الوسطية كحلول للتطرف..... ١٩٦
خديدا خلف

المرأة و السلام..... ٢٠٢
ميس قاسم

دبلوماسية الطاقة الحذرة لكردستان
تُفصح عن موقفها من الصراع في أوكرانيا..... ٢١٠
د.ديانا جاليفا

عطب السياسة النفطية في العراق
سادس اكبر مصدر عالمي للنفط لا يزال يعاني من نقص الوقود وانقطاع التيار الكهربائي..... ٢١٦
منة العريبي

اليكسندر دوغن رسول الرجعية للتطرف القومي الروسي.... ٢٢٢
مقابلة مع بنايمين تايتلبوم

بناء الدولة في العراق بعد ٢٠٠٣.. النجاحات والإخفاقات.... ٢٣٠
المعهد العراقي للحوار

ستراتيجية الامن القومي العراقي.. الخيارات الصعبة

عباس العامري
رئيس التحرير

تهتم الدول بصياغة استراتيجيات أمنها وتحدد فيها مصالحها الحيوية بوضوح، وعلى ضوء تلك المصالح ترسم الأهداف وتحدد الوسائل، والعراق بعد عام ٢٠٠٣ أصبح بحاجة ملحة لوجود استراتيجيته الخاصة، إذ شهد واقعاً سياسياً وأمنياً مغايراً عما كان عليه سابقاً، كما وان الواقع الداخلي والإقليمي والدولي الذي يعيشه بمختلف جوانبه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية بات يتطلب وجود استراتيجية واضحة المعالم والأهداف.

ان نشر الاستراتيجية و جعلها متاحة للاطلاع عليها يجعل العالم أكثر اطمئناناً لنوايا العراق لإقامة علاقات ايجابية مع الدول الأخرى ويؤكد مبادءه الدستورية وقيمه الجديدة التي يؤمن بها وفي مقدمتها عدم السماح بجعل أراضيه منطلقاً للاعتداء عليها أو مقراً أو ممراً للجماعات الإرهابية، من هنا ينبغي ان تتضمن استراتيجية الأمن القومي العراقي، التعريف بالمصالح الوطنية ومنها المصالح السياسية في تعزيز السيادة الوطنية، و تقنين العلاقة مع المحيط الإقليمي والدولي، و التفاعل الايجابي مع نصوص الدستور ومنها الفيدرالية والتي قد تعد من معايير الحكم الرشيد الذي يمثل جميع أطياف الشعب في حالة معينة، والتنبه الشديد الى انها قد تكون مدخل لتفكك الدولة عند استحضار نوايا سياسية للنزعات الانفصالية أو عند ضعف الدولة وسلطتها الاتحادية في حالات أخرى، وكذلك صون الحقوق والحريات المدنية من خلال سعي الحكومة الى الارتقاء بالمستوى المعاشي للمواطنين وممارسة حقوقهم المدنية والسياسية، والحفاظ على الوحدة الوطنية والهوية العراقية بغض النظر عن الانتماءات الفرعية الأخرى، و تأمين أرض العراق وسمائه، و اعتبار القدرات الاقتصادية ركيزة أساسية في بناء إستراتيجية أمن قومي متكاملة بعيداً عن التبعية السياسية والاقتصادية، وعلى مستوى عال من الاستقلالية والوضوح في الأهداف، إذ يؤدي المتغير الاقتصادي دوراً مهماً في عملية التخطيط الاستراتيجي حيث تساعد الموارد والإمكانات على تحقيق الرفاهية الاقتصادية، الأمر الذي يجعل

عمليـة التخطيـط الاسـتراتيجي اكثـر إمكانيـة علـى النجـاح وأكثـر اندماجـاً مـع عمليـة صنـع القـرار السياسـي.

و الانتقـال الـى اقتصـاد السـوق الحـرة وإصـلاح القطاعـات الصناعيـة والطاقـة والزراعـة، وتنشـيط القطـاع الخـاص وخلـق بيئـة اسـتثمارية وتنافسـية مواتيـة، و مكافحـة الفسـاد وتطويـر الكفـاءات وتطويـر النظـام الإداري واسـتثمار المـوارد الوطنيـة، واخيـراً جـذب الاسـتثمارات الأجنبيـة والعمـل علـى إطفـاء الديـون وإلغـاء التعويضـات وتنميـة القطـاع الزراعـي وكذلـك تطويـر شـبكات الحمايـة الاجتماعيـة وحمايـة الفئـات الأكثـر فقـراً وتعويـض ضحايـا الإرهـاب والعنـف السياسـي وإيجـاد فـرص عمـل للقضـاء علـى الفقـر.

إن صياغـة إسـتراتيجية للأمـن القومـي العراقـي تعتمد فـي مجملهـا علـى معطيـات البيئـة الاسـتراتيجية، والتـي تتأثـر بشـكل كبيـر فـي مختلـف المتغيـرات الداخليـة السياسـية، الاقتصاديـة، الاجتماعيـة وغيرها، ممـا يشـكل ضاغطـاً كبيـراً علـى رسـم الخطـط الاسـتراتيجية المسـتقبلية، فضـلاً عـن المتغيـرات الخارجيـة، فالمتغيـر الإقليمـي والمتغيـر الدولـي يؤديـان دوراً فعـالاً فـي صياغـة إسـتراتيجية الأمـن القومـي العراقـي، لأنهمـا يشـكلان البيئـة الاسـتراتيجية للعـراق والتـي تشـهد تدخـلاً واسـعاً مـن قبـل اطـراف إقليميـة ودوليـة وفواعـل داخليـة، بـدت معرقـلاً كبيـراً فـي بنـاء الدولـة العراقيـة الجديـدة.

يجـب ان يعـي صنـاع القـرار فـي العـراق انـه لا يمكـن تصـور أي اسـتراتيجية ناجحـة وشـاملة لتعزيـز الأمـن القومـي وهـي لا تضـع مهمـة تحقيـق أمـن الطاقـة فـي قائمـة أولوياتهـا، وإعـادة النظـر باسـتراتيجيات الأمـن القومـي الأسـاس والتـي لـم تمنـح أمـن الطاقـة مكانـة فـي مبادئهـا الأساسـية تتسـق وأهميتهـا البالغـة فـي دعـم عناصـر قـوة الدولـة والأمـن القومـي او صياغـة اسـتراتيجية جديـدة تصحـح الأخطـاء السـابقة وتمهـد لمنهـج عمـل جديـد فـي هـذا الإطـار.

تقييم البيئة الاستراتيجية العراقية

تختلـف الـدول عـن بعضهـا مـن حيـث مقومـات القـوة التـي تمتلكهـا، وان كان مـن الصعـب إجـراء تقييـم دقيـق للمقومـات الماديـة والمعنويـة التـي تسـاهم فـي بنـاء الإسـتراتيجية، إلا أنـه يمكـن التأكيـد علـى أن قـوة الدولـة لا تتركـز علـى عنصـر واحـد، إذ أن العوامـل الاقتصاديـة والبشـرية والسياسـية والاجتماعيـة والإنتاجيـة والعسـكرية تشـكل بمجموعهـا الأسـاس لترصيـن القـوة الوطنيـة لأيـة دولـة، ويبقـى بعـض مقومـات القـوة الوطنيـة واضحـاً ملموسـاً يمكـن قياسـه، بينمـا يصعـب القيـاس فـي البعـض الاخـر، ولكـن تظهـر نتائجـه فـي عوامـل أخـرى، مثـل التقـدم العلمـي الـذي تظهـر نتائجـه فـي المحصلـة النهائيـة لقيـاس نوعيـة القـوة البشـرية والقـدرة العسـكرية والاقتصاديـة للدولـة، وينطبـق ذلـك علـى البنـاء السياسـي والاجتماعـي الـذي يظهـر إثـر همـا لـدى قيـاس الهـدف الاسـتراتيجي والإرادة الوطنيـة، وبهـذا فـأن أيـة اسـتراتيجية سـليمة تتطلـب تقيميهـا موضوعيـا ودقيقـاً لمقومـات القـوة الوطنيـة محليـا وإقليمـا ودوليـا.

وعلـى هـذا الأسـاس فـإن القـوة الاقتصاديـة وتوفيـر المـوارد الحيويـة والتماسـك و الترابـط المنطقـي فـي تكويـن الهـدف الاسـتراتيجي ودرجـة الإجمـاع عليـه، والـذي يعبـر عنـه بـالإرادة الوطنيـة، سـوف يؤثر بشـكل ملمـوس علـى الأسـلوب الـذي يمكـن إن تسـتخدم فيـه القـوة العسـكرية والاقتصاديـة لخدمـة أهدافهـا العليـا، فقـوة الدولـة تسـتند إلـى مصـادر، وهـي عبـارة عـن جميـع مـوارد الدولـة الطبيعيـة، أو تلـك التـي يمكـن توفيرهـا أو الحصـول عليهـا و القـوة القوميـة للدولـة هـي المحصلـة النهائيـة لهـذه المصـادر، وهـي ذاتهـا المقومـات التـي تعتمـد عليهـا الدولـة فـي تحقيـق إسـتراتيجيتها، والعـراق احـد الـدول التـي هـي بأمـس الحاجـة لإسـتراتيجية وطنيـة شـاملة تسـتثمر فيهـا جميـع مصـادر القـوة لديـه فـي سـبيل تحقيـق

أهدافه، وأهمها ضمان أمنه القومي، و يجب إن يحدد كل ذلك وفق إستراتيجية وطنية تأخذ بالحسبان مصلحة الدولة والشعب على السواء.
إن سعي أية دولة لتحقيق أمنها يتطلب توافر مقومات عدة، فكلما كانت هذه المقومات اكثر تكاملاً وتماسكاً كلما كانت تلك الدولة اكثر قوة وصلابة في مواجهة التحديات، والعراق يحتوي مجموعة مهمة من هذه المقومات تميزه عن غيره وتساعده على صياغة وتنفيذ ستراتيجية امن قومي شاملة وفاعلة.
سوف نقوم في هذا الجزء من الدراسة بالمرور على اهم هذه المقومات التي تمثل نقاط قوة، ثم نعرج على نقاط الضعف التي تعتري طريق تحقيق الامن القومي ووسائل التخلص منها والتغلب عليها.
مقومات الامن القومي العراقي (نقاط القوة)

المقوم الديموغرافي

يمثل عدد السكان وتركيبهم العمري وتوزيعهم الجغرافي ومستوى مهاراتهم وتماسكهم الاجتماعي نقطة مائزة في قوة وضعف الدول. وهو احد عناصر قوة الأمن القومي بحيث يؤدي العنصر البشري دوراً أساساً فيه، و العراق من الدولة القليلة في المنطقة التي فيها توازن منطقي – الى الان على اقل تقدير – بين مواردها وعدد سكانها، لو تمت ادارة تلك الموارد بشكل صحيح ووزعت الثروة بعدالة وفقاً للدستور الدائم، ويتميز العراق بمتوسط اعمار يندر وجوده في بلد اخر، فإحصاءات وزارة التخطيط تشير الى ان ٧٦٪ من سكان العراق هم من فئة الشباب مما يتيح للعراق فرصة استثنائية للتنمية والتعليم والحياة السياسية والتقدم الاقتصادي والصناعي والزراعي، بالإضافة الى ذلك فان العراق يضم بين ظهرانيه تنوعاً منسجماً من الاثنيات والعرقيات والاديان والمذاهب والمدارس الفكرية، فعدد سكان الدولة يشكل عصب القوة البشرية اللازمة للحرب وللإدارة في الأجهزة المدنية، والعراق يمتلك عدداً مهماً من السكان والتي تمكنه من القيام بأعباء الالتزامات الوطنية المختلفة وصولاً الى تنمية مستدامة.

المقوم السياسي

ويتمثل أولاً بالانسجام السياسي الداخلي وتفاعل الشعب مع الحياة السياسية والمشاركة فيها بشكل ايجابي، وكذلك تتمثل بالعلاقات مع دول الجوار بالدرجة الاساس وما يلي ذلك من دوائر الجوار الجغرافي المتوسط والبعيد وصولا الى الدول ذات التأثير في الساحة السياسية وان كانت بعيدة جغرافياً عن العراق.
كما ويتضمن المقوم السياسي، طبيعة العلاقة بين الشعب والدولة ومدى المشاركة الشعبية في الحكومة، ومدى التمسك بأهدافها ومبادئها و اثر ذلك في قدرة النظام السياسي على تعبئة الموارد البشرية والمادية للوصول إلى الأهداف المعلنة، ويأتي ضمن ذلك درجة الانسجام السياسي بين الطبقة الحاكمة والطبقة المحكومة فكلما كان صناع القرار اقرب إلى حل مشكلات الشعب وحسم النزاعات في اقليم الدولة التي يحكمونها، كلما تأثر الامن اقوى واشد، إما اذا كانت التوجهات غير أخلاقية ومن اجل المصالح الذاتية لأصحاب النفوذ في الدولة على حساب مصالح الدولة الحقيقية، فتأثيرها سلبي[1] .
والعراق لديه فرصة استثنائية لان يلعب دور الموازن والمحايد اذا ما فهم صانعو القرار فيه اهمية ما يمتلكون من قوة اقتصادية وطاقوية بامكانها - لو وظفت سياسياً -ان تجعل من العراق (اوراسيا) المنطقة وقلبها الذي يتم تنسيق المصالح من خلاله بما يعود عليه بمصالح اكبر.

| المقوم الاقتصادي

هـو قـوة الدولـة وقدراتهـا الاقتصاديـة فـي القطاعـات كافـة و بضمنهـا مهـارة العامليـن وهيـاكل القـوة العاملـة إضافـة إلـى درجـة التطـور العلمـي التـي يتمتـع بهـا البلـد.

فالقـدرة الاقتصاديـة هـي الأسـاس التـي بموجبهـا يتـم تلبيـة حاجـات الشـعب ومتطلباتهـم مـن السـلع والخدمـات وتسـتند عليهـا قـدرات الدولـة العسـكرية، كمـا أن القـدرة الاقتصاديـة لهـا أولويـة فـي تأميـن عناصـر القـوة الوطنيـة الشـاملة لأي بلـد[٢] .

والعـراق لديـه تنـوع مـوارد هائـل مـن النفـط والكبريـت والفوسـفات والميـاه والغـاز، بالاضافـة الـى القـوة الموردية الهائلـة التـي تأتـي مـن السـياحة الدينيـة والسـياحة الثقافيـة المتعلقـة بالاثـار وكذلـك المنافـذ.

وهنـا تتضـح مقولـة (ماكنمـارا) بـأن التنميـة هـي جوهـر الأمـن وأن المـوارد الأقتصاديـة المخصصـة لتحقيـق الأمـن لا تعـد خسـارة بالمعنـى المطلـق[٣] .

| المقوم العسكري الامني

لا يخفـى مـا للقـوة الصلبـة مـن تأثيـر فـي قـدرات الـدول وبقائهـا وتأثيرهـا ونفوذهـا، والحديـث هنـا عـن تأثيـر هـذا المقـوم فـي بنـاء امن قومـي شـامل للعراق يسـحبنا للحديـث عـن التجربـة الفريـدة للعـراق فـي مكافحـة الارهـاب والتـي وقـف لهـا العالـم باحتـرام واجـلال، لا سـيما ضمـن مؤسسـتي الحشـد الشـعبي وجهـاز مكافحـة الارهـاب.

كمـا أن هنـاك مـن يـرى بـأن التدريـب الأمنـي والعسـكري اصبـح يمثـل أهـم المسـارات فـي مجـال التنميـة وهـو مطلـب بحاجـة إلـى رؤيـة واضحـة[٤]، اذا فـان هـذا المقـوم يرتبـط بقـدرة وإمكانيـة العـراق فـي توظيـف قواتـه المسـلحة التـي اثبتـت جدارتهـا وحققـت اهدافـاً عالميـة بالإضافـة الـى الاهـداف الوطنيـة.

| المقوم الجيوبوليتيكي

ويشـمل كل مـا تعكسـه الأرض التـي تعيـش عليهـا المجتمعـات مـن مقومـات قـوة أو ضعـف وهـي بالتالـي تشـمل الموقـع الجغرافـي وعلاقتـه المكانيـة، مسـاحة الدولـة وحدودهـا والتركيـب الجيولوجـي لـلأرض.

فضـلاً عـن حجـم وشـكل العامـل الجغرافـي وتضاريسـه وموقعـة النسـبي وأثـر كل ذلـك علـى حمايـة الطبيعـة مـن التهديـدات الخارجيـة ومـدى تغلغـل السـلطة المركزيـة إلـى أطرافهـا وأثـر ذلـك كلـه علـى وضعهـا السياسـي والاقتصـادي والاجتماعـي والعسـكري.

مـن هنـا فالعـراق يحتـاج اذا مـا اراد وضـع اسـتراتيجية امـن قومـي شـاملة وفاعلـة الـى اعـادة دراسـة جـدوى لـكل مشـاريعه التـي يخطـط لهـا منـذ فتـرة وفـي مقدمتهـا ميناء الفـاو الكبيـر والقنـاة الجافـة والطريـق الاسـتراتيجي وانبـوب نقـل الطاقـة الاسـتراتيجي، ودراسـة فيمـا اذا كان المـردود الامنـي والاقتصـادي والسياسـي لهـذه المشـاريع الاسـتراتيجية يصـب فـي مصلحـة العراق ام يدفـع الـدول التـي لهـا مصالـح متقاطعـة فـي هـذه المشـاريع الـى الاسـتنفار لإعاقـة تقـدم العـراق وبالتالـي العمـل علـى زعزعـة امنـه واقتصـاده.

| الهوامش

١. محمـد سـعيد ألعيـاش الشـهراني، اثـر العولمـة علـى الأمـن الوطنـي، جامعـة نايـف العربيـة للعلـوم الأمنيـة، الريـاض، ٢٠٠٦، ص٦٧.

٢. سـليمان نصيـرات، عوامـل القـوة الوطنيـة والأمـن الوطنـي، صحيفـة ديرتنـا نيـوز، للموقـع:

alnusairat. com/index. php/. . . /item/212

٣. روبـرت مكنمـارا, جوهـر الأمـن, ترجمـة: يونـس شـاهين, الهيئـة المصريـة العامـة للكتـاب, القاهـرة, ١٩٦٠, ص١٢٧.

٤. عبـد الرحمـن بـن إبراهيـم الشـاعر، الأسـاليب الحديثـة فـي التخطيـط والتدريـب الامنـي، جامعـة نايـف العربيـة للعلـوم الأمنيـة، الريـاض, ٢٠١٠، ص٩.

ملف العدد

المناخ والسلام والأمن في العراق

لماذا سيفضي تغير المناخ إلى تفاقم عدم المساواة والمظالم في العراق

المناخ والسلام والأمن في العراق: ورقة حقائق

هل العراق على اعتاب (حرب مياه) ؟

ديلان أودريسكول

ترجمة: د. نصر محمد علي

لماذا سيفضي تغير المناخ

إلى تفاقم عدم المساواة والمظالم في العراق

ملخص تنفيذي:
في بلد معرض للتأثر بتغير المناخ مثل العراق، فان المطلوب هو نهج شامل يعالج تأثيرات المناخ والقضايا الملحة والمتقاطعة في وقت واحد. ومع ذلك فان فشل الحكومة المتكرر في معالجة هذه القضايا أدى إلى زيادة احتمالية أن يؤدي الأمن المناخي إلى تفاقمها والتسبب في مزيد من الضرر. وفي غضون ذلك، مضى مايقرب من سبعة أشهر على الانتخابات الوطنية في تشرين الأول / أكتوبر عام ٢٠٢١ ولم تشكل الحكومة بعد، الأمر الذي يحول دون اتخاذ الإجراءات اللازمة. تحتاج الحكومة العراقية، بدعم من شركائها، إلى تنفيذ سياسات طويلة الأمد لتحسين تقديم الخدمات وتوسيع التنوع الاقتصادي. ومع ذلك من الضروري أن تضع جميع المبادرات قضية التخفيف من آثار تغير المناخ في صلب اهتمامها، وأن تستفيد بالكامل من تمويل التكيف مع المناخ. سيكون للفشل في تغيير المسار السياسي عواقب بعيدة المدى على السلام والاستقرار، وسيؤدي إلى مزيد من عدم المساواة في بيئة غير مواتية على نحو متزايد.

صنّف برنامج الأمم المتحدة للبيئة العراق على أنه خامس دولة عرضةً لتغير المناخ. إذ شهد العراق في السنوات الأخيرة موجات حر شديدة بدرجات حرارة تصل إلى أكثر من ٥٠ درجة مؤية. ومن المتوقع أيضاً أن يرتفع متوسط درجة الحرارة السنوية في العراق بمقدار درجتين مؤيتين بحلول عام ٢٠٥٠.

تأثيرات هذه الاتجاهات واضحة. فقد أدى الجفاف وما يرتبط به من تدهور بيئي إلى تقويض سبيل العيش الريفية في العراق عبر زيادة التنافس على الموارد وإحداث تداعيات خطيرة على التماسك الاجتماعي. تتفاعل تأثيرات تغير المناخ أيضاً مع أوجه القصور التي تعتري الخدمات الأساسية ونقص الفرص الاقتصادية، الأمر الذي يُفضي إلى تفاقم العديد من الدوافع الرئيسة لانعدام الأمن في بلد هش بالأساس.

لقد كان العام الماضي، بنحو خاص، جافاً ومغبراً. إذ انخفض معدل هطول الأمطار السنوي وسط فترات طويلة من الجفاف، الأمر الذي أدى تناقص إمدادات المياه والتسبب في خسائر فادحة في الانتاج الزراعي. وتقلصت المياه المتدفقة من نهري دجلة والفرات بسبب السدود التركية والإيرانية في أعلى المجرى المائي. كما ويؤثر ارتفاع درجات الحرارة وانخفاض هطول الأمطار على رطوبة التربة ويزيد من تواتر هبوب العواصف الترابية. وتعرض العراق خلال الشهر الماضي لعاصفة ترابية تلو أخرى أدت إلى توقف حاد في الحياة وتسببت بدخول مئات الأشخاص إلى المستشفيات بسبب أمراض الجهاز التنفسي.

وتؤدي ندرة المياه هذه إلى تفاقم التوترات القائمة وتجعل المجتمعات الواقعة على ضفاف النهر في الجنوب الأكثر فقراً في الماضي أكثر ضعفاً. وكانت هذه المجتمعات أيضاً نقطة انطلاق الاحتجاجات المناهضة للحكومة. ومن المفارقات أن المناخ يجعل الفيضانات هذا العام أكثر فتكاً. إذ دمرت هذه الفيضانات المنازل- وقتلت ما لايقل عن عشرة في كردستان العراق.

ان الظواهر الجوية المتطرفة ماهي إلا جانب واحد من

الجوانب التي تُفصح عن الكيفية التي يتسبب فيها تغير المناخ في جعل الوضع المحفوف بالمخاطر في العراق أسوأ من ذي قبل، الأمر الذي يؤدي إلى تفاقم أوجه الضعف الحالية. لقد شهد العراق بالفعل انهياراً للعقد الاجتماعي باندلاع احتجاجات حاشدة في أنحاء العراق كافة بسبب عدم كفاية الخدمات العامة والبطالة وسوء الإدارة. وسيؤدي تغير المناخ إلى زيادة تفاقم هذه القضايا، ومن ثم يعذي المظالم وزيادة عدم الاستقرار. فمن الضروري أن يؤدي التغير المناخي دوراً في استجابة الحكومة العراقية لمعالجة العديد من مظالم أولئك الذين يعيشون هناك.

جعل الوضع السيء أسوأ

أن توفير الخدمات اللائقة أمراً أساسياً لشرعية الحكومة. مع ذلك يواجه سكان العراق تحديات جرّاء عدم كفاية الخدمات على نطاق واسع. فعلى سبيل المثال، يحصل العراقيون على الحد الأدنى من الكهرباء من الشبكة الوطنية.

إذ يعتمد أولئك الذين يستطيعون تحمل تكاليفها على مولدات خاصة في فصول الصيف شديدة الحرارة والشتاء البارد في كثير من الأحيان، فيما يعيش بدونها أولئك الذين لايستطيعون تحمل تكاليفها. وقد ادى الضغط على الشبكة الوطنية، الناجم عن ارتفاع درجات الحرارة الصيف الماضي، إلى انقطاع التيار المستمر في بغداد والعديد من المحافظات الجنوبية. ستضع درجات الحرارة القصوى المرتبطة بتغير المناخ إلى ضغط إضافي على شبكة الكهرباء الفاشلة أساساً. وفي الوقت نفسه أدى الاستخراج غير الفعال للمواد الهيدروكربونية إلى تدمير البيئة وصحة سكانها عبر الانبعاثات السامة. تعاني الرعاية الصحية في العراق أزمة بالفعل، ولايمكنها تحمل ضغوط إضافية. لقد أماطت جائحة كوفيد- ١٩ اللثام عن نقص الأطباء والأدوية والأسرة في مستشفيات العراق، وتزايد عدم المساواة الصحية. ومع استمرار تغير المناخ في تقليل توافر المياه، سيؤدي الى تفاقم نقص الوصول إلى كل من مياه الشرب الآمنة والمياه الصالحة للزراعة.

يعتمد العراق بنحو مفرط على عائدات النفط، وقد فشلت الحكومات المتعاقبة في تنويع الاقتصاد لتفادي هذه المشكلة. ومن ثم فقط كان هناك تقدم ضئيل في إعداد الاقتصاد للابتعاد عن الهيدروكربونات، أو لمعالجة آثار صناعة الوقود الأحفوري على بيئة الدولة والصحة العامة.

يعد قطاع الزراعة في البلاد ثاني أكبر قطاع بعد النفط، ويعمل به مايقرب من ٢٠ بالمائة من القوى العاملة في العراق. وقد أدى التصحر إلى انخفاض الأراضي الصالحة للزراعة في العراق، فيما أدى الجفاف وقلة مياه الأمطار إلى انخفاض الانتاج. وقد تضافرت خسائر المحاصيل، وانخفاض الدخل، وزيادة أسعار المواد الغذائية، لتهديد الأمن الغذائي والمعيشي لأولئك الذين يعيشون على خط الفقر في الأساس.

يساهم انعدام الأمن هذا في الهجرة الحضرية الناجمة عن المناخ وزيادة الطلب على الخدمات العامة في المدن، الأمر الذي يزيد من مخاطر الاضطرابات الاجتماعية والاحتجاجات. كما ان عدد الشباب المتزايد باضطراد في العراق جعل البطالة مشكلة متنامية، حتى قبل الابتعاد القسري عن الهيدروكربونات وتأثير المناخ على الزراعة بنحو كامل. ولاغرابة في أن يؤدي انعدام الأمن أيضاً إلى احتجاجات مستمرة واسعة النطاق التي قوبلت بالعنف العشوائي من جانب الجهات الأمنية. وان المسيرة المستمرة لتغير المناخ لن تؤدي إلا لجعل هذه القضايا أكثر سوءاً.

تجاوز تقاعس الحكومة عن العمل

لـم يتبـن بعـد القـادة السياسـيون فـي العـراق الكثيـر مــن جهــود التخفيــف المطلوبــة أو اســتراتيجيات التكيـف لمرونـة المنـاخ . لكـن لمـاذا؟

أولاً، لقـد أعـاق الفسـاد والمنافسـة السياسـية الإجـراءات الحكوميـة ومنـع الحكومـات المتعاقبـة مـن معالجـة الآثـار الاجتماعيـة والاقتصاديـة لتغيـر المنـاخ. ونتيجـة لذلـك فشـل العـراق بالقيـام بالاسـتثمارات طويلـة الأجـل اللازمـة فـي البنيـة التحتيـة لمعالجـة آثـار تغيـر المنـاخ. كمـا فشـل العـراق فـي تنويـع اقتصـاده الريعـي صـوب اقتصـاد أخضـر ومسـتدام يلبـي المطالـب الاجتماعيـة والاقتصاديـة لسـكانه. كمـا تـؤدي تأثيـرات تغيـر المنـاخ الـى تفاقـم العديـد مـن القضايـا السـائدة الأخـرى فـي العـراق، بمـا فـي ذلـك سـوء الصحـة العامـة وأوجـه عـدم المسـاواة الاجتماعيـة الواسـعة.

وفـي بلـد معـرض للتأثـر بتغيـر المنـاخ مثـل العـراق، فـان المطلـوب هـو نهـج شـامل يعالـج تأثيـرات المناخ والقضايـا الملحـة والمتقاطعـة فـي وقـت واحـد. ومـع ذلـك فـان فشـل الحكومـة المتكـرر فـي معالجـة هـذه القضايـا أدى إلـى زيـادة احتماليـة أن يـؤدي الأمـن المناخـي إلـى تفاقمهـا والتسـبب فـي مزيـد مـن الضـرر. وفـي غضـون ذلـك، مضـى مايقـرب مـن سـبعة أشـهر علـى الانتخابـات الوطنيـة فـي تشـرين الأول / أكتوبـر عـام ٢٠٢١ ولـم تشـكل الحكومـة بعـد، الأمـر الـذي يحـول دون اتخـاذ الإجـراءات اللازمـة.

تحتـاج الحكومـة العراقيـة، بدعـم مـن شـركائها، إلـى تنفيـذ سياسـات طويلـة الأمـد لتحسـين تقديـم الخدمـات وتوسـيع التنـوع الاقتصـادي. ومـع ذلـك مـن الضـروري أن تضـع جميـع المبـادرات قضيـة التخفيـف مـن آثـار تغيـر المنـاخ فـي صلـب اهتمامهـا، وأن تسـتفيد بالكامـل مـن تمويـل التكيـف مـع المنـاخ. سـيكون للفشـل فـي تغييـر المسـار السياسـي عواقـب بعيـدة المـدى علـى السـلام والاسـتقرار، وسـيؤدي إلـى مزيـد مـن عـدم المسـاواة فـي بيئـة غيـر مواتيـة علـى نحـو متزايـد.

الملاحظات والتوصيات

- يرسـم التقريـر صـورة قاتمـة بشـأن تداعيـات التغيـر المناخـي علـى العـراق الـذي يعـد خامـس دولـة معرضـة لتأثيـرات ذلـك علـى وفـق الأمـم المتحـدة.
- يعانـي العـراق بالأسـاس مـن أزمـة ميـاه سـببها سـوء الادارة والسياسـات المرتبطـة بهـذا القطـاع فـي المقـام الأول وسياسـات الـدول المتشـاطئة (تركيـا وإيـران) مـن جهـة أخـرى، وان التغيـر المناخـي سـيفاقم مـن أزمـة الميـاه والـذي سـيبدو جليـاً علـى صعيـد الميـاه الصالحـة للشـرب مـن جهـة والميـاه المخصصـة للزراعـة مـن جهـة أخـرى.
- سـيؤدي التغيـر المناخـي الـى تفاقـم الاضطرابـات الاجتماعيـة والأزمـات الاقتصاديـة (البطالـة، الفقـر،
- يتعيـن تبنـي إجـراءات عاجلـة للتخفيف مـن وطأة تأثيـرات التغيـر المناخـي التـي لـن يتحملهـا وضـع العـراق الهـش ولاقطاعاتـه المسـتنزفة بالأسـاس.
- تؤكـد مشـكلة التغيـر المناخـي مـن جديـد علـى ضـرورة تنويـع الاقتصـاد العراقـي الريعـي ليلبـي الحاجـات المتزايـدة مـن جهـة ويخفـف مـن وطـأة تأثيـرات التغيـر المناخـي مـن جهـة أخـرى.

ملف العدد

المعهد النرويجي للشؤون الدولية (IPUN)

المساهمون في التقرير: كاتونغو سيوبا، خيرة طريف، د. كيونغمي كيم، د. ديلان أودريسكول، شيفان فاضل، د. إليزابيث إل روزفولد، آن فونمارك.

المناخ والسلام والأمن

في العراق: ورقة حقائق

ملاحظة: تم إنتاج ورقة الحقائق هذه من قبل مشروع مخاطر السلام والأمن المتعلقة بالمناخ، الذي تم تنفيذه بالاشتراك مع المعهد النرويجي للشؤون الدولية (NUPI) ومعهد ستوكهولم الدولي لأبحاث السلام (SIPRI) ، بتمويل من وزارة الخارجية النرويجية. إذ يهدف مشروع مخاطر السلام والأمن المتعلقة بالمناخ إلى توليد موثوقة وذات صلة بالمعلومات والتحليلات في الوقت المناسب والقابلة للتنفيذ بشأن مخاطر السلام والأمن المتعلقة بالمناخ لبلدان ومناطق مختارة على جدول أعمال مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة.

ملخص تنفيذي:
تؤثر درجات الحرارة المتزايدة في العراق، وتناقص توافر المياه، وزيادة التقلبات السنوية في هطول الأمطار بشكل سلبي على الزراعة، في الوقت الذي تقلل من دخل الأسرة العراقية وتوافر الغذاء، وتؤدي إلى تفاقم انعدام الأمن المعيشي. كما إن النساء والفتيات سوف تتأثر بشكل غير متناسب بالآثار الضارة لتغير المناخ، مع تصاعد على حالة عدم المساواة تجاههم. كما سيسهم التغير المناخي في العراق الى انخفاض المحاصيل الزراعية وفقدان سبل العيش في زيادة الهجرة الحضرية، مع وجود تحديات حضرية بما في ذلك مخاطر الاضطرابات الاجتماعية والاحتجاجات في المدن المضيفة.
مقابل كل ذلك ستستغل الجماعات والميليشيات المسلحة تلك الصعوبات الاقتصادية بسبب الآثار المتفاقمة لتغير المناخ، من أجل إدامة التجنيد والدعم. علاوة على ذلك فإن ضعف الحوكمة في العراق سيؤدي الى تعزيز فرص استغلال النخبة لهذا الضعف، وزيادة نسبة الفساد، الأمر الذي من شأنه أن يؤدي إلى المزيد من التهميش والإقصاء الذي يغذي المظالم ويعزز عدم الاستقرار في العراق.

| مقدمة

يعد العراق أحد البلدان الشديدة التأثر بالتغير المناخي وتبعاته. ويزداد ضعف البلاد امام ظاهرة التغير المناخي بسبب اعتماده القوي على الموارد الطبيعية مع قدرته المنخفضة على التكيف المناخي بسبب الصراع العنيف والفقر وعدم الاستقرار السياسي والفساد. اذ يتعرض العراق بشكل خاص للفيضانات والجفاف والعواصف الترابية، المرتبطة بشكل متزايد بتقلب درجات الحرارة وهطول الأمطار.

علاوة على ذلك تظهر آثار تغير المناخ في العراق بالعديد من القطاعات الحيوية - الزراعة والمياه والاقتصاد والصحة العامة والبيئة- الأمر الذي سيكون له التأثير المباشر على حياة المواطنين العراقيين. قبالة كل ذلك، لاتزال الاستجابة العراقية لتغير المناخ غير كافية ومتأثرة بشكل كبير بالنزاع العنيف والمنافسة السياسية والفساد ونقص الموارد المالية. وعليه إذا تُركت آثار التغير المناخي في العراق من دون معالجة، فستؤدي إلى تفاقم الفقر وانعدام

الأمـن، وقـد تـؤدي إلـى الاضطرابـات الاجتماعيـة مـع المزيـد مـن عـدم الاسـتقرار.

الاتجاهات والتوقعات المناخية

يمتلـك العـراق ثـلاث مناطـق مناخيـة رئيسـة: صحـراء قاحلـة منخفضـة فـي الغـرب والجنـوب الغربـي، وسـهوب شـبه قاحلـة تغطـي إلـى حـد كبيـر المنطقـة الوسـطى، ومنـاخ البحـر الأبيـض المتوسـط الرطـب فـي الشـمال والشـمال الشـرقي. وقـد شـهد العـراق فـي الآونـة الاخيـرة انخفـاض فـي معـدلات هطـول الأمطـار وزيـادة غيـر مسـبوقة فـي درجـات الحـرارة. كمـا أنـه يعانـي بشـكل متزايـد مـن الفيضانـات المفاجئـة.

- درجـة الحـرارة: إن درجـات الحـرارة فـي العـراق آخـذة فـي الارتفـاع، مـع الشـعور بالتغييـر بشـكل أكثـر حـدة من العقـد الماضي. اذ يشـهد العـراق بشـكل متزايـد درجـات حـرارة مرتفعـة فـي الصيـف تصـل الـى مـا فـوق ٥٠ درجـة مئويـة، ومـن المتوقـع أن تـزداد موجـات الحـر الشـديدة فـي المسـتقبل. إن متوسـط درجـات الحـرارة السـنوية فـي العـراق مـن المرجـح أن يـزداد زيـادة قردهـا درجتيـن مئويتيـن بحلـول العـام ٢٠٥٠. بالتأكيـد سـتؤثر تلـك الزيـادات فـي درجـات الحـرارة سـلبًا علـى رطوبـة التربـة والأمـن المائـي، ممـا يزيـد مـن احتماليـة حـدوث موجـات جفـاف وعواصـف ترابيـة أطـول وأكثـر حـدة.
- هطـول الأمطـار: تتميـز حالـة هطـول الأمطـار فـي العـراق بتقلبـات موسـمية وإقليميـة عاليـة. اذ يحـدث معظـم هطـول الأمطـار فـي الشـمال والشـمال الشـرقي بمعـدل يتـراوح بيـن ٤٠٠ إلـى ١٠٠٠ ملـم فـي السـنة، وغالبًـا مـا يسـقط بيـن تشـرين الثانـي (نوفمبـر) وأذار (مـارس)، بينمـا يتـراوح المتوسـط السـنوي مناطـق السـهوب بيـن ٢٠٠ إلـى ٤٠٠ ملـم. فـي حيـن يتلقـى الجنـوب مـا بيـن ٤٠ إلـى ٦٠ ملـم فقـط، بشـكل أساسـي بيـن تشـرين الأول (أكتوبـر) وكانـون الأول (ديسـمبر) . اذ تشـير التوقعـات إلـى أن متوسـط هطـول الأمطـار السـنوي فـي العـراق سـينخفض بنسـبة ٩ فـي المائـة بحلـول العـام ٢٠٥٠، مـع توقـع انخفـاض الحـد الأقصـى لعـدد الأيـام الممطـرة أيضًـا. ومـن المتوقـع أن يـؤدي انخفـاض هطـول الأمطـار إلـى إطالـة فتـرات الجفـاف، مـع تأثيـرات شـديدة علـى الغـذاء والأمـن المائـي.

الديناميات الاجتماعية والبيئية

يهيمـن النفـط علـى اقتصـاد العـراق، ويسـهم بأكثـر مـن ٩٠ فـي المائـة مـن الإيـرادات الحكوميـة. فـي حيـن يسـهم الاعتمـاد الكبيـر علـى عائـدات النفـط الـى عـدم الاسـتقرار الاقتصـادي، إذ تعيـق مسـألة تقلـب الأسـعار مـن النمـو الاقتصـادي وانعـدام التنويـع الاقتصـادي. عـلاوة علـى ذلـك، تؤثـر الانبعاثـات مـن آبـار النفـط المتقادمـة أيضًـا علـى بيئـة البلـد وصحـة النـاس. وعلـى الرغـم مـن الاعتمـاد علـى النفـط فـي الإيـرادات الحكوميـة، إلا إن قطـاع الزراعـة فـي العـراق يوفـر مصـدر رزق لـ ٢٥ فـي المائـة مـن السـكان. ومـع ذلـك فـإن الزراعـة فـي العـراق تتميـز فـي الغالـب بمـزارع صغيـرة تعتمـد علـى الزراقـة المطريـة او المرويـة. غيـر إن انخفـاض مسـتويات هطـول الأمطـار وتوافـر الميـاه، والجفـاف المطـول، والعواصـف الترابيـة، وانخفـاض خصوبـة التربـة يـؤدي الـى تفاقـم التأثيـر السـلبي علـى القطـاع الزراعـي وسـبل العيـش التـي يعتمـد عليهـا.

علاوة على ذلك، تؤدي أزمة المياه في العراق إلى تفاقم الديناميكيات الاجتماعية والبيئية. اذ تعتمد إمدادات المياه في العراق إلى حد كبير على نظام نهري دجلة والفرات، الذي تنبع روافده الرئيسة من تركيا وإيران. ونظرا لأن تغير المناخ يؤدي إلى زيادة عدم انتظام هطول الأمطار في المنطقة، فإن مصب نهر في العراق يعتمد على الاستقرار الإقليمي والتعاون مع جيرانه من أجل الوصول المستدام إلى المياه.

فضلا عن ذلك، فإن مسألة توافر المياه وجودتها يزداد سوءًا في العراق بسبب البنية التحتية القديمة والضعيفة للمياه والصرف الصحي وأنظمة الري، فضلاً عن الافتقار إلى سياسات وممارسات في الإدارة المتكاملة للمياه. اذ تبرز بين الحين والآخر توترات قبلية حول التنافس على المياه، ومن المرجح أن تنشأ المزيد الصراعات بين القبائل حول المياه، وتتفاقم تلك الآثار مع جائحة كورونا التي اثرت هي الأخرى على الاقتصاد العراقي، وزادت من تفاقم مستويات البطالة والفقر المرتفعة بالفعل، وخلقت المزيد من عدم الاستقرار في العراق.

مخاطر السلام والأمن المتعلقة بالمناخ

يمكن أن يقوض تغير المناخ مكاسب التنمية ويؤثر على ديناميات الصراع ويعطل عمليات السلام الهشة أصلا في العراق. على الرغم من عدم وجود علاقة سببية مباشرة بين المناخ والصراع، فقد حددت الأبحاث مسارات متعددة يتفاعل من خلالها تغير المناخ مع الضغوط السياسية والاجتماعية والبيئية لمضاعفة نقاط الضعف والتوترات الحالية. لذلك تستخدم ورقة الحقائق هذه أربع مسارات مترابطة لوصف العلاقة المعقدة بين تغير المناخ والسلام والأمن في العراق عبر الآتي:
تدهور سبل العيش، (٢) الهجرة والتنقل، (٣) تكتيكات الفاعلين العسكريين والمسلحين، (٤) استغلال النخبة وسوء الإدارة.

أولا: تدهور سبل العيش في العراق

يؤثر تغير المناخ بالفعل على سبل العيش في العراق. اذ تتفاقم الأعباء المجتمعية للاقتصاد الضعيف وأنظمة الحوكمة بسبب تأثيرات التغير المناخي التي تؤثر سلبًا على الزراعة وتقلل من دخل الأسرة وأمنها الغذائي وسبل عيشها.

ففي العام ٢٠٢١، تأثر شمال العراق بالجفاف بسبب انخفاض مستويات هطول الأمطار، بينما شهد الجزء الجنوبي من البلاد انخفاضا في إمدادات المياه العذبة؛ كلاهما أدى إلى فشل كبير في المحاصيل. إذ أدى الجفاف في الأجزاء الشمالية من البلاد - التي تعد بشكل عام منطقة فائض من الحبوب - إلى انخفاض الحصاد في محافظة نينوى وانخفاض إنتاج المحاصيل إلى النصف في إقليم كردستان العراق. أما في نينوى، فيُقدر محصول القمح بأنه أقل بنسبة ٧٠ في المائة مما كان عليه في العام ٢٠٢٠، وأقل بنسبة ٥٠ في المائة عن العام ٢٠١٩. في حين في إقليم كردستان، كان من المتوقع أن يكون إنتاج القمح أقل بنسبة ٥٠ في المائة من محصول العام ٢٠٢٠.

لذلك كله، أسهم فشل المحاصيل في زيادة أسعار المواد الغذائية في العراق، حيث يتم استكمال الإنتاج المحلي الاستيرادات الغذائية. في حين تؤدي خسائر المحاصيل وانخفاض الدخل وزيادة أسعار المواد الغذائية إلى تفاقم أوجه الضعف الداخلي وتهديد الأمن الغذائي وسبل العيش في العراق. وقد ظهرت بالفعل توترات بين المجتمعات جراء ذلك. وقد يؤدي

تدهور سبل العيش المرتبط بتغير المناخ ونقص المياه إلى زيادة مخاطر التنافس على الموارد والهجرة وتجنيد الجماعات المسلحة والصراع العنيف. ففي السنوات الأخيرة، برزت الاحتجاجات في العراق وأعمال الشغب كأحد الأشكال الأساسية للخلاف المرتبط بالمخاطر المتعلقة بالمناخ.

علاوة على ذلك، فإن النساء سوف تتأثر بشكل غير متناسب بالتغير المناخي في العراق، بسبب الأدوار الجنسانية الموجودة مسبقًا وعدم المساواة، لاسيما وأن النساء غالبًا ما يفتقرن إلى خيارات كسب العيش والموارد المتاحة مقارنة بالرجال. وتظهر المؤشرات إن العراق احتل المرتبة ١٥٤ من بين ١٥٦ دولة في التقرير العالمي للفجوة بين الجنسين ٢٠٢١، حيث حظيت النساء بفرص اقتصادية ومشاركة وتعليم وتمكين سياسي أقل. ففي أهوار الحويزة، على سبيل المثال، تتأثر النساء سلبًا بنقص المياه وظروف الجفاف وعليهنّ البحث عن مصادر مياه أخرى في مناطق بعيدة لإعالة الأسر والماشية. عندما تتدهور سبل العيش، يهاجر الرجال إلى المدن بحثًا عن الوظائف، تاركين النساء لإعالة أسرهنّ ومواشيهنّ، مما يضيف عبئًا إضافيًا من المسؤولية في أوقات الشدة. وبالتالي، يجب أن تأخذ معالجات تغير المناخ بالاعتبار تدهور سبل العيش في ديناميكيات النوع الاجتماعي في العراق.

ثانيا: الهجرة والتنقل في العراق

يعاني العراق من هجرة حضرية واسعة النطاق بسبب فشل المحاصيل وفقدان سبل العيش، على سبيل المثال، في مدينة البصرة، كانت الهجرة من المناطق الريفية مدفوعة بشكل أساسي بنقص الفرص الاقتصادية وندرة المياه والتدهور البيئي الشديد لسبل العيش الريفية. اذ يعيش العديد من هؤلاء المهاجرين في مناطق حضرية فقيرة وغير آمنة معرضة بالفعل لمشاكلات اجتماعية تتعلق بالأمن الاقتصادي. وقد أظهرت أنماط الهجرة الحضرية في العراق أن معظم المهاجرين يستقرون في الأحياء الفقيرة، لاسيما وأن هذه الأحياء الفقيرة، إلى جانب الظروف التي يمر بها المهاجرين، فهي مناطق غير مستقرة، وقد خلقت أرضًا خصبة للتجنيد في الجماعات المسلحة ونمو الشبكات الإجرامية. الأمر الذي جعل هذه المناطق تتركز فيها مصادر انعدام الأمان والتي تتمحور حول النزاعات القبلية والبطالة ونقص الخدمات والاتجار بالمخدرات والكحول. وعليه أصبحت الهجرة المتزايدة إلى المدن تضيف المزيد من التحديات في المناطق الحضرية، الأمر الذي من شأنه إن يجهد من قدرات السلطات المحلية على إدارة وتلبية طلبات السكان المتزايد على الخدمات.

اعتبارًا من كانون الأول (ديسمبر) ٢٠٢١، نزح أكثر من مليون شخص داخليًا في العراق، بينما تم تسجيل ٤. ٩ مليون شخص كعائدين إلى مناطقهم الأصلية. اذ يتواجد العديد من النازحين والعائدين في مناطق تعاني من انعدام الأمن الغذائي المتزايد، بما في ذلك المناطق التي على طول نهر الفرات في الأنبار ونهر دجلة في صلاح الدين. في حين تستضيف محافظة نينوى أكبر عدد من النازحين والعائدين في العراق، حيث أدت ظروف الجفاف في العام ٢٠٢١ إلى موجة نزوح أخرى من قبل الأسر العائدة.

إن للنزوح آثار سلبية على قدرة الفرد والأسرة على الصمود، وقد يكون العائدون أكثر عرضة للآثار السلبية لتغير المناخ في العراق؛ لأن النزوح يمكن أن يكون له آثار سلبية على سبل العيش والأمن المالي.

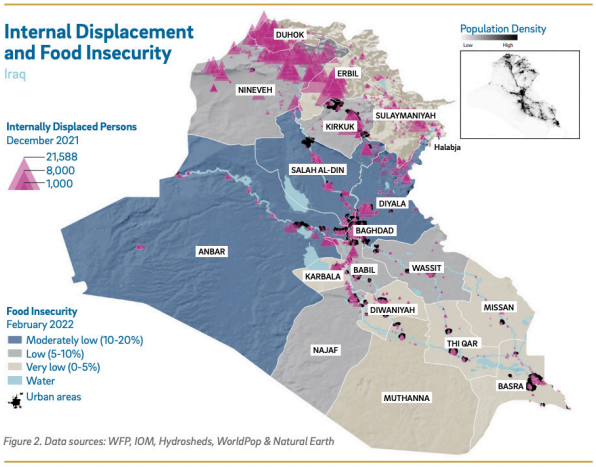

شكل (١) النزوح الداخلي وانعدام الأمن الغذائي في العراق

ثالثا: تكتيكات الفاعلين العسكريين والمسلحين

قد تؤدي زيادة الإجهاد المرتبط بالتغير المناخي والبيئي في العراق إلى تحفيز الجماعات المسلحة على الاستيلاء على الأراضي الزراعية والبنية التحتية للمياه أو تدميرها مثل السدود وخطوط الأنابيب ومحطات الصرف الصحي. وقد لوحظت هذه الظاهرة في صراعات أخرى في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، خلال احتلال «تنظيم داعش» للأراضي في العراق بين ٢٠١٣-٢٠١٧، إذ استهدف التنظيم مصادر مائية مهمة مثل سد الموصل والفلوجة ودمر البنية التحتية للري.

إذ كان الخوف من أن يقوم «تنظيم داعش» بتحويل أو قطع تدفق المياه إلى الأجزاء الجنوبية ذات الأغلبية الشيعية في العراق- وهي منطقة زراعية رئيسة تعتمد على الري- وتركها عرضة للجفاف. كما تأثرت الأراضي الصالحة للزراعة بالنزاع والتدمير المتعمد من قبل «تنظيم داعش». لذلك بسبب التأثير المتفاقم للتغير المناخي، قد تستمر البنية التحتية الاستراتيجية للمياه في لعب دور مهم في النزاعات المسلحة المستقبلية في العراق.

علاوة على ذلك، فإن انعدام الأمن المعيشي قد يؤدي إلى خفض تكلفة الفرصة البديلة من الأنشطة غير المشروعة، لكنه يمكن أن يوفر وسيلة للجماعات المسلحة لكسب الدعم وتجنيد الأعضاء الجدد. على سبيل المثال، استخدم «تنظيم داعش» سابقًا نقص الغذاء والماء للحصول على الدعم في مجتمعات معينة في العراق مقابل تأمين سبل العيش والموارد وغيرها من الخدمات التي لا توفرها الدولة. بالمقابل في جنوب العراق، فإن التجنيد في الميليشيات يعد خيارًا لكسب العيش للعديد من الأسر بسبب التدهور البيئي ونقص الفرص الاقتصادية.

رابعا: استغلال النخبة وسوء الإدارة

إن الآثار المجتمعة للحكم الضعيف واستغلال النخبة والتهميش والإقصاء، تعني إن التغير المناخي في العراق يؤثر على بعض الفئات أكثر من غيرها، مما يؤدي بدوره إلى تغذية المظالم التي تؤدي إلى عدم الاستقرار. إذ يحد الفساد وشبكات المحسوبية وتسييس مؤسسات الدولة من خلال تقسيمها بين الجماعات العرقية والطائفية من قدرة الحكومة على تنفيذ السياسات، الأمر الذي يؤدي إلى التوزيع غير المتكافئ للموارد ويؤدي إلى عدم الاستقرار.

علاوة على ذلك، كثيرا ما تعيق المنافسة السياسية من عمل الحكومة. فعلى الرغم من تعهدات الحكومات المتعاقبة بمعالجة الآثار الاجتماعية والاقتصادية للتغير المناخي، إلا إن الخلافات السياسية منعت العراق من القيام باستثمارات طويلة الأجل في البنية التحتية لمعالجة آثار تغير المناخ، على سبيل المثال، لم ينجح العراق في الاستثمار في

البنية التحتية للمياه على المدى الطويل للحد من هدر المياه، والاستفادة من تدفق المياه إلى أسفل مجرى النهر، وتعظيم التدفقات الموسمية. كذلك لم تنجح جهود إعادة الإعمار التي قادتها الأمم المتحدة بعد غزو عام ٢٠٠٣ في وضع البنية التحتية للمياه في البلاد على أسس جيدة. وعليه شهد العراق سنوات من سوء الإدارة بلغت ذروتها في نقص المياه لفترات طويلة ومستمرة.

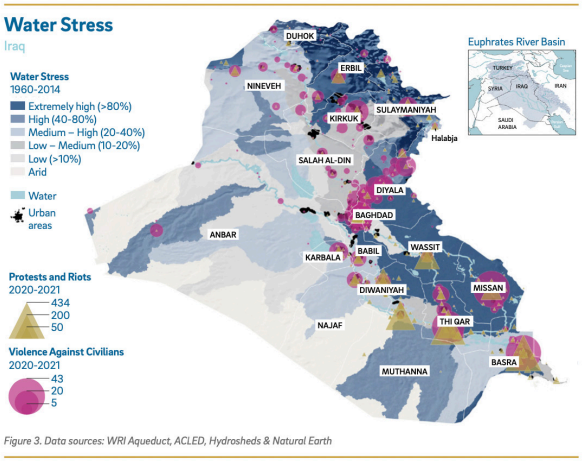

Figure 3. Data sources: WRI Aqueduct, ACLED, Hydrosheds & Natural Earth

شكل (٢) الاجهاد المائي* والاحتجاجات وأعمال الشغب والعنف ضد المدنيين في العراق

* (الاجهاد المائي: هي حالة لا توجد فيها مياه كافية بجودة كافية لتلبية متطلبات الناس والبيئة)

ونظرا لذلك، شهد العراق بالفعل احتجاجات على نقص أو رداءة المياه والكهرباء وغيرها من الخدمات، فضلاً عن نقص فرص العمل. وقد قوبلت هذه الاحتجاجات بالعنف من الجهات الأمنية وتسببت في المزيد من عدم الاستقرار في البلاد. في الوقت نفسه، أدت الاحتجاجات على قضايا المياه في البصرة أيضًا إلى وعود بالاستثمار في المنطقة المحلية، بدلاً من تبني سياسة أوسع على مستوى البلاد.

وبالنتيجة من المرجح إن تؤدي تأثيرات التغير المناخي في العراق إلى تفاقم القضايا الحالية المتعلقة بتقديم الخدمات. لذلك إذا تُرك التغير المناخي في العراق دون معالجة، فإن ضعف الحوكمة واستغلال النخبة وسوء الإدارة والتهميش سيؤدي إلى تفاقم الضعف وعدم الاستقرار، لا سيما عندما تتفاقم تلك الاشياء بسبب الآثار السلبية للتغير المناخي. ومن المرجح أن يؤدي تدهور سبل العيش إلى زيادة مخاطر الاحتجاجات وخلق عدم استقرار سياسي في العراق، وفي بعض الحالات من شأنه أن يؤدي إلى العنف.

التوصيات:

- يجب على الحكومة العراقية وشركائها الإقليميين والدوليين والأمم المتحدة التعاون على تطوير أدوات تحليلية شاملة للمخاطر الأمنية المتعلقة بالمناخ. ومن الأهمية بمكان إن يدمج هذا التحليل في خطة التكيف المناخي الوطنية العراقية.
- يجب على الحكومة العراقية تعزيز قدرتها على التخطيط والتنفيذ للاستجابة للتحديات في تقديم الخدمات العامة بسبب الآثار السلبية للتغير المناخي. اذ يجب وضع آليات لتعزيز المشاركة والشفافية والمساءلة وإصلاح قطاعي الكهرباء والمياه. كما يجب على الفاعلين الدوليين مساعدة العراق في هذه الجهود.
- يجب على الحكومة العراقية ووكالات الأمم المتحدة الاستفادة من إمكانية تعزيز العقد الاجتماعي في العراق بين المجتمع والحكومة من خلال تقديم خدمات فعالة ومقاومة للتغير المناخي.

- يجب على الحكومة العراقية وشركائها الإقليميين والدوليين العمل بشكل وثيق مع مختلف الجهات الفاعلة في المجتمع المدني المحلي، بما في ذلك الفئات المهمشة والمستبعدة، والنساء والفتيات، والأقليات العرقية والدينية والقبلية في معالجة المخاطر الأمنية المتعلقة بالمناخ.
- يجب على الحكومة العراقية التكيف من ندرة المياه المتوقع حدوثها في المستقبل بسبب الآثار السلبية للتغير المناخ، والسياسات المائية للدول المجاورة (تركيا/ إيران) ، وضعف البنية التحتية لخزن وتوزيع المياه، والاستخدام غير المقيد للمياه، وذلك عبر خيارين: الأول/ ينطوي على تعزيز الإمدادات من خلال زيادة إمكانية الوصول الى الموارد المائية التقليدية، وإعادة استخدام مياه الصرف والمياه العادمة، والتحويلات بين الأحواض، وتحلية المياه، ومكافحة التلوث. أما الثاني/ فينطوي على إدارة الطلب العام على المياه من خلال ثلاث خيارات: يتمثل الخيار الأول في تقليل الفاقد من المياه في عملية الإنتاج الزراعي بداية من نظام الري وصولا الى نقطة الاستهلاك. ويتمثل الخيار الثاني في زيادة إنتاجية المحاصيل فيما يتعلق بالمياه، ويتضمن ذلك إنتاج محاصيل أكثر قيمة لكل حجم من المياه المستخدمة. في حين يتمثل الخيار الثالث في إعادة تخصيص المياه نحو استخدامات أعلى قيمة من خلال نقل المياه بين القطاعات أو النقل داخل القطاعات عن طريق تقليل المساحة المروية المحصودة من محصول معين لتقليل التبخر (الناجم من التربة او سطوح أوراق النباتات دون الدخول الى جسم النباتات) والنتح (الماء الذي يدخل من جذور النبات ويتسلل من أوراقها الى الجو) أو تحويل المياه نحو محاصيل ذات قيمة أعلى[1]

الهوامش:

١. التكيف مع ندرة المياه: إطار عمل من إجل الزراعة والأمن الغذائي، تقرير منظمة الفاو للأغذية والزراعة للأمم المتحدة بشأن المياه، العدد عدد ٣٨، منظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة، ٢٠٠٨

ملف العدد

ندوة العدد : المعهد العراقي للحوار

هل العراق على اعتاب (حرب مياه) ؟

(ندوة فصلية)

المتحدثان:

السيد نزار الخير الله – الوكيل الاقدم لوزارة الخارجية

الدكتور عادل بديوي – عميد كلية العلوم السياسة جامعة بغداد

مقرر الندوة

سدير غازي

مدير الندوة

هناك ورقة مهمة في موضوع التفاوض مع الاتراك والايرانيين فيما يخصنا كعراقيين، الشكر لجميع الحاضرين، في التفاوض يفترض ان تطرح المصلحة اولى وعندما تطرح المصلحة يجب ان لا تتعارض مع مصلحة الاخر، الاتراك يلقون اللوم علينا باننا ليس لنا تدبير في المياه والعراقيون يعتقدون ان الاتراك لازالوا يعتقدون ان الاتراك لاينظرون لدجلة والفرات بانهما نهريان دوليان، بل هما نهران عابران للحدود وهذا التوصيف الدولي ترتبت عليه مشاكل عديدة لاستحقاقاتنا، هل هناك مشاكل في التفاوض هل هناك مشاكل في العلاقات السياسية، هل هناك مشاكل في تنسيق المصالح، الكثير من المشتركات بيننا وبين الايرانيين يمكننا الاستفادة منها وتنسيق المصالح، هل المفاوض العراقي لازال يعيش في عقلية قديمة تعنتية جامدة الكثير من التساؤلات لكن اثير هذه التساؤلات حتى يسلط الضوء عليها، وستكون هذه الندوة ورقة سياسة ستقدم لصانع القرار وتنشر ضمن منشورات المعهد العراقي للحوار.

نزار الخير الله – الوكيل الاقدم لوزارة الخارجية العراقية

فرصة طيبة ان تتوفر فرصة لعدد محدود من اجل

نقاش هذا الموضوع الاستراتيجي الذي يهم العراق، وبالتاكيد سنطرح عناوين رئيسية في الحوار حتى نعطي فرصة اكبر لتنضيج هذه الافكار، أن جزء من اهمية المياه تنبع من كونها قضية اساسية للامن الوطني لكننا محتاجون لرؤية مستقبلية وتكون حاضرة في كل هيكليات التابعة للدولة وتكون واضحة في هذا الجانب.

كمثال، مجلس الامن الوطني في كل اجتماعاته استضاف وزير الموارد مرة واحدة فقط عندما حدثت شحة مياه، و البرلمان كذلك استضاف المعنيين عند الازمات فقط، ولا توجد لدينا هيكلية دائمة للتعامل مع موضوع استراتيجي مهم.

المياه والامن الوطني قضايا مترابطة وامكانية الصراع، ولا افضل الدخول بمصطلحات الحرب لان بها مبالغات كبيرة، لكن يمكن الحديث عن امكانية الصراع والاجراءات التي يمكن ان نتحاشى الامور التي تؤدي للصراعات

هناك ازمات حدثت في السبيعينات واوقات مختلفة بين العراق وتركيا وسوريا وتركيا في فترة من الفترات كان هناك ملئ لخزانات وسدود تركية، كان وزير البيئة القطر نائب وزير الخارجية في زيارة للعراق عندما كان هناك مخطوفين قطريين، قال قمت بزيارة للعراق في السبعينات كعسكري وقمنا بزيارات لمصانع الاسلحة في النظام السابق وجدنا قنابل مهيئة لضرب السدود، انه كان ضمن الاستراتيجيات العسكرية والموضوع كان يمكن ان يشكل صراع ؟

امكانية الصراع تاتي من عجز من الموارد المائية، منظمة الاسكو التابعة للامم المتحدة قالت العجز في ازدياد مضطرد في القطاع الزراعي والاستخدامات المنزلية والصناعية ويقدر العجز عام ٢٠٣٠ ب٣١ مليار في العراق في اذا كان الامر طبيعيا اذا فرضنا التصحر وتغير المناخ فعملية الجفاف قد تصل لمستويات اكبر.

الصراع يأتي من استفاذ او تدهور الموارد المائية و النمو السكاني، العراق من اكثر دول المنطقة بزيادة عدد السكان كنسبة، والزيادة السكانية فيها جوانب متعددة فيها مثلا الاستخدامات المنزلية تعادل ١٢ مرة ضعف عن اقرانهم بالارياف، عملية التحديث في الحياة تغير نمط الاستخدام، و الخطير في الموضوع في عملية الصراع هو (غير العدالة في التوزيع) ، بالنسبة للسدود التركية والايرانية هناك تقييمات بالنسبة للفنين والسياسيين ان السدود التي تولد الطاقة الكهربائية لاتشكل خطر كبير على العراق لكن السدود الاروائية هي من تسبب المشكلات لان الاول عندما تولد الطاقة الكهربائية تطلق المياه.

القضايا الاساسية التي تهمني هي عملية التفاوض وعملية اذابة الجليد والخيارات العراقية المطروحة، تشكلت لجنة قريبا لدراسة مجموعة من الخيارات بالنسبة لادارة المياه جاءت شركة استراتيجية ايطالية قدمت دراسة معمقة لعام ٢٠٣٥ كفاءة ا لري في العراق تشكل ٢٠ بالمئة ووما نحتاجه لرفعها ٦٠ بالمئة نحتاج لاكثر من ٤٠ مليار دولار، لا توجد تقنيات حديثة في الزراعة خاصة في جنوب العراق الزراعة تقليدية هو نفس نمط الدولة القديمة

مشكلة بناء السدود والمشروعات للعراق كانت تبنى للتعامل مع الفيضان وليست لإغراض التخزين وهذه مشكلة اساسية والمشكلة الاخرى مقدار اهتمامنا كحكومات وسياسيين وبرلمانين بمضوع المياه، مجرد نظرة الى موازنات الدولة العراقية والتخصيصات للموارد المائية كوزارة يدل على عدم الاهتمام بهذا الموضوع الاستراتيجي، وهذه مشكلة اساسية، ولا حتى الهيكليات التي تتعامل مع عملية التفاوض بالشكل المناسب، كان هناك مشروع قانون لايجاد هيكلية لمجلس اعلى للمياه لم يرى النور كمؤسسة مستقلة لديها نوع من الاستمرارية والقدرة المعرفية والتفاوضية.

اللجنة العليا برئاسة رئيس الوزراء وعضوية الوزارات

المعنية الخارجية والموارد المائية والزراعة والبيئة والصحة، وبصراحة اكثر النقاشات كانت بالنزاعات الدخلية، وهذا جزء منه لعدم وجود تقنيات في عمليات الارواء، نرى كميات هائلة من عمليات تبخر وعدم الحفاظ عليها في جنوب تركيا توزيع المياه قائم على طريقة انابيب تشبه انابيب النفط هذه تحل اشكاليات كبيرة تحل مشكلة الاهدار بالمياه وعدم التجاوز وتحل مشكلة التبخر، تعطي اولوية في التركيز على المشروعات الزراعية في العراق، لدينا في العراق اهدار كبير وسوء استخدام ليس لعدم وجود تقنيات او الطريقة التقليدية في الارواء بل ايضا بالثقافة الموجودة، طبعا المشكلة الاساسية هذه كلها مرصودة من قبل تركيا ومعروفة، في المفاوضات يطرح المفاوض التركي ان التركي لا يغسل سيارته الا بالشهر مرة بينما العراقي يغسل سيارته يوميا، لدينا حالات سلبية كبيرة وواضحة، ويمكن ملاحظة عملية الاهدار كثقافة وسلوك لهذا نحتاج توعية في هذا الموضوع.

التفاوض مر بمراحل كان احد الاستراتيجيات التي تبنيناها في لجنة التفاوض الفرعية من اللجنة العليا كانت بادارة الخارجية ثم تحولت للموارد المائية، هناك القليل من القواعد المائية المشتركة، الاتفاقية المهمة بين العراق وتركيا هي اتفاقية الصداقة ١٩٤٩ كان فيها ملحق بروتوكولي عن تقاسم المياه وهذه هي الاتفاقية الوحيدة الموجودة، بعدها حدث اجتماعات ولجان مشتركة عديدة بيننا، واخيرا عام ٢٠١٤ نجحنا من خلال التفاوض وجدنا مذكرة تفاوض تصدقت قبل سنة من ٢٠١٤ الى الان - هذه المذكرة تتحدث عن مبادى التقسيم العادل والمنصف، كان جزء من استراتجيتنا هو بناء هذه القواعد كنا نستخدم الوسائل الدبلوماسية للوصول الى مقاربات ودراسات وتقارب بيننا، كنا نلاحظ هناك اتفاقية قانونية محددة بين مصر والسودان واثيوبيا كان فيها تقاسم للحصص، لكن الازمة السياسية الاخيرة بينهم بها وجدنا حتى القواعد القانونية غير كافية، المشكلة الاساسية ان الاتفاقات الدولية غير ملزمة اخيرا انضممنا لاتقاية هيلسنكي والتي تتحدث عن عملية تكامل تتحدث عن توزيع المياه بين الدول الاوربية وكان فيها تطور نوعي يتحدث عن نوعية المياه.

تركيا وايران ليست جزء من اي اتفاقيات دولية، المشكلة مع تركيا هو الاختلاف بالرؤيا بشكل كامل، الجانب التركي يعتبرها انهار وطنية وليست دولية وخاضعة للسيادة التركية بالكامل وهي عابرة للحدود لهذا، لهذا تعتبر مياه الانهار ثروة قومية وليست مياه دولية مشتركة وتعتقد لاتوجد قوانين دولية تفرق بين مجاري الانهار، مشكلتهم عدم اعترافهم بالصفة الدولية ولا توجد حالة التزام بالنسبة لهم، في عملية التفاوض اكتشفنا نقاط اساسية.

اكتشفنا ان الفريق العراقي المفاوض في العقود الماضية كان فريق تقليدي يهتم بالحصص ويهتم بسرية المعلومات بنفس العقيلة السابقة يتعامل بمخاوف وهواجس بدون النظر للامكانيات العلمية التي تعرف المنسوب والاطلاقات بدقة كبيرة.

بدأنا بمقاربات جديدة، وتوجد حالة انقطاع، لم تكن المياه لهذا تركيا وايران حقيقة استفادوا من هذه العملية بالاضافة لطبيعة الاشياء والامكانيات الاقتصادية والدول المجاورة للعراق لم ترتقي لإمكانياته في بناء السدود الضخمة.

توجد عوامل جديدة في التفاوض نحن نريد التحدث عن نسبة نتقاسم المياه بالسراء والضراء أي في حالة الجفاف والإمطار حتى تكون منصفة للعراق وتركيا.

استخدمنا طريقة مختلفة للانفتاح على بعض وكانت هناك رؤية جديدة هل توجد امكانية تحويل عملية الصراع حول المياه الى حالة تقارب، السويد وسويسرا انشاؤا مبادرة اسمها السلام

الأزرق، الفكرة أن الدول ممكن ان تتعاون هناك جوانب كثيرة ممكن تكون بها استفادة حقيقية خاصة في موضوع البيئة، قد تصادفه بعض الصعوبات هو كيف تتشكل القناعات في هذا الامر في كل الدول المعنية، ثانيا حالة الجفاف وقلة الإمطار والتغييرات المناخية، ثالثا توظيف العوامل الاستراتيجية في الجوانب السياسية.

الخيارات المطروحة للعراق ان ينظر بهذا الامر بشكل جدي وان يدعو الاتراك والايرانيين ان تكون لهم مشاركة في ادارة المياه، وهذا الامر عليه انقسام كبير وحالة شد سواء على مستوى البرلمان او السياسة لكن يبدو ان هذا الجهد ممكن اذا كانت هناك رؤية متكاملة، بتقديري ان نوظف كل العوامل الاقتصادية والتاجرية والطاقة والامنية والسايسية، العراق يستطيع ان تكون لديه موارد قوية في هذا الاتجاه.

الاتراك لديهم رغبة جدية بان يكونوا حاضرين باعادة اعمار العراق وان يكون هناك تعاون بالامن لوجود حب العمال الكردستاني الذي يشكل عبأ، ولديهم رغبة بالامور التجارية تصل اجمالي التبادل ل٢٠ مليار دولار سنويا ولديهم رغبة في مواضيع الطاقة وهناك مشاريع استراتيجية قد تؤدي الى حدوث تغييرات في هذه المعادلات ن لا نناقش مسالة القناة الجافة ١١١ التي فيها ثلاثة عوامل اساسية سكك الحديد وطرق سرعية وانابيب طاقة النفط سوف يحدث تغيير نوعي في التفاوض.

وزارة الخارجية في عملية التفاوض اردنا التعامل مع الدول المجاورة بشكل واحد بدون فصل بين التجارة والاقتصاد والامن كنا نعتقد لابد للمفاوض العراقي نقاط قوة يقابل بها الاخرين، لكن حكومات سابقة وحالية لديها رؤية مختلفة على تحريك الجانب الاقتصادي وغيرها لهذا مسالة الحدود والقضايا المعطلة حتى نسير بها، اذ صار تكامل اقتصادي سوف تكون هنا مصالح حقيقية تمكننا من التفاوض معهم.

مسالتين مهمة هما الاول هو موضوع البيئة اهتمام الادارة الامريكية الجديدة بالبيئة وتعيينهم جون كيري المهتم بشكل خاص بموضوع البيئة والاتحاد الاوربي يعتبرها من اولويات سياسته الخارجية، استطعنا ان نسجل الاهوار بلائحة التراث والذي اعطاها حصانة والحفظ.

الموضوع الاخر ونحن نفكر به هو مسالة حقوق الانسان نريد ان نربط موضوع المياه بحقوق الانسان في احد الازمات مع تركيا قررنا ان نذهب الى جنيف لطرح الموضوع له علاقة بحقوق الانسان، تركيا لم تترك وسيلة من الضغط لنراجع، جزء من استراتيجيتنا ان تكون لدينا شراكات مع دول مثل فرنسا وهولندا واسبانيا اخبرناهم ان تكون شراكتنا بشي اخر ونستفيد من القدرات النوعية بموضوع ادارة المياه وتدريب كوادرنا الفنية تدريب على عمليات المفاوضات الدبلوماسية مجرد هذه الشراكات نحن نحتاج بتغيير نوعي لابد ان تكون لدينا قضية بان تكون لدينا جدية للتغير، لدينا مشكلة في التفاوض والتعامل مع العجز ومشكلة مع هذه الدول لان بسهولة الاتراك يقولون لماذا ينتهي دجلة والفرات بشط العرب.

موضوع شط العرب هل مصالحنا الاستراتيجية ان نحوله لقناة ملاحية ونجد بدائل اساسية ام نؤسس قناة موازية وتوفر مياه للسقي للضفة العراقية من شط العرب، كما حدث في الجمورية الاسلامية مع نهر الكارون.

تحتاج لدراسة جدوى حول مستقبل شط العرب، الشيء الاخر كنت رئيس لجنة تفاوضية حول المياه، انربطت باللجنة العليا للمياه الجنة العليا التي يتراسها رئيس وزراء في المراحل الانتقالية في بعض الاحيان يكلف شخص اقل درجة وظيفية ولا يصير حافز، قدمنا توصيات وبدأنا نفكر بشكل جديد كما في الدول المجاورة – فكرنا في ان نضع ٣ اجيال في فريق التفاوض وتمثل كل الوزارات المعنية والتقاعد لا يوقف مشاركة الفريق، ونضع

جيل خبرة وبعد وبعده، والفريق الوطني للتفاوض لابد ان يلم بجميع الجوانب والقانونية والفنية فتصير عملية التفاوض باتجاهات مختلفة، امور لاحظتها ان موضوع المياه غير حاضر في الامور التفاوضية مع سوريا لانجد ملفاتها، موضوع المياه لا بد اننحدد مساراتنا في السياسات الخارجية، المفاوض العراقي يستفيد من كل موارد الضغط ن عندما زار احمد داوود اوغلو وزير الخارجية التركي للسيد المرجع السيد السيستاني، كان السيد يتحدث لاكثر من نصف ساعة عن المياه.

لما نذهب الى تركيا صرنا نتحدث عن موضوع المياه بأنه موضوع مجتمعي كل الجهات السياسية والبرلمانية والمرجعيات الدينية هذه الموضوعات بالنسبة لهم امور استراتيجية ومهمة.

د. عادل بديوي – عميد كلية العلوم السياسية جامعة بغداد

كل الشكر والتقدير للمعهد العراقي للحوار على اتاحة فرصة للحوار البناء نحو بناء ستراتيجية فاعلة بموضوع المياه – استعرض على جنابك ورقة بحثية اعدت عام ٢٠١٨ خاصة بهذا الموضوع.

عنوان الورقة - المياه في خيارات العراق الاستراتيجية اتجاه تركيا-

المشكلة

تعد تركيا دجلة والفرات نهرين تركيين داخليين عابرين للحدود، وليس نهرين دوليين، فهي تعتقد إن النهر الدولي الذي تنطبق عليه القواعد القانونية الدولية هو النهر المتاخم، أي الذي يفصل بين دولتين، وليس النهر التعاقبي، أي الذي يجتاز أكثر من دولة مثل نهري دجلة والفرات، وادي هذا الفهم إلى تشبث تركيا بان النهرين لهما حوض واحد، وحق امتلاكهما لها، ومن ثم، حق استخدام مياه النهرين حتى النقطة التي تعبران فيهما حدودها، ولذلك لا يحق لأحد أن يقرر كيفية استخدام مياه النهرين لان في ذلك انتهاكا لسيادتها عليهما، وترتب في ضوء هذا عدة نتائج سلبية على الجانب العراقي منها

١. رفض تركيا الدخول في معاهدة أو اتفاقية رسمية بشان تقسيم مياه النهرين
٢. رفضها موقف القانون الدولي بشأن الأنهار الدولية
٣. . عدم وجود قواعد قانونية واضحة وملزمة يرجع اليها لتسوية أي نزاع بين البلديم
٤. ترفض تركيا مبدأ تقسيم مياه النهرين أو توزيعهما أو محاصصتهما، وتطرح بدلا من ذلك مبدأ "تخصيص استخدام المياه" وفقا لدراسات مشتركة لمشاريع الري والزراعة في البلدان المتشاطنة.
٥. رفضها الحقوق المكتسبة لدول المجرى والمصب بعدها دولة المنبع التي يحق لها السيطرة والاستثمار التام لمياهها.
٦. . تعمل تركيا في إكمال مشاريعها من سدود ومشاريع ري على النهرين ضمن مبدأ "خلق الأمر الواقع"، دون إعلام العراق بذلك
٧. . . إقامة العديد من مشاريع الري والسدود التركية الضخمة التي أدت إلى انخفاض حاد في منسوب المياه المتدفق إلى العراق
٨. تعامل تركيا في قضية المياه بدوافع سياسية واستراتيجية واقتصادية وليست فنية فقط
٩. اختلال التوازن المائي في العراق بين الطلب والاحتياجات وبين ما هومتاح من موارد مائية.

مسارات الحل الاستراتيجي

المسار الأول:

ينطلق من الداخل العرقي من لتكوين أرضية صلبة

للمفاوض العراقي، وذلك عبر إنشاء (غرفة عمليات عراقية مشتركة) : فالمسار الأول الذي ينبغ لصنع القرار العراقي أن يعمل عليه، هو إنشاء غرفة عمليات مشتركة تتكون من خبراء سلف المياه في الجهات المعنية مثل (وزارة الخارجية، وزارة الموارد المائية، الأمن الوطني، وزارة التجارة، وغيرها من الوزارات والمؤسسات المعنية بالأمر) . فافتقادنا إلى ذلك: جعل لكل وزارة رؤية ومطالب وتصورات قد تختلف عن الوزارات والمؤسسات الأخرى، وفي بعض الأحيان متناقضة ومتضاربة، وهذا أضعف موقفنا التفاوضي مع تركيا وكذلك ايران، وجعل رؤيتنا غير واضحة واكثر غموضا، فتوحيد ذلك في مجلس مشترك سيوحد الرؤية، ويجعل المياه ضمن مساق الرؤية الوطنية وليس الحزبية أو العرقية أو الطائفية، ويمنع التقاطع، بل الأهم في تلك الغرفة ستحدد ماذا نريد من دولة المنبع، وما هي الطرق والوسائل والأدوات التي ستستخدم، مما يخلق أرضية صلبة للمفاوض العراقي ضمن استراتيجية واضحة الخطوات. لهذا يمكن الإيجاز في نقاط إيجابيات تكون غرفة العلميات المشتركة

١. تجاوز تعدد الرؤى ومن ثم تصبح هناك رؤية عراقية واحدة نابعة من خبراء ومختصين في موضوع المياه
٢. تكوين استراتيجية تفاوضية لقضية المياه، ومحددة وواضحة المعالم.
٣. سيكون المفاوض العراقي يعرف ماذا يريد، وما هي وسائل التصعيد والضغط، أو المكافئات والإغراءات
٤. القضية الاستراتيجية في ذلك، إن هذا المجلس سيضفي رؤية وطنية شاملة وبعيدة المدة لقضية المياه.
٥. يخفف الضغوط والمساومات الداخلية والتوظيف السياسية لمطالب العراق المائية.

المسار الثاني:

المسار الدبلوماسي: لدى العراق العديد من أدوات التعامل مع تركيا في قضية المياه، والتي يمكن أن توظف بشكل مناسب لتحقيق مصالح وأهداف الطرفين، وهذا المسار له شقين، الأول يتعلق باستخدام الأدوات الإيجابية (الجزرة) في مسار الدبلوماسية، والشق الآخر يتعلق بتوظيف الأدوات السلبية (العصا) في ذلك المسار. فيما يتعلق بالشق الأول (الجزرة) فالعراق يحتاج اليوم سواء مع تركيا أو غيرها من الدول المهمة لنا، إلى إنماء وتوثيق علاقاته من خلال المصالح الاستراتيجية المشتركة، فلا علاقات وثيقة وتحالفات استراتيجية بدون مصالح تربط تلك العلاقات، فالمصالح كالجسور بين الدول، بدونها لا نستطيع أن نمضي إلى الجانب الآخر أو نحقق مصالحنا، في ضوء ذلك فان العراق يرتبط بعلاقات تجارية واستثمارية كبيرة مع تركيا، فهو السوق الثاني لها بعد المانيا، لهذا ممكن أن توظف هذه العلاقات في المسار الدبلوماسي بشكل إيجابي وبناء، فالعوامل الاقتصادية تؤدي دورا مهما ومتعدد الأبعاد في العلاقات العراقية التركية، حيث الحاجة المتبادلة بين الدولتين. فبالنسبة للعراق تشكل تركيا مدخلاً حيويا لوارداته التجارية ودخول مختلف أنواع البضائع والسلع إلى أسواقه، فحجم التبادل التجاري قد سجل طفرات عدة منذ عام ٢٠٠٣ والذي كان يبلغ ٨٥٠ مليون دولار حتى وصل في عام ٢٠١٢ إلى ما يقارب من ١١ مليار دولار، وليتنز عام ٢٠١٣ إلى حوالي ١٦. ٧ مليار دولار، وبسبب سيطرة تنظيم (داعش) الإرهابي على مناطق في الشمال العراقي وغربه ووفقا لجمعية المصدرين الأتراك فإن حجم الصادرات التركية إلى العراق انخفض بنسبة ٢١٪ في شهر يونيو/حزيران ٢٠١٤ مقارنة بالعام الذي سبقه، الأمر الذي دفع ترتيب العراق إلى التراجع إلى المرتبة الثالثة في قائمة أكبر مستوعبي الصادرات التركية، ثم تراجعت الصادرات التركية إليه مرة أخرى بنسبة ٤٦٪

فـي يوليو/تمـوز لتتراجـع مرتبـة العـراق -أيضـا- إلـى الخاصـة، وتوقـف عـدد كبيـر مـن مشـاريع البنـى التحتيـة والاسـتثمارات التركيـة فـي العـراق. وقـذر وزيـر الاقتصـاد التركـي حجـم الخسـائر التركيـة الناجمـة عـن انخفـاض الصـادرات إلـى العـراق بحوالـي ٣ مليـارات دولار فـي تلـك الأشـهر. كمـا انخفـاض

حجـم التبـادل التجـاري يصـل إلـى حوالـي ١٠ مليـارات دولار فـي عـام ٢٠١٧، ولهـذا هدفـت السـلطات التركيـة إلـى إعـادة العلاقـات التجاريـة والاقتصاديـة والاسـتثمارية بيـن البلديـن إلـى مـا قبـل الأحـداث الأمنيـة التـي ضربـت العـراق وعلـى الأصعـدة جميعها، ليبلـغ حجـم التبـادل بيـن العـراق وتركيـا ١٦ مليـار دولار لعـام ٢٠١٨، ويسـعى البلـدان إلـى رفعـه إلـى اكثـر مـن ٢٠ مليـار دولار لعـام ٢٠١٩. لذلـك يمثـل العـراق بوابـة مهمـة واسـتراتيجية للمصالـح التركيـة الاقتصاديـة وغيرهـا، فـاي خلـل ممكـن أن يصيـب هـذا السـوق العراقـي، سـينعكس سـلبيا علـى الداخـل التركـي اقتصاديـا وسياسـيا واجتماعيـا نظـرا لأهميـة الـدور التـي تقـوم بـه السـوق العراقيـة فـي دعـم النمـو الاقتصـادي التركـي.

وفـي ضـوء هـذه العلاقـات الاقتصاديـة والاسـتثمارية، ممكـن أن يقـوم العـراق بالخطـوة الأهـم إزاء تركيـا، عبـرة عـدة خطـوات اقتصاديـة ذو رؤيـة تفاوضيـة مائيـة:

١. إمكانيـة زيـادة حجـم التبـادل التجـاري بيـن البلديـن مـع مميـزات كمركيـة وغيرهـا إلـى الجانـب التركـي، وأولويـة الاسـتثمارات التركيـة علـى جميـع الاسـتثمارات الأخـرى فـي العـراق، لكـن أن يكـون مقـرون ذلـك بعقـد معاهـدة ملزمـة للطرفيـن يضمـن فيهـا العـراق حقوقـه المائيـة فـي نهـري دجلـة والفـرات
٢. إعطـاء الأولويـة للاسـتثمار الزراعـي للشـركات التركيـة فـي العـراق، ويحـدد نطـاق ذلك الاسـتثمار فـي وسـط وجنـوب العـراق، وهنـا نخلـق عبـر العلاقـات الزراعيـة مصلحـة تركيـة فـي زيـادة الإطلاقـات المائيـة، واسـتثمار ذلـك فـي معاهـدة بيـن الجانبيـن.
٣. العمـل فـي الوقـت نفسـه عبـر اسـتثمار اسـتراتيجي أخـر، هـو الاسـتثمار التركـي فـي إنشـاء القنـاة الجافـة) سـكك حديـد، والطـرق السـريعة – (وقـد ابـدوا الاسـتعداد لذلـك- والتـي تربـط جنـوب العـراق ابتـداء مـن الموانـي العراقيـة فـي البصـرة وصـولا إلـى تركيـا، ليكـون العـراق وتركيـا الممـر الرئيـس الرابـط بيـن أوروبـا وجنـوب شـرق آسـيا، ومـا سـيمثله هـذا المشـروع الاسـتراتيجي مـن عوائـد اقتصاديـة، وسياسـية وجيوبوليتكيـة لـكلا البلديـن والعالـم. كل ذلـك وغيـره سـيعمق مـن العلاقـات بيـن البلديـن عبـر مصالحهمـا الاسـتراتيجية المشـتركة

مـن جهـة أخـرى فـان تركيـا تنظـر للعـراق كشـريك رئيـس فـي مجمـل نشـاطات الطاقـة فتسـتورد تركيـا أكثـر مـن ٧٠٪ مـن حاجاتهـا مـن الطاقـة مـن الخـارج (٩٩٪ مـن النفـط الغـاز، وأكثـر مـن ٩٠٪ مـن النفـط الخـام) ، إذ يسـد العـراق ١٥٪ مـن حاجـة تركيـا مـن ومـن جهـة أخـرى منفـذا مهمـا لتصديـر النفـط عبـر الأراضـي التركيـة بواسـطة الأنابيـب التـي تمـر داخلهـا وصـولاً إلـى الموانـئ التركيـة. ومـن هـذا المنطلـق تنظر تركيـا إلـى العـراق كرافـد مهـم مـن روافـد سياسـة تنويـع واردات الطاقـة التركيـة؛ وذلـك علـى اعتبـار أنـه يمتلـك أكبـر خامـس احتياطـي مؤكـد مـن النفـط فـي العالـم، ويحتـل منـذ عـام ٢٠١٢ موقـع ثانـي أكبـر منتـج للنفـط فـي أوبـك.

١. زيـادة حصـة تركيـا مـن الطاقـة لسـد احتياجاتهـا الداخليـة ليكـون العـراق المسـاهم الأكبـر فـي ذلـك
٢. أهميتـه تفعيـل دور تركيـا مسـتقبلاً كمحطـة لنقـل الطاقـة إلـى أوروبـا علـى اعتبـار أن تركيـا تعتبـر المنفـذ الأقـرب لتصديـر النفـط العراقـي إلـى الأسـواق العالميـة
٣. وفـق ذلـك ممكـن تفعيـل المجلـس الاسـتراتيجي

المشترك بين البلدين والذي أسس عام ٢٠٠٧ على اعلى المستويات لإدامة المصالح وتوثيقها.

المسار الثاني

في الجانب الدبلوماسي، وهو الضغط والتهديد (العصا) ، عبر حرمان تركيا من تلك المزايا التجارية والاستثمارية والطاقوية التي يشكلها العراق بالنسبة لتركيا، فحرمانها من الأسواق وهذه الفرص الاستثمارية في ضوء التنافس الإقليمي والعالمي يشكل ضربة استراتيجية لا يمكن تعويضها للاقتصاد التركي ونموه، مما يشكل عامل ضغط متعدد الجوائب على الحكومة التركية هذا من جهة، ومن جهة أخرى ممكن توظيف العديد من الملفات السياسية والأمنية لاسيما قضية حزب العمال الكردستاني، والقواعد التركية في شمال العراق، ونحن تعلم لا استقرار لجنوب تركيا، بدون فاعلية تركية في شمال العراق، ويمكن إجمال هذه المصالح في عاملين محددين أساسيين: الأول هو منع أية مجموعة متمردة كردية تركية مثل حزب العمال الكردستاني من إيجاد ملاذ آمن في شمال العراق، والثاني، وهو الأهم، خفض أثر العدوى على أكراد تركيا والذي يمكن أن ينجم عن النشاطات السياسية للأكراد العراقيين؛ هذا العامل يتطلب احتواء الطموحات السياسية لأكراد العراق من خلال علاقات فاعلة وجيدة مع الحكومة المركزية العراقية، وهذا يمكن أن يتحقق بصورة أفضل عقد تلك المعاهدة. فضلا عن ذلك لا بد للعراق من اطراف خارجية فاعلية تمتلك أوراق ضغط على الجانب التركي يفعلها في ذهابه إلى عقد معاهدة مائية مع تركيا، وافضل طرفين في ذلك ممكن اني ستثمرهم العراق في ذلك هما الولايات المتحدة الأميركية، والاتحاد الأوروبي لما يملك الطرفان من وسائل ضغط متعددة، اقتصادية، وسياسية وغيرها تجاه تركيا، لكن ما يحتاجه العراق إلى دبلوماسية ذكية يفعل بها هذين الطرفين كوسيط وضاغط إزاء حقوقه المائية تجاه تركيا.

المسار الثالث:

مسار التحكيم: اذا لم يستطع العراق تحقيق معاهدة مع تركيا تضمن حقوقه المائية عبر الخطوات السابقة، هنا لا بد من خطوة إلى الأمام باللجوء إلى التحكيم الدولي، ويستطيع العراق بعد الاتفاق مع سوريا الذهاب إلى التحكيم في قضية اعتبار نهري دجلة والفرات نهرين دوليين، فهذين النهرين يشبهان انهار دولية أخرى من حيث إنها ليست انهار متاخمة بل انهار عابرة، ورغم ذلك ينطبق عليها وصف الأنهار الدولية مما يجعلها خاضعة إلى الأحكام والمبادئ والمواثيق الدولية التي تنظم الحقوق والواجبات بين دول المنبع، والمجرى والمصب، كأنهار النيل والسند والنيجر والسنغال والراين والدانوب والمكسيك وغيرها من الأنهار الدولية، والتي تتطابق مواصفاتها مع نهري دجلة والفرات. وان الذهاب إلى التحكيم، وصدور قراره، على الرغم انه غير الزامي للجانب التركي، إلا انه يشكل عامل ضغط قانوني ودولي عليها، قد تعيد فتح المسار الدبلوماسي للتفاوض من جديد، أو يدفعها إلى التعنت والتصلب في موقفها، وهذا يدفع العراق إلى المسار الثالث لكسب حقوقه المائية.

المسار الرابع:

مسار محكمة العدل الدولية، للعراق الحق انه يعرض قضاياه المصيرية على هذه المحكمة، اذا ما علمنا إنها تهدد الأمن الإنساني لديه والتي أصبحت قضية عالمية، فضلا على انه تهدد السلم والأمن الدوليين التي تعد من أهم أهداف الأمم المتحدة التي قامت على أساسها بل تصدرت أهدافها، فللعراق حقوق مائية مغتصبة

لـدى الجانـب التركـي، وان افضـل وسـيلة لذلـك بعـد المسـارين السـابقين هـو إدخـال الأمـم المتحـدة كطـرف فـي قضيـة الميـاه عبـر هيئـة محكمـة العـدل الدولـي، وهـذا يحتـاج مـن العـراق تحـرك دبلوماسـي نشـط وفاعـل لاسـيما علـى الـدول دائمـة العضويـة وعلـى رأسـها الولايـات المتحـدة الأميركيـة، والتـي تشـكل حليفـا لتركيـا، وضامنـة للنظـام العراقـي فـي الوقـت نفسـه، فقـرارات محكمـة العـدل ملزمـة لأطرافهـا وفـي حـال عـدم تنفيذهـا سـيتدخل مجلـس الأمـن لضمـان إنفـاذ قـرارات المحكمـة

المداخلات

د شيروان الوائلي – وزير سابق

بسـم الله الرحمـن الرحيـم شـكرا للسـيد مديـر المعهـد للحـوار

اتذكـر فـي مجلـس اسـتراتيجي شـكل فـي حكومـة السـيد المالكـي الاولـى ذهبنـا الـى تركيـا كوفـد مكـون مـن تسـعة وزراء كان كل واحـد يحمـل ملـف معيـن قابلنـا السـيد داوود اوغلـو والـذي اسـتقبلنا بتسـعة وزراء ايضـا اتفقنـا نحـن الوفـد قبـل ان يتكلـم أي وزيـر بملفـه يجـب أن يتكلـم عـن الميـاه

لكـن دائمـا الاتـراك يضربـون علـى وتـر حسـاس ايضـا العـراق تتحملـون فـي الوضـع الداخلـي نعـم معظـم ميانهـا للزراعـة نحـن لا نقـوم باعـادة تدويـر الميـاه او اسـتخدمات التقنيـات الحديثـة، لدينـا عـدم العدالـة فـي التوزيـع الداخلـي ارجـو ان لاتحسـب كمناطقيـة ولا قضيـة طائفيـة، لاتوجـد عدالـة فـي توزيـع الميـاه، كنـت فـي سـفر هنـاك علـى صـدر الفـرات فـي عامريـة الفلوجـة الفـرات كان يبـدو كنهـر مملـوء بينمـا الناصريـة هنـاك جفـاف.

لابـد ان تكـون هنـاك قضيـة فيهـا موضوعيـة ومصداقيـة.

العوامل التي ذكرت

١. وسـائل الضغـط ليـس مـع تركيـا فقـط بـل سـوريا ايضـا يمتـد فيهـا نهـر الفـرات ٦٠٠ كيلـو متـر وايـران هنـاك نهـر الـكارون و١٢ نهـر بالعمـارة اخـر، لدينـا وسـائل ضغـط علـى تركيـا واهـم ملـف يشـكل خطـر وحسـاس وسـمعته مـن السـيد اردوغـان شـخصيا هـو موضـوع الـب ب ك هـل نحـن متفقـون علـى موضـوع الـب ب ك الجـواب لا.

٢. موضـوع التجـارة البينيـة اخبرونـي بانهـم يدخلـون البيـض التركـي عـن طريـق كردسـتان وايـران ليـس هنـاك وحـدة موقـف عراقـي واضـح، قضيـة المنافـذ والمعابـر والحـدود معروفـة وهـذا يسـبب ارهـاق للعـراق وهنـاك ضـرر واغـراق للسـوق

٣. قضيـة التحكيـم هـم يتشـبثون بقضيـة التحكيـم ويجتهـدون لالغـاء قضيـة التحكيـم، التـي رفعـت فـي زمـن الدكتـور عـادل عبـد المهـدي حـول انبـوب النفـط فـي اقليـم كردسـتان، وسـبب هواجـس تركيـة وقالـوا مسـتعدون ان نعمـل منظومـات ري ومواضيـع اخـرى فـي الجنـوب حتـى تلغـى.

الـدول تسـتخدم ملفاتهـا كاوراق ضغـط فـي العلاقـات الخارجيـة لكـن هـل نحـن متفقـون بقضايانـا الاسـتراتيجية فـي وحـدة موضـوع، اليـوم علاقاتنـا مـع ايـران قويـة سـواء قـي الميـزان التجـاري العلاقـات البينيـة السياسـية والقضايـا الامنيـة ومواقـف متبادلـة لكـن ايـران ايضـا لابـد ان نفتـح معهـا هـذا الملـف العمـارة ووضعهـا والناصريـة ووضعهـا حيـث الغيـت العديـد مـن الانهـار.

حتـى مـع سـوريا لدينـا علاقـة قويـة والفرات يمـر ب٦٠٠ كيلـو مترفيهـا يمكـن توظيفهـا، العـراق غيـر مسـتعد للدخـول بحـرب وسياسـة العـراق هـي سياسـة الدفـاع التعرضي.

حقيقـة لا أعـول علـى تركيـا التـي تـرى بنفسـها مـن الـدول العشـرة الاوائـل واليـوم سياسـة اردوغـان وحزب العدالـة بانهـا سـتتاثر كثيـر بالضغـط الامريكـي وضغـط دول الاتحـاد الاوربـي، اردوغـان لديـه طموحـات خارجية

كبيرة ولديه طموح ويعتبر نفسه طرف دولي مهم بقد ما نحن نستطيع ان نؤثر في قضايا.
٢٠١٩ كانت مواسم امطار نحن طلبنا من تركيا ان تخزن لان صارت لدينا فياضانات وهذا يء الهي، هذا يعتبر البديل الثالث لان اذا كان هناك مواسم امطار لا نحتاج تركيا ولا ايران، وانتاجنا اكتمل بالحنطة الى حالة الاكتفاء، وهذه السنة يقولون الخبراء ان ٤٠ بالمئة من الانتاج ان هذا الموضوع خطير ان لا يؤمن العراق غذائه في ظل ازمة الغذاء العالمية.
نحن لا بد ان نكشف الوضع الخاص بنا ان يكون الملف بكج واحد أي يكون الملف متكامل ولما اختلفنا مع الكويت للاسف كان الملف بين النقل والخارجية مع الاسف صارت اتهامات نظرا لاختلاف وجهات النظر الفنية والسياسية، انا سمعت الكثير من الرؤساء منهم روحاني والملك عبد الله واميير الكويت هذه المشكلة التي شخصتموها جنابكم أن – الملفات تصفر – توجد ملفات هي ملفات دولة لابد ان يكون هناك تكامل، في كل الدول هناك سياسات ان وزارة الخارجية هي من تدير الملفات

الدكتور - اسامة الشبيب –
المدير التنفيذي لمركز البيدر

شكرا للمعهد العراقي للحوار هذا الملف من حيث الاهمية مهم لكن عراقيا لا نعرف اين نضعه وفي اي مستوى من الاهمية، سوف ادخل مدخل دستوري – النقطة الاساسية - لايوجد اتفاق عراقي حولها سواء كانت مياه او اعلى من المياه او اقل، وهذا مؤسف عدم الاتفاق والاختلاف انعكس على النصوص الدستورية فضلا عن القانونية، دستور ٢٠٠٥ تناول موضوع المياه لكن لم تتتم ادراجها كثروة، تناولها الدستور في المواد ١١٠ ١١٤و٥٠ تتعلق باليمين الدستورية بالحفاظ على ارض العراق وسمائه ومياهه
الاشكال الذي لا اعرف كيف سيتم معالجته مستقبلا، هو ان المياه تم ادراجها بالاختصاصات الحصرية بالحكومة الاتحادية بالمادة ١١٠ وتم ادرجها في المادة ١١٤ بالاختصاصات المشتركة بين الحكومة الاتحادية والاقليم، لكن المادة ١١٥ وهنا الاشكال الذي اعطى الاولوية للاقاليم بمالة الصلاحيات المشتركة، ربما هناك تفاوت على مستوى النص لكنها تنعكس على مستوى السلوك والتفيذ – مثل ما تم طرحة كالدراسة في موضوع شط العرب ودراسته والدوى واهمية المياه، لكن اهم القضايا هي مسالة الثقافة والتوعية هي مسالة استخدام المياه بالنسبة للمواطن العادي او بالنسبة للري وادخال التقنيات الحديثة في الاستخدام الزراعي وغيره، النقطة الاخرى هي نقطة التنظيم القانوني هل نحن بحاجة فعلا الى مجلس اعلى للمياه واذن ما دور وزارة الموارد المائية اذن كوزارة وتشكيلاتها – لدينا مشكلة في موضوع القطاعات في العراق يوجد قطاع كامل بامكانياته وتخصيصاته وتشكيلاته لكن يتم مجلس اعلى – مثل قضية النزاهة ومكافحة الفساد في العراق توجد لدينا هيئة نزاهة وهي هيئة مستقلة في الدستور وتخصص لها كل الامكانيات المادية والبشرية وبالحكومة يصار الى تشكيل مجلس اعلى للفساد وندخل بهذه الاشكاليات فهذه القضية يحتاجلها دراسة جدوى.
دعاء حسين – طالبة دكتوراه استراتيجية – جامعة النهرين
ملف المياه هناك اسباب عديدة داخلية وخارجية ومشاكل وقلة وعي وخبراء خارج اطار الزمن وضعف بالدور الاعلامي، سؤالي لحضراتكم تعددت الادوات امام العراق والعراق امامه فرص كبيرة كان من الضروري العراق ان يواجه مشكلة المياه ٢٠٣٠ لكن دخلها عام ٢٠١٠، اليوم لدينا فرص كثيرة كالملف الاوكراني الروسي، ماهي الورقة الاهم من

اوراق الضغط التي يمكن ان يستخدمها العراق في ٢٠٢٢ من اجل الضغط على دول المنابع.

| الشيخ د. همام حمودي

بسم الله الرحمن الرحيم، اعتقد هذا الموضوع بحث كثيرا في الندوات وحتى في مجلس النواب عندما وقعنا على اكثر من مذكرة تفاهم ووقعنا اتفاقية مع تركيا كاملة لكن كان بند المياه غير واضح بشكل دقيق وطلب مني انه يتوقف التصويت عليه الى ان يتبدل هذا البند ويتحول البند الى تقاسم جاء السفيرالتركي والمنافشات الايجابية والمحبة لكن بدون نتيجة.
هذا الموضوع حساس ومهم ومستقبلا هي معركة او حرب، نحن نستخدم ظروف سياسية كاوكرانيا او ضغوط اقتصادية وتجارة ونقل، هل تفيد هذه الامور هذا الموضوع الذي يمثل حياة واذا كان مفيد كم تفيد استراتيجيا او على المدى الطويل.
ثانيا الاختلاف بين الوزارات ليست هناك رؤية عراقية موحدة، كيف نصنع هذه الرؤية ومن يحسم هذه الرؤية؟ هل ينعها البرلمان متغير، نجعلها ضمن أي شيء ؟، نجعلها من وضع محكمة الاتحادية مثلا حتى تكون خارج الحسابات السياسية ؟، الامر الاخر كيف حديثكم كانها مشكلة داخلية وليس مشكلة مع الاخر وكأن المفاوض ذاهب بلا ادوات وكأن الموضوع مجاملات، سؤال اخير، هل هناك تطور حقيقي في هذا الملف فنحن من ٢٠ سنة نعمل عليه، ؟ وماهو هدفكم بالمفاوضات اين تريدون الوصول ؟، هل تقاسمون المياه مثلا، المفاوض العراقي هل فهم اللعبة جيدا ام لا، الطرف الاخر التركي تجاوب معنا ام انه يفسر المياه داخلية ونحن نقول لا خارجية وهل ممكن نحوله لمحاكم دولية ؟
هل هناك بصيص امل وماهو ؟، هل عمل سياسي عام للمطالبة باعتبار كلنا نستند للاسلام وان المياه لايجوز تملكها في الاسلام وهي ملك عام، هل نعمل وحدة زراعية بيننا استنادا على ما الشعوب تؤمن به ودساتيرنا.

| د جمال الزيداوي

اللجوء الى محاكم الدولية حقيقة هناك اتفاقية سابقة وقعها العراق اتفاقية حسن الجوار في احد بنود الاتفاقية هناك بند بعدم الاضرار بمياه نهر دجلة وهذا سند قانوني لو لجأ العراق لمحكمة العدل الدولية بعد تهيئة فريق قانوني وفريق فني يحدد مدى الاضرار التي يمكن ان تسببها السدود، موضوع تنفيذ القرارالدولي بعد صدوره امر تالي، لكن سنستفاد من القرار كجانب اعلامي وطرحه امام المنظمات الدولية، العراق لم يستثمر هذا الموضوع وقبل فترة عقد مؤتمر دولي لكن لم يتناول المشكلة بجانب تفصيلي، اعتقد بأن نعضد الجانب القانوني ونلجأ لمحكمة العدل الدولي لتوفر السند الدولي وتكون لدينا ورقة للتفاوض بها.
الاجابات

| السيد نزار الخير الله – وكيل وزارة الخاريجة

اشكر الاخوة جميعا مداخلات مهمة، هناك تدرج في العمل الدبلوماسي قضية التدويل قرار سياسي، ، اولا محكمة العدل الدولية
نضرب مثل بسيط، في زمن احد الحكومات السابقة كنا في مجلس الامن الوطنيى السيد رئيس الوزراء قرر الذهاب الى مجلس الامن اعطاني توجيه صريح في موضوع بعشيقة وتواجدالقوات التركية، مجلس الامن فيه اليات مختلف فيه قرار، بيان رئاسي، بيان صحفي، كل هذه به ظروف مختلفة، الجانب الامريكي هو صاحب القرار، امريكا

وبريطانيا وفرنسا
قالو تركيا دولة حليفة في حلف الناتو ننصح العراق بالذهاب الى التفاوض الثنائي، حتى تحصل أي قرار من مجلس الامن لابد تحصل على ٩ من ١٥ في مجلس الامن، كل دولة لديها اثنين تتبع القرار الفرنسي او الامريكية، لجانا الى الصين قالوا اذا حصلتم ٨ اصوات نكون التاسع كانت مشروطة قالو لدينا مصالح اقتصادية مع تركيا، روسيا دعمها كان لنا بدون شروط.
كمثال لعملية التدويل مصر في ازمة سد النهضة ارادو ان يلجأو الى مجلس الامن لم يقبلوا قضية مجلس الامن ان يدخل موضوع سد النهضة امريكا دخلت كوسيط.
عندما كان هناك حوار استراتيجي مع امريكا، بالبيان الختامي، طلبت ان تضاف دعم العراق لحقوقه المائية رفضو الامريكان قالو هذه موضوعات تترتب عليها جوانب قانونية.
الاتفاقية عام ١٩٤٦، السند القانوني، وكان منهجنا هو بناء القواعد القانونية، سماحة الشيخ تحدث عن ٤٨ اتفاقية ومذكرة تفاهم والبرلمان اوقفها على فقرة الموارد المائية هذه المواقف البرلمانية تفيد المفاوض العراقي، نذكر الاتراك ان كان هناك مشروع مستقبلي توقف بسبب الموارد المائية، بقى لدينا حقوق الانسان، الجامعة العربية استطعنا ان نضع بند دائم في اجتماعاتها يتحدث عن حقوق العراق في المياه، فعلنا انفسنا في المجلس العربي للمياه.
التدويل ادخال اطراف ثالثة ومنظمات هذا حساس بالنسبة للدول المجاورة، اصبحت لدينا شراكات مع الاتحاد الاوربي، و كل بناءا في هذه الشراكات هو لحل جزء من المشكلة ن لدينا مشكلتين خارجية وداخلية، وزارة الخارجية والموارد المائية، هذا الملف في تركيا لدى وزارة الخارجية ن المفاوض العراقي مهم لابد ان يعرف مخاوفهم والحجج القانونية والية اتخاذ القرار وسايكلوجية القيادة لديهم، وزارة الخارجية الوحيدة المعنية بالملف مع وزارة الموارد المائية كجهة فنية، الموارد المائية هي وزارة فنية ليست معنية بالجانب السياسي والقانوني هذا الموضوع سياسي بامتياز تكون احد الوزارات الساندة، والفريق الوطني للتفاوض الساند كان بقيادة وزارة الخارجية والوزارات كلها ممثلة بهذا الفريق، توجد وحدة بالية اتخاذ القرار، موضوع التوعية السياسية كان احد توصياتنا هو ايجاد نخبة للفريق الوطني للتفاوض الى لقاء القيادات السياسية والاحزاب البرلمان والرئاسات الثلاثة والمرجعيات الدينية ومنظمات المجتمع المدني، حتى يكون تصور واضح عن طبيعة التحدي.
الدكتور تحدث عن الخلل الدستوري هناك العديد من الظروف والمفارقات في الدستور والجمهورية الاسلامية وضعت مفهوم الطاقة الذي يشمل النفط والغاز والكهرباء والمياه كان المفروض الطاقة جزء منها كسلطة اتحادية
السيد المستشار ومعالي الوزير، ذكر سوء العدالة بالتوزيع انا اعتقد انها طريقة تراكمية حتى في البنية التحتية نعندما تخرج من بغداد الى الجنوب، حدنا الى سد الكوت بعدها لاتوجد مشروعات حقيقية اروائية، كل اراضينا في الجنوب كانت تعتمد على لفيضانات حتى تغسل الاراضي السبخة، قبل مشكلتنا بالعراق الفيضان، لهذا كل اجراءتنا الاحترازية على بغداد والغراف ودجلة والفرات هي مسالة الفيضانات، عندما صارت ازمة المياه الاراضي سبخت،
انت تبعد عن النهر ١٠٠ متر لاتحصل على المياه، انفقدت الاليات التي كانت سائدة وهذه مشكلة داخلية كبيرة بالاضافة الى تجاوزات كل محافظ يقرر، كانت مشكلة بين الناصرية والكوت.
كل البلدان في العالم هذه المصالح الاستراتيجية غير قابلة للنقاش الداخلي وليست موضوع للاختلاف الداخلي نختلف بادارة الدولة لكن لا نختلف بالقضايا السيادية، وانا اعتبر المياه موضوع

سـيادي، لهـذا احـد الاخـوة سـأل تتغيـر الحكومـات كيـف سـيكون هنـاك فريـق وطنـي للتفاوض، مشـروعنا كان طمـوح ولـم نحصـل علـى اجابـات حقيقيـة، وانـا ضـد تعـدد الجهـات الرقابيـة، انـا ابحـث عـن صيغـة لفريـق وطنـي تفاوضـي فيـه اسـتمرارية حتـى نحقـق تراكـم الخبـرة

هـذا الفريـق لايتاثـر بالحكومـات لكـن لديـه هيكليـة قانونيـة تعطيـه الصلاحيـات والامكانـات اللوجسـتية، امـا موضـوع الاسـتثمارات التركيـة هـو بالضبـط رؤيتنـا لعمليـة التكامـل، وهـذه مـن قناعتـي انـا اتفـاوض مـع الجانـب التركـي والايرانـي منـذ ٩ سـنوات لايوجـد حـل للعـراق لـكل التحديـات مـع الـدول المجـاورة غيـر «الاعتماديـة المتبادلـة «، هـذا الامـر الوحيـد الـذي نسـتطيع ان نحيـد الـدول ونسـتطيع ان نخلـق عندهـم مصالـح حقيقيـة فـي العـراق يخافـون عليهـم – الحكومـة العراقيـة اوجـدت مفهـوم مهـم فـي اعـادة الاعمـار ليـس مناطـق المحـررة مـن داعـش، لايوجـد اعمـار مـن بدايـة الحـرب العراقيـة الايرانيـة، العـراق يشـكل فرصـة اسـتثمارية كبيـرة، علـى الرغـم مـن التحديـات الكبيـرة مثـلا العـراق يشـكل اكبـر سـوق للموبـال توجـد فـرص كبيـرة وهـذه الـدول لديهـا رغبـة بالدخـول للعـراق لكـن مشـكلتنا الداخليـة كبيـرة، نحـن لابـد ان نعمـل علـى مسـارات متعـددة.

جزء من موضوع التسوية

الجمهوريـة الاسـلامية ياتينـي منهـا ميـاه ٢٥ بالمئـة لدينـا ملحـق فـي اتفاققيـة الجزائـر، نعتقـد ان هنـاك ٤٠ نهـر بيـن رئيسـي وفرعـي الجانـب الايرانـي لايقـرون بهـذه الحقيقيـة صـار تغييـر لمجـرى الانهـار الحدوديـة وصـار سـدود كبيـرة لديهـم حالـة تصحـر وجفـاف لكنهـا اضـرت بالايـرادات المائيـة التـي تاتـي للعـراق، ومـن مصلحتنـا ان نبحـث عن مشـروعات زراعية اسـتثمارية نعطـي اولويـات للشـركات تركيـة وايرانيـة، هـذا يفيدنـا بطريقتيـن بايجـاد مصالـح مشـتركة متعلقـة بالميـاه ويفيدنـا ايضـا بـان العـراق جـاد بايجـاد خطـة حقيقـة لرفـع كفـاءة الميـاه فـي العـراق.

توجـد رؤيـة وتوجـد وسـائل امـا التدويـل هـو قـرار يخلـق حساسـات كبيـرة لابـد ان صانـع القـرار ان يضـع حسـابات دقيقـة، يوجـد تطـور نوعـي الاطلاقـات مـن تركيـا جيـدة لاول مـرة الرئيـس اردوغـان يقـرر ارسـال مبعـوث للميـاه هـذه نقطـة جـدا مهمـة، القـرار النهائـي عنـد اردوغـان حتـى الاطلاقـات، عنـد التحـدث مـع الجانـب التركـي حتـى نفهـم الجانـب التركـي هـم عادتهـم تسـويف فـي الاشـياء وهـذه طريقتهـم المعهـودة، الاخـوة فـي الجمهوريـة الاسـلامية اصـلا لا يحضـرون قررنـا انـه ان نجـد مبـادارات اقليميـة فـي مؤتمـر بغـداد كانـت الفكـرة مختلفـة، قبـل سـتة او سـبع سـنوات طرحنـا علـى الجانـب الاوربـي ان يصيـر مؤتمـر اقليمـي فـي بغـداد، بالتعـاون مـع الاتحـاد الاوربـي وتمويلـه منـه وهـذا المؤتمـر ان يكـون علـى مسـتوى الفنيـن وكلاء الـوزارات وان يتنـاول اربعـة جوانـب رئيسـية، البيئـة المـوارد المائيـة والطاقـة ومكافحـة الارهـاب والنقـل، بدأنـا نفكـر بالقضايـا التـي ليـس بهـا حساسـية مباشـرة بالجانـب السياسـي، وتحدثنـا مـع الاخـوة الاتـراك والايرانيـن كانـت هنـاك موافقـة مبدئيـة حتـى علـى حضـور الجانـب السـوري وكان الجانـب السـوري متشـدد عنـد حضـور الجانـب التركـي، اردنـا ان يكـون العـراق محـور، عـادل عبـد المهـدي كان يفكـر ان يخلـق مناطـق صناعيـة، كنـت افكـر اننـا نسـتطيع ان نصنـع مـن العـراق وايـران وتركيا وحـدة اقتصاديـة الرؤيـة جـدا بسـيطة، مـن زمـن نـوري السـعيد كان مهتـم بـاي تطـور نوعـي فـي البلـدان المجـاورة وذهـب الـى فكـرة حلـف بغـداد فكرتـه الاساسـية هـو تحييـد هـذه الـدول وايجـاد موطـا قـدم لدولـة عظمـى،

فكرتنـا اقليميـة حتـى لاتخلـق حساسـية ان تكـون حريـة لحركـة الافـراد ورؤوس الامـوال والعلاقـات الاقتصاديـة والتجاريـة، هـذا التجمـع يعطيـك نمـوذج بالمنطقـة مثـلا ايـران شـيعية وتركيـا سـنية والعـراق متنـوع يقلـل مـن القضيـة الطائفيـة، لكـن صـار تغييـر

بالنسبة لقمة بغداد انه الاتحدا الاوربي تبناها بالكامل وصار تغيير مبادرة فرنسية ودخلنا على مستوى القادة، الرؤية موجودة لكن هناك محددات ليس من المعقول احد الاخوة عندما صار وزير موارد مائية، اخبرته بان نعمل مشروع جديد وننظف دجلة في بغداد، وطرحنا الفكرة على الاتراك بأن شارع المطار صار علامة فارقة والجميع يعرف انها شركة تركية، اخبرتهم بغداد تشكل ربع سكان العراق طرحنا لو تعملون مشروع كري وتنظيف وتخلون سد لرفع مستوى المياه للقضية الجمالية والرجل تبنى وهم اخذوها بشكل جدي ن لكن القدرات محلية لم تكن كافية، حقيقة توجد محددات، ما يهمني هو ان هناك وعي سياسي بموضوع المياه كموضوع حيوي استراتيجي وان تكون هناك الية لوضع استمرارية للفريق الوطني للتفاوض، وضعنا في الفريق الوطني الصحة البيئة المخابرات الامن الوطني والموارد المائية وجهات مختصة اخرى بالمياه الجوفية وخبراء عراقيين بالمياه هذه التغييرات التي تحصلها جزء منها الدستور هو عدم ايجاد الاستقرار الوظيفي نحتاج لها معالجات، ورايي ان نبحث عن مقارابات مع دول مجاورة، ونجد مصالح حقيقية لهم وندعم العمل.

| د. عادل بديوي

اتفق مع ما ذهب اليه وهو التدرج بالتعامل مع المياه هذه الورقة حتى لما نصل الى محكمة العدل هو بالتدارج عن فشل مسار الاول والمسار الثاني، هناك مبدأ استراتيجي تامل الافضل وتوقع الاسوء لابد من وضع خيارات في حالة ساء الوضع لاسامح الله لدينا خطوط للتعامل معها، ممكن ان نضيف بين التحكيم والدبلوماسية العراقية ان نضع مسار الوساطة الدول التي لها تاثير على تركيا او ايران ممكن ان تكون وسيط لتغيير الضروف، عندما تضع الاتحاد الاوربي الولايات المتحدة كوسيط حقيقي عندما تذهب الى التحكيم او رفعه الى مجلس الامن م هؤلاء يعرفون بالقضية، حتى تغيير الضروف بالوساطة ممكن ان تغير نحو الافضل، في فترة ما كان لدي اهتمام كبير بقية المياه مع الجانب الايراني ذهبت الى وزارة الموارد المائية بالخرائط هناك ٤٤ نهر موسمي ودائم كان هناك قضية جفاف بيننا، اكثر عملية تاثير متبادل بين الجانبين العراقي والايراني نمتلكها الان، ل نستثمرهذا الموضوع بجانب ايجابي لان الادوات التي يمتكلها لعراق غير فعالة.

جوابي على سؤال هل تفيد التجارة والنقل بقضية استراتيجية ومهمة كالمياه، اعتقد ان هذه تؤسس لمعاهدة حقيقية لاننا سنستفاد على المدى المنظور والبعيد في تاسيس الى قية المعاهدة التي تحكم الدانبين العراقي والتركي او العراقي والايراني.

العراق يشكل سلة غذاء حقيقي لدول الخليج اذا استثمر بشكل حقيقي ففيفها ارباح واستثمارات كبيرة.

قضية النقل او القناة الجافة تشكل موازي حقيقي لقناة السويس، احد المخاوف المصرية في القناة الجافة هو كيف تعطيل هذه القناة لان كل ما يتعلق باوربا سياتي بريا واقل تكلفة يمر بالعراق ثم البصرة والخليج ثم جنوب شرق اسيا و هذا بعيد عن موضوع الحزام والطريق، اذا هنا كيف للعراق ان يخلق مصالح حقيقية بين تركيا وايران. لذلك اشار سيادة الوكيل الى موضوع مهم وهو العلاقات الثلاثية، نحن نفتقد الى الادارة الجغرافية للمنطقة على العهد الملكي بعدها فقدنا بوصلة الادارة الجغرافية

اما كيف نخلق الرؤية الموحدة ؟ هو بالمأسسة وليس بالشخصنة.

اعتقد في خلق الرؤية ان نذهب بأتجاه في جانب المياه في وزارة الخارجية على الاقل، ان يكون

هنـاك وكيـل او مسـاعد وزيـر الخارجيـة لشـؤون الميـاه اعتقـد عنـدم ينحصـر هـذا العنـوان الوظيفـي كل مـا يتعلـق بالميـاه وتطويـر رؤيـة عراقيـة باتجـاه الميـاه اعتقـد سـوف تكـون اجـدى فـي التعامـل مـع هكـذا قضيـة حيويـة.

د نزار الخير الله – الوكيل الاقدم لوزارة الخارجية

نحـن حاولنـا ان نوظـف ادوات وزارة الخارجيـة باعتباهـا المؤسسـة العراقيـة الوحيـدة التـي لديهـا مكاتـب بالخـارج للنظـر بـكل التجـارب الموجـودة رأينـا فـي هولنـدا لديهـم مبعـوث دولـي للميـاه، كتبنـا لرئاسـة الـوزراء بانـه مـن المهـم ان العـراق ان يكـون لديـه مبعـوث دولـي للميـاه شـخص محتـرف مهنـي ويفضـل ان يكـون احـد السـفراء المهنيـن، وتـم تعييـن وزيـر المـوارد المائيـة هـو مبعـوث للميـاه بـان يكـون هـو نقطـة الوصـل بيـن العـراق والجهـات الدوليـة، وانـا اتفـق مـع الدكتـور بـأن الوسـاطة مهمـة، لكـن التـدرج بالعمـل الدبلوماسـي، والقـرارات يجـب ان تكـون مبنيـة علـى اسـس واضحـة وخاضعـة للحسـابات الدقيقـة، الوضـع ليـس ماسـاويا او يصـل الـى عنـوان النـدوة لكـن امكانيـات الصـراع موجـودة ونتمنـى ان نتحاشـاها.

دول وقضايا:

ميس سمير صبري*

مفاوضات فيينا

وافاق إنقاذ الاتفاق النووي الإيراني

| مقدمة

تعد قضية الاتفاق النووي الإيراني من أهم قضايا التفاوضية وأكثرها تعقيداً في مجال العلاقات الدولية، وهي واحدة من ابرز القضايا الدولية التي تبرز على السطح بين الفينة والأخرى، فبعد سبع سنوات من توصل إيران ومجموعة الدول (٥+١) (روسيا، فرنسا، الصين، الولايات المتحدة، بريطانيا + المانيا) الى (الاتفاق النووي الإيراني) عام ٢٠١٥ بموجب اتفاقية «خطة العمل الشاملة المشتركة» (JCPOA) خلال فترة إدارة الرئيس الأمريكي السابق أوباما، ولكن بين عشية وضحاها انهار الاتفاق النووي عقب صعود ترامب الى سدة الرئاسة الأمريكية، وإعلانه الانسحاب من الاتفاق في العام ٢٠١٨، بوصفه احدى «الاتفاقات السيئة»، الأمر الذي أدى الى تصاعد التوتر بين الولايات المتحدة وإيران، وتسارع الأطراف المنخرطة في الاتفاق الى العودة الى طاولة المفاوضات أملا في إنقاذ الجزء الضئيل الذي تبقى منه.

لقد أدى انسحاب ترامب من الاتفاق النووي الى تقريب إيران من عتبة امتلاك القنبلة النووية، الأمر الذي جعل الأطراف المشتركة في مفاوضات خطة العمل الشاملة المشتركة تشعر بالحاجة إلى إحياء الاتفاق النووي، وهي الفرصة التي أصبحت مؤاتية بعد فوز الرئيس جو بايدن بانتخابات الرئاسة الأمريكية، إلا إن المفارقة الكبيرة هنا تمثلت في تصلب الموقف الإيراني، لاسيما بعد انتهاء فترة حكم الرئيس الإيراني الإصلاحي حسن روحاني ووصول إبراهيم رئيسي إلى سدة السلطة في إيران عام ٢٠٢١، والذي أعلن بدوره عن اتباعه نهجاً جديداً للتفاوض مع الغرب يقوم على مراجعة اتفاقية «خطة العمل الشاملة المشتركة»، بقواعد وشروط جديدة، مما وضع الاتفاق النووي في أزمة أخرى.

ولفهم تعقيدات الملف النووي الإيراني والمفاوضات الجارية في فيينا وما ستقود إليه من نتائج، نتساءل: هل ستقود المفاوضات الجديدة إيران والولايات المتحدة إلى الالتزام بالاتفاق النووي؟ إن الإجابة على هذا السؤال الرئيسي لا تستديم من دون الإجابة عن الأسئلة الفرعية التي ستتم مناقشتها في ثنايا البحث ومن بينها الاتي: ما هي القيود التي فرضتها خطة العمل الشاملة المشتركة على إيران؟ كيف قوض انسحاب ترامب من الاتفاق النووي المساعي الدولية لمنع الانتشار النووي؟ ما هي شروط إيران والولايات المتحدة للعودة إلى خطة العمل الشاملة المشتركة؟ ما هي السيناريوهات المحتملة التي ستفرزها مفاوضات فيينا؟

أولا: خطة العمل الشاملة المشتركة وتقييد أنشطة إيران النووية «الصفقة النووية ٢٠١٥».

١- التوصل الى الصفقة النووية

قبل التوصل الى خطة العمل المشتركة الشاملة (JCPOA) ، كانت مجموعة ٥ + ١ تتفاوض مع إيران لعدة سنوات سابقة وتقدم لحكومتها حوافز متنوعة من اجل وقف تخصيبها لليورانيوم، وبعد انتخاب الرئيس الإيراني حسن روحاني عام ٢٠١٣، والذي كان يُنظر إليه كرئيس إصلاحي، توصل الطرفان إلى اتفاق أولي في خطوة لتوجيه المفاوضات نحو صفقة شاملة، ومن جانبها سعت إيران أيضا الى تخفيف مطالبها من اجل التوصل الى اتفاق من شأنه أن يخفف العقوبات الدولية المفروضة عليها والتي أثرت على نمو اقتصادها بصورة كبيرة، فعلى سبيل المثال خسرت ايران أكثر من ١٠٠ مليار دولار من عائداتها النفطية في الفترة ما بين ٢٠١٢-٢٠١٤ (١) .

وفي هذا الاطار تم التوصل الى اتفاقية خطة العمل الشاملة المشتركة (JCPOA) بين إيران ومجموعة ٥+١ بتاريخ ١٤ تموز٢٠١٥. وتمت المصادقة عليها بموجب قرار مجلس الأمن المرقم ٢٢٣١، والذي تم تبنيه في ٢٠ تموز ٢٠١٥، ونص على: إذ يتم التحقق من امتثال إيران للأحكام المتعلقة بالمجال النووي لخطة العمل الشاملة المشتركة من قبل الوكالة الدولية للطاقة الذرية (IAEA) وفقًا لمتطلبات معينة منصوص عليها في الاتفاق (٢) .

ولأهميتها قوبلت خطة العمل المشتركة بترحيب واسع النطاق في جميع انحاء العالم، اذ تمكنت الدبلوماسية عبر عقد هذه الصفقة من إحباط وصول ايران الى عتبة السلاح النووي، فضلاً عن احباط اي عمل عسكري قد يوجه مستقبلاً ضد إيران، الأمر الذي عده البعض الوسيلة الافتراضية لمنع تطوير مثل هذا السلاح (٣) . من جانب أخر قيدت خطة العمل المشتركة الشاملة (JCPOA) عسكرة وتطوير آليات للأسلحة النووية من خلال وضع قيودًا على برنامج ايران النووي ولفترات مختلفة، فعلى سبيل المثال فإن تحديد عدد (أجهزة الطرد المركزي IR-) سيصل الى عدد (٥٠٦٠) على مدى ١٠ سنوات، وبعد ذلك سيتم تنظيم زيادة قدرات التخصيب الإيرانية. كما فرض الاتفاق القيود على مستوى ومواقع أنشطة التخصيب ومخزونات اليورانيوم المخصب ومعالجته، فضلاً عن حظر بعض الأنشطة المتعلقة بعسكرة الأسلحة النووية، والتي ستستمر لمدة ١٥ عاما، وسيبقي مجلس الأمن هذه الحالة قيد نظره لمدة ١٠ سنوات على أن تبقى آلية رفع العقوبات سارية لمدة ١٥ عامًا (٤) .

وخلاصة القول: إن مجموعة ٥ + ١ كانت ترى إنها قيدت برنامج إيران النووي لدرجة أنه إذا قررت طهران امتلاك سلاح نووي، فسيستغرق الأمر عامًا واحدًا على الأقل، مما يمنح القوى العالمية وقتًا للرد. لذلك مع يقدر مسؤولو المخابرات الأمريكية أنه في حالة عدم وجود اتفاق نووي، كان يمكن أن تنتج إيران ما يكفي من المواد النووية لصنع سلاح نووي في غضون بضعة أشهر (٥) .

٢- أهداف خطة العمل الشاملة المشتركة:

لقد قيدت هذه الاتفاقية برنامج إيران النووي، وبالتالي فإنها قيدت أنشطتها النووية الحساسة، وفيما يلي أهم البنود التي اتفقت عليها إيران ضمن اتفاقية خطة العمل الشاملة المشتركة ((٦)) :

- أن لا تحتفظ إيران بأكثر من (٥٠٦٠) جهاز

طـرد مركـزي علـى إن تكـون مـن أقـدم أجهـزة الطـرد وأقلهـا كفـاءة فـي منشـأة نطنـز النوويـة لتخصيـب اليورانيـوم حتـى عـام ٢٠٢٦، أي بعـد ١٥ عامًـا مـن تاريـخ بـدء الاتفـاق فـي كانـون الثانـي ٢٠١٦، كمـا لـن يُسـمح بتخصيـب اليورانيـوم فـي منشـأة فـوردو النوويـة حتـى عـام ٢٠٣١، وسـيتم تحويـل المنشـأة الموجـودة تحـت الأرض إلـى مركـز للفيزيـاء والتكنولوجيـا النوويـة.

- ان يتـم تخفيـض مخـزون إيـران مـن اليورانيـوم المخصـب بنسـبة ٩٨ فـي المائـة اي مـا يعـادل ٣٠٠ كيلوغـرام وهـي كميـة لا ينبغـي تجاوزهـا حتـى عـام ٢٠٣١، مـع الحفـاظ علـى مسـتوى التخصيـب عنـد نسـبة ٣. ٦٧ بالمائـة.
- التعـاون مـع الوكالـة الدوليـة للطاقـة الذريـة: لضمـان التعـاون بيـن ايـران الوكالـة الدوليـة للطاقـة الذريـة اشـترطت خطـة العمـل المشـتركة تخفيـف العقوبـات المذكـورة ضمـن بنـود الاتفـاق النـووي بعـد التحقـق مـن تعـاون إيـران مـع تحقيقـات الوكالـة الدوليـة للطاقـة الذريـة، إذ يتعيـن علـى الوكالـة الدوليـة للطاقـة الذريـة إصـدار تقييمهـا لإتمـام عمليـة خارطـة الطريـق بـدء مـن كانـون الأول ٢٠١٥، وبموجـب شـروط الصفقـة، تواصـل الوكالـة الدوليـة للطاقـة الذريـة المراقبـة وتقديـم التقاريـر الـى مجلـس الأمـن منـذ كانـون الثانـي ٢٠١٦، إذ إن الوكالـة الدوليـة مكلفـة بضمـان أن جميـع المـواد والأنشـطة النوويـة فـي إيـران تخضـع لاتفـاق الضمانـات المناسـبة التـي تضعهـا الوكالـة الدوليـة للطاقـة الذريـة، كمـا للوكالـة الحـق فـي التحقيـق فيمـا إذا كان لـدى ايـران اي دليـل علـى وجـود اي مـواد وأنشـطة نوويـة غيـر معلـن عنهـا للوكالـة (٧) .

٣- انسحاب ترامب من خطة العمل الشاملة المشتركة وانعكاساتها على الاتفاق النووي:

قبـل البـدء فـي الحديـث عـن تداعيـات انسـحاب الولايـات المتحـدة مـن الاتفـاق النـووي، لابـد ان نعلـم انـه كان هنـاك شـرطاً واحـداً فـي الاتفـاق النـووي المبـرم يسـمح للولايـات المتحـدة فقـط دون الأطـراف المشـتركة الأخـرى، بـأن تكـون قـادرة علـى الانسـحاب مـن الاتفـاق النـووي بعـد عامين مـن اليـوم الأول مـن توقيـع الاتفـاق والبـدء بالعمـل بـه، ووفقًـا لهـذه الفجـوة، وبعـد عامين مـن توقيـع الاتفاقيـة وتحـت ضغـط مـن (الكيـان الإسـرائيلي) انسـحب ترامـب مـن الاتفاقيـة. لقـد سـحب الرئيـس الأمريكـي دونالـد ترامـب الولايـات المتحـدة مـن خطـة العمـل الشـاملة المشـتركة (JCPOA) فـي ٨ ايـار ٢٠١٨. واصفًـا اياهـا بـ»صفقـة مروعـة لـم يكـن ينبغـي أبـدًا إبرامهـا علـى الإطـلاق» وتباعـا وفـي نفـس السـياق اعلـن ترامـب أن الولايـات المتحـدة سـتبدأ قريبًـا فـي «إعـادة فـرض العقوبـات الاقتصاديـة الأمريكيـة علـى النظـام الإيرانـي» (٨) . ومما لاشـك فيـه فـان الاتفـاق كان سـاري المفعـول لمـدة عامين فقـط، ولكـن بتأثيـر مـن رئيـس وزراء (الكيـان الإسـرائيلي) بنيامين نتنياهـو والصقـور الجمهورييـن، تخلـى الرئيـس دونالـد ترامـب عـن الصفقـة، وفـرض أكثـر مـن ألـف عقوبـة علـى طهـران اسـتهدف فيهـا المرشـد الأعلـى ووزيـر الخارجيـة والقضـاة والجنـرالات والعلمـاء والمصـارف والمنشـآت النفطيـة وخطـوط الشـحن وشـركة الطيـران والجمعيـات الخيريـة وحتـى حلفـاء ايـران مـن الـدول كرئيـس فنزويـلا مثـلا، واضعـا بذلـك قيـوداً حازمـة علـى ممارسـة الأعمـال التجاريـة مـع طهـران، ولـم يكتـف بذلـك بـل صنـف ترامـب أيضًـا فيلـق الحـرس الثـوري الإسـلامي كمجموعـة إرهابيـة، وهـو الأجـراء الـذي لـم تتخـذه الولايـات المتحـدة سـابقاً ضـد جيـش اي دولـة أخـرى حتـى لـم تتخـذه

ضد الجيش النازي ([٩]) .

ومن هذا المنطلق فقد تكهن الكثيرون بعد إعلان الرئيس ترامب الانسحاب من الاتفاق بأن طهران ستترك الصفقة أيضًا، إلا انه وبعد يوم من إعلان القرار الأمريكي، أشار المرشد الأعلى علي خامنئي إلى «أن إيران تَعد نفسها لانهيار الاتفاق لكنها لن تنسحب منه، وبدلاً من ذلك ستعمل طهران مع الأوروبيين (وكذلك الصين وروسيا) لإيجاد طريقة للمضي قدمًا في الحفاظ على خطة العمل الشاملة المشتركة من دون الولايات المتحدة، بعد وضع الإطار الذي ستنفذ فيه ايران الاتفاق ما بعد انسحاب الولايات المتحدة» ([١٠]) .

وبحسب هذا القرار فقد انقسم حلفاء الولايات المتحدة فضلاً عن الداخل الأمريكي حول موقف ترامب، فهناك من يؤيد هذا القرار كون يجد إن هذا الاتفاق برمته لا يضع حداً لطموحات إيران النووية والإقليمية وكذلك برنامجها للصواريخ البالستية، علاوة على الأثار السلبية التي ستحول دون استقرار الأوضاع في الشرق الأوسط. ومن ناحية أخرى كان هناك من يعارض انسحاب الولايات المتحدة من الاتفاق، وحجتهم بإن انسحاب واشنطن سينهي القيود التي تقوض البرنامج النووي الإيراني، والتي ستؤثر سلبا على الجهود الأمريكية والدولية لمنع الانتشار النووي، ليس فقط في المنطقة بل على المستوى الدولي أيضًا، علاوة على ذلك فقد يؤدي الانسحاب إلى تفاقم الوضع المتدهور في المنطقة، فضلا عن آثاره السلبية التي ستؤثر على صورة الولايات المتحدة عالميا وقيادتها للنظام الدولي، ونظرا لهذه الحجج المنطقة أعلنت الدول الأوروبية التي شاركت في الوصول إلى اتفاق خطة العمل المشتركة التزامها المستمر بها، لاعتقادها: بأن فوائد الالتزام المتبادل بالاتفاقية النووية أفضل من إلغائها ([١١]) .

ثانيًا: موقف دول مجموعة (٥+١) من تطورات النشاط النووي الإيراني عقب انسحاب ترامب من خطة العمل المشتركة

على الرغم من انسحاب الولايات المتحدة من الاتفاقية النووية، إلا إن خطة العمل الشاملة المشتركة كانت ومازالت سارية مع استمرار إيران والدول الأطراف أي فرنسا والمملكة المتحدة وألمانيا وروسيا والصين في المشاركة في تنفيذ بنود الاتفاقية.

وبصفة عامة فقد كانت خطة العمل الشاملة المشتركة علامة على رغبة إيران في بدء الانفراج في العلاقات الدولية، وقد فتحت الاتفاقية فصلاً جديداً في العلاقات بين إيران والاتحاد الأوروبي، إذ أتاح المجال لما بعد خطة العمل الشاملة المشتركة الظروف لتطوير العلاقات بين الجانبين على أساس المصالح والاحتياجات المشتركة، لا سميا وان إيران لديها علاقة جيدة في سياق المستوى الاقتصادي مع الاتحاد الأوروبي، إذ شكل الاتفاق النووي نقطة تحول مهمة في مسار العلاقة الأوروبية الإيرانية، كما كان لحكومات الدول الأوروبية (فرنسا وألمانيا وبريطانيا) ونظيراتها الإيرانية مساهمات كبيرة في تحديد معالم الاتفاق وقيادة المفاوضات نحو الانسجام حتى يتمكن الطرفان من جني ثمارها السياسية والاقتصادية، وتحقيق المكاسب المأمولة من رفع العقوبات الأممية المفروضة على إيران فضلاً عن احتواء برنامجها النووي ([١٢]) .

لكن مع بداية تولي دونالد ترامب الرئاسة وانسحاب الولايات المتحدة من الاتفاقية، ظهرت العقبات الواحدة تلو الأخرى كما تغير موقف إيران تجاه الصفقة، الامر الذي جعل ايران تشكك حول مدى قدرة الدول الأوروبية في إبقاء

الاتفاقيــة علــى قيــد الحيــاة ([١٣]) .
ولقـد اصبـح جليـاً إن انهيـار الاتفـاق يهـدد مسـتقبل الدبلوماسـية النوويـة ومصداقيـة السياسـة الخارجية والأمنيــة الأوروبيــة، فمنــذ الانســحاب الأمريكــي، حـاول الأوروبيـون إنقـاذ الصفقـة بدعـم مـن روسـيا والصيـن، وحافظـت الأطـراف الأوروبيـة علـى التزامهـا بهـا، واعتمـدت نهـج الحيـاد تجـاه الخصميـن الإيراني والأمريكـي لمنـع انهيـار الاتفـاق تمامًـا، إلا أن واقـع الحـال أشـار بـان الأوروبييـن وحدهـم لا يسـتطيعون إنقــاذ الاتفاقيــة، وعلــى الرغــم مــن وجــود قنــاة أوروبيـة خاصـة لتمكيـن التجـارة مـع إيـران ضمـن مجـال البضائـع الإنسـانية غيـر الخاضعـة للعقوبـات، إلا إن الجهــود الأوروبيــة لإنقــاذ الصفقــة بالتعــاون مـع الشـركاء (الصيـن وروسـيا) بـاءت بالفشـل ولـم يتمكنـوا كذلـك مـن دفـع إدارة ترامـب للعـودة إلـى الاتفـاق النـووي وإنقـاذ الدبلوماسـية النوويـة وخطـة العمـل الشـاملة المشـتركة.
لقـد صاحـب الانسـحاب الأمريكـي مـن الاتفاقيـة اسـتنكار روسـيا والصيـن كقوتيـن ذات سياسـات تتعـارض مـع السياسـات الأمريكيـة، ممـا جعلهمـا ينـددان بالعقوبـات التـي فرضتهـا الولايـات المتحـدة علـى طهـران، وبالتزامـن مـع المسـاعي الدبلوماسـية الإيرانيــة، ســعت الأطــراف الثلاثــة إلــى اســتدراج الــدول الأوروبيــة لمزيــد مــن المواقــف المعارضــة لقـرارات الرئيـس ترامـب الأحاديـة الجانـب.
وفـي ظـل تداعيات الصـدام السياسـي والدبلوماسـي بيـن إيـران وروسـيا والصيـن مـن جهـة، والولايـات المتحـدة مـن جهـة أخـرى، أصبـح موقـف الأطـراف الأوروبيـة مـن الاتفاقيـة محـوراً للتـوازن تعتمـد عليه جميـع الأطـراف أمـلا فـي أن تجـد فيـه مـا يحـدد معالـم مسـتقبل الاتفاقيـة وإمكانيـة اسـتمرارها والالتـزام بهـا.

ثالثا: مفاوضات فيينا: سيناريوهات إنقاذ الاتفاق النووي الإيراني

منـذ نيسـان وحتـى كانـون الثانـي مـن العـام ٢٠٢٢ اسـتضافت فيينـا ٨ جـولات مـن المفاوضـات برعايـة الاتحـاد الأوروبـي لإنقـاذ اتفـاق البرنامـج النـووي الإيرانـي فـي ظـل انسـحاب الولايـات المتحـدة منـه عـام ٢٠١٨. وبالرغـم مـن توقـف هـذه المفاوضـات فـي آب ٢٠٢١، عقـب وصـول إبراهيـم رئيسـي فـي العـام ٢٠٢١ الـى سـدة الحكـم فـي ايـران جديـد، معلنـاً أنـه سـيتبع نهجًـا جديـدًا للتفـاوض يقـوم علـى مراجعـة جميـع نقـاط خطـة العمـل الشـاملة المشـتركة، وفـي ضـوء هـذه الشـروط الجديـدة انطلقـت جولـة جديـدة مـن المفاوضـات فـي فيينـا تحـت رعايـة الاتحـاد الأوروبـي بتاريـخ ٢٩ نشـرين الثانـي ٢٠٢١، فـي محاولـة جديـدة لإحيـاء خطـة العمـل الشـاملة المشـتركة (JCPOA) ، وعليـه جـرت عـدة محادثـات بيـن إيـران مـن جهـة وروسـيا والصيـن وبريطانيـا وفرنسـا وألمانيـا مـن جهـة أخـرى، مـع إبقـاء الولايـات المتحـدة مشـاركة فـي الحـوار دون الدخـول فـي أي اتصـالات مباشـرة مـع الجانـب الإيرانـي ([١٤]) .

١- ما هي شروط الولايات المتحدة للعودة إلى الاتفاق النووي؟

لعـل وصـول الرئيـس بايـدن إلـى سـدة الرئاسـة الأمريكيـة فـي العـام ٢٠٢١، قـد أعـاد الأمـل باسـتئناف المحادثـات حـول الاتفـاق النـووي مـن خـلال إعلانـه الرغبـة فـي الوصـول الـى «اتفـاق اقـوى وأطـول» فضـلا عن توسـيع المحادثـات الدبلوماسـية لتشـمل جيـران إيـران وذلـك للحـد مـن التوتـرات الإقليميـة فـي المنطقـة. عـلاوة علـى ذلـك كانـت الإدارة الامريكيـة تشـعر بخطـورة تطـور برنامـج إيـران النـووي مقارنـة عندمـا توصلـت مجموعـة (٥+١) الـى خطـة العمـل المشـتركة. لذلـك أعلنـت إدارة بايـدن

في اكثر من مناسبة: أن برنامج إيران النووي قد تجاوز الحدود التي فرضتها خطة العمل المشتركة الشاملة (JCPOA) ، وان الولايات المتحدة لن توافق على صفقة ستكون بمثابة الاسوأ، كون إيران قامت فعلياً بتطوير برنامجها النووي، الامر الذي سيؤدي الى أن تضطر الولايات المتحدة وحلفاؤها بعد ذلك إلى معالجة برنامج نووي إيراني جامح دون العودة إلى الصفقة الاصلية، ومن دون معالجة ذلك من المرجح ان تكون ايران على عتبة امتلاك السلاح النووي ([١٥]) .

يقول انتوني كوردسمان، أستاذ كرسي الاستراتيجية في مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية (CSIS) : «أن انسحاب الولايات المتحدة من خطة العمل الشاملة المشتركة، في ظل التقدم الإيراني العسكري ومستوى عدم الاستقرار المتزايد في الشرق الأوسط قد غير الظروف التي تحكم الاتفاق النووي لعام ٢٠١٥، غير ان هذا لا يعني أنه لا ينبغي إحياء خطة العمل الشاملة المشتركة مع إيران، بل يجب إحياء خطة العمل الشاملة المشتركة من خلال مواءمتها مع الظروف الحالية» بمعنى إن واحدة من شروط الولايات المتحدة للعودة الى الاتفاق النووي هو ان تكون الصفقة «أقوى وأطول» مع إيران ([١٦]) .

ومن هذا المنحنى شاركت الولايات المتحدة الأمريكية في جولة المفاوضات النووية في فيينا، عبر مبعوثها الخاص إلى إيران روب مالي، دون الدخول في محادثات مباشرة مع الجانب الإيراني، اذ ترفض طهران التفاوض مباشرة مع إدارة الرئيس بايدن وواضعةً شرط رفع العقوبات المفروضة عليها بشكل كامل، بالمقابل يصر الوفد التفاوضي الامريكي على ضرورة اتباع مبدأ «خطوة مقابل خطوة»، لرفع العقوبات عن إيران. كما يصر الامريكيون على عودة إيران واحترام كامل التزاماتها في الاتفاق، دون أن تمضي قدما في تطوير برنامجها النووي، كون التقدم النووي الايراني سيجعل عودة الولايات المتحدة الى الاتفاق مستحيلة.

ولكن مع ذلك الشرط، هناك شروط أخرى تسعى إدارة بايدن الى تمرير في مفاوضتها مع ايران وهي: ان الولايات المتحدة تريد اولا التفاوض مع إيران حول العودة إلى خطة العمل المشتركة والالتزام بها من دون تطوير برنامجها النووي، ثم التفاوض في مرحلة لاحة لتطوير خطة العمل المشتركة وتمديد الشروط المتفق عليها في العام ٢٠١٥، علاوة على التفاوض مع إيران بشأن القضايا الإقليمية، فالمهم للولايات المتحدة هو كبح برنامج الصواريخ الإيراني، وعندما يتم التوصل إلى اتفاق حول كل هذه القضايا، فان إدارة الرئيس بايدن ستعيد النظر في العقوبات المفروضة على طهران، وسيسعى بايدن من وراء ذلك لإرضاء الداخل الأمريكي المتطرف تجاه إيران، فضلاً عن إرضاء «الكيان الاسرائيلي». غير ان العقبة في هذا الامر انه قد لا تتم الموافقة على طلب الإدارة الأمريكية برفع العقوبات عن إيران من قبل الكونجرس ما لم يكن هناك تعهد من الإدارة يؤكد أن إيران لن تكون لديها أنشطة مزعزعة للاستقرار، وهذا يعد أمرا غير قابل للتحقق دون التفاوض على ثلاث قضايا: البرنامج النووي، القضايا الإقليمية وبرامج الصواريخ. من جانب آخر فان «الكيان الإسرائيلي» سيضغط في الوقت نفسه من أجل تمديد بنود انقضاء المدة التي تنهي القيود المفروضة على برنامج إيران النووي في عامي ٢٠٢٥ و ٢٠٣٠، والتي لطالما نادت بها إسرائيل كأكبر خطأ تم اتخاذه في خطة العمل الشاملة المشتركة (JCPOA) ([١٧]) .

٢- ما هي شروط عودة إيران إلى الاتفاق النووي؟

إذا كانت إدارة بايدن تشدد على عودة امتثال إيران الى خطة العمل الشاملة المشتركة، فإن

القيادة الإيرانية تشدد على أولوية رفع عقوبات حقبة ما بعد انسحاب الرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب من الاتفاق عام ٢٠١٨، والتحقق من ذلك عمليا، والحصول على ضمانات بعدم تكرار الانسحاب الأميركي.

وهو الشرط الذي لاتزال تؤكد عليه طهران في مفاوضات فيينا، اذ قال رئيس الوفد التفاوضي إيراني الجديد علي باقري كاني في اليوم الأول له للمفاوضات في تشرين الثاني ٢٠٢١: «إن جميع الأطراف اتفقت أن يكون التركيز في المحادثات على رفع العقوبات اولاً، وأن بلاده ملتزمة بضرورة رفع جميع العقوبات المفروضة عليها فورًا» (١٨) ، لذلك تصر طهران في مفاوضات فيينا على عدة اهداف وهي: ضمان رفع العقوبات اولاً، يليها العودة إلى الامتثال بالالتزامات النووية بموجب خطة العمل الشاملة المشتركة» (١٩) .

وفي ضوء ذلك كان المفاوضون في فيينا يعملون من خلال مشروعي نصين مشتركين، يغطي الأول على نطاق واسع طبيعة جميع العقوبات المتعلقة بالاتفاق النووي التي يتوجب على الولايات المتحدة رفعها، والثاني يتعلق بتفاصيل الخطوات التدريجية التي يجب على إيران اتخاذها لغرض العودة والامتثال للاتفاق، كخفض مستوى برنامجها النووي، وإنهاء استخدام أجهزة الطرد المركزي المتقدمة (٢٠) .

خلاصة القول: ان إيران تشعر بالقلق فيما لو تم التوصل الى اتفاق من دون قدرة إدارة بايدن على رفع العقوبات، كما انها تتخوف من احتمالية وصول الجمهوريين مستقبلاً الى الرئاسة الامريكية، مما يعيد السيناريو ذاته الذي اتبعه دونالد ترامب عندما انسحب من الصفقة وفرض العقوبات القاسية على طهران الامر الذي يعرض اقتصادها ووضعها الداخلي الى الخطر مجدداً.

٣- احتمالات التوصل الى اتفاق مع إيران: الواقع والسيناريوهات الممكنة:

على الرغم من جهود الرئيس بايدن بالدفع للعودة إلى الاتفاق النووي، غير أنه لا يزال هناك اصوات متطرفة في الولايات المتحدة تحاول دفع الولايات المتحدة إلى اتباع النهج المتشدد تجاه إيران، اذ يقول أنصار سياسة الضغط الأقصى: أنه «لكي تنجح الجهود الدبلوماسية التي تبذلها إدارة بايدن لحل الأزمة مع ايران، نعتقد أنه من الضروري إحياء مخاوف إيران مجدداً من أن مسارها النووي الحالي سيدفع بالولايات المتحدة إلى استعمال القوة ضدها. ويتمثل التحدي بكيفية إعادة بناء مصداقية الولايات المتحدة بنظر قادة إيران. إن الكلمات - بما فيها الصياغات الأكثر تحديداً ومباشرة من «جميع الخيارات المطروحة على الطاولة» - ضرورية أيضاً ولكنها غير كافية. ويضيف بيان انصار سياسة الضغط الأقصى: نعتقد أنه من المهم أن تتخذ إدارة بايدن خطوات تدفع بإيران إلى الاعتقاد بأن مواصلة سلوكها الحالي ورفض التوصل إلى حل دبلوماسي معقول سيهددان بنيتها التحتية النووية بكاملها، والتي حرصت على بنائها بعناية تامة على مدى العقود الثلاثة الماضية» (٢١) .

ويبدو إن الولايات المتحدة توجه ضغوطا داخليا تقيد فرص التوصل الى الاتفاق لاسيما في ظل سعي ايران لتطوير برنامجها النووي، فهناك سردية أمريكية داخلية: تفيد بإن المفاوضين الإيرانيين لايزال سقف مطالبهم مرتفع في فيينا، وعليه فإن مفاوضات فيينا لا تعطي سوى فرصا ضئيلة لإعادة إحياء الاتفاقية النووية، ناهيك عن الفجوات المتعلقة بنقاط الخلاف الكبيرة، بما في ذلك سرعة ونطاق رفع العقوبات عن إيران مقابل تراجع الأخيرة عن تطوير خطواتها النووية (٢٢) .

وبناءً عليه فان المواقف الأمريكية تؤكد أن

واشنطن قد لا تجد خيارا سوى اتخاذ إجراءات إضافية، وينطبق الشيء ذاته على الأطراف الأوروبية المشاركة في المفاوضات التي صرحت بإن الوقت بدأ ينفذ لإنقاذ الاتفاق واصفين اياه بـ «القشرة فارغة» (٢٣) .

وبالرغم من كل ذلك يبدو إن هناك فرصة تلوح في الأفق، وقد تجدد هذه الفرصة الأمل في التوصل لاتفاق مع ايران، وهي حاجة الولايات المتحدة لإيران في ظل الحرب الروسية تجاه أوكرانيا. فقد أدى غزو الرئيس بوتين لأوكرانيا الى ارتفاع أسعار الطاقة لدرجة غير مسبوقة، الامر الذي أدى الى اختلال بالأسواق. لذلك في الوقت الذي تشدد فيه إدارة بايدن الخناق على روسيا عبر العقوبات الاقتصادية، تتطلع في الوقت نفسه إلى إيجاد بدائل تعوض خسارة النفط الروسي وارتفاع أسعار الطاقة، ومن المرجح أن يؤدي رفع العقوبات الأمريكية عن طهران الى ضخ النفط الإيراني الى الأسواق العالمية، مما يعوض النقص الحاصل في النفط والغاز في العالم.

وفيما يلي بعض السيناريوهات المحتملة لنتائج مفاوضات فيينا وفرص التوصل الى اتفاق مع ايران:

السيناريو الأول: انقاذ الاتفاق النووي من دون رفع العقوبات المفروضة على إيران:

هناك الكثير من المؤشرات التي تفيد بإن إيران والولايات المتحدة قريبان جدا من لحظة الوصول الى الاتفاق، وهذا ما تمخض عن محادثات فيينا وفقا للعديد من المؤشرات التي تفيد: بإن المحادثات مع إيران وصلت إلى نقطة تتعلق بعودة متبادلة إلى التنفيذ الكامل للاتفاق النووي. ولكن وبالرغم من أرجحية هذا السيناريو كون الولايات المتحدة راغبة بشدة للعودة الى الاتفاق بوصفه أمرا ملحا بالنظر للتقدم المتزايد في البرنامج النووي الإيراني، ولكن يصطدم هذا السيناريو بالرغبة الإيرانية الرافضة للعودة الى الامتثال للاتفاق النووي من دون رفع كامل للعقوبات الاقتصادية.

السيناريو الثاني: انقاذ الاتفاق النووي مع رفع جزئي للعقوبات المفروضة على إيران:

في ظل الرغبة الامريكية بالعودة الى الاتفاق النووي، وحاجة الولايات المتحدة لقطاع النفط الإيراني، في ظل الحرب الروسية تجاه أوكرانيا، من المرجح إن يؤدي رفع العقوبات بشكل جزئي على إيران الى التوصل الى اتفاق اولي مع طهران، ومن ثم المضي قدما في جولات تفاوضية اخرى لتوسيع خطة العمل الشاملة المشتركة.

هناك ارجحية عالية في تحقيق هذا السيناريو، فقد أدى غزو الرئيس بوتين لأوكرانيا الى ارتفاع أسعار الطاقة لدرجة غير مسبوقة، الامر الذي أدى الى اختلال كبير بالأسواق. لذلك في الوقت الذي تشدد فيه إدارة بايدن الخناق على روسيا عبر العقوبات الاقتصادية، تتطلع في الوقت نفسه إلى إيجاد بدائل تعوض خسارة النفط الروسي وارتفاع أسعار الطاقة، ومن المرجح أن يؤدي رفع العقوبات الأمريكية بشكل جزئي عن القطاع النفطي الإيراني إن يسهم في تعوض النقص الحاصل في النفط والغاز في العالم ومعالجة ارتفاع الأسعار. بالمقابل من شأن هذه الخطوة أن تعطي إيران بعض الثقة حول جدية إدارة بايدن في رفع العقوبات بشكل كامل عن طهران، وعليه فإن هذا السيناريو معقولاً وقريبًا من الرغبة الإيرانية التي تريد رؤية بعض الحوافز من إدارة بايدن لتطوير اقتصادها المنهك.

السيناريو الثالث: التوصل الى طريق مسدود وتغيير المسار:

إن عدم قناعة إيران بالرفع الجزئي للعقوبات مقابل العودة الى الامتثال لخطة العمل

الشـاملة المشـتركة -لاسـيما فـي ظـل القناعـة إيرانيـة الراسخة والتـي تتجلـى فـي «مـا الفائـدة مـن العـودة إلـى خطـة العمـل المشـتركة مـن دون رفـع العقوبـات»- قـد يدفـع الولايـات المتحـدة الـى تغييـر مسـارها واتخـاذ خطـوات صارمـة لمنـع وصـول إيـران مـن تحقيـق اختـراق نـووي. بالمقابـل قـد يـؤدي تغييـر المسـار الأمريكـي الـى انسـحاب ايـران مـن خطـة العمـل الشـاملة المشـتركة ومعاهـدة منـع الانتشـار النـووي ورفـع مسـتوى التخصيـب لدرجـة عاليـة تمكنهـا مـن الوصـول الـى عتبـة امتـلاك السـلاح النـووي، الامـر الـذي يهـدد بقيـام عمـل عسـكري ضـد ايـران مـن قبـل كل مـن (الكيـان الإسـرائيلي) والولايـات المتحـدة.

وبحسـب اسـتطلاعات الـرأي العـام الـذي أجرتـه جامعـة ماريلانـد فـي شـهري آب وايلـول مـن العـام ٢٠٢١، فـإن انهيـار المحادثـات مـع إيـران سـيزيد مـن مخاطـر التصعيـد العسـكري، وسـيكون هـذا السـيناريو هـو الأسـوأ لإدارة بايـدن. ويعـد هـذا سـيناريو احـد السـيناريوهات الـواردة لاسـيما فـي ظـل الإحاطـة المغلقـة التـي قدمهـا المبعـوث الأميركـي روبـرت مالـي الـى الكونغـرس الأمريكـي فـي شـباط ٢٠٢٢، حـول مفاوضـات فيينـا وضـرورة إعـداد سـيناريوهات للطـوارئ ([٢٤]) .

| الاستنتاجات:

- لا يمكـن توقـع تغييـر كبيـر فـي النهـج الأمريكـي المعتـاد للتعامـل مـع الملـف النـووي الإيرانـي، فالعلاقـات بيـن الجانبيـن مليئـة بالريبـة والحذر منـذ عقـود، كمـا تـدرك الولايـات المتحـدة فـي ذات الوقـت مـدى الخطـر الـذي ايـران علـى مصالحهـا فـي المنطقـة مـن دون التوصـل الـى اتفـاق، فضـلا عـن وجـود الكثيـر مـن الملفـات الشـائكة بيـن الولايـات المتحـدة وإيـران مـن شـأنها ان تؤثـر علـى مسـار مفاوضـات الملـف النـووي الإيرانـي.
- ان ادارة الرئيـس بايـدن ليسـت مسـتعدة للمقامـرة بمسـتقبلها السياسـي الداخلي وتلبية اغلـب شـروط طهـران، التـي تعدهـا الولايـات المتحـدة «ذات سـقف عالـي». وفـي الواقـع ليـس مـن السـهولة علـى إدارة الرئيـس بايـدن رفـع العقوبـات مالـم يتـم التصويـت علـى قـرار جديـد ينهـي القـرار الـذي سـبق وان اصـدره الكونغـرس مـن قبـل فـي عهـد الرئيـس دونالـد ترامـب والقاضـي بفـرض العقوبـات علـى طهـران، الامـر الـذي يعـد مـن الصعـب تمريـره فـي ظـل معارضـة الجمهورييـن وبعـض الديمقراطييـن فـي الكونغـرس للموافقـة علـى رفـع العقوبـات المفروضـة علـى طهـران، ويمكـن القـول بـان هنـاك احتمـال أن تلجـأ إدارة بايـدن إلـى رفـع العقوبـات بشـكل طفيـف علـى صـادرات النفـط الإيرانيـة فـي ظـل الحـرب الروسـية فـي اوكرانيـا، ولعـل هـذا مـا تريـده إيـران فـي ظـل الظـروف الراهنـة مـن خـلال التوصـل إلـى اتفـاق نسـبي مـع الولايـات المتحـدة يتضمـن رفـع بعـض العقوبـات المفروضـة عليهـا والسـماح لإيـران بتصديـر نسـبة مـن عائداتهـا النفطيـة مقابـل العـودة الـى الامتثـال للاتفـاق.
- قـد يـرى البعـض انـه سـيكون مـن الصعـب جـدًا قبـول واشـنطن بمطالـب ايـران المتمثلـة برفـع جميـع العقوبـات دون قيـد او شـرط، وبالتالـي فـإن احتمـال العـودة إلـى اتفـاق ٢٠١٥ موضـع شـك أيضًـا، لذلـك مـن المرجـح أن توافـق إيـران علـى تقليـل سـقف مطالبهـا قليـلاً، كونهـا تعانـي بشـدة مـن فـرط العقوبـات المفروضـة عليهـا.

الهوامش

* مستشار في وزارة الخارجية

1. Robinson, K. (2021) . WHAT IS THE Iran Nuclear Deal? Council on Foreign ARelation.
2. The Joint Comprehensive Plan of Action (JCPOA) at a Glance, The Arms Control Association, Last Reviewed: March 2022.
3. Fitzpatrick, M. (2019) . uncertain future: The JCPOA and iran`s nuclear and missile programs. UK, London: The international Institute of Strategic Studies.
4. (2019) . Retrieved from Ministry of Europe and Foreign Affairs: https: //www. diplomatie. gouv. fr/en/french-foreign-policy/security-disarmament-and-non-proliferation/crises-and-conflicts/the-iranian-nuclear-issue/
5. Robinson, K. (2021) . Ob. Cit.
6. BBC. (2021, November 23) . Iran nuclear deal: What it all means. Retrieved from BBC News: https: //www. bbc. com/news/world-middle-east33521655-
7. Tabtabai, A. (2020) . NUCLEAR DECISION-MAKING in Iran: implication non proliferation rfforts, . NewYork: Colombia SIPA.
8. Niknami, R. (2019) . The Geopolitics of Iran. Reuters, R. b. (2021, May 26) . IAEA Head Calls Iran's Uranium Enrichment 'Very Concerning. Retrieved from https: // iranintl. com/: https: //old. iranintl. com/en/world/iaea-head-calls-irans-uranium-enrichment-very-concerning
9. Wright, R. (2021, December 27) . The looming Threat of a Nuclear Crises with Iran. Retrieved from The New Yorker: https: //www. newyorker. com/magazine/03/01/2022/the-looming-threat-of-a-nuclear-crisis-with-iran
10. Tabtabai, A. (2020) . Op. cit. .
11. Ibid.
12. Niknami, R. (2019) . Op. cit.
13. Ibid.
14. AFP. (2021, November) . Iran nuclear talks to resume November 29 in Vienna, EU says. Retrieved from France 24: https: //www. france24. com/en/middle-east/-20211103iran-nuclear-talks-to-resume-november--29in-vienna-eu-says
15. Conference, P. (2021, Oct. 25) . Special Briefing with Robert Malley, U. S. Special Envoy for Iran. Retrieved from US Departmeny of State: https: //www. state. gov/special-briefing-with-robert-malley-u-s-special-envoy-for-iran/
16. Anthony H. Cordesman. (2022, Apr. 15) . The Other Sides of Renegotiating the JCPOA Iran Nuclear Agreement. Retrieved from https: //www. csis. org/analysis/other-sides-renegotiating-jcpoa-iran-nuclear-agreement
17. Ravid, B. (2022, Jan 5) . U. S. sees "snapback" sanctions threat as tool to deter Iran enrichment. Retrieved from https: //www. axios. com/us-snapback-sanctions-iran-deal211-bbb-13d4-587bd-3bdfc89-f842bbc148. html
18. Carmi, O. (2021) . Reading Through Iran's Nuclear Demands. Washington: The Washington Institue for Near East Policy.
19. Wintour, P. (2021, Dec, 27) . Iran nuclear deal: eighth round of talks begins in Vienna. Retrieved from The Gardian: https: //www. theguardian. com/world/2021/dec/27/iran-nuclear-deal-eighth-round-of-talks-begins-in-vienna
20. Ibid.
21. Howard Berman, Michèle Flournoy, Jane Harman, Leon Panetta, David Petraeus, Dennis Ross, and Robert

Satloff. (2021, December) . Statement on Improving the Potential for a Diplomatic Resolution to the Iran Nuclear Challenge. Retrieved from The Washington Institute for Near East Policy: https: //www. washingtoninstitute. org/about/press-room/press-release/statement-improving-potential-diplomatic-resolution-iran-nuclear

22. Ibid.

23. East, M. (2021, Dec. 19) . Iran nuclear deal deadlocked: 3 US scenarios. Retrieved from Middle East in 24: https: //middleeast. in24-. com/world/amp/510111

24. Timeline of Nuclear Diplomacy With Iran, The Arms Control Association, Last Reviewed: February 2022.

دور وقيمة:

الجنرال كينيث ماكنزي

شهادة قائد القيادة المركزية الأمريكية أمام الكونغرس الأمريكي

ترجمة: د. كرار أنور البديري

الشرق الأوسط

والمنافسة مع القوى العظمى

تقييم القيادة المركزية الأمريكية (MOCTNEC) للتهديدات في العراق والمنطقة.

| خلاصة تنفيذية:

لا تـزال إيـران تعـد أكبـر تهديـد يومـي علـى الأمــن والاســتقرار الإقليمييــن للولايــات المتحـدة وشـركاءها، وبالمقابـل تعتبـر إيـران الولايــات المتحــدة أكبــر تهديــد دائــم لهــا وعقبـة أمـام الهيمنـة الإقليميـة؛ وهـي تواصـل نهجًـا متعـدد الأوجـه لإخـراج القـوات الأمريكيـة مـن المنطقـة مـع تجنـب التصعيـد إلـى صـراع كبيــر. إن قــدرة إيــران فــي الســيطرة علــى وكلائهـا وميلشـياتها قـد تغيـرت كثيـرا بعـد مقتـل قائـد فيلـق القـدس قاسـم سـليماني فــي العــام ٢٠٢٠. ممــا خلــق تحديــات لقــدرة طهــران علــى التحكــم فــي بــدء وتصعيــد العنـف الموجـه ضـد الولايـات المتحـدة وقـوات التحالــف. إن الخطــر الــذي تشــكله الفصائــل المتحالفــة مــع إيــران (IAMG) لايــزال بــاق فــي العــراق. ومــع تشــكيل حكومــة ائتلافيــةً فــي العــراق، تواصــل الفصائــل المتحالفــة مــع إيــران (IAMG) تقييــم خياراتهــا وتوجيههــا -بمســاعدة إيرانيــة سـرية- لاسـتئناف الهجمات المعقـدة عبـر الطائـرات المسـيرة والصواريـخ ضـد العراقييـن، وكذلـك ضـد القـوات الأمريكيـة وقـوات التحالـف الدولـي. تمثـل أنشـطة إيـران ووكلائهـا فـي سـوريا، واحـدة مـن الأنشـطة التي تزعـزع اسـتقرار العـراق، اذ تسـعى إيـران الـى اسـتخدام الأراضـي السـورية (والعراقيـة علـى الأرجـح) كمحـور مهـم وطريـق لإعـادة الإمـداد لمواصلـة حملتهـا ضـد (إسـرائيل) ، وترسـيخ موقعهـا الراسـخ بالفعـل علـى طـول وادي نهـر الفـرات الأوسـط.

علــى الرغــم مــن التقــدم الكبيــر الــذي تــم تحقيقــه فــي هزيمــة داعــش، ولكــن لا يــزال تنظيــم داعــش فــي العــراق يمثــل تهديــدًا حقيقيًـا. حيـث يقـوم التنظيـم بهجمـات معقـدة ويسـعى لتنميـة نفـوذه وتوسـيع تمـرده، ولا يـزال التنظيـم نشـطًا مـن الناحيـة العمليـة فـي ديالـى وكركـوك وصـلاح الديـن. اذ يعتمـد تنظيـم داعـش فـي هـذه المناطـق علــى مــلاذات ريفيــة آمنــة للتخفيــف مــن ضغـط مكافحـة الإرهـاب، وكنقطـة انطـلاق للعمليـات ضـد الأهـداف المدنيـة والعسـكرية. وكذلـك الحـال فـي سـوريا اذ لا يـزال تنظيـم داعـش يشـكل تهديـداً كبيـراً علـى الرغـم مـن انخفــاض إجمالــي هجمــات التنظيــم منــذ

تموز٢٠٢١. إلا إن الصراع المتزايد بين قوات سوريا الديمقراطية ونظام الأسد أو تركيا من المرجح أن يوفر لتنظيم داعش فترة الراحة التي يتحاجها للتعافي من الخسائر الأخيرة، الأمر الذي سيزيد من توسيع نفوذه في سوريا، لاسيما وإن الأحداث الأخيرة في الحسكة تثبت أن إرادة التنظيم لم تنقطع عن العمل الإرهابي.

هناك أكثر من عشرة آلاف مقاتل من تنظيم داعش معتقلون في سجون شمال شرق سوريا. لقد سهلت مؤخرا قوة المهام المشتركة التابعة لعملية العزم الصلب من خلال العمل مع قوات سوريا الديمقراطية، ومركز العمليات المشتركة في العراق الى نقل المئات من "العراقيين" من السجون التي تسيطر عليها قوات سوريا الديمقراطية إلى العراق - ولكن لا يزال هناك المزيد من العمل الذي يتعين القيام به، حيث لا يزال هناك عدة آلاف من مقاتلي داعش العراقيين في مراكز الاحتجاز المؤقتة في سوريا. يتفاقم خطر داعش في العراق وسوريا من خلال مخيم الهول الذي يضم حاليًا ما يقرب من سبعة وخمسين (٥٧) ألف شخص، معظمهم من النساء والأطفال الذين يمثلون مزيجًا معقدًا من العراقيين السوريين ورعايا دول أخرى. وغالبًا ما تركز النساء على تحويل الاطفال في المخيم الى متطرفين، من خلال الدعاية والترهيب لضمان صعود الجيل الثاني لتنظيم داعش، ويتحول بعض هؤلاء الأطفال إلى متطرفين في المخيم ويتم تهريبهم فيما بعد ليتم تدريبهم كمقاتلين مستقبليين وانتحاريين في معسكرات داعش في مواقع غير خاضعة للحكم في سوريا.

لاتزال منطقة الشرق الاوسط تكتسب أهمية متزايدة في المنافسة مع القوى العظمى. اذ يعد الشرق الأوسط، "منطقة رئيسة" على المستوى الجيواستراتيجي ومسرحا حاسما للمنافسة الاستراتيجية الأمريكية مع الصين وروسيا. اذ تسعى كل من الصين وروسيا إلى تغيير التحالفات واكتساب النفوذ في المنطقة، وبالرغم من انهما يرغبان وضع نفسيهما كشريك موثوق لإيران، ولكن لن يصطف كلاهما بشكل وثيق مع إيران لدرجة أنهما يعرضان قدرتهما للخطر على جذب شركاء اقتصاديين وعسكريين آخرين في المنطقة، لكن كلاهما سيستمر في استخدام إيران كخطوة مفيدة ضد الغرب، وجني الفوائد الاقتصادية. اذ تأمل كل من الصين وروسيا في وضع نفسيهما كشريكين اقتصاديين وعسكريين للعديد من دول المنطقة، وهو ما يشكل تحديا كبيرا للولايات المتحدة. صحيح إن الولايات المتحدة ستبقى "الشريك المفضل» لمعظم دول المنطقة مقارنة بروسيا أو الصين. وبينما يتعين على الولايات المتحدة التنافس للاحتفاظ بهذا المركز الإيجابي، فإنها لا تزال تخسره.

| مقدمة

تعد القيادة المركزية الامريكية (CENTCOM) واحدة من إحدى عشر قيادة مقاتلة موحدة لوزارة الدفاع الأمريكية. تأسست في العام ١٩٨٣، وتشمل مسؤوليتها منطقة الشرق الأوسط بمجملها بما في ذلك مصر في إفريقيا وآسيا الوسطى وأجزاء من جنوب آسيا. تقبع القيادة المركزية للولايات منذ آذار ٢٠١٩ تحتَ قيادة كينيث ماكنزي وهو الجنرال في قوات مشاة البحرية الأمريكية. وفي تحديده للأسباب المباشرة وراء انشاء القيادة المركزية الأمريكية يقول ماكنزي: «**كانت الأسباب المباشرة لإنشاء القيادة المركزية الأمريكية قبل ما يقرب من أربعين عامًا هي صعود نظام مزعزع للاستقرار ومناهض بشدة لأمريكا في إيران، والعدوان العسكري السوفيتي في أفغانستان**».

وتقوم القيادة المركزية الامريكية سنويا بتقييم تطورات الأوضاع وحال التهديدات في منطقة الشرق الأوسط أمام الكونغرس الأمريكي، وفي تقييمه لتغير الأولويات الأمريكية في الشرق الأوسط في عهد إدارة الرئيس بايدن، يقول ماكنزي: «إن تأسيس القيادة المركزية الامريكية كان يعكس اعترافا واضحا من قبل إدارتي كارتر وريغان للأهمية الجيوستراتيجية للشرق الأوسط الكبير». . . و»نظرا لهذه الاستمرارية، **إلا ان التعديلات الحتمية التي طرأت على الموقف الأمريكي في المنطقة أضحت عرضة للتفسير الخاطئ من قبل الشركاء والخصوم الأمريكيين على حد سواء**، مما جعلهم يعتقدون بان الولايات المتحدة حريصة على وضع الـ ٢١ عاما الماضية - والمنطقة ككل – وراءها». . لذلك «**اخذ شركاء الولايات المتحدة يقومون بالتحوط، الأمر الذي جعل الخصوم والمنافسون يستغلون هذه الفرصة لكسب النفوذ في المنطقة**». . . ويضيف: «أن التصرف بناءً على هذا التصور الخاطئ يهدد بتقويض ثقة شركاء الولايات المتحدة في المنطقة، مما يهدد قدرتنا على الاستفادة من العلاقات الطويلة الأمد وممارسة النفوذ كما فعلنا تاريخيا».

ويأتي تقييم الجنرال ماكنزي للتهديدات في الشرق الأوسط، لتقييم الوزن الجيواستراتيجي الأمريكي في المنطقة في ظل المنافسة مع القوى العظمى التي يشهدها النظام العالمي، وتراجع أهمية الشرق الأوسط في المدرك الاستراتيجي الأمريكي، وتركيز الإدارة الأمريكية على منطقة المحيطين الهادي-الهندي لمنافسة الصين الصاعدة. وعليه يمثل هذا التقييم في طياته **تحذيرا من القيادة المركزية الأمريكية** للكونغرس والإدارة حول تداعيات إتمام رغبتهما في تخفيف البصمة العسكرية الأمريكية في الشرق الأوسط، وكيف سيؤدي ذلك الى إثارة الشك حول مصداقية الولايات المتحدة كضامن خارجي للأمن في الشرق الاوسط.

وفيما يلي أهم تقييمات القيادة المركزية الأمريكية للتهديدات في الشرق الأوسط بما في ذلك الأنشطة الإيرانية في العراق والمنطقة، ووضع داعش في العراق وسوريا، وحالة دول المنطقة في المنافسة الاستراتيجية بين القوى العظمى في النظام العالمي.

١- إيران

لا تزال إيران تعد أكبر تهديد يومي على الأمن والاستقرار الإقليميين، فهي تتحدى الولايات المتحدة وحلفائها من خلال السعي وراء الهيمنة الإقليمية، كما انها تشكل تهديدا تقليديا للدول الشريكة. ومع امتلاكها أكبر جيش في الشرق الأوسط، طورت إيران وحشدت قوات صاروخية باليستية متطورة وهي في طليعة الدول في **تطوير أنظمة جوية وبحرية من دون طيار**. وبفضل تلك القدرات الهجومية القوية، يمكن لإيران تهديد جيرانها بما فيها الوصول الى (تل أبيب) ، فضلا عن تهديد التدفق الحر للتجارة في جميع أنحاء المنطقة، مما يؤثر سلبًا على التجارة العالمية وإمدادات الطاقة في العالم.

بالمقابل تعدّ إيران الولايات المتحدة أكبر تهديد دائم لها وعقبة أمام الهيمنة الإقليمية؛ وهي تواصل نهجا متعدد الأوجه لإخراج القوات الأمريكية من المنطقة مع تجنب التصعيد إلى صراع كبير. على الرغم من أنها لم تشن هجمات مباشرة على القوات الأمريكية منذ كانون الثاني ٢٠٢٠، إلا أن إيران تواصل تهديد المسؤولين الأمريكيين الحاليين والسابقين وتمكين وكلائها من شن الهجمات القابلة للإنكار على القوات الأمريكية المنتشرة.

تغيرت قيادة وسيطرة إيران على وكلائها والميليشيات التابعة لها بعد مقتل قائد فيلق القدس قاسم سليماني في العام ٢٠٢٠. مما قد يخلق تحديات لقدرة طهران على التحكم في بدء وتصعيد العنف الموجه ضد الولايات المتحدة وقوات التحالف. ولكن لاتزال إيران تنشر الأسلحة لشبكتها من الوكلاء والمنتسبين، وترويع البحارة، والاستيلاء على الشحن في المياه الدولية. وبينما لا تسعى إيران حاليًا للحصول على أسلحة نووية، إلا انها طورت صواريخ باليستية وأجرت العديد من عمليات الإطلاق لاختبار أنظمة هذه الصواريخ. تستمر هذه الإجراءات في إظهار تحدي إيران واستعدادها لتقويض المعايير الدولية بتهديدات ضد مصالح الولايات المتحدة ومصالح شركائنا وحلفائنا.

٢- أنشطة إيران في العراق

في العراق زادت مجموعات الفصائل المتحالفة مع إيران (IAMG) من هجماتها طوال النصف الأول من عام ٢٠٢١ على القوات الأمريكية باستخدام أنظمة الطائرات المسيرة (UASs) لأول مرة. في أوائل تموز ٢٠٢١، أوقفت الفصائل المتحالفة مع إيران (IAMG) مثل هذه الهجمات على أمل أن يؤدي الحوار الاستراتيجي بين الولايات المتحدة والعراق والانتخابات العراقية المقبلة إلى إخراج القوات الأمريكية من خلال الوسائل السياسية والدبلوماسية. ولكن عندما أصبح من الواضح أن الجماعات الشيعية المتحالفة مع إيران كان أداؤها سيئًا في انتخابات تشرين الأول ٢٠٢١، وجهت الفصائل المتحالفة مع إيران (IAMG) العنف ضد إخوانهم العراقيين، مما زاد من تقويض مكانة تلك الجماعات ونفوذها. عندما أسفر الحوار الاستراتيجي عن نهاية المهمة القتالية الأمريكية بدلاً من الانسحاب، هدد قادة الفصائل المتحالفة مع إيران (IAMG) باستئناف الهجمات على أي أميركي متبقٍ في العراق بعد عام ٢٠٢١. لكنها منذ ذلك الحين قلصت إلى حد كبير العمليات ضد القوات الأمريكية - ويرجع ذلك على الأرجح إلى الحساسيات المتعلقة بتشكيل الحكومة العراقية الجديدة. ولكن ستبقى قوات التحالف بالعراق في وضع الاستعداد للرد، إذا أصبحت الفصائل المتحالفة مع إيران (IAMG) أكثر عدوانية تجاهها.

إن الخطر الذي تشكله الفصائل المتحالفة مع إيران (IAMG) لايزال باقٍ في العراق. ومع تشكيل حكومة ائتلافية في العراق، تواصل الفصائل المتحالفة مع إيران (IAMG) تقييم خياراتها وتوجيهها - بمساعدة إيرانية سرية - لاستئناف الهجمات المعقدة عبر الطائرات المسيرة والصواريخ ضد إخوانهم العراقيين، وكذلك ضد القوات الأمريكية وقوات التحالف. بغض النظر عمن سيشكل الحكومة، فمن المرجح أن تستمر الفصائل المتحالفة مع إيران (IAMG) بمواصلة اعمالها الطائفية والإجرامية والمناهضة للولايات المتحدة.

٣- الأنشطة الإيرانية التي تزعزع استقرار العراق عبر سوريا

تمثل أنشطة إيران ووكلائها في سوريا، واحدة من الأنشطة التي تزعزع استقرار العراق، فقد كان وكلاء إيران اقل تحفظا في هجماتهم ضد قوات المهام المشتركة - لعملية العزم الصلب. وتعمل إيران

في سوريا بهدف دعم الرئيس بشار الأسد والحفاظ على تحالف محور المقاومة ضد (إسرائيل) الذي يعد العدو اللدود لحكومة طهران الثورية. كما ترغب إيران في وجود دائم في سوريا، وتسعى وراء الاستثمارات والفرص الاقتصادية في سوريا لتعويض خسارتها في زمن الحرب. كما تسعى إيران إلى توسيع موقعها الراسخ بالفعل على طول وادي نهر الفرات الأوسط من خلال تحويل السنة المحليين إلى الشيعة، وتجنيد أفراد القبائل السنية في سوريا وضمهم في الى الفصائل المتحالفة مع إيران (IAMG) .

من المرجح إن تستمر إيران في استخدام الأراضي السورية (والعراقية على الأرجح) كمحور مهم وطريق لإعادة الإمداد لمواصلة حملتها ضد (إسرائيل) . ولكن ستدعم القيادة المركزية الأمريكية حق (إسرائيل) في الدفاع عن نفسها من التهديدات التي تشكلها إيران ووكلائها.

٤- وضع تنظيم داعش في العراق وسوريا

| العراق

على الرغم من التقدم الكبير الذي تم تحقيقه في هزيمة داعش، إلا إن التنظيم في العراق لا يزال يمثل تهديدًا حقيقيًا لاستقرار الحكومة العراقية، وكذلك لقوات ومصالح الولايات المتحدة وقوات التحالف في البلاد. يحتفظ تنظيم داعش في العراق بقدرة محدودة على استهداف القواعد العراقية التي تأوي القوات الأمريكية وقوات التحالف في كل من إقليم كردستان وبغداد. إلا أن تنظيم داعش في العراق قادر على استهداف خطوط الإمداد، وكذلك القوات الأمريكية وقوات التحالف أثناء عمليات المرور والتدريب والتمكين في جميع أنحاء البلاد.

لقد أدى تحسن الأمن العراقي في بغداد إلى تقليص فرص تنظيم داعش للقيام بهجمات بارزة هناك، لكنه أظهر النية لتنفيذ عمليات انتحارية صغيرة وعبوات ناسفة ضد أهداف سهلة. علاوة على ذلك، يواصل تنظيم داعش في العراق جهوده لزعزعة استقرار البيئة العرقية والطائفية، مما قد يؤدي إلى تورط شركائنا العراقيين وقوات التحالف في بيئة أمنية متدهورة بسرعة دون سابق إنذار.

من المحتمل أن يكون ضغط التصوير المقطعي المحوسب قد أدى إلى خسارة قائد تنظيم داعش، وتقليل الوصول إلى الموارد والمواد، وعدم القدرة على التسلل إلى المناطق الحضرية. الامر الذي أسهم في انخفاض إجمالي الهجمات من ١١٩ شهريا في عام ٢٠٢٠ إلى ٩٧ هجومًا شهريا في عام ٢٠٢١. ومع ذلك، لا يزال تنظيم داعش في العراق يمثل تهديدًا حقيقيًا. حيث يقوم التنظيم بهجمات معقدة ويسعى لتنمية نفوذه وتوسيع تمرده، ولا يزال أيضا التنظيم نشطًا من الناحية العملية في ديالى وكركوك وصلاح الدين. ويعتمد تنظيم داعش في هذه المناطق على ملاذات ريفية آمنة للتخفيف من ضغط مكافحة الإرهاب، وكنقطة انطلاق للعمليات ضد الأهداف المدنية والعسكرية. في أواخر عام ٢٠٢١، بدأ تنظيم داعش بسلسلة من الهجمات المنسقة على ما يبدو ضد المصالح الكردية مما تسبب في سقوط عشرات الضحايا في محافظات أربيل وكركوك وديالى، وكانت تلك الحملات جزءاً من جهود تنظيم داعش لإذكاء الصراع الطائفي والعرقي في العراق. وعليه لا تزال قوة المهام المشتركة التابعة لعملية العزم الصلب ملتزمة بتقديم المشورة والمساعدة لتمكين مهمة القضاء على تنظيم داعش من خلال مساعدة القوات العراقية على تطوير الهياكل التشغيلية وعمليات الاستدامة، والصيانة، وآليات القيادة اللازمة للحفاظ على هيكل القوة ووتيرة العمليات ضد تنظيم داعش.

سوريا

لا يـزال تنظيـم داعـش يشـكل تهديـداً كبيـراً فـي سـوريا، علـى الرغـم مـن انخفـاض إجمالـي هجمـات التنظيـم منـذ تمـوز٢٠٢١. اذ يواصـل التنظيـم اسـتهداف نظـام الأسـد وقـوات سـوريا الديمقراطيـة والسـكان المحلييـن بشـكل أساسـي فـي محافظتـي حمـص ودير الـزور، وعـادة مـا تكـون هـذه الهجمـات صغيـرة الحجـم وبدائيـة، وتسـتخدم نيـران الأسـلحة الصغيـرة والعبـوات الناسـفة والاغتيـالات وكمائـن الكـر والفـر علـى قـوات الأمـن. إن الاسـتثناء الملحـوظ فـي جهـود تنظيـم داعـش الإرهابيـة فـي سـوريا تتمثـل فـي هجماتـه الأخيـرة لتحريـر المعتقليـن مـن أكبـر مركـز احتجـاز لمقاتلـي التنظيـم فـي الحسـكة. وباسـتثناء ذلـك فقـد تدهـورت قـدرة تنظيـم داعـش علـى إبـراز القـوة بشـكل أكبـر بسـبب الضغـط المسـتمر مـن قـوات سـوريا الديمقراطيـة وقـوة المهـام المشـتركة التابعـة لعمليـة العـزم الصلـب، كمـا إن تلـك القـوة انخفضـت بشـكل أكبـر مـع وفـاة مـا يسـمى بـ «أمير» داعـش، المدعـو أبـو إبراهيـم الهاشـمي القريشـي فـي شـباط ٢٠٢٢. ومـع ذلـك، فـإن الصـراع المتزايـد بيـن قـوات سـوريا الديمقراطيـة ونظـام الأسـد أو تركيـا -التـي تـرى أن قـوات سـوريا الديمقراطيـة مرتبطـة ارتباطًـا وثيقًـا بوحـدات حمايـة الشـعب الكـردي، وهـي جماعـة تعدهـا أنقـرة منظمـة إرهابيـة- مـن المرجـح أن يوفـر لتنظيـم داعـش فتـرة الراحـة التـي يتحاجهـا للتعافـي مـن الخسـائر الأخيـرة والعمـل علـى توسـيع نفـوذه فـي سـوريا، لاسـيما وإن الأحـداث الأخيـرة فـي الحسـكة تثبـت أن إرادة التنظيـم لـم تنقطـع عـن العمـل الارهابـي.

تواصـل قـوات سـوريا الديمقراطيـة إظهـار العـزم والقدرة علـى مواصلـة الضغـط علـى تنظيـم داعـش فـي شـمال سـوريا. لقـد ظلـوا الشـريك الوحيـد الموثـوق به والفعـال فـي سـوريا ويواصلـون تحسـين قدرتهـم علـى منـع عـودة ظهـور تنظيـم داعـش فـي المنطقـة الأمنيـة الشـرقية السـورية. ولكـن تختلـف طبيعـة العمليـات المنفـذة فـي شـمال شـرقي سـوريا عـن تلـك التـي نُفـذت فـي العراق. اذ تسـيطر قـوات سـوريا الديمقراطيـة علـى منطقـة فـي سـوريا لا تقـاوم فيهـا تنظيـم داعـش فحسـب، بـل وأيضًـا قـوات النظـام السـوري وداعمـي النظـام الـروس والإيرانييـن وتركيـا وكلائهـا. وبالتالـي، علـى الرغـم مـن قـدرة قـوات سـوريا الديمقراطيـة علـى إجـراء عمليـات دون إشـراف مباشـر مـن قـوات التحالـف الدولـي، إلا انهـا تبقـى عرضـة للضغـوط الخارجيـة وتعتمـد علـى فرقـة العمـل المشـتركة للعمليـات الخاصـة التابعـة لعمليـة العـزم الصلـب (SOJTF-Levant) فيمـا يتعلـق بالاسـتخبارات والمراقبـة والاسـتطلاع، والدعـم الاسـتخباراتي للمهـام المعقـدة.

معتقلو تنظيم داعش لدى قوات سوريا الديمقراطية

تظـل العـودة المحـدودة لمعتقلـي داعـش والنازحيـن فـي شـمال شـرق سـوريا أكبـر عائـق أمـام ضمـان الهزيمـة الدائمـة لتنظيـم داعـش. وبينمـا كان هنـاك تقـدم متواضـع فـي إعـادة توطيـن وإعـادة توطيـن بعـض هـؤلاء النازحيـن وبعـض مقاتلـي داعـش المحتجزيـن، ولكـن لا يـزال هنـاك المزيـد الـذي يتعين القيـام بـه. ولا يمكـن للقـوة العسـكرية أن تحـل هـذه المشـكلة المزمنـة، والتـي إن لـم يعالجهـا المجتمـع الدولـي، ستشـكل فـي نهايـة المطـاف جوهـر الجولـة التاليـة مـن التطـرف الإسـلامي العنيـف فـي المنطقـة وخارجهـا.

فـي الوقـت الراهـن، هنـاك أكثـر مـن عشـرة آلاف مقاتـل مـن تنظيـم داعـش معتقلـون فـي مراكـز اعتقـال مُعـاد اسـتخدامها فـي جميـع أنحـاء شـمال شـرق سـوريا. وتحـرس قـوات سـوريا الديمقراطيـة هـذه المنشـآت بشـكل مؤقـت، مـن خـلال حشـد وتدريـب محـدود للسـكان المحلييـن. ومـع ذلـك لا تـزال قـوة حراسـة قـوات سـوريا الديمقراطيـة قـادرة

على الاستجابة للتهديدات الخارجية ضد السجون ومراكز الاعتقال، لكن لا يزال هناك تهديد مستمر من أعمال الشغب الداخلية والعمل المنسق مع خلايا داعش بشكل عام، كما يتضح من الأحداث الأخيرة في سجن الحسكة.

لقد سهلت مؤخرا قوة المهام المشتركة التابعة لعملية العزم الصلب من خلال العمل مع قوات سوريا الديمقراطية، ومركز العمليات المشتركة في العراق الى نقل المئات من «العراقيين» من السجون التي تسيطر عليها قوات سوريا الديمقراطية إلى العراق - ولكن لا يزال هناك المزيد من العمل الذي يتعين القيام به، حيث لا يزال هناك عدة آلاف من مقاتلي داعش العراقيين في مراكز الاحتجاز المؤقتة في سوريا. استفادت قوة المهام المشتركة - عملية العزم الصلب من تمويل قوة المهام المشتركة لتحديث السجون وعملت على تدريب حراس قوات سوريا الديمقراطية للتخفيف من التهديد الذي يشكله مقاتلو داعش المحتجزون. ومع ذلك، فإن هذه الإجراءات لا تعمل إلا كحل مؤقت حتى يمكن العثور على حل أكثر قابلية للتطبيق على المدى الطويل.

| مخيم الهول

يضم مخيم الهول حاليًا ما يقرب من سبعة وخمسين (٥٧) ألف شخص، معظمهم من النساء والأطفال الذين يمثلون مزيجًا معقدًا من العراقيين السوريين ورعايا دول أخرى. كما يعيش في المخيم كل من ضحايا داعش وعوائل تنظيم داعش وهم على مقربة نسبية من بعضهم البعض. لا يزال المخيم يمثل تحديا لقوات الأمن ومقدمي الخدمات الإنسانية على حد سواء بسبب العنف المتكرر ضد سكان المخيم والعاملين في المنظمات غير الحكومية ومديري المخيم والمتعاونين المشتبه بهم في التحالف الدولي.

ونظرا لهذه الاحداث نفذت قوات سورية الديمقراطية في أذار ٢٠٢١، عملية أمنية رداً على تصاعد الاغتيالات داخل المخيم. وقد انخفضت عمليات الاغتيال بعد هذه العملية ولكن ظلت الاغتيالات مستمرة طوال عام ٢٠٢١، مما يؤكد نفوذ داعش المرن والتحدي المستمر الذي تمثله لإدارة الأمن. بعض النساء اللواتي يعشنّ في مخيم الهول يرتكبن أعمال عنف، في حين أن العديد من السكان، بما في ذلك عشرات الآلاف من الأطفال، لا يزالون ضحايا ومستضعفين للغاية. غالبًا ما تقوم النساء المنتميات لتنظيم داعش بدور الحسبة، أو الشرطة الدينية، ويراقبنّ باهتمام الأنشطة في المخيم، بينما يفترسن سكان المخيم المستضعفين من خلال العنف والترهيب.

غالبًا ما تركز النساء في المخيم على تحويل السكان في المخيم الى متطرفين، وخاصة الأطفال من خلال الدعاية والترهيب لضمان صعود الجيل الثاني لتنظيم داعش، ويتحول بعض هؤلاء الأطفال إلى متطرفين في المخيم ويتم تهريبهم فيما بعد ليتم تدريبهم كمقاتلين مستقبليين وانتحاريين في معسكرات داعش في مواقع غير خاضعة للحكم في سوريا.

ستواصل العناصر المتطرفة في جهودها لاستغلال عدم وجود حل قابل للتطبيق ومدعوم دوليا للصراع السوري لبناء دعم شعبي لها والمساهمة في إعادة تشكيل داعش والمنتسبين إليه. إن الحل الوحيد القابل للتطبيق لمشكلة مخيم الهول هو حل سياسي، حيث تقوم الدول بإعادة مواطنيها وإعادة دمجهم وتخفيف العبء عن قوات سوريا الديمقراطية.

٥- حالة المنافسة الاستراتيجية في منطقة الشرق الاوسط

نظرا لكونها مفترق طرق تاريخي ودائم للتجارة البرية والبحرية بين أوروبا وآسيا وأفريقيا وموطنًا

لنصف احتياطيات النفط المؤكدة في العالم، فإن منطقة الشرق الأوسط، تمثل «منطقة رئيسة» على المستوى الجيواستراتيجي ومسرحا حاسما للمنافسة الاستراتيجية مع الصين وروسيا. اذ تسعى كل من الصين وروسيا إلى تغيير التحالفات واكتساب النفوذ في المنطقة، وهما يسعان من خلال الأدوات الاستثمارية التي تشرف عليها الدولة الى لتحقيق وصول مضمون للموارد الرئيسة في المنطقة لدعم أهدافهما القومية. حيث صممت كل من الصين وروسيا مقاربتهما الإقليمية لتلائم أهدافهما المحددة ووسعتا التعاون العسكري مع العديد من الدول الإقليمية من خلال مبيعات الأسلحة والتدريبات. فقد قامت الصين بتوسيع نفوذها ووجودها في المنطقة من خلال مبادرة الحزام والطريق، ودبلوماسية لقاحات كوفيد-١٩، واستثمارات البنية التحتية من خلال الديون، وانتشار تقنية الجيل الخامس 5G التي ستوفر فرصًا للإكراه السياسي والاستغلال العسكري. بالمقابل تعزز روسيا وجودها العسكري والاقتصادي الدائم في سوريا، ووسعت من وجودها الاقتصادي وعلاقاتها الدفاعية مع مصر، وتسعى إلى زيادة نفوذها على موارد الطاقة الإقليمية وطرق العبور. في نهاية المطاف، تسعى كل من الصين وروسيا إلى توسيع نفوذهما وتخريب القواعد القائمة في النظام الدولي الراهن على حساب مصالح الولايات المتحدة ومصالح حلفائها وشركائها.

تعمل كل من الصين وروسيا أيضا على إشراك إيران لتعزيز مصالحها الخاصة في الوقت الذي تعمل ضد مصالح الولايات المتحدة. اذ تأمل كل من الصين وروسيا في وضع نفسيهما كشريكين اقتصاديين رئيسيين لإيران، وتترقبا تخفيف العقوبات من اجل الوصول إلى الأولوية في عقود التنمية والأسواق. في تشرين الاول ٢٠٢١، أعلنت إيران أنها ستوقع شراكة استراتيجية مع روسيا على غرار الاتفاقية التي وقعتها طهران مع بكين في أذار ٢٠٢١. بالنسبة إلى الصين فإن الاتفاقية ضمنت إمدادات طاقة موثوقة، وزادت من قدرتها على التحوط ضد أي محاولات أمريكية لمنع مصادر النفط الأخرى. في غضون ذلك، دعت موسكو إلى إعادة العمل بخطة العمل المشتركة الشاملة (JCPOA) مع مساعدة إيران على تطوير قدرات عسكرية تمكن أنشطتها الإقليمية المزعزعة للاستقرار. في نهاية المطاف، لن تصطف الصين ولا روسيا بشكل وثيق مع إيران لدرجة أنها تعرض قدرتها للخطر على جذب شركاء اقتصاديين وعسكريين آخرين في المنطقة، لكن كلاهما سيستمر في استخدام إيران كخطوة مفيدة ضد الغرب، وجني الفوائد الاقتصادية.

مع ذلك فإن المعالم الجغرافية والسياسية للمنطقة لا تفضل الصين أو روسيا بشكل ساحق. على العكس من ذلك، فإن تقسيم اليابسة الأوروآسيوية لمنطقة الشرق الاوسط يوفر تضاريس رئيسة وموقعا مهيمنا للولايات المتحدة للتنافس استراتيجيًا مع كل من الصين وروسيا من خلال مجموعة من مشاريع التعاون الأمني، بما في ذلك أمن الحدود ومكافحة المخدرات ومكافحة الإرهاب، وبناء مؤسسات الدفاع. بسبب هذه العلاقات، تبقى الولايات المتحدة «الشريك المفضل» لمعظم دول المنطقة مقارنة بروسيا أو الصين. وبينما يتعين على الولايات المتحدة التنافس للاحتفاظ بهذا المركز الإيجابي، فإنها لا تزال تخسره.

٦- التحدي الصيني في الشرق الأوسط

تستورد الصين بوصفها أكبر مستورد للنفط في العالم، ما يقرب من ٤٦ بالمائة من نفطها الخام وبما يربو على ٣٦ بالمائة من غازها الطبيعي من منطقة الشرق الاوسط. علاوة على ذلك تواصل الصين تنمية العلاقات التجارية، ومشاريع تطوير البنية التحتية (التي تعتمد عليها لاستيعاب قدرتها الصناعية الزائدة) ، والاستثمار الاقتصادي،

والشراكات الشاملة بين دول الشرق الاوسط. كما تواصل الصين توسيع نفوذها في الخليج العربي وشمال بحر العرب ويتم دعمها من خلال تطوير الموانئ وبرامج الاستثمار، مثل مشاريعها الموجودة في ميناء جوادر بباكستان، والإمارات العربية المتحدة، وهي الموانئ التي تعد أساسية للاستراتيجية الإقليمية للصين في المنطقة.

على مدار العام ٢٠٢١، انخرطت الصين مع كل دولة تقريبا تقع ضمن قاطع مسؤولية القيادة المركزية الأمريكية (CENTCOM) ، باستخدام التجارة، ومبادرة الحزام والطريق، ودبلوماسية كوفيد-١٩، والمساعدات الإنسانية الأخرى لدعم أهدافها الاستراتيجية وتوسيع نفوذها. فقد عززت الصين من تعاونها وتأثيرها بشكل خاص مع إيران من خلال تأمين اتفاقية اقتصادية مدتها خمسة وعشرون عامًا، وعملت على تخفيف آثار العقوبات الدولية وتوفير شريان الحياة الاقتصادي للنظام الإيراني. **كما شرعت الصين أيضًا في منح إيران العضوية الكاملة في منظمة شنغهاي للتعاون، مع إضافة كل من مصر وقطر والمملكة العربية السعودية كشركاء في الحوار. علاوة على ذلك، عززت الصين مكانتها كمورد للأسلحة في المنطقة، حيث قدمت معدات عسكرية إلى المملكة العربية السعودية والعراق ومصر والإمارات العربية المتحدة بأسعار مخفضة ودون شروط مسبقة، في محاولة لتحل محل الولايات المتحدة «كشريك مفضل».**

بصرف النظر عن المبيعات العسكرية الأجنبية التي يمكن أن تحل محل علاقات المساعدة الأمنية الأمريكية مع دول المنطقة، تجري الصين مناورات عسكرية متعددة الأطراف في المنطقة وهي مستعدة لمزيد من التعاون. اذ تحتفظ القوة البحرية التابعة لجيش التحرير الشعبي الصيني بوجود مستمر ونشط في المنطقة، كما تجري مجموعة واسعة من العمليات في وقت السلم لحماية التجارة البحرية للصين وأصولها وأفرادها. **وينطوي هذا الوجود الصيني على فرقة عمل الحراسة البحرية، التي تعمل في خليج عدن وتستخدم جيبوتي كمركز دعم، ومن هناك، يمكن للصين أن تنشر قوتها البحرية بسرعة في البحر الأحمر ومضيق باب المندب وخليج عدن.**

٧- التحدي الروسي في الشرق الاوسط

تسعى روسيا في الشرق الأوسط إلى تصوير نفسها على أنها وسيط إقليمي وشريك موثوق به على المسرح العالمي، في الوقت الذي تحاول فيه الى **تقويض مواقف الولايات المتحدة وعلاقاتها مع دولة المنطقة التي تقع ضمن قاطع مسؤولية القيادة المركزية الأمريكية (CENTCOM)** . كما تحافظ روسيا على نهج انتهازي إلى حد كبير في تعاملها مع دول في الشرق الأوسط بينما تنظر إلى نفوذها في منطقة آسيا الوسطى على أنه حيوي لمصالح أمنها القومي. **فقد ردت موسكو على انسحاب الولايات المتحدة من أفغانستان من خلال الضغط على دول آسيا الوسطى وجعلها ترفض دعم الولايات المتحدة وتعزيز موقفها كشريك أمني أساسي للمنطقة**، والعمل على تعزيز القدرات الدفاعية لدول اسيا الوسطى من خلال التدريبات العسكرية والدعوة إلى انشاء «منظمة معاهدة الأمن الجماعي» بقيادة روسيا.

علاوة على ذلك، عملت روسيا على تعزيز وجودها العسكري في سوريا، في الوقت الذي أكدت مكانتها في المحافل الدولية لزيادة نفوذها في المنطقة والضغط على الولايات المتحدة للانسحاب. كما **تعمل روسيا على إعاقة عمل التحالف الدولي ضد داعش في سوريا من خلال استغلال بيئة الفضاء، والحرب السيبرانية، والتشويش على نظام تحديد المواقع العالمي (GPS) ، واستخدام الشركات العسكرية الخاصة.** لقد طورت روسيا قواتها وبصمتها العسكرية التي ستجعلها قادرة على مواصلة عملياتها العسكرية

خارج أراضيها. أحد الأمثلة على ذلك هو القاعدة البحرية الروسية في ميناء طرطوس السوري، الذي استأجرته روسيا مؤخرًا لمدة تسعة وأربعين (٤٩) عامًا وأعلنت عن خطط لاستثمار ٥٠٠ مليون دولار لتطوير الميناء السوري. اذ تسمح القاعدة البحرية في ميناء طرطوس بوصول ما يربو على ١١ سفينة حربية روسية تعمل بالطاقة النووية الى البحر الأسود، وان تقوم بالإصلاح والتجديد في البحر الأبيض المتوسط دون الحاجة إلى العودة إلى الميناء الرئيسي عبر مضيق الدردنيل التركي ومضيق البوسفور، الأمر الذي سهل في زيادة النشاط البحري الروسي في البحر الأحمر. كما طورت روسيا في ميناء طرطوس مهبطًا جويًا لاستيعاب القاذفات الروسية وتوسيع قدرتها العملياتية في المنطقة. والحالة هذه، فإن البصمة العسكرية الروسية في سوريا تجعل الروس في وضع مثالي لتعطيل عمليات الناتو في الشرق الأوسط وتقديم تحوط محتمل ضد الجناح الجنوبي لحلف الناتو.

علاوة على ذلك، عززت روسيا علاقتها مع منظمة البلدان المصدرة للبترول (أوبك +) لتحسين وضعها الاقتصادي في الشرق الأوسط، ومن اجل الحصول على ظروف سوق مؤاتية لمبيعات النفط والغاز الروسية. اذ تتركز مصالح روسيا في العراق بشكل أساسي في قطاع الوقود والطاقة، بما في ذلك التنقيب وتطوير البنية التحتية. حيث تمتلك روسيا العديد من شركات النفط العاملة في العراق، بما في ذلك شركات لوك أويل، وغازبروم، وغازبروم نفت، وباشنفت، وهي الشركات التي تزيد استثماراتها في العراق عن ١٠ مليارات دولار.

فضلا عن ذلك، تواصل روسيا أيضا تسويق أنظمة أسلحتها المتقدمة للتصدير إلى دولة المنطقة التي تقع ضمن قاطع مسؤولية القيادة المركزية الأمريكية (CENTCOM) . يحدث هذا التسويق في بيئة يبحث فيها العديد من شركاء الولايات المتحدة في المنطقة عن أنظمة تدعم متطلبات الأمن القومي، بما في ذلك التهديد الذي تشكله إيران. كما هو الحال مع الصين، فإن سرعة مبيعات الأسلحة الروسية جذابة للشركاء الأمريكيين في المنطقة - ولا تأتي مع مطالب المساءلة الأمريكية لمراقبة الاستخدام النهائي وضمانات حقوق الإنسان، كما ينص عليها قانون ليهي (Leahy law) .

وبالرغم من إنه من السابق لأوانه فهم العواقب الكاملة للغزو الروسي لأوكرانيا على دولة المنطقة التي تقع ضمن قاطع مسؤولية القيادة المركزية الأمريكية (CENTCOM) . إلا إن شركاء الولايات المتحدة في المنطقة يشعرون بالفعل بالآثار السلبية الأولية للغزو الروسي. إذ ان التحديات التي شكلها الغزو الروسي على المنطقة تتمثل بالنزوح المستدام، وتقويض الثقة بين الحكومات وشعوبها، مما خلق مساحة لخصوم الولايات المتحدة باستغلال المعاناة الإنسانية للفئات الضعيفة من السكان.

إن الغزو الروسي لأوكرانيا لديه القدرة على تعزيز تفاقم هذه الديناميكيات بسبب الاضطرابات في صادرات القمح إلى الشرق الأوسط، والضغط على المؤسسات المالية، وارتفاع أسعار الوقود مع الآثار العالمية المتوقعة. اذ تعد روسيا أكبر مصدر للقمح في العالم، في حين إن أوكرانيا تعد خامس أكبر مصدر للقمح في العالم، وكلاهما يمثلان معا ما يربو على ٢٨. ٩ بالمائة من صادرات القمح العالمية. تعتمد البلدان في جميع أنحاء منطقة الشرق الاوسط على القمح الروسي والأوكراني بدرجات متفاوتة، وتشير التقارير الصادرة من العراق وسوريا ولبنان إلى ارتفاع أسعار المواد الغذائية الأساسية بنسبة تتراوح بين ٣٠ و٥٠ في المائة منذ بدء الغزو الروسي. تحاول الحكومات تخفيف الآثار السلبية على مواطنيها من خلال زيادة الإنتاج المحلي أو متابعة الواردات من الأسواق البديلة، لكن هذه الجهود لن تعالج بشكل كامل انعدام الأمن الغذائي المتزايد، لا سيما في البلدان التي

تعتمد على الاستيراد والتي تعاني من ضائقة مالية مثل لبنان واليمن.

٨- المنافسة الصينية-الروسية في الشرق الاوسط والخيارات الأمريكية

لقد أظهرت كل من الصين وروسيا استعدادهما للعمل معا لتحقيق أهداف إقليمية مشتركة مثل: الدعم المتبادل لإيران، واستخدام حق النقض ضد قرارات مجلس الأمن ضد سوريا، وتقديم مساعدات إنسانية محدودة بما يعزز مصالحهما. لذلك نظرًا للأهمية الجيواستراتيجية لمنطقة الشرق الاوسط، سيحاول الحلفاء والشركاء والمنافسون زيادة نفوذهم في المنطقة، لاسيما إذا كانوا يرون أن التزام الولايات المتحدة متذبذبًا تجاه المنطقة.

لا شك إن البيئة الاقتصادية العالمية تحث شركاء الولايات المتحدة الإقليميين على النظر بجدية في العروض الصينية والروسية المتعلقة برأس المال والاستثمار والتكنولوجيا والبنية التحتية والمعدات وذلك لتحقيق أهدافهم الاقتصادية والدفاعية الوطنية الطويلة الأجل. ولكن على المستوى التكتيكي، سيظل التعاون الأمني الأمريكي وبناء قدرات الشركاء من المبادئ الأساسية للقوة العسكرية الامريكية في المنطقة، في حين تفتقر الصين وروسيا حاليًا إلى هذه القدرة وفضلا عن القدرة على إجراء أنشطة تعاون أمني قوية مع دول المنطقة، على الرغم من رغبتهما في القيام بذلك- لكن لا ينبغي أن نفترض أن هذا سيستمر على المدى الطويل.

عند الاختيار، يفضل الشركاء الأمريكيين في الشرق الأوسط تقليديًا البدائل التي تقدمها الولايات المتحدة وحلفاؤها. ولكن يجب أن تكون هذه البدائل قابلة للتطبيق وموضوعية وفي الوقت المناسب إذا أرادت أمريكا درء منافسيها الاستراتيجيين.

في غضون ذلك، يمكن للولايات المتحدة وحلفائها الاستفادة من القدرات الأمريكية الفريدة على بناء وقيادة التحالفات الدولية للدول ذات التفكير المماثل. اذ تعمل المنظمات الأمنية المتعددة الأطراف مثل القوات البحرية المشتركة، وبناء الأمن البحري الدولي، ومبادرة الأمن البحري للبحر الأحمر المرتقبة، بمثابة حصن ضد عمليات المنطقة الرمادية الصينية والروسية وتمثل رادعا للعدوان في المنطقة. وعليه عبر إظهار العزم والتضامن الدوليين، فإن الولايات المتحدة ستغرس الثقة في النظام الدولي القائم على القواعد وتخفف من عبء القيام بذلك مع الشركاء ذوي التفكير المماثل.

ومع ذلك، في الوقت الذي تسعى الولايات المتحدة للحد من عمليات النشر اليومية للأصول العسكرية الأمريكية في المنطقة، يجب علينا الاحتفاظ بالمرونة لنشر القوات والموارد الأخرى بسرعة في جميع أنحاء عمق المنطقة التي تقع ضمن قاطع مسؤولية القيادة المركزية الأمريكية (CENTCOM) .

اذ إن التواجد المخصص والمدعوم وزيادة الوصول الأمريكي الى الموانئ والمطارات والقواعد في المنطقة، يسهم في توسيع نفوذ الولايات المتحدة الإقليمي وتعزز شراكاتها، ويمكنها من بناء المرونة والقدرة على البقاء في حالات الصراع الإقليمي أو العالمي. كما أنه يتيح للولايات المتحدة القدرة على تقديم المساعدات الإنسانية والإغاثة في حالات الكوارث بشكل أسرع وأكثر فعالية من منافسي الولايات المتحدة، مما يدل على مدى التزام وقدرة الولايات المتحدة على إن تكون الشريك المفضل في المنطقة وخارجها.

دور وافد :

اعداد اللواء الركن المتقاعد الدكتور عماد علوّ*

التوازن العسكري في شرق المتوسط

وتداعيات الحرب الروسية الاوكرانية

المقدمة

أدى انـدلاع الحـرب فـي أوكرانيـا فـي أواخـر شـباط ٢٠٢٢، الـى تداعيـات خطيـرة مختلفـة علـى صعيـد الامـن والاسـتقرار فـي النظـام الدولـي، ولـن تكـون منطقـة شـرق المتوسـط فـي منـأى عن تداعياتهـا. وسيشـكّل الوجـود الروسـي فـي شـرق المتوسـط بعـدًا جديـدًا في سـياق صـراع يعكس رغبـة موسـكو فـي التمتّـع بنفـوذ كبيـر فـي محيطهـا المباشـر والأوسـع، ويشـمل ذلـك سـورية، والمسـطح المائـي شـرق البحـر المتوسـط، حيـث تمتلـك روسـيا قاعدتيـن بحريـة وجويـة؛ وكذلـك لموسـكو تسـهيلات عسـكرية بحريـة وجويـة فـي ليبيـا، حيـث تمتلـك أيضًـا قاعـدة جويـة وزجـت بقـوات مرتزقـة (شـركة فاغنـر) ، فـي الصـراع الداخلـي الليبـي.

كمـا طالـت تداعيـات الحـرب الروسـية الاوكرانيـة قطـاع الطاقـة فـي شـرق المتوسـط، إذ قـد تحـثّ الولايـات المتحـدة، فـي ضـوء الأزمـة، شـريكتيها السـعودية وقطـر علـى زيـادة إمـدادات الطاقـة إلـى أوروبـا فـي ضـوء العقوبـات التـي اقرهـا الغـرب ضـد قطـاع الطاقـة الروسـي. وتسـعى الـدول والتحالفـات اليـوم الـى تحقيـق أو الوصـول الـى حالـة تـكاد تتعـادل فيهـا قدراتهـا وقوتهـا العسـكرية مـع محيطهـا الإقليمـي على الأقـل، ممـا يحـول دون نشـوب صـراع أو نـزاع مسـلح، مـع جيرانهـا الإقليمييـن أو منافسـيها الدولييـن وهـو مـا يطلـق عليـه بتـوازن القـوى (Balance of Power) ، وينبـع مفهـوم التـوازن العسـكري (Military Balance) ، مـن نظريـة تـوازن القـوى، ويعتبـر سـعي إحـدى الـدول لزيـادة قدرتهـا العسـكرية بالصـورة التـي تخـل بتـوازن القـوى أمـراً يدعـو للاضطـراب ويولّـد سـعياً مـن قبـل الـدول الأخـرى لتعزيـز تـوازن القـوى بمعاهـدات تلتـزم فيهـا الـدول الأطـراف بالحفـاظ علـى قوتهـا العسـكرية ضمـن حـدود مقبولـة مـن الـدول الأخـرى ((١)) . فـي ضـوء تداعيـات الحـرب الروسـية الأوكرانيـة وفـي اطـار تـوازن القـوى العسـكري فـي منطقـة شـرق المتوسـط، سـتحاول هـذه الدراسـة استكشـاف الخيـارات الإسـتراتيجية للقـوى الإقليميـة فـي شـرق البحـر المتوسـط، المواكبـة لتغيـر بنيـوي فـي المنطقـة بانحسـار قـوى فاعلـة وبـروز اخـرى باحثـة عـن ادوار إقليميـة تمثلهـا ايـران، السـعودية وتركيـا، فـي ظـل انتشـار عسـكري متنـوع وفعـال

لروسيا والولايات المتحدة الامريكية، ومجموعة من الفصائل والتشكيلات المسلحة المحلية، مما قد يدفع المنطقة لمزيد من التنافس حول تقسيم مناطق النفوذ الجيوسياسي، في ضوء ما قد ينجم من تداعيات للحرب في أوكرانيا، وفق منطق توازن القوى يعتبر تشكيل التحالفات الأمنية الخيار الاستراتيجي الأنسب لكبح طموح قوى التغيير أو الهيمنة، غير ان مرونة النظام باعتباره متعدد الأقطاب زاد من معضلة التحالفات.

استنادا» لما سبق وفي ضوء تداعيات الحرب في أوكرانيا، سنحاول الإجابة على الإشكالية التالية: ما هي انعكاسات دوافع توازن القوى على مستقبل سياسة التحالفات في شرق البحر المتوسط؟ وذلك من خلال وعبر منهجية تناقش الظاهرة محّل الدراسة بالاستعانة بالمنهج الوصفي الذي يُعتبر الأنسب في التعامل مع الظواهر الإنسانية، والاجتماعية، لأنه يدرس الظاهرة كما هي موجودة في الواقع، وكذلك استعنّا بالمنهج التاريخي كونه منهجا» متحركا» يناسب التعامل مع الظواهر الإنسانية والاجتماعية. .

شرق البحر المتوسط (Eastern Mediterranean)

أدت متغيرات وفواعل عديدة الى ظهور مصطلح شرق البحر المتوسط (Eastern Mediterranean) الذي يشير إلى الناحية الجغرافية للدول الواقعة إلى شرق البحر الأبيض المتوسط، ويشمل حاليا كلا من قبرص، سوريا، لبنان، فلسطين، إسرائيل، والأردن، بالإضافة الى الدول التي لديها روابط ثقافية مع دول منطقة شرق البحر المتوسط، ويقصد بها، تركيا والعراق ومصر واليونان. وقد أقرت بذلك مراجعة سياسة الجوار الأوروبية، التي ذكرت في أواخر عام ٢٠١٥ أن "الاتحاد الأوروبي سيدعم التعاون شبه الإقليمي حسب الاقتضاء في شرق البحر المتوسط والمغرب العربي وجنوب القوقاز" ((٢)) ، الامر الذي يمكن اعتبار منطقة شرق البحر المتوسط «عنصرًا متميزً او ككيان جيوسياسي مستقل له خصائص ومصالح محددة، وأحد أكثر المناطق إستراتيجية في العالم. وبينما يمر الشرق الأوسط العربي بالاضطراب وعدم الاستقرار بسبب مجموعة متنوعة من العوامل الجيوسياسية، بما في ذلك الحرب في سوريا وعواقبها، الصراع الإسرائيلي الفلسطيني الأزمة بين تركيا ومصر، الانقسام الفلسطيني والوضع في غزة، التنافس العسكري المتصاعد بين روسيا والولايات المتحدة وايران، استمرار نشاط الجماعات الإرهابية الجهادية، الأوضاع الاقتصادية والسياسية المتردية في لبنان. . . ! كل تلك الجهات الفاعلة والعوامل والتطورات العديدة المذكورة أعلاه خلقت نظامًا بيئيًا معقدًا في شرق البحر المتوسط يتجه حثيثا» نحو زيادة التعاون السياسي والاقتصادي والأمني، بسبب اكتشافات الغاز الطبيعي، والتهديدات المشتركة المتعلقة بالأمن، من خلال زيادة فرص التعاون، والتغلب على النزاعات والمصالح المتناقضة، وممارسة الدبلوماسية الماهرة والشاملة. ان الموقع الجيوسياسي لمنطقة شرق البحر المتوسط جعلتها موقعًا مهمًّا في نقل البترول والغاز الطبيعي من الشرق الأوسط إلى أسواق الاتحاد الأوربي، كونها تتصل ببلاد الرافدين والشرق الأدنى عبر تركيا وسوريا، ويصل حتى شبه جزيرة العرب وشرق إفريقيا والهند عبر قناة السويس ((٣)) .

شرق البحر المتوسط توازن هش في ظل انتشار عسكري متنوع

يتطلب تحقيق التوازن في منطقة شرق المتوسط، من دول المنطقة استغلال الموارد المتاحة لها، وبناء اقتصادات قوية وجيوش قادرة على مواجهة التهديدات الداخلية والخارجية، ومن المرجح أن يكون ذلك صعبًا بالنسبة لدول منطقة شرق

المتوسط بدليل أن بعضها يعتمد اليوم، على التوازن الخارجي وتشكيل تحالفات مع الدول القوية لتلبية احتياجاتها الأمنية، كمثل تحالفات أمنية مع الولايات المتحدة الامريكية (العراق، الأردن، إسرائيل، اليونان ومصر) للتعويض عن عدم التوازن العسكري مع دول إقليمية مثل (ايران، تركيا، إسرائيل) . وعليه فان التوازن العسكري في منطقة شرق المتوسط، مرهون بالأدوار التي يلعبها الحضور العسكري الدولي والإقليمي الفاعل والمؤثر في المشهد الأمني شرق المتوسط. وتتصدر كل من الولايات المتحدة الامريكية وروسيا الاتحادية القوى العظمى التي تستخدم نفوذها للحفاظ على توازن القوى في شرق المتوسط، بما يعرف باسم التوازن الخارجي، بينما تتصدر كل من ايران وتركيا ومصر وإسرائيل القوى الإقليمية للحفاظ على توازن القوى في شرق المتوسط، بما يعرف باسم التوازن الداخلي. وعليه فانه من الواضح أن نظام التوازن العسكري في منطقة شرق المتوسط يتسم بالهشاشة لعدم وجود توزيع متساوٍ للقوة بين دول شرق المتوسط، بل وحتى بين القوى الإقليمية والدولية التي لها حضور عسكري فاعل ومؤثر في المشهد الأمني من خلال الجمع بين التوازن الداخلي والخارجي.

هناك من يعتقد أن عدم التوازن في منطقة شرق المتوسط، بمعنى وجود تفوق ساحق لقوة عظمى في حضورها العسكري في المنطقة ينتج الاستقرار، في حين أن التوزيع المتساوي للقوة العسكرية، أو التكافؤ القريب في القوة العسكرية بين الدول ذات الحضور العسكري البارز والمؤثر في منطقة شرق المتوسط، قد يؤدي إلى الصراع، حيث تزداد احتمالية نشوب النزاع المسلح عندما تكون الدولة المتنافسة متقاربة في القوة والقدرات العسكرية.

كل تلك الاتجاهات تؤكد على أهمية دراسة القوة العسكرية أو الحضور العسكري الفعال في منطقة شرق البحر المتوسط، الإقليمية أو المحلية منها والدولية أو الخارجية، والاطلاع على التغيرات في توزيع القوى التي قد تؤثر على توازن القوى في منطقة شرق المتوسط، ولكن المؤكد أن فرص السلام والاستقرار في المنطقة ترتفع فقط عندما ترتفع تكاليف الحرب، ويصعب توقع الكسب والخسارة منها.

. الجدول التالي يوضح ميزان القوة العسكرية لدول شرق البحر المتوسط.

يتضح من الجدول أعلاه أن تركيا تحتل المرتبة الأولى بين أقوى جيوش شرق المتوسط، تليها مصر في المرتبة الثانية ثم إسرائيل في المرتبة الثالثة، الا أن مصر تحتل المرتبة الأولى من حيث قوة اسطولها البحري في شرق البحر المتوسط بحسب موقع Global Firepower، مما يضعها في موقف ملائم في تدافع اقتسام وتصدير ثروات الغاز في الحوض المائي لشرق البحر المتوسط.

الحضور العسكري الدولي شرق البحر المتوسط

أصبحت منطقة شرق البحر المتوسط مجالاً شديد الجاذبية للقوى الكبرى في المنطقة وخارجها، من ناحية تحوّلها إلى مركز طاقوي، مصدراً وممراً، ومجالاً للتنافس الجيوسياسي، ومنطلقاً لقضايا الأمن والهجرة والتهريب والتطرّف التكفيري. ومنذ الاحتلال الأمريكي البريطاني للعراق في عام ٢٠٠٣، والانتشار الكبير للقوات الامريكية والبريطانية في المنطقة، بدأت ملامح تصدع التوازن العسكري في شرق البحر المتوسط بالظهور نتيجة خروج العراق من معادلة التوازن العسكري الذي شجع دول

مثل تركيا وايران والسعودية وتنظيمات جهادية تكفيرية، على التنافس والتدافع لملأ الفراغ الأمني في شرق البحر المتوسط لاسيما بعد اندلاع ما يسمى بثورات الربيع العربي، وانهيار أنظمة الحكم في بعض الدول العربية ذات التأثير المحوري في مسارات التوازن العسكري في منطقة الشرق الاوسط. كل ذلك خلق بيئة صراع مسلح كانت مبررا" لعسكرة منطقة شرق المتوسط، تمظهرت بتصاعد حدة الصراعات المسلحة المباشرة وغير المباشرة بين القوى الدولية الكبرى والإقليمية، على مصادر انتاج الغاز ومسارات انابيب تصديره الى اوربا، في محاولات الهيمنة المدعومة بالانتشار العسكري على كل من العراق وسوريا ((٤)) ، ومحاولة السيطرة والتحكم بمشاريع خطوط انابيب الغاز الطبيعي الإيرانية أو القطرية أو كليهما، عبر العراق وسوريا فلبنان أو تركيا. في وقت اضطربت فيه الأوضاع الأمنية والسياسية في كل من العراق وسوريا منذ عام ٢٠١١، (احداث ما يسمى بالربيع العربي) ، وجرى تحريك عصابات داعش الإرهابية في كلا البلدين، لذلك لم يعد خافيا» أن ظاهرة التنظيمات او الفصائل المسلحة في منطقة الشرق الاوسط كثيرا» ما ترتبط بالصراعات والتوترات الإقليمية والدولية، حيث أن مشاهد العنف والعسكرة والتسلح المحلي ما هي الا تشعبات وامتدادات للدوافع الاستراتيجية والسياسية الإقليمية والدولية الطامحة الى الهيمنة والسيطرة على مصادر الطاقة والثروات الطبيعية، ولذلك يصعب تسمية أو وصف ما يجري اليوم من صراعات في معظم مناطق الشرق الأوسط بـ (الصراعات المحلية) أو بـ (الحروب الاهلية) ، بل هي في الواقع صراعات أو نزاعات إقليمية أو دولية عابرة للحدود (Cross-border regional conflicts) ، حيث تمثل أحد المظاهر الشائعة بشكل متزايد لتنافس القوى الاستراتيجي بين الدول في استخدام الإرهابيين والتنظيمات المسلحة من المتطرفين والمتشددين، خاصة في دول شرق البحر المتوسط ذات الأهمية الجيوستراتيجية بما يتعلق بخطوط نقل الطاقة الغازية والنفطية، مثل سوريا والعراق ((٥)) . لذلك فان التنظيمات السياسية المسلحة تشكل ظاهرة بارزة ومؤثرة في مسار تطور ما يسمى بالفوضى الخلاقة Creative chaos ((٦)) ، في منطقة الشرق الأوسط والتي أدت الى استخدام القوة استخداما» عبثيا»، عرض مجموعات سكانية الى ما يشبه الإبادة الجماعية أو هجرت قسرا»، الى جانب تدمير متواصل للممتلكات المدنية والبنى التحتية مثل انابيب نقل النفط والغاز، في إطار صراعها أو نزاعها مع مناوئيها أو خصومها، كل ذلك وعوامل أو تأثيرات خارجية أدت الى تمزيق الروابط الاجتماعية في الدول والكيانات السياسية التي ظهرت بها مثل تلك التنظيمات السياسية المسلحة خصوصا» في منطقة شرق البحر المتوسط، كل ذلك بتخادم ودفع من القوى الكبرى الطامحة للسيطرة على منابع النفط والغاز في المنطقة أو التنافس والصراع من اجل الهيمنة على انابيب تصدير الغاز الطبيعي الى المستهلكين في الشرق والغرب. الى جانب ذلك سارعت القوى الدولية والإقليمية المتنافسة، الى الانتشار العسكري المباشر في منطقة شرق المتوسط، على نحو غير مسبوق، ومع تصاعد التوتر بين الولايات المتحدة وحلفائها في المنطقة مع ايران، بالإضافة الى التوترات الناجمة عن التحركات البحرية التركية قرب السواحل القبرصية واليونانية فان مشهد الحضور العسكري المؤثر بالتوازن العسكري شرق البحر المتوسط، كما يلي:

الدولة	التصنيف العالمي	عدد الجنود (بالألف)	القوة الجوية	الدبابات والمدرعات	القوة البحرية	ميزانية الدفاع
تركيا	١١	٧٣٥	١٠٥٥ طائرة حربية متنوعة، بينها ٢٠٦ مقاتلات، و٢٠٧ طائرات هجومية، و٨٧ طائرة شحن عسكري، إضافة إلى ٢٧٦ طائرة تدريب، و٤٩٧ مروحية عسكرية منها ١٠٠ مروحية هجومية	٢٦٢٢ دبابة و٨٧٧٧ مدرعة و١٢٧٨ مدفع ذاتي الحركة وأكثر من ١٢٦٠ مدفع ميداني، إضافة إلى ٤٣٣ راجمة صواريخ،	١٤٩ قطعة بحرية منها ١٠ طرادات، و١٢ غواصة، إضافة إلى ٣٥ سفينة دورية و١٦ فرقاطة و١١ سفينة متخصصة بالألغام	١٩ مليار دولار
اليونان	٣٣	٧٥٠ ألف جندي	٥٦٦ طائرة حربية بضمنها ١٨٧ مقاتلة و٢٣١ مروحية و٢٩ مروحية هجومية	١٣٥٥ دبابة و٣٦٩١ مدرعة٥٤٧ مدفع ذاتي الحركة و٤٦٣ مدفع ميدان و١٥٢ راجمة صواريخ	١١٦ قطعة بحرية بضمنها ١٣ فرقاطة و١١ غواصة٩ سفن انزال و٤ كاسحات الغام	٨ .٤ مليار دولار
سوريا	٦٥	١٤٢	٤٥٦ طائرة حربية متنوعة، منها ١٩٩ مقاتلة و٢٠ طائرة هجومية، بالإضافة إلى ٥ طائرات شحن عسكري فقط و٦٧ طائرة تدريب و١٦٥ مروحية عسكرية منها ٢٧ مروحية هجومية	٤١٣٥ دبابة و٥٣٧٠ مدرعة، بالإضافة ٥٧٥ مدفع ذاتي الحركة وأكثر من ٢٥٥٠ مدفع ميداني و٧٥٠ راجمة صواريخ،	٥٦ قطعة بحرية فقط لدى الأسطول السوري منها فرقاطتان و٣٣ سفينة دورية، بالإضافة إلى ٧ سفن متخصصة بالألغام.	٨ .١ مليار دولار
لبنان	١١٨	٧٥ ألف جندي	٦٣ طائرة متنوعة بينها٩ طائرات هجومية و ٣ طائرات نقل، ٤٩ مروحية عسكرية و٩ طائرات تدريب	٢٧٦ دبابة، وقرابة ٢٣٣٠ مدرعة، إضافة إلى ١٢ مدفع ذاتي الحركة، و٣٧٥ مدفع ميداني، و٣٠ راجمة صواريخ.	٥٧ قطعة بحرية منها ١٣ سفينة دورية	٣ .٢ مليار دولار.

العراق	٥٧	٣١٠ آلاف جندي	٣٥٠ طائرة مقاتلة ومروحية وطائرة تدريب. من ضمنها ١٥ طائرة أميركية من طراز إف-١٦، و١٨ طائرة مهام خاصة، ٢٦ طائرة مقاتلة، ١٨٦ طائرة مروحية بضمنها ٤٠ مروحية هجومية، ١٦ طائرة نقل متنوعة	٣٠٩ دبابة، ٤٧٣٩ مدرعة، ٤٤ مدفع ذاتي الحركة،	٦٠ قطعة بحرية من ضمنها ٢٥ زورق دورية	١٩ مليار دولار
مصر	١٢	٩٢٠ألف جندي	١٠٥٤طائرة منها ٢١٥ طائرة مقاتلة ٢٩٤ مروحية	٤٢٩٥ دبابة قتالية و١١٧٠٠ مدرعة و١١٣٩ مدفع ذاتي الحركة و ٢١٨٩ مدفع ميدان	٣١٦ قطعة بحرية بضمنها حاملتي طائرات سمتية و٨ غواصات و٧فرقاطات و٧ طرادات و٣١ سفينة مضادة للألغام	١١ مليار دولار
الأردن	٧٤	١٨٠ ألف جندي	٢٦١ طائرة حربية	١٤٠١ دبابة و٣ آلاف و٦٤٥ مدرعة و٤٦١ مدفع ذاتي الحركة و٨٤ مدفع ميداني و٨٨ راجمة صواريخ	٣٧ قطعة بحرية	٩٥ .١ مليار دولار
اسرائيل	١٧	٦١٥ ألف جندي	٥٦٥ طائرة حربية متنوعة، بينها ٢٥٣ مقاتلة، و٢٥٣ طائرة هجومية، و١٨ طائرة شحن عسكري، إضافة إلى ١٥٣ طائرة تدريب، و١٤٦ مروحية عسكرية منها ٤٨ مروحية هجومية.	٢٧٥٠ دبابة و٦٥٤٠ مدرعة و٦٥٠ مدفع ذاتي الحركة وأكثر من ٣٠٠ مدفع ميداني، إضافة إلى ١٥٠ راجمة صواريخ.	٦٥ قطعة بحرية منها ٤ طرادات، و٦ غواصات، إضافة إلى ٣٤ سفينة دورية.	٦ ,١٧ مليار دولار
قبرص		١٠ آلاف جندي	١٧ طائرة مروحية وطائرة نقل خفيفة واحدة وطائرة تدريب واحدة	١٤٧ دبابة، ٢٩٤ مدرعة، ٢٤ مدفع ذاتي الحركة، ١٠٤ مدفع ميدان، ٢٢ راجمة صواريخ	٦ زوارق دورية ساحلية	٤٩٨ مليون دولار

| الجدول من تصميم الباحث استنادا» الى موقع Global Firepower

١- لحضـور العسـكري الأمريكـي: يواجـه الحضـور العسـكري للولايـات المتحـدة الأمريكيـة شـرق البحـر المتوسـط تحديـات صعـود التنافـس علـى الهيمنـة علـى هـذا الحـوض مـن قـوى قطبيـة كونيـة صاعـدة مثـل: روسـيا والصيـن، بالإضافـة الـى تصاعـد دور بعـض القـوى الإقليميـة مثـل ايـران وتركيـا لنفسـها لمـلأ الفـراغ الأمنـي الـذي نجـم عن خـروج العـراق أولا» وسـوريا بدرجـة أقـل مـن معادلـة التـوازن العسـكري الاسـتراتيجي، لذلـك لـم تكتفـي واشـنطن بالضبـط الفوقـي أو عـن بعـد لشـرق البحـر المتوسـط، وإنمـا بالحضـور العسـكري الفاعـل وإعـادة تموضـع قواتهـا فـي القواعـد العسـكرية فـي منطقـة البحـر المتوسـط بأسـلحة لمواجهـة النفـوذ الروسـي والتركـي المتصاعـد فـي شـرق البحـر المتوسـط ((٧)) ، بغيـة ضمـان حصتهـا مـن ثـروات منطقـة شـرق البحـر المتوسـط، والتـي تُقـدر بمـا يقـرب مـن ٦٠٠٠ مليـار متـر مكعـب مـن الغـاز تمثـل مـا يقـرب مـن ٣٥٪ مـن احتياطـي الغـاز فـي العالـم. ومـا يقـرب مـن ١٠٪ مـن الإنتـاج العالمـي النفطـي ((٨)) ، فضـلا» عـن حمايـة الجنـاح الجنوبـي لحلـف الناتـو ((٩)) . ولذلـك تنشـر القـوات الامريكيـة مـا يقـارب (٢٥٠٠) جنـدي فـي العـراق، فـي قواعـد عسـكرية أهمهـا (قاعـدة عيـن الأسـد، قاعـدة حريـر، قاعـدة فكتوريـا) ، وكذلـك تنتشـر القـوات الامريكيـة، شـمال شـرق سـوريا فـي (١٠-١٢) موقـع عسـكري تتمركـز فيهـا قـوات قتاليـة تقـدر بـ (٢٠٠٠) جنـدي امريكـي ومئـات الجنـود مـن بريطانيـا وفرنسـا وهولنـدا وايطاليـا والمانيـا والتشـيك ومـن بعـض دول البلقـان. كمـا قامـت واشـنطن فـي تمـوز ٢٠٢١، بإغـلاق ثـلاث قواعـد عسـكريّة فـي مِنطقـة السـيلية القطريّـة كانـت تُسـتَخدم كمُسـتودعات للذّخيـرة والمعـدّات الثّقيلـة ودبّابـات وعربـات جُنـود مُدرّعـة، ونقلهـا جميعًـا إلـى الأردن ((١٠)) . حيـث تحتفـظ الولايـات المتحـدة الامريكيـة بـ (٦٠٠٠) جنـدي موزعيـن علـى (١٤) قاعـدة وموقـع عسـكري مـن أهمها (قاعـدة الأزرق، قاعـدة الملـك عبـدالله الثاني الجويـة، القاعـدة البحرية فـي الجميمـة وغيرهـا مـن القواعـد) ، وليـس بعيـدا» عـن الأردن توجـد قاعـدة الدفـاع الصاروخـي الأمريكيـة المشـتركة جنـوب «إسـرائيل» ((١١)) ، وهـي عبـارة عـن معسـكر يضـم وحـدات دفـاع جـوي أمريكيـة لاعتـراض الصواريـخ، مجهـزة بأحـدث الوسـائل التقنيـة والتكنولوجيـة المتقدمـة فـي مجـال الاتصـالات والـردع الصاروخـي. هـذا التموضـع العسـكري الواسـع للقـوات الامريكيـة وأن كان الهـدف منـه كمـا يبـدو الحفاظ على تـوازن القـوى العسـكري بمقابـل التحشـد الايرانـي فـي جنـوب شـرق سـوريا ((١٢)) الا أن الحقيقـة هـو ضمـان الهيمنـة والسـيطرة الامريكيـة علـى مسـارات انابيـب نقـل الطاقـة (النفـط والغـاز) فـي منطقـة شـرق البحـر المتوسـط ذات الأهميـة الجيوسياسـية. وتنتشـر اهـم القواعـد العسـكرية الأمريكيـة فـي سـوريا فـي التنـف علـى الحـدود العراقيـة السـورية جنـوب البوكمـال وقاعـدة الرميـلان وعيـن عيسـى وخـراب عشـق والطبقـة ودير الـزور والشـدّادي والقامشـلي. كمـا تسـيطر القـوات الامريكيـة علـى حقـول نفـط عمـر وغـاز كونيكـو فـي ديـر الـزور وحقـول نفـط الحسـكة والتـي تقـدر بـ ٨٠٪ مـن مصـادر الطاقة السـورية لتكـون لاعب اساسـي فـي اي عمليـة سياسـية لتسـوية القضيـة السـورية، امـا اهـم الأهـداف الإسـتراتيجية الأمريكيـة فـي شـرق البحـر المتوسـط، فهـي السـيطرة علـى مسـارات خطـوط نقـل الطاقـة (النفـط والغـاز) ، وبالتالي يتركـز الصـراع والتنافـس حـول تقصيـر المسـافة ومـد الأنابيـب ((١٣)) . ومـن الجديـر بالذكـر أن أميـركا فـي إطـار اسـتراتيجيّتها إلـى السـيطرة علـى بحـر شـرق المتوسـط، سـعت الـى تعزيـز وجودهـا العسـكري فـي اليونـان وقامـت بنشـر حوالـي ١٥٠ مروحيـة و١٨٠٠ آليّـة عسـكرية فـي قاعدتهـا البحريـة التـي أنشـأتها فـي منطقـة ألكسـندروبوليس (دادا اغـاش) اليونانيـة، والتي تبعـد عشـرات الكيلومتـرات فقـط عـن الحـدود التركيـة فـي تراقيـا، وذلـك تحـت غطـاء منـاورات «المدافـع عـن أوروبـا ٢٠٢١»، لكنّهـا تركـت جـزءاً كبيـراً مـن هـذه الطائـرات والآليّـات هنـاك. كمـا عـززت واشـنطن قواتهـا

العسكرية في جزيرة كريت، من أجل تعزيز نفوذها في شرق البحر المتوسط أيضاً. ومن الجدير بالذكر أن العمليات العسكرية والاستخبارية التي تقوم بها القوات الأمريكية في شرق البحر المتوسط في الوقت الحالي، هي عمليات محدودة تجري تحت غطاء ودعم القوات الجوية الأمريكية المنتشرة في الخليج والبحر الابيض المتوسط وقاعدة إنجرليك في تركيا، لإسناد قواتها العاملة في العراق وسوريا وحلفائها المحليين (قوات سوريا الديمقراطية ذات الأغلبية الكردية) ، لمحاربة تنظيم داعش الإرهابي في اطار التحالف الدولي للحرب على الإرهاب كما هو معلن.

٢- الحضور العسكري الروسي: يتمركز الحضور العسكري الروسي بشكلٍ ملحوظٍ في سوريا التي هي الموقع الأهمّ في شرق البحر المتوسط. فقد تصاعد الحضور العسكري الروسي شرق البحر المتوسط منذ سبتمبر عام ٢٠١٥ في سوريا تحت عنوان مقاتلة تنظيم داعش الارهابي وبطلب من الحكومة السورية، والذي غّير موازين الصراع في سوريا، لصالح الحكومة السورية التي كانت قد فقدت (٧٣٪) ، من جغرافية سوريا بيد ان معظم العمليات العسكرية الروسية كانت موجهة ضد الفصائل المسلحة المعارضة للنظام. وتتموضع القوات الروسية في (٦) قواعد جوية وبحرية هي، قاعدة حميم الجوية (مطار باسل الأسد) في اللاذقية و في القاعدة البحرية في طرطوس و في قاعدة الشعيرات في ريف حمص الجنوبي ومطار حماه العسكري ومطار حلب العسكري و قاعدة T٤ الجوية في ريف حمص الشرقي و ويقدر عدد افراد القوات الروسية في سوريا بـ (٤) آلاف جندي بحسب تقارير امريكية و تنشر روسيا ما يقارب ٢١ طائرة هجوم ارض و ١٢ مقاتلة اعتراضية اضافة الى طائرات اخرى ومنظومات S ٣٠٠ S ٤٠٠ الصاروخية كما يرتبط بالقوات الروسية شركة امنية تدعى (فاغنر) ((١٤)) ، تعمل مع المجموعات المسلحة المدعومة من الحكومة السورية و إيران. ومن أهم الأهداف الإستراتيجية للحضور العسكري الروسي شرق البحر المتوسط هي حماية مصالحها في شرق البحر المتوسط، لهذا السبب ليست الشام هي التي تأتي في سلّم أولوياتها الإستراتيجية، بل موانئ اللاذقية وطرطوس! بالإضافة الى ملأ فراغات النفوذ الأمريكي المتناقص في المنطقة. وقد أثر الحضور العسكري الروسي واسع النطاق في التوازن العسكري في منطقة شرق البحر المتوسط بشكل لافت، وهوما ساعدها على زيادة نفوذها في المنطقة وتطوير علاقاتها مع دول مثل تركيا وإيران الذي برز بشكل واضح في محادثات أستانا التي تمّت في المثلث الروسي التركي الإيراني ((١٥)) ، فضلًا عن أنّ تركيا وإيران تُعنَيان كثيرًا بموارد الطاقة في شرق البحر المتوسط، ومرافق الطاقة التي تنوي روسيا بناءها في هذه المنطقة. ومن ثَمّ فإن التعاون الروسي الإيراني التركي من أجل النفوذ في هذه المنطقة الجغرافية يحمل دلالات مهمّة على إمكانية بناء ممرّات لنقل الطاقة (النفط والغاز) . كل ذلك، أثّر كثيرًا في توازن القوى العسكرية في منطقة شرق البحر المتوسط ((١٦)) ، التي اصبحت الهدف الرئيس للسياسات الروسية في الوصول إلى البحار الدافئة ولتزيد من نفوذها في الشرق الأوسط، وتأمين حضور عسكري دائم غرب الممرات البحرية الإستراتيجية في مضيق البسفور و قناة السويس وتكون روسيا بذلك قد حققت هدفا استراتيجيا ظل حاضرا في الذهنية الاستراتيجية الروسية منذ الاتحاد السوفيتي بالوصول الى المياه الدافئة.

٣- الحضور العسكري الإيراني: يتركز الحضور العسكري الإيراني، شرق البحر المتوسط في سوريا، وكان قد بدأ بالتصاعد بين عامي ٢٠١٣ و٢٠١٨، عندما تدخلت لدعم الحكومة السورية بدعوى

حماية الأماكن والعتبات الشيعية المقدسة، حيث أرسلت إيران آلاف المقاتلين من مختلف التنظيمات العسكرية للقتال في سوريا تحت قيادة إيرانية خصوصا» في منتصف عام ٢٠١٤ بعد اجتياح تنظيم داعش الإرهابي لمساحات شاسعة في سوريا والعراق، وبات قريبا» من الحدود العراقية الايرانية. وتدار العمليات العسكرية للحضور العسكري الإيراني، شرق البحر المتوسط من قبل فيلق القدس، الذي يقود مقر عمليات يتألف من حوالي ٢٠٠٠ مستشار إيراني موزعين على وحدتين منفصلتين: الأولى تتكون من قوات إيرانية حصرية، تعتمد على القوات البرية للحرس الثوري الإيراني. والثانية هي مجموعة أصغر من وحدات الجيش الإيراني النظامي، أرتيش، والتي بدأت في الوصول إلى سوريا في أوائل عام ٢٠١٦ ((١٧)) . وتتألف القوات المدعومة إيرانيا» في سوريا من حوالي ٧٠٠٠ مقاتل من حزب الله، و٩٠٠٠ مقاتل من فرقة فاطميون واغلب عناصرها من الشيعة الافغان (الهزارة) وفرقة زينبيون وعناصرها من شيعة باكستان القاطنين في شرق ايران وكان لهاتين الفرقتين دورا كبيرا في استعادة حلب الشرقية عام ٢٠١٦ ويتوزعون في مناطق القلمون الغربي والغوطة الشرقية وجنوب دمشق وفي حلب والبوكمال وتدّمر ومناطق حماه. اضافة الى (١٢) فصيل عراقي مسلح، تتوزع في ريف حمص ومنطقة السيدة زينب وفي العاصمة دمشق والسيدة زينب وفي ريف دمشق وحلب وفي الغوطة الشرقية وفي البوكمال وما بين دمشق والبوكمال والتنف. وهناك معلومات عن ارسال قسم منها الى الحدود مع الجولان ((١٨)) بالإضافة الى لواء الباقر واغلب عناصره من السوريين ويتواجد في مناطق دير الزور والمناطق القريبة من البوكمال. وتتمحور الاستراتيجية الإيرانية في منطقة شرق البحر المتوسط حول توظيف الموقع الجيوبوليتيكي المميز للعراق وسوريا لخدمة مشروعها الإقليمي بالوصول إلى سواحل شرق البحر المتوسط، الا أن استراتيجية ايران سرعان ما تقاطعت مع روسيا ضمن الجغرافية السورية بعد الحضور العسكري الروسي في سوريا منذ عام ٢٠١٥. وتمظهر هذا التقاطع في المصالح بين ايران وروسيا مطلع عام ٢٠٢٠، عندما شهد انتشار القوات الروسية وعناصر الفيلق الخامس المدعوم من روسيا في عدة مدن بريف دير الزور الشرقي، وهو ما شكل تهديدًا مباشرًا لأبرز معاقل إيران في شرق سوريا ((١٩)) . كما رفضت إسرائيل الحضور العسكري الإيراني في سوريا واتخذت المواجهة بينهما منذ بدايات عام ٢٠١٨ مساراً تصعيدياً خطيراً، إثر قيام إسرائيل برفع وتيرة هجماتها على القواعد والقوات الإيرانية وعمليات نقل الأسلحة لحزب الله اللبناني في مناطق مختلفة من سوريا. كما تعرضت مواقع إيرانية شرق دير الزور الى ضربات جوية أميركية في ٢٥ فبراير ٢٠٢١، كل ذلك جعل إيران تدرك أنه يجب عليها تغيير سياستها تجاه الانتشار الروسي، حيث تحول الوجود الروسي من مصلحة مشتركة إلى تهديد مباشر ولم يحمِ الميليشيات الموالية لها من الغارات الجوية الامريكية والاسرائيلية ((٢٠)) . وهذا ما يدفع للاعتقاد بأنّ هذه العلاقات ستكون مُعرَّضة للتدهور في المستقبل. وفي الوقت نفسه، يبدو أن موسكو مستمرة في حوارها مع تل أبيب ((٢١)) ، من أجل البحث في إمكانية ترتيب اتفاق بين إسرائيل والرئيس الأسد من أجل تخفيف الضغط عليه وتعويمه من خلال وساطة تقوم بها تل أبيب مع إدارة بايدن. وسيؤدي تطور كهذا بالتأكيد إلى الإضرار بعلاقات إيران مع النظام السوري، وسيدفع إلى التساؤل حول مستقبل الوجود الإيراني في سوريا ((٢٢)) ، الامر الذي سينعكس على التوازن العسكري في منطقة شرق البحر المتوسط.

٤- الحضور العسكري التركي: أتاح الموقع الجيوسياسي لتركيا بالنسبة لمنطقة شرق البحر المتوسط، الانخراط بشكل مباشر في النزاعات الإقليمية بهدف اكتساب الأهمية والتأثير، عبر انتهاج سياسة خارجية استباقية تقوم على أساس استخدام القوة العسكرية الوقائية خارج حدود تركيا، والتمدد بدعوى ملء الفراغ الاستراتيجي في المنطقة، والذي خلّفه تراجع الدور الامريكي فيها، الذي تمظهر بأول تدخل عسكري مباشر في عملية درع الفرات والتي جرت بين ٢٤ أغسطس/آب ٢٠١٦ و٣١ مارس/آذار ٢٠١٧، مستهدفة المنطقة بين عفرين ومنبج. ثم قامت القوات التركية بعملية «غصن الزيتون» بين ٢٠ يناير/كانون الثاني ٢٠١٧ و٢٤ مارس/آذار ٢٠١٨، ثم عملية «نبع السلام» في ٩ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠١٩ التي استهدفت إقامة منطقة آمنة بطول ٤٨٠ كلم على عمق ثلاثين كيلومترا من الشريط الحدودي شرق نهر الفرات وحتى الحدود العراقية، بالتزامن مع انسحاب لافت للقوات الأميركية (الداعمة لقوات سوريا الديمقراطية) ، من ١٦ قاعدة ونقطة عسكرية ابتداءً من منبج مرورا» بعين العرب والرقة وصولا إلى الحسكة، في عمق المنطقة المستهدفة تركيًا ((٢٣)) . ومن الجدير بالذكر أن الحضور العسكري التركي في سوريا يتوزع على عدد من القواعد العسكرية في مناطق الباب وجرابلس وإعزاز وعفرين، وهي مناطق خاضعة كليا للسيطرة التركية، وعدد من نقاط المراقبة العسكرية أو القواعد في رأس العين وتل أبيض. وكانت القوات التركية قد أقامت بدءا من عام ٢٠١٧ نحو ١٢ نقطة مراقبة عسكرية داخل محافظات إدلب وحماة وحلب بالاتفاق مع الجانب الروسي والإيراني بهدف تطبيق ما يعرف باتفاق خفض التصعيد بالمناطق التي كانت تفصل بين قوات الحكومة السورية والمعارضة، كما تقوم تركيا بدعم فصائل مسلحة معارضة للنظام في مناطق غصن الزيتون ودرع الفرات وفي منطقة ادلب، واهم هذه الفصائل فرقة الحمزة وفرقة السلطان مراد وحركة احرار الشام وجيش التحرير، ويقدر اعداد هؤلاء من ٢٥ – ٣٠ الف مقاتل ((٢٤)) . وتستهدف العمليات العسكرية التركية منع قيام اي كيان كردي في الشمال السوري، لأنها تعتبر المنطقة والبالغ طولها ٩١١ كم هي منطقة حرجة للأمن القومي التركي، وتظهر العديد من المؤشرات أن تركيا تعتزم مواصلة تمدُّدها في المنطقة، وأن هذا التمدُّد بات جزءاً من عقيدتها السياسية والاستراتيجية لترسيخ نفوذها الإقليمي ((٢٥)) . ومن الجدير بالذكر أيضا» الإشارة الى النشاط البحري التركي في شرق البحر المتوسط، الذي تصاعد بعد اكتشافات حقول الغاز الضخمة في شرق البحر المتوسط ((٢٦)) ، بين العامَين ٢٠٠٩ و٢٠١٨. وتستشرف كلٌّ من إسرائيل وقبرص ومصر وسائل جديدة لاستغلال هذه الحقول، متجاهلةً إلى حدٍّ كبير المطالب والحقوق المُعلَنة لكلٍّ من تركيا، وقبرص التركية، ولبنان. والتي استقطبت اهتمام فاعلين غير إقليميين وحوَّلت الحوض الشرقي للبحر المتوسط إلى ساحةٍ للمصالح المتنازعة والمواجهات المحتملة. فسارعت تركيا كونها إحدى القوى الإقليمية الطليعية التي تملك واحدةً من أقوى القوات البحرية في المنطقة، من حيث العدد والتكنولوجيا، وتُمثِّل وجوداً بحرياً قوياً ومستمرّاً في هذا البحر لحماية مصالحها القومية. وتُعتبر تركيا واحدةٌ من أربع دول في شرق البحر المتوسط تملك بحريات قوية، أمّا الدول الأخرى فهي مصر واليونان وإسرائيل. ومن الجليّ أنّه ما دام اهتمام الفاعلين الإقليميين وغير الإقليميين في شرقي البحر المتوسط منصبّاً على تعزيز حضورهم البحري العسكري، في مناطق تشمل المنطقة الاقتصادية الحصرية لتركيا وقبرص التركية، ستواصل تركيا اتّخاذ خطواتٍ جديدة لحماية حقوقها السيادية. أمّا القوات البحرية التركية ((٢٧)) ، بصفتها الذراع البحري للقوّات الدفاعية التركية

فستستمرّ في لعب دور حاسم في استجابات تركيا المستقبلية.

| تحالفات شرق البحر المتوسط

أن التنافس والصراع الإقليمي والدولي الذي تشهده اليوم منطقة شرق البحر المتوسط، للهيمنة على مناطق وحقول استخراج النفط والغاز وطرق ووسائل إمداداته وتصديره، يعتبر كسلاحٍ استراتيجي يدخل ضمن حسابات توازن القوى، الأمر الذي أثر بشكل كبير على الامن والاستقرار ليس فقط في منطقة شرق البحر المتوسط، بل وفي عموم منطقة الشرق الأوسط. فقد امتد الصراع و المنافسة في منطقة شرق البحر المتوسط الى المسطح المائي لحوض شرق البحر المتوسط بحثا عن الثروات تحت سطح البحر، واستخدمت فيها ما سمي بـ "دبلوماسية البوارج الحربية"، حيث تصاعد التوتر بين دول منطقة شرق البحر المتوسط، بسبب خلافات على تحديد الحدود البحرية ومناطق تنقيب عن النفط والغاز متنازع عليها في البحر، وإلى من تعود السيطرة عليها، ما أتاح المجال للقوى الكبرى مثل الولايات المتحدة الامريكية وروسيا والاتحاد الأوربي إلى التدخل في محاولة لضمان مصالحها وهيمنتها على منطقة سرق البحر المتوسط بدعوى التوسط بين دولها في خلافها حول الحدود البحرية.

و على الرغم من أن تطوير وحماية دول شرق المتوسط لمصالحها النفطية والغازية قد زاد من آمال شعوب هذه البلدان، فان التوترات الجيوسياسية وتاريخ الصراع المسلح بهذه المنطقة وتصاعد حدة التوترات والصراعات المسلحة في سوريا وغزة والعراق ولبنان، فان لجوء كل من تركيا واليونان ومصر وإسرائيل الى دبلوماسية البوارج الحربية، قد يُسهل من إمكانية حدوث مواجهة بحرية، وهو ما يجعل إدارة الصراع يمثل أولوية لكل من دول شرق البحر المتوسط والمجتمع الدولي، فضلا عن تصاعد وتنامي الأهمية الجيوستراتيجية، لمنطقة شرق البحر المتوسط استدعى ضرورة استحداث أطر تنظيمية إقليمية أكثر تخصصاً وتعبيراً عن خريطة المصالح الجديدة. .

أولا". منظمة غاز شرق البحر المتوسط

أسس "منتدى غاز شرق المتوسط" في يناير من عام ٢٠١٩ في أعقاب قمة مصرية قبرصية يونانية عقدت في أكتوبر من عام ٢٠١٨ في جزيرة كريت لتأسيس منظمة دولية تجمع الدول المنتجة للغاز من شرق البحر المتوسط وشركاءها الدوليين البارزين ((٢٨)) . «ويضم المنتدى كلًا من مصر (دولة المقر) والأردن وفلسطين وإسرائيل وقبرص واليونان وإيطاليا وفرنسا كأعضاء، بجانب كل من الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي والإمارات العربية المتحدة كمراقبين. وبجانب الإسهامات المهمة التي يقدمها المنتدى على مستوى تنسيق جهود تطوير البنية التحتية لاستخراج الغاز ونقله وتصديره، وعلى مستوى تنظيم الأبعاد الاقتصادية والسياسات السعرية لغاز شرق المتوسط، يساهم المنتدى أيضاً في صياغة سياسات إقليمية مشتركة بشأن الغاز، الأمر الذي يؤكده الدعم السياسي الكبير الذي تقدمه قيادات الدول الأعضاء للمنتدى منذ تأسيسه» ((٢٩)) . الا أن الخلافات السياسية وتقاطع المصالح أدى الى غياب ثلاث دول من منطقة شرق البحر المتوسط هي لبنان وسوريا وتركيا. وكان واضحا أن استبعاد سوريا كان بسبب الصراع المسلح الدائر فيها منذ عام ٢٠١١، في حين رفضت الحكومة اللبنانية الانضمام بدعوى وجود إسرائيل فيه رغم أن لبنان وإسرائيل يشتركان في عضوية منظمات حكومية إقليمية أخرى مثل الاتحاد من أجل المتوسط. الا أن المواقف السياسية والعلاقات المتوترة إزاء تركيا، من قبل مصر واليونان وقبرص، أدت الى استبعادها من منتدى غاز شرق المتوسط.

ان منتدى غاز شرق المتوسط، كان عملية اصطفاف استراتيجية في المنطقة لتحقيق توازن للقوى في وجه الاصطفاف التركي الإيراني الروسي، الامر الذي أكده توقيع الدول الست (مصر، «إسرائيل»، اليونان، قبرص اليونانية، والأردن، وإيطاليا) في سبتمبر٢٠٢٠، على ميثاق تحويل المنتدى إلى «منظمة غاز شرق المتوسط» في هذا الوقت بالذات ليحمل الكثير من الدلالات والرسائل التي تتخطى الأهداف الاقتصادية والتنموية التي أعلنت عنها الدول الست التي وقعت على ميثاق تأسيس هذه المنظمة ((٣٠)) ، خاصةً وأن هذه الدول استثنت من عضويتها العديد من دول المنطقة ذات الأهمية والتأثير كـ تركيا (صاحبة أطول ساحل في البحر المتوسط) وسورية وليبيا ولبنان، في حين ضمت إلى عضويتها دولاً من خارج المنطقة (شرق المتوسط) كالأردن وإيطاليا، إلى جانب فرنسا والولايات المتحدة، والإمارات العربية المتحدة التي دعت «إسرائيل» إلى ضمها للمنظمة أيضاً. لقد جاء ميثاق تحويل المنتدى إلى «منظمة غاز شرق المتوسط» في سياق صراع إقليمي كبير حول ترسيم الحدود البحرية وتحديد المناطق الاقتصادية الخالصة للدول، نتج عنه تصعيداً كبيراً بين تركيا من جهة، واليونان وقبرص اليونانية ومن ورائهما الاتحاد الأوروبي من جهة أخرى، وصل إلى حافة المواجهة العسكرية بين تركيا واليونان.

ثانيا". مشروع "الشام الجديد

وهو تحالف أمني اقتصادي بين الأردن والعراق ومصر، سبق وأن طرح (مشروع الشام الجديد) ، في دراسة أعدّها البنك الدولي في آذار/ مارس ٢٠١٤، واشتملت على دول بلاد الشام، سوريا ولبنان والأردن والأراضي الفلسطينيّة، بالإضافة إلى تركيا والعراق ومصر. الا أن تفعيله وطرحه على أرض الواقع، كان بعد سلسلة من الاجتماعات بين قادة البلدان الثلاثة، ابتدأت أولا" في العاصمة المصريّة القاهرة في آذار/ مارس ٢٠١٩، تلتها قمة ثانية في نيويورك في أيلول/ سبتمبر ٢٠١٩. ثم قمة ثالثة في العاصمة الأردنية عمان أيلول/ سبتمبر ٢٠٢٠، والرابعة والأخيرة عقدت في شهر حزيران/ يونيو ٢٠٢١ في العاصمة العراقيّة بغداد، ويقوم مشروع الشام الجديد على أساس التفاهمات الاقتصاديّة والسياسيّة والأمنية، بين الأردن والعراق ومصر، البلدان الواقعة في منطقة شرق البحر المتوسط ذات الأهمية الجيوستراتيجية ((٣١)) . ان تصاعد حدة ووتيرة التدخلات والنفوذ لدول اقليمية في شؤون منطقة شرق البحر المتوسط، ومحاولة فرض اجنداتها على حساب مصالح دول منطقة شرق المتوسط دفع دولها لجدية البحث عن وسائل وأليات تطوير قدراتها الاقتصادية وذلك من خلال تكامل عناصر القوة والثروة في بلدان منطقة شرق البحر المتوسط، والتي ترتكز على أعمدة ثلاثة، هي الكتلة النفطية في العراق، والكتلة البشرية في مصر، والأردن كحلقة وصل بينهما. وهذا الامر قد يكون نواة لاتحاد شرق متوسطي مستقبلا شبيه بالاتحاد الأوروبي، حيث تلتقي الدول الثلاث بمصالح اقتصادية وسياسية، ويتيح المجال لضم دول أخرى ((٣٢)) ، مثل سوريا ولبنان وربما إسرائيل! في حين يعتقد بعض المراقبين، إن المشروع يهدف إلى إيجاد توازن موضوعي في شرق البحر المتوسط، يجابه المشروعين الإيراني والتركي، للهيمنة على منطقة شرق المتوسط ((٣٣)) . .

ثالثا". تحالفات ومحاور أخرى شرق المتوسط

شهد شرق البحر المتوسط منذ عام ٢٠١٥. على المستوى الاستراتيجي، محاولات من قبل القوى الكبرى (الولايات المتحدة الامريكية، روسيا والصين) ، لإعادة تشكيل التصميم الهيكلي والمؤسسي للجغرافيا السياسية لشرق البحر المتوسط، والتي هي مجزأة وصدامية على المستوى الإقليمي بسبب الصراع الحاد والمستمر على السلطة، مما

ينعكس بشكل مباشر على توازن القوى العسكرية ليس في منطقة شرق البحر المتوسط بل في عموم منطقة الشرق الاوسط ((٣٤)) . وقد تمظهرت تلك المحاولات بتبلور محاور للتحالف في المنطقة مع القوى الإقليمية في منطقة الشرق الأوسط، والتي تقع ضمنها منطقة شرق المتوسط ذات الأهمية الجيوسياسية، وكما يلي:

١. المحور الأول تبلور ضمن منافسة الطاقة في شرق البحر المتوسط وكان نتيجة مباشرة للتعاون الاستراتيجي بين إسرائيل واليونان وجنوب قبرص ومصر - تطور وسرعان ما تعسكر بعد ٢٠١٣.
٢. المحور الثاني خرج من الاضطرابات في ليبيا. وتبلور بعد عام ٢٠١٥ عندما قررت روسيا وفرنسا والإمارات العربية المتحدة وإسرائيل دعم خليفة حفتر.
٣. المحور الثالث، تبلور من خلال التفاوض على اتفاقيات إبراهيم مع إسرائيل والإمارات والبحرين والسودان والمغرب في عام ٢٠٢٠.
٤. المحور الرابع تبلور عام ٢٠١٤، من خلال تشكيل التحالف الدولي للحرب ضد تنظيم داعش بقيادة الولايات المتحدة الامريكية، حيث كان لاحتلال تنظيم داعش لمناطق شاسعة تضم مصادر كبيرة لنفط والغاز في كل من سوريا والعراق، مما شكل تهديدا" جادا" لخطوط انابيب نقل النفط والغاز الى اوربا والعالم ((٣٥)) ، ودفع الى تصاعد خطر التنظيمات السياسية المسلحة في منطقة شرق البحر المتوسط، لتشكل ظاهرة بارزة ومؤثرة في مسار تطور ما يسمى بالفوضى الخلاقة Creative chaos ((٣٦)) ، في منطقة الشرق الأوسط والتي أدت الى استخدام القوة استخداما» عبثيا»، عرض مجموعات سكانية الى ما يشبه الإبادة الجماعية أو هجرت قسرا»، الى جانب تدمير متواصل للممتلكات المدنية والبنى التحتية مثل انابيب نقل النفط والغاز، في إطار صراعها أو نزاعها مع مناوئيها أو خصومها، كل ذلك وعوامل أو تأثيرات خارجية أدت الى تمزيق الروابط الاجتماعية في الدول والكيانات السياسية في منطقة شرق البحر المتوسط التي ظهرت بها مثل تلك التنظيمات السياسية المسلحة ((٣٧)) .

اكتسب المحوران الأول والثاني تدريجياً موقفاً مناهضاً لتركيا بسبب دور تركيا في تغيير قواعد اللعبة سواء من حيث قضية الطاقة أو الحرب الليبية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يبدو إن الولايات المتحدة ارتبط دعمها للمحاور الثلاث مرتبط بتطلع واشنطن لاحتواء النفوذ الروسي والصيني في المنطقة، حيث تبدو هذه التحالفات أو بعبارة أدق المحاور، بالنسبة للولايات المتحدة أدوات مناسبة لأنها ظهرت بالفعل وتعسكرت وتستهدف دولًا إقليمية أخرى، مثل تركيا بدلاً من استفزاز روسيا و / أو الصين بشكل مباشر، الأمر الذي يخدم مصالح وأهداف واشنطن في الهيمنة على مصادر الطاقة النفطية والغازية في شرق المتوسط ومسارات ووسائل نقلها الى الأسواق العالمية. . أما المحور الرابع فقد عكس بشكل واضح حرص القوى الكبرى على حالة من التوازن القوى في منطقة شرق البحر المتوسط، للهيمنة على مناطق وحقول استخراج الغاز الطبيعي وطرق ووسائل إمداداته وتصديره، كسلاح ٍإستراتيجي يدخل ضمن حسابات القوة، كالنفط والمعادن والمياه وغيرها من المواد الخام.

مستقبل توازن القوى في منطقة شرق المتوسط

إن التوترات الناجمة عن اندلاع واستمرار الحرب الروسية الأوكرانية بين الولايات المتحدة وروسيا، أو الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي وروسيا، فضلا"

عـن التوتـرات الاقليميـة الراهنـة بيـن ايـران والولايـات المتحـدة، وبيـن إسـرائيل وايـران، وبيـن إسـرائيل والفلسـطينيين، كل تلـك التوتـرات لديهـا القـدرة علـى دفـع دول شـرق البحـر المتوسـط إلـى جانـب واحـد أو آخـر، مـن أطـراف الصـراع الدولـي الـذي باتـت ملامحـه تتبلـور فـي ضـوء مخرجـات وتداعيـات الحـرب الروسـية الأوكرانيـة. الأمـر الـذي يؤشـر اسـتمرار حالـة السـيولة الأمنيـة فـي منطقـة شـرق البحـر المتوسـط، ممـا يجعـل مـن الصعوبـة التنبـؤ بمسـتقبل تـوازن القـوى فـي المنطقـة، لاسـيما مـع اسـتمرار حالـة عـدم حسـم النزاعـات المسـلحة والتدخـل العسـكري للقوى الإقليميـة والدوليـة فـي منطقـة شـرق المتوسـط، فانـه لا يمكـن الرهـان علـى احتمـالات الاسـتقرار التـي تبـدو أقـل مـن احتمـالات تفجـر مزيـد مـن الصراعـات علـى الأقـل فـي المـدى القريـب زمنيًّـا وعليـه فانـه يمكـن توقـع اربعـة سـيناريوهات لمسـتقبل تـوازن القـوى فـي منطقـة شـرق المتوسـط:

أولا": استمرار الصراع الإقليمي

ويقـوم هـذا السـيناريو بالأسـاس علـى أمكانيـة تصاعد تطلعـات الأطـراف الإقليميـة لتعزيـز مصالحهـا فـي هـذه المنطقـة ذات الأهميـة الجيوسـتراتيجية، والعمل علـى الاسـتئثار بأكبـر قـدر مـن المزايـا ممـا قـد يدفـع بالأطـراف الإقليميـة الـى تعميـق حالـة النـزاع والصـراع (تركيـا واليونـان وقبـرص، إسـرائيل وايـران) ، التـي لا تـزال تشـهدها منطقـة شـرق المتوسـط. ويعتبـر هـذا السـيناريو هـو الأكثـر احتمـالا"، مـن حيـث فـرص تحققـه وفـق المعطيـات الراهنـة.

ثانيا": الذهاب الى توافق إقليمي

تمثـل احتمـال الذهـاب الـى توافـق إقليمـي، بظهـور التحالفـات والاصطفافـات (اتفاقيـة غـاز شـرق المتوسـط، مشـروع الشـام الجديـد.) ، بالإضافـة الـى مـا تشـهده منطقـة شـرق المتوسـط، مـن نـزوع نحـو التهدئـة مثـل الحـل السياسـي للقضيـة السـورية، التقـارب التركـي المصـري مؤتمـر بغـداد الاقتصـادي. ويحمـل هـذا السـيناريو فرصـاً متوسـطة للتحقـق فـي ظـل الأوضـاع القائمـة.

ثالثا": تطور الصراع الدولي شرق المتوسط

مـع عـدم وجـود افـق واضـح لنهايـة الحـرب فـي أوكرانيـا فانـه يمكـن لهـذا السـيناريو أن ينسـف فـرص الاسـتقرار فـي منطقـة شـرق البحـر المتوسـط فـي ظـل تقاطـع مصالـح الأطـراف الدوليـة التـي تمتلـك حضورا" عسـكريا" فعـالا"، فـي منطقـة شـرق المتوسـط، لكـن يظـل هـذا السـيناريو غيـر مرجـح علـى الاقـل فـي المرحلـة الحاليـة.

رابعا": الذهاب الى توافق دولي

ان تغيـر مناطـق الاهتمـام والتأثيـر بالنسـبة للولايـات المتحـدة وبريطانيـا وفرنسـا، باتجـاه المحيطيـن الهنـدي والهـادي وتصاعـد الأهميـة الجيوسـتراتيجية لمنطقـة شـرق المتوسـط، خصوصـا" فيمـا يتعلـق بعبـور انابيـب النفـط والغـاز الـى الأسـواق العالميـة غربـا" وشـرقا"، قـد تدفـع القـوى الكبـرى للتوصـل لصيغـة توافقيـة فـي منطقـة شـرق المتوسـط، وفـرض تسـويات جذريـة للصراعـات الإقليميـة، بجانـب قدرتهـا علـى تعزيـز مكاسـبها ولـو علـى حسـاب دول الإقليـم. وهـذا السـيناريو هـو الأقـل مـن حيـث فـرص تحققـه، بسـبب اسـتمرار الحـرب فـي أوكرانيـا" وتبايـن وجهـات النظـر بيـن دول الاتحـاد اوربـي والولايـات المتحـدة بشـأن العقوبـات علـى روسـيا خصوصـا" فـي مجـال الطاقـة (النفـط والغـاز) .

استنتاجات ختامية

لـم يعـد خافيـا" فـي ظـل تداعيـات الحـرب الروسـية الاوكرانيـة، أن نجـد سـباقًا محمومًـا بيـن دول الاتحـاد الأوربـي ودول منطقـة شـرق المتوسـط، لتحصيـن وارداتهـا ومكتسـباتها مـن مصـادر الطاقة الخـام (النفط

والغـاز) ، فـي سـياق البحـث عـن مواقـع جديـدة فـي حركـة الاقتصـاد العالمـي، الـذي لا يـزال هـو المتحكّـم بمسـار الكثيـر مـن مجريـات الأحـداث والوقائـع، التـي مـن ابرزهـا اليـوم الحـرب الروسـية الأوكرانيـة والصـراع بيـن واشـنطن وتـل ابيـب مـن جهـة وطهـران مـن جهة أخـرى فـي السـاحتين العراقيـة والسـورية. مـع اسـتمرار التدخّـل الروسـي العسـكري علـى خـط الأحـداث فـي سـوريا، يضـاف لهـا اتفاقيـة غـاز شـرق البحر المتوسـط، ومشـروع الشـام الجديـد، واتفاقيـات إبراهيـم علـى مسـار التطبيـع بيـن إسـرائيل وبعـض الـدول العربيـة ((٣٨)) . واسـتنادا» لمـا سـبق مناقشـته والقـاء الضـوء عليـه يمكننـا تلمـس أهميـة تـوازن القـوى والتـوازن العسـكري فـي منطقـة شـرق البحـر المتوسـط، وتأثيـر ذلـك التـوازن فـي خارطـة الصـراع للهيمنـة والتحكـم بحقـول النفـط والغـاز ومسـارات مشـاريع انابيـب نقلهـا، مـن خـلال الاسـتنتاجات التاليـة: -

١. ان آليـات الصـراع الدولـي الحالـي تكشـف أنّ النظـام العالمـي الجديـد يتشـكل وفـق صيـرورة تقـوم علـى منظومـات القـوة الاقتصاديـة والهيمنة العسـكرية التـي ترتكـز علـى حجـر أسـاس هـو الطاقـة بشـكلٍ عـام، والغـاز الطبيعـي بشـكلٍ خـاص ((٣٩)) ، الامـر الـذي يفسـر الكثيـر مـن معـادلات الصـراع والحـروب والانتشـار العسـكري والسياسـي لضمـان تدفـق الطاقـة النفطيـة والغازيـة مـن منابعهـا الـى الـدول الصناعيـة غربا» وشـرقا»، وعليـه فـإن الصـراع المسـلح المحتـدم فـي أوكرانيـا، قـد يمتـد ويتحـول إلـى حـرب أو حـروب إقليميـة للسـيطرة علـى مناطـق اسـتخراج النفـط والغـاز وكذلـك علـى اتجاهـات مسـارات انابيـب نقـل وتصديـر الغـاز الطبيعـي.

٢. ان آليـات التنافـس والصـراع بيـن القـوى الكبـرى ودول منطقـة شـرق المتوسـط، للسـيطرة والهيمنة علـى الحقـول النفطيـة والغازيـة ومسـارات انابيـب تصديرهـا الـى الـدول الصناعيـة غربـا" وشـرقا"، سـتنعكس اثـاره مسـتقبلا" علـى مجمـل الأوضـاع الأمنيـة فـي منطقـة الشـرق الأوسـط وحتى شـمال افريقيـا.

٣. تسـعى الولايـات المتحـدة الامريكيـة والـدول الاوربيـة للسـيطرة والهيمنـة علـى مصـادر انتـاج الغـاز الطبيعـي ومسـارات انابيـب تصديـره فـي منطقـة شـرق المتوسـط، لغـرض الحـد مـن النفـوذ الروسـي والصينـي، ومـن ثـم فإنهـا تعتبـر مناطـق النفـط والغـاز مـن المناطـق المصيريـة بالنسـبة للأمـن القومـي الأمريكـي.

٤. ان الأهميـة الجيوسـتراتيجية لمنطقـة شـرق المتوسـط، تأتـي مـن توافرهـا علـى حوالـي ٤٧٪ مـن احتياطـي النفـط و٤١٪ مـن احتياطـي الغـاز فـي العالـم. وزاد مـن أهميتهـا انفتـاح البحـر المتوسـط علـى تقاطـع آسـيا وأوروبـا وإفريقيـا، واتصالـه بطـرق التجـارة العالميـة عبـر مضائـق السـويس والبوسـفور وجبـل طـارق ((٤٠)) ، كل ذلـك جعـل الآمـال الجيوسياسـية والجيواقتصاديـة والجيوأمنيـة التـي تحملهـا حقـول وانابيـب نقـل وتصديـر الغـاز فـي منطقـة شـرق المتوسـط بالنسـبة إلـى دولهـا وشـعوبها، باعتبارهـا سـتغير المعطيـات السياسـية والاقتصاديـة لـدول المنطقـة، خصوصـا» مـع اسـتمرار الحـرب الروسـية الاوكرانيـة.

٥. ان أي تقـارب أو توافـق بيـن دول منطقـة شـرق المتوسـط، فـي إطـار التعـاون فـي المجـال الاقتصـادي والاسـتثماري خصوصـا" لمصـادر انتـاج وتصديـر الطاقـة (النفـط والغـاز) سـيصب بالتأكيـد لصالـح شـعوب المنطقـة، بوجـه محـاولات الهيمنـة والسـيطرة الخارجيـة علـى الثـروات النفطيـةوالغازيـةلـدولمنطقـةشـرقالمتوسـط.

٦. إن منطقـة شـرق المتوسـط كانـت ومـا تـزال وسـتبقى، نقطـة صـراع وتنافـس القـوى الإقليميـة والدوليـة وذلـك مـا نـراه واضحـا فـي التنافـس التركـي- الأيرانـي، والروسـي – الأمريكـي، علـى منطقـة شـرق المتوسـط، بسـبب موقعهـا

الجيوستراتيجي المهم بالنسبة لمشاريع نقل الغاز الطبيعي الى الدول الصناعية الكبرى.

الهوامش والمراجع

* مدير مركز الاعتماد للدراسات الأمنية والاستراتيجية

1 . Kegley, Charles W. ; Wittkopf, Eugene R. World Politics: Trends and Transformation. published by Wadsworth Publishing Co Inc Paperback – March 30, 2005, p 503.

2 . Furness, Mark / Isabel Schäfer, THE 2015 EUROPEAN EIGHBOURHOOD POLICY REVIEW: MORE REALISM, LESS AMBITION, German Development Institute /Deutsches Institut für Entwicklungspolitik (DIE) , Posted on the link, https: //bit. ly/3uSaOo7.

٣ . جهاد يايجي، تركيا ومشكلة تقاسم مجال الصلاحيات البحرية في شرق البحر الأبيض المتوسط، مجلة Bilge Strategy، ٢٠١٢: العدد٦، ص٤. .

٤ . خضر عباس عطوان، مستقبل دور العراق السياسي الإقليمي، مجلة دراسات دولية، العدد الثالث والثلاثون، ص١٤٩، ١٥٠.

٥ . داعش يفجر أنبوب نفط في كركوك، على الرابط الالكتروني، https://bit.ly/٣uWnkkz

٦ . محمد رمضان أبو شعيشع، ملفات معقدة: مستقبل الصراع الإقليمي في الشرق الأوسط، المركز العربي للبحوث والدراسات، مارس٢٠١٨. على الرابط الالكتروني، http: //www. acrseg. org/٤٠٦٨٤

٧ . سمير مرقص، استراتيجية أمريكا فى شرق المتوسط، موقع المصري اليوم، على الرابط الالكتروني، https: //bit. ly/٣AsdoCe

٨ . علي حسين باكير، كنز في ماء المتوسط. . من يربح حرب الغاز القادمة؟ على الرابط الالكتروني، https: //bit. ly/٣vVAGPq

9 . Martin Indyk, Strategy and Defense in the Eastern Mediterranean: An American-Israeli Dialogue, Robert Satloff (Ed.) , The Washington Institute, 1986, P. 1. https: //bit. ly/3iKqzZs. .

١٠ . علي حسين باكير، كنز في ماء المتوسط، المصدر السابق.

١١ . عماد عنان، أول قاعدة عسكرية أمريكية في «إسرائيل». . هل تغير واشنطن استراتيجيتها في المنطقة؟، على الرابط الالكتروني، https: //bit. ly/٣DEBaNB

١٢ . الأردن تتحول إلى قاعدة عسكرية أميركية، على الرابط الإلكتروني، https: //alkhanadeq. com/post. php? id=٩٦٧

١٣ . نقل القواعد الأمريكية من قطر إلى الأردن. . . ما أبعاد هذه الخطوة؟، على الرابط الإلكتروني، https: //bit. ly/٢YB٤fdJ

١٤ . شركة فاغنر، شركة عسكرية خاصة (أو وكالة خاصة للتعاقد العسكري) ، التي قيل إن مقاوليها شاركوا في صراعات مختلفة، تستخدمها الحكومة الروسية في النزاعات التي تتطلب الإنكار، بما في ذلك العمليات في الحرب الأهلية السورية على جانب الحكومة السورية، ويعتقد أنها مملوكة لرجل الأعمال يفغيني بريغوجين. .

١٥ . غيتاي أوزدمير، إستراتيجية روسيا في شرق البحر الأبيض المتوسط، على الرابط الالكتروني، https: //bit. ly/٣iN٣٣uN

١٦ . غيتاي أوزدمير، المصدر نفسه.

١٧ . الطريق إلى المتوسط. . دير الزور في استراتيجية التمدد الإيراني في المنطقة، على الرابط الالكتروني، https: //arbne. ws/٣٠٥eLKB

١٨ . ماذا تعرف عن فيلق تحرير الجولان في سوريا؟، صحيفة بردى السورية، http: //www. barada. org/new/s١٢٨١٤

١٩ . الطريق إلى المتوسط. . دير الزور في استراتيجية التمدد الإيراني في المنطقة، المصدر السابق.

٢٠ . المصدر نفسه.

٢١ . نزار عبد القادر، مستقبل الوجود الإيراني في سوريا، مركز الامارات للسياسات، على.

٢٢ . المصدر نفسه.

٢٣ . عقبة الأحمد، لعبة القواعد العسكرية بشمال سوريا. .

صراع النفوذ وتشابك القوى والمصالح على الرابط الالكتروني، https: //bit. ly/٣Bu٧MZF

٢٤ . التمدُّد التركي في المنطقة: المُحرِّكات والقيود والآفاق، مركز الامارات للسياسات، على الرابط الالكتروني، https: // bit. ly/٣uVa٠١w

٢٥ . المصدر نفسه.

٢٦ . غاز شرق المتوسط. . القصة الكاملة، على الرابط الالكتروني، https: //arbne. ws/٣fVksAj

٢٧ . البحرية التركية تنشط في شرق المتوسط، على الرابط الالكتروني، https: //bit. ly/٣apYzWa.

٢٨ . إعلان القاهرة المؤسس لمنتدى غاز شرق المتوسط، القاهرة، ١٤ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٩-. pio. gov. cy/en/press www

.id? HTML. Article-r=٥٥٩٠#flat

٢٩ . منى سكرية، منتدى غاز شرق المتوسط: التعاون الإقليمي وسط تضارب المصالح، معهد حوكمة الموارد الطبيعية، على الرابط الالكتروني، https: //bit. ly/٣lpn٣٨u

٣٠ . بشار نرش، منظمة غاز شرق المتوسط. . الدلالات والرسائل، على الرابط الالكتروني، https: //bit. ly/٣oNaN٣D

٣١ . «الشام الجديد» على طاولة مباحثات القمة الثلاثية في بغداد، على الرابط الالكتروني، https: //bit. ly/٣DvdScW

٣٢ . اللواء الركن الدكتور عماد علو، مشروع الشام الجديد الدوافع والأبعاد، المركز الأوربي لدراسات مكافحة الإرهاب والاستخبارات، على الرابط الالكتروني، https: //www. europarabct. com/? p=٧١٧٦٥

٣٣ . الشام الجديد: مشروع ' غامض' بأهداف كبيرة. . أين سوريا؟ على الرابط الالكتروني، https: //bit. ly/٣v٠٢٣Io

34 . A New Alliance Axis in the Eastern Mediterranean Cold War: What the Abraham Accords Mean for Mediterranean Geopolitics and Turkey, On the electronic link. https: //bit. ly/3DzsoAq.

٣٥ . داعش يفجر أنبوب نفط في كركوك، على الرابط الالكتروني، https: //bit. ly/٣uWnkkz

٣٦ . محمد رمضان أبو شعيشع، ملفات معقدة: مستقبل الصراع الإقليمي في الشرق الأوسط، المركز العربي للبحوث والدراسات، مارس٢٠١٨. على الرابط الالكتروني، http: //www. acrseg. org/٤٠٦٨٤

٣٧ . اللواء الركن الدكتور عماد علو، مشروع الشام الجديد الدوافع والأبعاد، المصدر السابق.

٣٨ . نبيل سرور، الصراع على النفط والغاز وأهمية منطقة الشرق الأوسط الإستراتيجية، مجلة الدفاع الوطني اللبناني، العدد ٩٦ - نيسان ٢٠١٦.

٣٩ . صادق ملحم، هبوط اسعار النفط، أسباب ونتائج، جريدة السفير، العدد الصادر بتاريخ ٢٠١٥/١٢/٣٠، او عبر موقع ارشيف جريدة السفير الإلكتروني، archive@assafir. com

٤٠ . كنز في ماء المتوسط. من يربح حرب الغاز القادمة؟ على الرابط الالكتروني، https: //bit. ly/٣vVAGPq

دول وقلوب

ولي نصر

ترجمة: د. نصر محمد علي

حرب الكل ضد الكل

عودة الطائفية في الشرق الأوسط في حقبة مابعد الولايات المتحدة

| ملخص تنفيذي

تأتي رغبة واشنطن في بذل جهود أقل في الشرق الأوسط في وقت تجنح فيه الصين وروسيا صوب المنطقة، وتتشبث حكومة ايران المتشددة بموقفها، فيما تبقى الدول العربية أقل ثقة من أي وقت مضى بشأن الضمانات الأمنية الأمريكية. وما لم تمهد الولايات المتحدة الطريق لنظام اقليمي أكثر استقراراً- بدءاً من ابرام صفقة بشأن برنامج ايران النووي- قد تجد نفسها منجرفة مرة أخرى الى صراعات الشرق الأوسط العديدة على الرغم من بذل قصارى جهدها للانسحاب منها. وإذ لايمكن للولايات المتحدة التخفيف من وطأة جميع المخاطر التي تلوح في الأفق في الشرق الأوسط. لكن يتعين عليها ان تتفادى تأزم الوضع. وقد يكون تقليص دور الولايات المتحدة في المنطقة أمر لامناص منه، لكن الطريقة التي تغادر بها ستكون مهمة.

ان شعار بايدن للشرق الأوسط بسيط هذا الشعار مفاده: «انهاء الحروب الأبدية». إذ ينشغل البيت الابيض بالتصدي للتحدي الذي تشكله الصين ويرنو صوب النأي بالولايات المتحدة عن نزاعات الشرق الأوسط التي تبدو لانهاية لها ولايمكن الانتصار فيها. بيد ان فك ارتباط الولايات المتحدة من الشرق الأوسط يهدد بترك فراغ سياسي تملأه العداوات الطائفية، الأمر الذي من شأنه ان يمهد الطريق لمنطقة أكثر عنفاً واضطراباً.

ان الصراع على الصدارة الجيوسياسية بين الثيوقراطية الشيعية في ايران والدول التي يقودها العرب السنّة، وتركيا السنّية مؤخراً، يعمل على تأجيج الصراع في انحاء المنطقة كافة- الأمر الذي يفضي إلى تآكل المواثيق الاجتماعية، ويفاقم من أوجه القصور التي تعتري الدولة، ويحفز الحركات المتطرفة. لقد استعمل كلا الجانبين الهوية الدينية بوصفها سلاحاً لأهدافهم الخاصة، واستعملوها لحشد المؤيدين وتعزيز نفوذهم في أنحاء المنطقة كافة. ونتيجة لذلك مايزال الشرق الأوسط الأوسع نطاقاً يرزح تحت وطأة وضع خطير.

وعلى الرغم من احتفاظ إيران باليد العليا، الا ان التحديات التي تواجه موقعها تتزايد في أنحاء المنطقة كافة. صحيح ان السنّة سئموا من التطرف الخبيث، غير ان الغضب الذي غذى صعود الدولة الاسلامية (المعروف باسم داعش) لم ينحسر، وستستفيد حركات التمرد الجديدة في الأجزاء المدمرة من المنطقة، بلا ريب، من هذه الغضب مرة أخرى. إذ يتزايد غضب السنّة في العراق ولبنان وسوريا من تحركات طهران وحلفائها لتشديد قبضتهم على السلطة. كما وبعث الارهاب في أفغانستان مرة أخرى، حيث تنزلق البلاد الى اتون الفوضى في أعقاب انتصار طالبان. ومن دون أي عملية سياسية لنزع فتيل

هـذه التوتـرات، فمـن المحتـم ان تندلـع موجـات جديـدة مـن الاضطرابـات وسـفك الدمـاء.

ان تدخـل اسـرائيل فـي هـذه الصراعـات الطائفيـة الـى جانـب القـوى السـنّية لـم يـؤد إلا إلـى صـب الزيـت علـى النـار. فبسـبب تدخـل إسـرائيل بـات الاسـتقرار الاقليمـي خاضعـاً بدرجـة أكبـر لمصيـر البرنامـج النـووي الإيرانـي. تناقـش واشـنطن وتـل أبيـب[1] بالفعـل «الخطـة ب» إذا مـا ظلـت التسـوية بعيـدة المنـال. وهـذا المسـار مـن شـأنه أن يضـع إيـران والولايـات المتحـدة علـى طريـق المواجهـة- فضـلاً عـن انـه يفاقـم التوتـرات الطائفيـة، وتعميـق الانقسـامات المجتمعيـة وإثـارة صراعـات جديـدة مـن بـلاد الشـام الـى افغانسـتان.

تأتـي رغبـة واشـنطن فـي بـذل جهـود أقـل فـي الشـرق الأوسـط فـي وقـت تجنـح فيـه الصيـن وروسـيا صـوب المنطقـة، وتتشـبث حكومة ايـران المتشـددة بموقفها، فيمـا تبقـى الـدول العربيـة السـنّية أقـل ثقـة مـن أي وقـت مضـى بشـأن الضمانـات الأمنيـة الأمريكيـة. ومـا لـم تمهـد الولايـات المتحـدة الطريـق لنظـام اقليمـي أكثـر اسـتقراراً- بـدءاً مـن ابـرام صفقـة بشـأن برنامـج ايـران النـووي- قـد تجـد نفسـها منجرفـة مـرة أخـرى الـى صراعـات الشـرق الأوسـط العديـدة علـى الرغـم مـن بـذل قصـارى جهدهـا للانسـحاب منهـا.

| تسليح الاسلام

تعـود اصـول التنافـس بيـن الشـيعة والسـنة الـى بدايـات الاسـلام، وعلـى مـر القـرون، طـورت الطائفتـان تفسـيرات متميـزة للشـريعة الاسـلامية والممارسـات الدينيـة. ومـع ذلـك فـان الخـلاف بيـن الجماعتيـن اليـوم لايكمـن فـي أصـول الديـن بـل فـي الصـراع علـى السـلطة. يعـد الانتمـاء الى المذهبين الشـيعي والسـني مـن علامـات الهويـة البـارزة التـي تشـكل الـولاءات السياسـية فـي المجتمعـات المنقسـمة. صحيح ان حـدة الاقتتـال الطائفـي قـد انحسـرت واضمـرت علـى مـدى العقديـن الماضييـن، غيـر ان الـدور البـارز للطائفيـة فـي سياسـات المنطقـة لـم يفتـر- كذلـك الحـال الصـراع بيـن ايـران وخصومهـا الذيـن يقودهـم السـنّة، والـذي يتغـذى علـى هـذا الانقسـام ويؤججـه. هاتـان القوتـان همـا وجهـان لعملـة واحـدة.

لقـد كان الغـزو الأمريكـي للعـراق عـام ٢٠٠٣ هـو الـذي سـمح لإيـران بتوسـيع نفوذهـا فـي العالـم العربـي بنحـو كبيـر. فمنـذ أن أطاحـت الولايـات المتحـدة بالنظـام الاسـتبدادي الـذي ضمـن حكـم الأقليـة السـنّية فـي بغـداد، لعبـت طهـران بمهـارة علـى الـولاءات الطائفيـة لتمكيـن شـبكة مـن الـوكلاء المسـلحين التـي تمتـد الآن مـن لبنـان وسـوريا الـى العـراق واليمـن، لتشـكل مـا أطلـق عليـه ملـك أردنـي عبـد الله ذات مـرة بـ «الهـلال الشـيعي». وبذلـك فقـد مكّنـت إيـران الشـيعة علـى حسـاب السـنّة فـي أنحـاء المنطقـة كافـة وعـززت نفوذهـا علـى حسـاب نفـوذ المنافسـين مثـل المملكـة العربيـة السـعودية، وتركيـا، والإمـارات العربيـة المتحـدة.

لقـد دفـع ضغـط العالـم العربـي لتحقيـق الديمقراطيـة والحكـم الرشـيد، فيمـا سـمي بالربيـع العربـي، بالقـادة المسـتبدين، المهدديـن باحتمـال التغييـر، الـى تسـليح الطائفيـة بنحـو أكبـر. إذ أثـار الرئيـس السـوري بشـار الأسـد الخـوف مـن السـنة لتخويـف الطائفـة العلويـة السـورية، الـذي ينتمـي اليهـا والـذي تعـود جذورهـا الـى المذهـب الشـيعي، ودفعهـا الـى دعـم نظامـه دعمـاً لاينضـب. فيمـا بـرر الحـكام فـي البحريـن واليمـن حمـلات القمـع العنيفـة باتهـام المحتجيـن الشـيعة بانهـم عمـلاء لإيـران. وعـززت إيران وخصومهـا العـرب هـذه الدينامية عبـر وضـع انفسـهم وراء عملائهـم الشـيعة والسـنّة، ورؤيـة إخوانهـم فـي الديـن بوصفهـم أدواتـاً لحمايـة نفوذهـم الاقليمـي. لقـد توسـعت مسـاحة تأثيـر إيـران الاقليميـة بالتـوازي

مـع برنامجهـا النـووي. صحيـح ان الولايـات المتحـدة قـد كبحـت بنحـو فعـال طموحـات ايـران النوويـة فـي العـام ٢٠١٥ عبـر اتفـاق بوسـاطة دوليـة، الا انـه ثبـت ان احتـواء طموحاتهـا الإقليميـة أمـر بعيـد المنـال. كمـا وأثـار إصـرار واشـنطن علـى عـدم تضميـن المسـائل الاقليميـة فـي المحادثـات النوويـة حفيظـة حلفائهـا العـرب، الذيـن كانـوا آنـذاك علـى الجانـب الخاسـر للحـروب الطائفيـة بالوكالـة فـي العـراق وسـوريا واليمن. وقـد عـزز الرئيـس الأمريكـي بـاراك اوبامـا مخاوفهـم بشـأن التـزام واشـنطن بمسـاعدتهم فـي هـذه الصراعـات عندمـا نصـح بـان الايرانييـن والسـعوديين يحتاجـون الـى «ايجـاد سـبيل فعال لمشـاركة الجـوار». وعـدّت الـدول العربيـة السـنّية الاتفـاق النـووي بمثابـة تعزيـز لنهـج إدارة اوبامـا السـابق الرافـض للإطاحـة بنظـام الأسـد. ومـن وجهـة نظـر القـادة العـرب، فقـد أدى هـذان القـراران الـى قلـب ميـزان القـوى الإقليمـي بنحـو قاطـع لصالـح طهـران: إذ أدى الاخفـاق فـي الاطاحـة بالاسـد إلـى تمكيـن حلفـاء طهـران الشـيعة فـي دول أخـرى، كمـا فشـل الاتفـاق النـووي فـي كبـح تدخـل إيـران الاقليمـي. وقـد بـدا الأمـر بالنسـبة للزعمـاء العـرب وكأن الولايـات المتحـدة تبـارك الهيمنة الإيرانيـة فـي الشـرق الأوسـط.

وكان الرئيـس ترامـب يؤيـد هـذا الـرأي. وانسـحب مـن الاتفـاق النـووي فـي العـام ٢٠١٨ وقـال ان إبـرام اتفاقـاً جديـداً يجـب أن يعالـج دور إيـران الإقليمـي. وفرضـت حملتـه «الضغـط الأقصـى» عقوبـات قاسـية علـى إيران وكانـت ترمـي مـن اجـل ان تجعـل مـن المسـتحيل علـى إيـران ان تحافـظ ماليـاً علـى وضعهـا فـي العالـم العربـي. واتخـذت واشـنطن فـي عهـد ترامـب خطـوات عـدة لكبـح جمـاح طهـران، بمـا فـي ذلـك تنفيـذ غـارة جويـة بطائـرة مسـيرة فـي العـام ٢٠٢٠ أسـفرت عـن مقتـل قاسـم سـليماني، قائـد فيلـق القـدس، فـرع الاسـتطلاع التابـع للحـرس الثـوري الإسـلامي الإيرانـي، وأبـو مهـدي المهنـدس، أحـد كبـار قـادة المليشـيات الشـيعية العراقيـة.

وقـد نجحـت إدارة ترامـب فـي ضـرب الاقتصـاد الإيراني، وزيـادة البـؤس الاجتماعـي والسـخط السياسـي. بيـد ان محاولتهـا إجبـار إيـران علـى الانسـحاب مـن العالـم العربـي قـد فشـلت فشـلاً ذريعـاً. لا بـل علـى العكـس مـن ذلـك، ردت إيـران بتصعيـد التوتـرات الإقليميـة، فهاجمـت الناقـلات فـي الخليـج العربـي، واسـتهدفت منشـآت نفطيـة فـي المملكـة العربيـة السـعودية، وشـنت ضربـات صاروخيـة جريئـة علـى القواعـد الجويـة العراقيـة التـي تتواجـد فيهـا القـوات الأمريكيـة، الأمـر الـذي جعـل إيـران والولايـات المتحـدة أقـرب الـى الحـرب ممـا كان عليـه الحـال فـي اي وقـت مضـى.

خرجـت إيـران مـن عهـد ترامـب أكثـر عدوانيـة وفتـكاً. فمنـذ انسـحاب الولايـات المتحـدة مـن الاتفـاق النـووي، زادت إيـران مـن مخازنهـا لليورانيـوم المخصـب، ووسـعت مـن بنيتهـا التحتيـة النوويـة، وحـازت علـى خبـرة نوويـة بالغـة الأهميـة. وهـي الآن قريبـة بنحـو خطيـر مـن امتـلاك مايكفـي مـن المـواد الانشـطارية لصنـع قنبلـة نوويـة.

لقـد كان قـرار الغـاء الاتفـاق النـووي، لا التوقيـع عليـه فـي الأسـاس، هـو الـذي جعـل ايـران قـوة أكبـر فـي المنطقـة. إذ تطـورت طموحـات إيـران النوويـة والاقليميـة جنبـاً إلـى جنـب مـع وجـود برنامـج نـووي موثـوق يوفـر مظلـة تحمـي وكلائهـا فـي أنحـاء المنطقة كافـة، الامـر الـذي يعـزز مـن نفـوذ إيـران علـى نحـو أكبـر. وعليـه، كلمـا كانـت المظلـة النوويـة أكثـر اتسـاعاً ومرونـة، زادت فاعليـة الـوكلاء الذيـن يعملـون تحـت حمايتهـا. وقـد أدى الاتفـاق النـووي لعـام٢٠١٥ الـذي عمـل تحجيـم نطـاق البرنامـج النـووي الإيرانـي، الـى تقليـل الحمايـة التـي يمكـن أن توفرهـا طهـران لقواتهـا بالوكالـة. ومـع تعليـق الاتفـاق وقيـام ايـران بتسـريع وتيـرة نمـو برنامجهـا النـووي، فـان قواتهـا الاقليميـة سـتغدو أكثـر جـرأة. إذ عـزز المتشـددون الإيرانيـون قوتهـم خـلال سـنوات ترامـب. لقـد رأوا ان حملـة «الضغـط الأقصـى» قـد بـررت وجهـة نظرهـم: فقـد عـدّت بالنسـبة لهـم دليـلاً علـى ان الولايـات

المتحدة تسعى الى تغيير النظام في طهران ولن تألو جهداً حتى تنهار الجمهورية الاسلامية. وإذ جعل هذا الأمر التعامل مع الولايات المتحدة لاطائل منه فقد عني أيضاً ان إيران لن تتمكن من تأمين مصالحها إلا عبر المواجهة مع الولايات المتحدة وحلفائها. وهكذا خرجت إيران من عهد ترامب عازمة على مواصلة برنامجها النووي وتعزيز مكانتها في المنطقة.

وقد أوضح ابراهيم رئيسي، الرئيس الإيراني الجديد، خلال خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في أيلول / سبتمبر أنه يعتقد ان ميزان القوى الاقليمي يميل لصالح طهران. واستحضر أحداث الشغب التي حصلت في مبنى الكونغرس في ٦ كانون الثاني / يناير وصور المدنيين الأفغان وهم يسقطون من الطائرات الأمريكية أثناء هروبهم من افغانستان، وقال رئيسي ان هذه المشاهد بعثت رسالة واضحة للعالم مفادها «ان نظام الهيمنة الأمريكي لايتمتع بأي مصداقية لاداخل البلاد ولاخارجها».

وكما توحي مثل هذه التصريحات، فقد تبنت الحكومة الإيرانية الجديدة وجهة نظر المنتصر في الأحداث الجارية في الشرق الأوسط. فهي ترى ان التدخل الإيراني في سوريا أنقذ الأسد في مواجهة مسعى أمريكي وأوروبي وتركي وعربي سنّي منسق للإطاحة به. فيما فشلت الحملة العسكرية السعودية الوحشية المدعومة من الولايات المتحدة في اليمن في تغيير حقيقة مؤداها ان الحوثيين راسخون وبقوة في العاصمة صنعاء، وفي أنحاء البلاد كافة تقريباً. كما حافظت ايران على مكانتها المهيمنة في العراق ولبنان، على الرغم من الضغوط الاقتصادية وما تعده تدخلاً من جانب خصومها.

باتت ضرورة الحفاظ على نفوذ إيران في العالم العربي جزءاً لايتجزأ من الحسابات الاستراتيجية للدولة العميقة وما المليشيات التي أسستها طهران لهذه المهمة ماهي إلا حقائق على الأرض في انحاء المنطقة كافة. لكن على الرغم من الانتصارات الايرانية الأخيرة كافة، فان الصراعات الطائفية التي تعصف بالشرق الأوسط لم تنته بعد.

الوضع قابل للانفجار

إيران ليست الطرف الوحيد الذي يقف وراء تصاعد الصراع الطائفي في انحاء الشرق الأوسط كافة. فقد دعمت كل من قطر والسعودية وتركيا والامارات العربية المتحدة الفصائل السنّية في العالم العربي. فقد مولت تركيا ورجال الأعمال السنّة الأثرياء في الخليج العربي بتمويل بعض الفصائل السنّية الأكثر تطرفاً التي سعت للإطاحة بالأسد – بما في ذلك داعش. وقد ناشدت هذه الجماعة المعادية الشرسة للشيعة بوعدها بإحياء الخلافة الإسلامية، التي كانت مقراً للسلطة السنية في العصور السابقة، السنّة المحرومين في أرجاء النطاق الممتد من دمشق الى بغداد. وفي نهاية المطاف قضى تحالف المصالح الذي شكلته روسيا والولايات المتحدة وإيران على داعش، الا ان ايران قاتلت داعش إلى جانب حلفائها المحليين في العراق وسوريا.

وعلى الرغم من أن طهران تمكنت حتى الآن من تبوأ الصدارة في الصراع الاقليمي على النفوذ، الا أنها قد تجد نفسها في وضع صعب تحت وطأة ضغط متزايد في السنوات المقبلة. إذ ان لممالك الخليج العربية السنّية، الى جانب إسرائيل وتركيا، مصلحة بما ستؤول اليه الصراعات الطائفية التي تعصف بالعالم العربي. فمع إشارة الولايات المتحدة بأنها لن تحاول طرد إيران من الأماكن المختلفة التي رسخت نفوذها فيها، يستعد اللاعبون الاقليميون لتولي هذه المهمة.

وإذ يحاول نظام الأسد في سوريا توطيد سلطته، ماتزال البلاد على برميل بارود طائفي. وقد يستأنف القتال للسيطرة على محافظة ادلب الشمالية الغربية التي يسيطر عليها الكورد في الشمال الشرقي من البلاد. وأعاقت تركيا محاولات الأسد للسيطرة على إدلب، وعززت من ادعاءاتها بكونها المدافع عن حقوق السنّة في سوريا. كما انجذبت اسرائيل الى دوامة الصراع السوري، حيث باتت غير مرتاحة بنحو متزايد مع التمدد العسكري الايراني هناك. وفي غضون ذلك، فان أغلبية السكان السنّة، الذين يعيشون أجزاء البلاد التي دمرتها الحرب التي دامت عقد من الزمان، مايزالون محرومين وفقراء.

ان مصير سوريا مرتبط بمصير العراق. ولم يسفر انتصار الحكومة المركزية في العراق على الجهاديين السنّة إلا عن التأكيد على اعتمادها على الدعم العسكري من جانب ايران والولايات المتحدة، كما جاء على حساب تعزيز نفوذ المليشيات الشيعية في البلاد. وإذ تمكن العراقيون من تهدئة الصراع الطائفي في الوقت الحالي، الا ان جمره يتوهج تحت السطح. كما أبرزت الانتخابات الوطنية الأخيرة هشاشة الوضع السياسي الراهن. وقد شجع آية الله العظمى علي السيستاني والمؤسسة الدينية الشيعية العراقيون على التوجه الى صناديق الاقتراع قبل الانتخابات في تشرين الأول / اكتوبر، غير ان هذه المناشدات لم تلق آذاناً صاغية. وأسفرت اللامبالاة العامة عن انحساراً قياسياً في الاقبال على التصويت، الأمر الذي أعطى زخماً لأكثر الشخصيات الطائفية في البلاد: رجل الدين المنشق مقتدى الصدر ورئيس الوزراء السابق نوري المالكي. كان الجانب المشرق الوحيد هو أن الأحزاب التابعة للمليشيات الشيعية المدعومة من إيران كان أدائها سيئاً أيضاً. بيد ان ذلك فقد منحهم ذلك دافعاً لزعزعة استقرار البلاد- كما بدا واضحاً من المحاولة الأخيرة لاغتيال رئيس وزراء البلاد.

ان صعود الصدر لايبشر بالخير للسلام الطائفي في العراق. فعلى الرغم من انه نصّب نفسه على انه وطني، الا انه يساوي بين مصلحة العراق الوطنية وحق طائفته الشيعية في حكم البلاد. وكانت مليشياته في طليعة الحرب الأهلية الطائفية التي اجتاحت العراق عام ٢٠٠٦، وهو لاينوي التنازل عن السلطة لتهدئة السنّة. صحيح انه يريد الاستقلال عن إيران، الا انه سيواجه الفصائل المتنافسة في الداخل ومناورات الممالك السنّية في الخليج، الذين يعارضون سيطرة الشيعة على العراق. لذا سيجنح صوب الاعتماد على طهران.

تنذر الاضطرابات المتزايدة في لبنان أيضاً بعدم الاستقرار، لكنها لاتنذر بتقليص النفوذ الإيراني. إذ يعد حزب الله هو الفاعل السياسي المهيمن الوحيد في البلاد، الذي بنى قدرته العسكرية على مر السنين بدعم ايراني سخي. لقد أبلت الجماعة الشيعية شبه العسكرية (الموازية) اللبنانية بلاءاً حسناً في الحروب ضد اسرائيل، وما تزال ترسانتها من الأسلحة الضخمة تشكل رادعاً يهدد العمل العسكري الإسرائيلي ضد إيران. لقد نجح حزب الله أيضاً في نشر مقاتليه نيابة عن حلفاء ايران انحاء العالم العربي كافة، ولاسيما في العراق وسوريا، وبات لاغنى عنه لطهران.

لكن حزب الله هو أيضاً قوة سياسية في لبنان، متواطئ في الأزمة الاقتصادية التي أدت إلى تآكل الدولة والمجتمع. ولطالما استنكر المكونان المسيحي والسنّي في البلاد ولاء حزب لله لإيران وإصراره على العمل بوصفه دولة داخل دولة. وينحو عدد متزايد من اللبنانيين باللائمة الآن على الجماعة لتقويض التحقيق الرسمي في الانفجار المدمر الذي وقع في ميناء بيروت في آب / أغسطس عام ٢٠٢٠ والذي دمر أجزاء كبيرة من المدينة. لن يتخلى حزب الله عن السلطة بدون قتال. وماتزال قبضته على الطائفة الشيعية قوية، وإيران ملتزمة بدعم التنظيم. لطالما كان لبنان

عرضة لنوبات العنف، وليس من الصعب أن نرى كيف ان الاحداث الجارية تمهد الطريق لنوبة أخرى من الصراع الطائفي هناك.

وفي اليمن، باتت الحرب الأهلية حرباً بالوكالة. فهناك الحكومة المركزية المدعومة من السعودية من جهة. ومن جهة أخرى هناك القبائل الحوثية التي تنحدر من شمال البلاد الذي يسيطر عليه اعضاء من الطائفة الزيدية الشيعية، ويتمتعون بدعم إيران. وقد اتخذت الحرب طابعاً طائفياً صريحاً في العام ٢٠١٥، عندما تدخل تحالف من الدول بقيادة المملكة العربية السعودية والامارات العربية المتحدة للحيلولة دون انتصار الحوثيين ومنع اقامة رأس جسر إيراني في شبه الجزيرة العربية. صحيح ان حملتهم دمرت اليمن- غير انها لم تهزم الحوثيين، الذين ازداد اعتمادهم على إيران أثناء القتال. وعندما تنتهي الحرب، سيسيطر الحوثيون على أجزاء كبيرة من اليمن وسيكون لهم تأثير كبير على سياساته. وسيكون النصف الممتلئ من الكأس من نصيب إيران والجانب الشيعي في الحسابات الاقليمية فيما سيكون النصف الفارغ من نصيب السعودية وحلفائها السنة.

وفيما تتطلع الدول العربية السنّية حتى ولو الى التنافس على قدم المساواة، فهي ترنو متحمسة وبنحو متزايد صوب حليف قوي في الصراع ضد إيران ألا وهو: اسرائيل، التي وضعت نفسها في خضم صراع اقليمي متصاعد عبر شن غارات جوية على القواعد الايرانية في العراق وسوريا وتنفيذ الاغتيالات والهجمات السيبرانية والتخريب الصناعي لإعاقة البرنامج النووي للجمهورية الاسلامية. لقد قصرت طهران حتى الآن ردودها ضد اسرائيل على الهجمات الالكترونية والهجمات على سفنها في الخليج العربي، ولكن الوضع قد يتصاعد بسرعة- ليس بالضرورة بين إيران وإسرائيل بل ربما الى اشتباكات بين الشركاء الكامنين على كلا الجانبين في العراق ولبنان وسوريا والهجمات الايرانية على حلفاء إسرائيل الجدد في الخليج العربي.

رد الفعل السنّي

تبحث الدول العربية السنّية وسط كل هذا الخضم عن استراتيجيات جديدة لحماية مصالحها. وقد اعتمدوا حتى الان على الولايات المتحدة لاحتواء توسع نفوذ إيران الإقليمي، وهو توسع دفعت عجلته واشنطن نفسها بغزوها العراق. غير ان رحيل الولايات المتحدة من افغانستان، والحديث عن تقليص الوجود العسكري الأمريكي في العراق، ورغبة بايدن في انهاء «الحروب الأبدية» أجبرت المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة على الشروع في الحديث مع إيران على أمل الحد من التوترات وكسب الوقت لبناء قدراتهم الإقليمية. جاءت هذه المحادثات بعد سنوات من الحروب بالوكالة في أنحاء المنطقة كافة، ودعم السعودية والإمارات لتضييق الخناق الأمريكي للاقتصاد الإيراني والهجمات الايرانية داخل الاراضي السعودية والاماراتية. لذا فهي تمثل جهداً هاماً للحد من التوترات. وإذ تريد السعودية ان تضغط إيران على الحوثيين لإنهاء الحرب في الميمن ووضع حد لهجمات الطائرات المسيرة على أراضيها، فان إيران بدورها تريد التطبيع الكامل للعلاقات مع السعودية. ان الانفراج ليس قريب المنال، ويعزى ذلك بدرجة كبيرة الى ان محادثات تجري في ظل المفاوضات النووية بين إيران والولايات المتحدة. بيد ان الجانبين مازالا يلتقيان، وقد حددت الخطوات الأولى المحتملة في التقارب، مثل فتح قنصليات لتسهيل السياحة الدينية. لقد دعمت إدارة بايدن الحوار، لكن واشنطن لاتستطيع دفع الرياض للتوصل الى اتفاق مع طهران إذا لم تستطع من القيام بذلك بنفسها.

مايـزال شـبح التطـرف السـنّي يثيـر قلـق إيـران. إذ كان انتصـار طالبـان نعمـة بالنسـبة للتشـدد السـنّي فـي أنحـاء المنطقـة كافـة: فتاريـخ الجماعـة الأفغانيـة موغـل فـي العنـف الطائفـي الدمـوي، وهـي تـرى ان الشـيعة بوصفهـم خارجيـن علـى الاسـلام. صحيـح ان حركـة طالبـان لـم تعـد تتبنـى العـداء للشـيعة علانيـة واقامـت علاقـات مـع إيـران، الا ان عودتهـم الـى السـلطة شـهدت تطهيـر الوظائـف الحكوميـة مـن الشـيعة الهـزارة، وإغـلاق أعمالهـم التجاريـة، وطردهـم مـن منازلهـم وقراهـم. وعلـى الرغـم مـن ان العنـف الطائفـي الأخيـر فـي البـلاد، مثـل الهجمـات القاتلـة بالقنابـل علـى المسـاجد الشـيعية، قـد ألقـي باللائمـة فيـه علـى أحـد عناصـر داعـش المعـروف باسـم الدولـة الإسـلامية- ولايـة خراسـان، الا انـه مايـزال يؤكـد علـى احتماليـة نشـوب صـراع طائفـي أوسـع فـي أفغانسـتان.

كمـا تسـعى الـدول العربيـة السـنّية الـى عمـق اسـتراتيجي عبـر اصـلاح الخلافـات مـع تركيـا، التـي تعـد نفسـها فـي عهـد الرئيـس رجـب طيـب أردوغـان قـوة إقليميـة ومدافعـاً عـن الامتيـازات السـنية. وتـرى تركيـا أردوغـان نفسـها وريثـة الإمبراطوريـة العثمانيـة التـي كانـت حتى العـام ١٩٢٤ مقـراً للخلافة الإسـلامية، المركـز الرمـزي للسـلطة السـنية. كمـا أنهـا تتحفـظ بعلاقـات وثيقـة مـع جماعـة الإخـوان المسـلمين، القـوة الاسـلامية الأكثـر أهميـة فـي العالـم العربـي. وصـوّرت تركيـا نفسـها، ابـان الربيـع العربـي، علـى أنهـا أنموذجـاً للعالـم العربـي، داعمـة للمطالـب الشـعبية بالديمقراطيـة وطموحـات الإخـوان المسـلمين فـي السـلطة. وانحـازت لاحقـاً الـى جانـب قطـر عندمـا فـرض جيرانهـا فـي الخليـج حصـاراً عليهـا.

وقـد أثـارت هـذه السياسـات غضـب ممالـك الخليـج العربـي، التـي عـدّت تركيـاً منافسـاً لهـا لقيـادة العالـم السـنّي. لقـد طغـت هـذه المشـاحنات الضـروس أحيانـاً حتـى علـى التنافـس الطائفـي مـع إيـران، ففـي الواقـع كانـت علاقـة أنقـرة بطهـران بنحـو عـام أكثـر دفئـاً مـن علاقاتهـا مـع الريـاض وأبـو ظبـي. لقـد أدى التنافـس تركيـا مـع خصومهـا السـنّة إلـى دخولهـا فـي كل سـاحة تـؤدي فيهـا الطائفيـة دوراً، حيـث راهنـت حكومـة أردوغـان علـى مطالبتهـا بالنفـوذ فـي العـراق ولبنـان ومؤخـراً فـي أفغانسـتان.

لقـد كانـت تركيـا بمثابـة حصـن منيـع ضـد النفـوذ الإيرانـي. لقـد اسـتعملت تركيـا قوتهـا العسـكرية فـي العـراق وسـوريا بنحـو فعـال: فعلـى الرغـم مـن أنهـا لاتسـتطيع أن تضاهـي قـوة إيـران بالوكالـة، إلا ان قدرتهـا العسـكرية والاقتصاديـة ضمنـت لهـا الحفـاظ علـى دور مؤثـر فـي الشـرق الأوسـط. وعلـى سـبيل المقارنـة، فقـد أخفقـت الـدول العربيـة السـنّية فـي كبـح جمـاح القـوة الإيرانيـة بـأي شـكل مـن الأشـكال. إذ فشـل اسـتثمارهم فـي المعارضـة السـورية فشـلاً ذريعـاً، وتخلـت السـعودية عـن لبنـان، وفشـلت فـي الحصـول علـى موطـئ قـدم فـي العـراق، وتعثـرت فـي الحـرب فـي اليمـن. مـع ذلـك مازالـت الـدول العربيـة السـنّية ممارسـة نفوذهـا فـي واشـنطن، وهـي تعـزز هـذا العمـق الاسـتراتيجي بالتعـاون الاسـتخباراتي والعسـكري مـع إسـرائيل. لكـن فـي أرض الواقـع، لايسـعهم إلا أن يأملـوا فـي إبطـاء تقـدم إيـران وليـس عكـس مسـاره.

المغادرة في ظل ظروف أفضل

لايمكـن للولايـات المتحـدة التخفيـف مـن وطـأة جميـع المخاطـر التـي تلـوح فـي الأفـق فـي الشـرق الأوسـط. لكـن يتعيـن عليهـا ان تتفـادى تـأزم الوضـع. وقـد يكـون تقليـص دور الولايـات المتحـدة فـي المنطقـة أمـر لامنـاص منـه، لكـن الطريقـة التـي تغـادر بهـا سـتكون مهمـة. يعـد الانسـحاب الأمريكـي، بالنسـبة للكثيريـن فـي الشـرق الأوسـط، اختصـاراً لتخلـي الولايـات المتحـدة عـن المنطقـة، حيـث دافعـت سـابقاً ضـد تهديـدات الاتحـاد السـوفيتي

وإيران والعراق، ومؤخراً داعش. حتى اذا استمرت الولايات المتحدة في الحفاظ على وجود عسكري كبير في المنطقة، بان التزامها باستعمال القوة العسكرية بنحو مفتوح سيكون موضع شك متزايد. هذا الارتباك الاستراتيجي هو فرصة لإيران ووكلائها. كما سيكون هذا الأمر بمثابة دعوة الى الوافدين الجدد للدخول الى المعترك، مثل روسيا وتركيا. ولايوجد بديل جاهز لاستراتيجية الاحتواء التي تتبناها الولايات المتحدة، والتي ظلت على مدى أكثر أربعة عقود بمثابة بنية أمنية بحكم الأمر الواقع في المنطقة. أفضل مايمكن أن تسعى اليه الولايات المتحدة هو الحيلولة دون تفاقم الخصومات الاقليمية، على أمل أن يوفر الهدوء النسبي فرصة لإرساء أطر اقليمية جديدة. لهذا السبب، فان الجهود التي تبذلها الولايات المتحدة في سبيل التراجع عن فرض الاحتواء لابد وأن تسير جنباً الى جنب مع اندفاع دبلوماسي للحد من النزاعات بين القوى الإقليمية وحلها.

يظل التوصل الى اتفاق نووي مع إيران أهم رادع أمام المزيد من عدم الاستقرار الاقليمي. هناك أسباب مفهومة قد تجعل ادارة بايدن تتردد في العودة الى الاتفاق النووي لعام ٢٠١٥. فمن المقرر أن تنتهي بعض القيود التي فرضت بموجب الاتفاق على إيران قبل نهاية الولاية الأولى للرئيس جو بايدن، ومن شأن رفع العقوبات على وفق ماهو مطلوب كجزء من الصفقة أن يثير انتقادات من الحزبين. لهذه الاسباب، تقول الادارة الأمريكية أنها تريد اتفاقاً «أطول وأقوى». غير ان ايران مهتمة فقط باستعادة اتفاق عام ٢٠١٥- لكن هذه المرة بضمانات أمريكية مفادها أن الادارة القادمة لن تعمل على رَدَّ الاتفاق مرة أخرى[٢]. إذ ان الجمود أو ماهو أسوأ من ذلك، انهيار المحادثات- من شأنه أن يضع إيران والولايات المتحدة على طريق خطير صوب المواجهة التي ستشعل حتماً العالم العربي وتؤجج الطائفية.

وإذ شجعت ادارة بايدن الفواعل الاقليميين على التحدث فيما بينها، لكن هذه الحوارات لن تستمر إذا ما تعثرت الجهود الرامية لاستعادة الاتفاق النووي. وسيكون الضحية الأولى الاستقرار في العراق ولبنان، الأمر الذي يتطلب التوافق بين الجهات الفاعلة الشيعية والسنية. وكي تتمكن إدارة بايدن من إخراج الولايات المتحدة من الشرق الأوسط، فهي بحاجة الى إرساء حداً أدنى من الاستقرار الاقليمي- ويجب أن يبدأ هذا الجهد بإعادة إيران والولايات المتحدة الى الامتثال المتبادل لاتفاق عام ٢٠١٥.

لأكثر من أربعة عقود كانت الولايات المتحدة تنظر الى الشرق الأوسط على أنه مجالاً حيوياً لمصالحها القومية. وأقامت تحالفات مع دول عربية لاحتواء إيران، وإبعاد الاسلاموية، وإدارة الصراع الإسرائيلي الفلسطيني. كانت الاستراتيجية الأمريكية أكثر نجاحاً حين تمكنت من الحفاظ على توازن مستقر بين إيران وجيرانها العرب. ومنذ أن قوضت الولايات المتحدة هذا التوازن بغزوها للعراق في العام ٢٠٠٣، مابرحت تحاول استعادته- والآن في ظل مواجهة التحديات العالمية الملحة الأخرى، فهي تتخلى عن هذا الجهد كلياً. هنا سبب كاف لتبني اعادة التقييم الاستراتيجي هذه. إذ ان السعي وراء توازن قوى بعيد المنال هو أمر مكلف للغاية، ولاسيما وان الشرق لم يعد حيوياً للمصالح القومية الأمريكية.

لكن ترك المنطقة لآلياتها الخاصة هو مناورة خطيرة. فمن دون ترتيب امني جديد، سيكون الفوضى والصراع أمراً مألوفاً. أن عودة التطرف الاسلامي، وشبح المزيد من الانهيار للدولة والحروب الكبيرة والصغيرة على الاراضي والموارد، والصراع المفتوح بين إيران وإسرائيل، ستكون لها عواقب أمنية وإنسانية كارثية ستتطلب حتماً اهتماماً أمريكياً متجدداً. وإذا ما كانت الولايات المتحدة تريد ان تتجاهل عبء الحفاظ على

تـوازن القـوى فـي الشـرق الأوسـط، فعليهـا ان تبحـث عـن بديـل مسـتدام- وهـذا الترتيـب مـن شـأنه أن ينهـي الصراعـات الاكثـر خطـورة فـي المنطقـة ويضـع قواعـد للعبـة لنظـام اقليمـي فعـال. يجـب أن تبـدأ تلـك المهمـة بنـزع فتيـل الصـراع الـذي يشـكل أكبـر تهديـداً للمنطقـة ألا وهـو: المواجهـة مـع إيـران.

توصيات وملاحظات

تسـلط الدراسـة الضـوء علـى عـودة الاسـتقطاب الطائفـي فـي الشـرق الاوسـط وتزايـد احتمـالات انـزلاق تلـك المنطقـة الـى المزيـد مـن الاضطرابـات وعـدم الاسـتقرار، وفـي خضـم ذلـك كلـه يأتـي التراجـع الأمريكـي عـن المنطقـة ليزيـد مـن الطيـن بلّـة. لـذا فهـي تحـذر مـن مغبـة نـأي الولايـات المتحدة بنفسـها عـن هـذه المنطقـة وإذا كان لابـد مـن ذلـك يتعيـن عليهـا ان تقيـم بعنايـة الطريقـة التـي تنسـحب منهـا مـن المنطقـة.

حـذرت الدراسـة الولايـات المتحـدة مـن الانسـحاب مـن الشـرق الأوسـط وان الفـراغ الـذي سـيخلفه هـذا الانسـحاب سـيملأه المنافسـون، روسـيا والصيـن فـي المقـام الأول، ويتركهـا للفوضـى والعنـف، وفـي نهايـة المطـاف سـتجد نفسـها مضطـرة للتدخـل مـن جديـد.

وجهـت الدراسـة نقـداً إلـى دور الكيـان الصهيونـي فـي المنطقـة ودورهـا فـي تأجيـج الصراعـات الطائفيـة فـي المنطقـة وسـعيها لوضـع الولايـات المتحـدة وايـران علـى طريـق المواجهـة.

علـى الرغـم مـن العقوبـات الاقتصاديـة علـى إيـران الا ان الولايـات المتحـدة فشـلت فـي احتـواء إيـران او فـي اجبارهـا علـى الانكفـاء والانسـحاب مـن مناطـق نفوذهـا فـي العالـم العربـي، بـل الأمـر علـى خـلاف ذلـك تمامـاً.

ركـزت الدراسـة فـي اكثـر مـن موضـع علـى حقيقـة ان انسـحاب الولايـات المتحـدة مـن الاتفـاق النـووي هـو الـذي عـزز مـن قـوة ايـران ونفوذهـا.

افضـل مايمكـن ان تفعلـه الولايـات المتحـدة، فـي ظل الظـروف الحاليـة، هـو الحيلولـة دون تفاقـم الصراعـات الاقليميـة علـى امـل ان يفضـي ذلـك الـى حالـة مـن الهـدوء النسـبي مـن شـأنها ان توفـر فرصـة لإرسـاء اطـر اقليميـة جديـدة.

الهوامش:

١. جديـر بنـا ان نذكـر ان الكاتـب قـد ذكـر مصطلـح القـدس أعـلاه للإشـارة الـى عاصمـة الكيـان الصهيونـي غيـر اننـا نتحفـظ علـى هـذه التسـمية لـذا اسـتعضنا عنهـا بـ تـل ابيـب. المترجـم.

٢. أثـار انسـحاب الرئيـس الأمريكـي السـابق ترامـب مـن الاتفـاق النـووي مـع ايـران الكثيـر مـن اللغـط غيـر ان الجـدل أغفـل حقيقـة ان هـذا الاتفـاق ينـدرج ضمـن اطـار سـلطات الرئيـس بابـرام الاتفاقيـات التنفيذيـة Executive Agreements وهـذا الاتفاقيـات لاينـص عليهـا الدسـتور الأمريكـي بـل اقرتهـا المحكمـة الاتحاديـة لـذا فهـي لاتخضـع لمصادقـة مجلـس الشـيوخ كمـا هـو الحـال بالمعاهـدات الدوليـة لـذا تطالـب ايـران بمثـل هـذه الضمانـات. ولـو صـادق مجلـس الشـيوخ علـى هـذا الاتفـاق لمـا تسـنى للرئيـس ترامـب الانسـحاب منـه مـن دون موافقـة مجلـس الشـيوخ. المترجـم.

دول وقلق:

أ.د منعم صاحي العمار*
م.د معمر منعم العمار**

تركيا وديناميكية ادارة التغيير

الملخص

من بين اهم مظاهر التغيير التي خلفتها احداث ١١/ ايلول ٢٠٠١ ، على البيئة الاستراتيجية للشرق الاوسط ، قابلية اطراف بعينها على استخدام مواردها وموجوداتها الملموسة وغير الملموسة للتأثير في مخرجات الاحداث التي شهدتها تلك البيئة لاحقا ، والتي ما ان تواترت باتجاه ما ، حتى اصبحت دواع لاحداث وازمات تالية ضمن دورة (الصراع المستدامة) والتي جعلت من اطرافها مغرمة بهجر العلاقة التبادلية بين القوة والامن لصالح العلاقة بين القدرة والامن بكل ماتستدعيه من منطقة وسطى حيث إدارة الممتلكات وادارة المخاطر معا ، طمعا في حسم صور تشكيل تلك البيئة عبر ضبط متغيراتها العاملة . لقد نجحت تركيا ، وبقيادات حزب العدالة والتنمية ، بادارة اهدافها وغاياتها بسلمية وانجذاب لابمعارضة وتضاد ولاسيما بعد فطنتها لحتمية فك قيود التعبئة الاقليمية والدولية المضادة لجهودها في فرض ارادتها اقليميا ، مستغلة فراغ القوة في الشرق الاوسط وامتلاكها للمشروع الحضاري ذات الفضاءات المتعددة .

المقدمة :

من بين اهم مظاهر التغيير التي خلفتها احداث ١١/ ايلول ٢٠٠١ ، على البيئة الاستراتيجية للشرق الاوسط ، قابلية اطراف بعينها على استخدام مواردها وموجوداتها الملموسة وغير الملموسة للتأثير في مخرجات الاحداث التي شهدتها تلك البيئة لاحقا ، والتي ما ان تواترت باتجاه ما ، حتى اصبحت دواع لاحداث وازمات تالية ضمن دورة (الصراع المستدامة) والتي جعلت من اطرافها مغرمة بهجر العلاقة التبادلية بين القوة والامن لصالح العلاقة بين القدرة والامن بكل ماتستدعيه من منطقة وسطى حيث إدارة الممتلكات وادارة المخاطر معا ، طمعا في حسم صور تشكيل تلك البيئة عبر ضبط متغيراتها العاملة .

لقد تلقفت اطراف بعينها هذه المهمة ، ومنها تركيا رغم ماافصحت عنه من حساسية مفرطة تجاه مصالحها واهدافها بل وادوارها وماتقوم به من وظائف استراتيجية ، والتي لفّها التغيير ، مماجعلها أمام مهمتين كلاهما عنوان للحيرة ، اولهما : ممارسة سياسات تجهيل الآخر ، والثانية : البحث عن فرص هدنة مقصودة للبحث عن منافذ تأثير مقبلة في منطقة الشرق الاوسط ، لاتصادف الضبط المتعسف من الآخر الاقليمي أوالدولي ، هجرا لما سمّي حينها بـ (التمركز على الذات) لصالح تحويل الرؤى الاستراتيجية الى قانون عملي تّسوق عبره تركيا ذاتها ، إدارة للتغيير وقيادة له لاحقا ، حتى لو تطلب منها ذلك استنبات خيارات مناورة في اللحظات الحرجة ، كما هو الحال مع تبرير وجودها شمال سوريا ، شمال العراق ، البحر الاحمر والخليج العربي ، والاهم علاقاتها المتميزة مع روسيا وتحملها كلّف الغيض الامريكي من جراء ذلك .

لقد نجحت تركيا ، وبقيادات حزب العدالة والتنمية ، بادارة اهدافها وغاياتها بسلمية وانجذاب لابمعارضة وتضاد ولاسيما بعد فطنتها لحتمية فك قيود التعبئة الاقليمية والدولية المضادة لجهودها

في فرض ارادتها اقليميا ، مستغلة فراغ القوة في الشرق الاوسط وامتلاكها للمشروع الحضاري ذات الفضاءات المتعددة .

فيا ترى كيف تمكنت تركيا من تجاوز اشكالات الماضي القريب لتصنع من مقدرات الحاضر وتناوب تأثيرها ، ممكنات لمستقبل يجعل منها الدولة / المركز لصناعة التغيير لا الاكتفاء بادارته . وتلك ديناميكية رؤية وقرار قلما مرّت بها دولة في الشرق الاوسط !! .

ولاجل متابعة الاجابة على ماتقدم ، يودنا التحقق مما يلي :

أولا : انتباهه اولية

لاشك في القول ، أبتداءاً ، ان الادارة ، وجوداً ونظاماً بل وفكرةً ترتبط بالسياسة ، بل وهي رديفة لها ، على حد قول (دانيال جبرين) . وبهذا يتولى القائمون على السياسة بلورتها والاشراف على مفاصلها وتحديد آلياتها وتشكيل مؤسساتها ، لتغدو الادارة بذلك رمية النشأة والفعالية في النظام السياسي ، رغم ماتمثله غاية وسطى ورابطة بين غايات النظام السياسي ، ووسيلة من الوسائل التي يتلمسها في تسويق ذاته وبناء خططه ومشاريعه ، والاهم في تغيير أدائه من حال الى حال .(١)

وإزاء ذلك يرى (فريد ديفيد) ، بالإدارة المعيار الأهم لقياس مدى أهلية النظام السياسي على البقاء لاسيما في زمن التغيير، كونها تعد كشافاً لتعامله مع الظواهر والمواقف والأحداث التي يعج بها ذلك الزمن، وأي تهاون في التماس النظام السياسي للإدارة في تطوير نظم أدائه، كما يقول (تيم هنغان) ، سيفقده القدرة على تفعيل مقومات نشأته ودولته وتعزيز حراكها، ويربك حماسة الشعب / المجتمع طالما بدا الامر لايستقييم الا بأداء مشترك الصناعة والتوسل والرؤية بين الساسة والشعب معا (٢). وهذا ما حذرت منه خطابات قادة حزب العدالة والتنمية منذ عام ٢٠٠٢م، وما جاء على ذكره برنامجه الأساس.

لقد أثبت قادة حزب العدالة والتنمية أهليتهم الفائقة في تقويم العلاقة بين الادارة والسياسة ، ومتابعة مكانتها المتبادلة في سياق مشروعهم الدولاتي ، ليس لأنهم في الغالب متعلمون ومتخصصون في شؤون الإدارة والعلاقات الدولية، بل لأنهم كانوا طموحين للغاية لرؤية تركيا (الدولة الانموذج) وعارفين بدرجة كبيرة إلى أين يتجهون بها (٣) . وإذ يشير (أوغلو) الى "إن خروج تركيا من مرحلة ما بعد أحداث ١١ أيلول/سبتمبر عام ٢٠٠١م بموقع ومكانة مرتبط بأعتماد رؤية ديناميكية مؤثرة في السياسة الخارجية تقضي لأن تكون تركيا قوة مركزية، وأن على أنقرة أن تتجاوز العوامل المعيقة وفي مقدمتها إرهاب PKK .(٤) فأن (اردوغان) لايتوانى من مماثلته عندما يقول "إن تركيا ستكون رمزا للتعايش والتناغم بين الحضارات والثقافات في القرن ال٢١، لن تحقق تركيا هذا الإنموذج من خلال قوتها الاقتصادية والعسكرية فقط وإنما من خلال قدرتها على المساهمة في بناء القيم المقبولة عالمية وتيسيرعملية نشرها والتفاعل معها عبر أجزاء مختلفة في العالم".(٥)

وهكذا لم يكتف قادة حزب العدالة والتنمية بتبرير صور الاعتماد بين الادارة والسياسة فحسب ، بل وعمدوا الى تأطير توظيف حقائق ارتباط الإدارة بالتغيير، رغم قناعتهم بان تلك الحقائق عدّت ولم تزل من متلازمات الأداء، حيث الفاعلية والكفاية في التأثير، ليزيدوا عليها ويطوروها كأسلوب من الأساليب الاستراتيجية التي يتوسل بها صناع القرار تحقيقا لمصالحهم وتقريبا لأهوائهم بعد ان حسموا تقييم الاداء كنمط من أنماط القوة غير المنظورة وغير الملموسة التي إذا ما صادفت التوسل بها فإنها تضيف نوعا من المصداقية للافعال الاستراتيجية وتعفي القائمون

عليها من العديد من المعوقات (٦). لذا لا غرو أن تمثل الإدارة أسلوبا من أساليب حل المعاضلات الأمنية في الأقاليم / التخوم للدولة التركية لاسيما في الشرق الأوسط الذي رأت حكومات حزب العدالة والتنمية إن التوازن الاستراتيجي فيه لم يعد يرتهن بمعادلات القوة، بل بإدارة التعقيد لقضاياه وأزماته . وأن فك إشكاليات ذلك التعقيد تستدعي تجريب كل أشكال التنسيق وتبادلية الأدوار (تألفات، وتحالفات، وإجماع قوى، وأئتلافات قوى... وحتى أصدقاء...) وكما أفصحت عن ذلك تغييرات الربيع العربي، وهنا يشير (أردوغان) في هذا الصدد "إن الزمن تغير وعلى الكل أن يفهم ذلك... هناك حكومات متخلفة في المنطقة لا تعمل على التغيير" .(٧)

وتبعا لثقل هذه المهمة، أخذت حكومات حزب العدالة والتنمية في إطار توجهها نحو الشرق الأوسط، باتباع نمطين من الإدارة الاستراتيجية لوقائع الحراك الاستراتيجي فيه . الإدارة التكتيكية الهادفة إلى تشييد البيئة الاستراتيجية اللازمة لأحتضان أهدافها الكلية برؤى كفوءة وفاعلة تأخذ بالحسبان المتغيرات العاملة وسرعة توالدها وتخمتها بالتداعيات المضرة. وكذلك الإدارة الوظيفية تحقيقا لهدف الإندماج التركي بالشرق الأوسط كمقترب للقيادة أو تعزيز مكانة تركيا في المدارك الاستراتيجية للقوى الإقليمية الفاعلة فيه (٨). وقد أبدعت السياسة الخارجية التركية في ذلك حتى بدا للجميع ثقل الدور التركي في معالجة قضايا/ أزمات الشرق الأوسط كما تبدى ذلك بوضوح مع أزمة إقليم كردستان العراق في أيلول/سبتمبر عام ٢٠١٧م والأزمة الخليجية كذلك .

وبتزاوج هذين النمطين تمكنت حكومات حزب العدالة والتنمية من مأسسة الأستجابة التركية للمتغيرات الدولية والإقليمية بنمط إدارة متميزة عبر إعادة صياغة وتنظيم أدوات السياسة الخارجية والدفاع والإستخبارات في إستراتيجيتها الشاملة في الشرق الأوسط، طامحة في ذلك أستدامة تأثيرها في وقائعه المتغيرة وأزماته والاقتراب من الدور (القائد) و (الحامي) الإقليمي لذاتية الشرق الأوسط الحضارية .(٩)

وإذا أردنا الحق في ما تقدم، نقول أن أستجابة تركيا للتغيير وهي من النمط المخطط له*(١٠)، لم تكن لتحصل لولا الفرص وهوامش الحركة التي وفرتها حركة التغيير لها، والتي قبضت عبرها على مساحات تجريب محققة لرؤيتها ولذاتية أفعالها. فقد سوغت نوايا الانفتاح وإنهاء القطيعة الاستراتيجية التركية، الدخول في شبكة معقدة وواسعة من التفاعلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في مواقع متعددة من الشرق الأوسط لما تمتلكه من دينامية ذاتية وقواعد حركية ثابتة تعينها في فعلها. ولهذا لا غرابة في ان تتعاظم مداخل الأتجاه التحالفي في السياسة التركية الخارجية، دولاتيا ومنظماتيا ، لاسيما مع القوى الإقليمية والدولية التي تشاركها في إدارة التوازنات الإقليمية في الشرق الأوسط، وقضاياه وأزماتها، (١١) من دون القفز على مشتركات الصيرورة التاريخية لتكون تركيا كطرف واصل بين الشرق والغرب أو كوسيط لتدبر التحديات، أو قيمة على إدارة الأخطار/ المخاطر الأهلية في الشرق الأوسط .(١٢) ولاجل ذلك بدت قدرة الاستراتيجية التركية مرهونة بقدرة القائمين عليها على إدارة مايفهم ويدور حولهم من تغيير . وبسبب غور هذه المقاربة ، هو الجوهر الغائي لهذه الدراسة .

ثانيا : في المفاهيم

التغيير (المعنى والمفهوم)

يبدو لزاماً علينا ، الإشارة الى ان جميع مدلولات كلمة (التغيير) في اللغة العربية تنطوي على معنى التحول في الظاهرة أو ما يمّسها من تبدل،

كما وتعني الأشياء وأختلافها. ويشير هذا المعنى إلى دلالات الأختلاف في أي شيء يمكن ملاحظته في مدة زمنية معينة. وهنا تتطابق مدلولات التغيير في اللغة العربية مع مثيلاتها في اللغة الإنجليزية .(١٣)

والتغيير في اللغة العربية، مصدر من صيغة مبالغة مشتق من الفعل (غّير) الشيء، بمعنى حوّله وبدّله بآخر، وكذلك جعله غير ما كان عليه في السابق. والتغيير يعني تحول وتبدل الشيء إلى آخر، وورد ذكر التغيير في القرآن الكريم بأربعة مواضع، موزعة على أربعة سور مدنّية النزول، بالإشتقاقات الآتية: (يغير) بسم الله الرحمن الرحيم "إن الله لا يغير ما في قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" (سورة الرعد/الآية ١١). وتدل هذه الآية الكريمة على أن البعد العام والشامل للتغيير يهتم بالإطار الجماعي الذي يشمل مجموعة أفراد ولا ينحصر بفرد واحد فقط، و (يغيروا) بسم الله الرحمن الرحيم "ذلك بأن الله لم يكن مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم" (سورة الأنفال/الآية ٥٣)، لتدل هذه الآية مرة أخرى على الجماعية في البعد التغييري، و(يغّيرن) (سورة النساء/الآية ١١٩)، و(يتغير) (سورة محمد/الآية ١٥)

وقد وردت للتغيير دلالات متعددة في الأحاديث القدسية للرسول الكريم محمد (ص)، أعمقها وأكثرها شمولا ودلالة، التصحيح، بقوله (ص) : "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، وإن لم يستطع فبلسانه، وأن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان". وهنا تتداخل مسؤولية الفرد بالذات، والفرد ضمن منظومة المجتمع، والمجتمع ضمن إطار دولي في عملية التغيير تداخلا كبيرا ، إذ أن لكل منهما موقعه في عملية التغيير ومتطلباتها. (١٤)

فيما يشار إلى التغيير باللغة الإنجليزية ب(Change) مقابل (Mutation, Changeability) للتغّير. وكلاهما يحققان القدرة في الفعل ولكنهما يفترقان في توافر الإرادة في الثاني وأنعدامها في الأول (التغيير).

وإذا ما تجاوزنا ثبات مكانة (التغيير) في سنّن الحياة الثابتة، وما يفرضه دوامها من تجدّد وتبدّل في الأدوار والمسؤوليات، وتجاوزنا ثبات الأساس الفلسفي الغربي في تفسير ظاهرة التغيير كما عند أرسطو وإفلاطون و هرقليطس عندما نظّروا إليها من صفاتها الكلية، وما لحقه من تطور للأفكار والسياسات معاً ، الذي جعل ذلك الإجماع، بدوره ينحسر لصالح دلالات فرعية تبعا لإنحسار مهمة الفلسفة كما يقول (كارل ماركس) (١٥)، فإننا نجد أنفسنا أمام مروحة ضخمة من الالتماسات المعنية بالتحديد العلمي لمفهوم التغيير، ولاسيما في ظل الحث المستدام من قبل الساسة في استعمال (التغيير) للوصول إلى تسويغ مقنع لأفعالهم أو إشاعة لتجاربهم وفرض لأنموذجهم في الوجود والحكم على الآخرين، بل وتعنتهم في استعماله كوسيلة لحيازة الأهداف أو كجزء من سياساتهم.(١٦)

ورغم تدخل التفكير الاستراتيجي في عقلنة النظر للتغيير بصورة علمية ، باعتباره بوابة من بوابات الاستقراء للاوضاع او التحسب لمآلاتها او صياغة للمستقبل المستهدف ، الا ان الانقسام بين جمهرة العلماء والمهتمين حول مايعنيه التغيير ظل واضحاً . فهناك من يركز على المدخل العلمي في تفسيره كماهو الحال عند (كارل ماركس) ، وتركيزه على المدخل الاجتماعي ـ السياسي ، وهناك من يلتمس المدخل الاجتماعي ـ الثقافي في تحديده لمايعنيه التغيير عملياً كما هو الحال عند (غرامشي) . وثمة من يركز على إدراك التغيير كبعد مفسر للمفهوم بكليته لا على تفسيره كمفهوم كما هو الحال عند (كانط) .(١٧)

ومهما يكن من امر ، فان التغيير يعني ابتداءا ذلك "النسق المنظم نحو الصدام مع القيود على

أرض الواقع وإزالتها والتأثير عليها بإزالة ما هو فاسد أو متقادم وإحلال ما هو صالح أو متطور "(١٨) ، او "الأنتقال من وضع قائم بالفعل إلى وضع مستهدف لتحقيق أهداف محددة في إطار رؤية واضحة مشتركة " (١٩) أو "مجمل عملية التحول التي قد تتعرض لها البنى السياسية في المجتمع أو طبيعة العمليات السياسية فضلا عن التفاعلات واحتمالات تغيّر الاهداف بين القوى السياسية ، بما يعنيه كل ذلك من تأثير على مراكز القوة بحيث يعاد توزيع السلطة والنفوذ داخل الدولة نفسها أو بين عدة دول".(٢٠)

إدارة التغيير (المعنى والمفهوم)

لقد فتحت الدراسات المستقبلية ، الباب واسعاً أمام مسميات جديدة للتغيير، فلم يعد الأخير مطلباً عادياً، بل هو مشروع استراتيجي يتطلب من القائمين عليه أو الداعين إليه أو حتى الذين يتعرضون إليه، التقرب منه بصيغة الهندسة (الإدارة) ((٢١))، طالما يمثل التغيير حالة انتقال من حال إلى حال، وهذا ما حصل مع العديد من الدول التي رغبت أو تعرضت لحمى الانتقال من وضع لا ديمقراطي استبدادي إلى وضع ديمقراطي، توجب عليها هندسة (تشييد) البيئة الحاضنة للتغيير بكل ما يضمه ذلك التشييد من ضرورة توافر قوى دفع تسنبت استنباتاً عبر التأهيل المقصود للمجتمع((٢٢)).

وتعد إدارة التغيير، وفقاً لما تقدم، مقياساً لمدى نجاح صناع القرار في إدراك موقع دولتهم في البيئة السياسية الدولية، طالما بدا التغيير مستودعاً للقوى المحركة لها ومدخلاً مهماً في تحليلها((٢٣)). ولأجل ذلك أخذت الكثير من الدول الاستنجاد بإدارة التغيير، كمنهج، كاشف لتطلعاتها ومسوقاً لنماذجها الإستراتيجية دولياً وإقليمياً، طالما بدا ذلك المنهج قادر على تقديم صورة واضحة عن العوامل والمحددات التي تؤثر في وجود الدولة وسلوكها((٢٤))، وفي مقدمتها هوية الدولة وخصائصها القومية والقيم السائدة فيها، وما تحوز عليه من قدرات مجتمعية، فضلاً عن البناء والتركيب النفسي اللذان يؤثران في تحديد مدركاتهما حيال الآخر، أو تشكيل صورتها لديه((٢٥)). وكذلك قادر على تجاوز محنة التوقع في الإستراتيجية أو حتى في السياسة الخارجية وصولاً إلى صناعة المستقبل. فتحليل المعطيات والبيانات أو ما يسميه البعض (مصادر الدور) تقوم إدارة التغيير بتوصيفها، بل وتجاوزها لصالح بلوغ المكانة الإستراتيجية التي يعتقد صناع القرار بأنها من استحقاقاتهم الإستراتيجية((٢٦)).

كما ان توقع وتشريح وتحليل النشاطات العملياتية للآخرين. انما هو يقدم وصف لما يتوجب على صانع القرار اتخاذه من أفعال وإجراءات تمارسها الدولة عبر مؤسساتها المختلفة في الخارج لتأدية وظائفها وتحقيق غاياتها، مثلما يقدم صور تحسب لما يقوم به صناع القرار في الدور الأخرى من أفعال وأدوار، تطويقاً لأي اختلال وتنازع، وتعميقاً لصور الالتقاء وقضاياه، فضلا عن تحقيق حالة الاستقرار كحاضنة لأفعالها((٢٧)).

وهكذا تبدو إدارة التغيير عملية شاملة ومتكاملة تبدأ بالتعريف بالتغيير وصولاً إلى تحديد (وصفة) مخطط لتقويمه واستثماره لصالح استمراره بصفته (المولدة) لممارسات حسية وإدراكية، تضمن تأهيل العاملين على التغيير لأداء محفز لرؤية نتائجه، وقد استقامت كخيارات عقلانية لتحقيق الأهداف المرصودة أو المأمولة من التغيير ذاته. عندها تغدو إدارة التغيير وكأنها عملية إدارية متناسقة الفسح والانتقالات وقابلة للحصر كأنموذج أو كإطار أو كنهج((٢٨)). لذا لا نخطيء بتوسلنا بالادارة لتوظيف انماط إدارة التغيير وطرقها بـ(خيارات الإنشاء والاختيار والتوليد) فيما

أضاف إليها آخرون طرق (الاقتباس والاستنساخ والابتكار والإبداع)((٢٩))، لذا لا غرابة أن يكون دعاة إدارة التغيير من دعاة المنهج التجريبي برغم ما يتسلح به بعضهم من نوايا نزوع نحو البراغماتية في أدائهم بل وتوصيف غاياته الأساسية((٣٠)). فيا ترى ما هو المقصود بإدارة التغيير؟.

تعني إدارة التغيير، عموماً، كما يقول (بيترف داركر)، نظام أو مجموعة من الفرضيات الأولية أو المبادئ المقبولة والمستندة على المعلومات أو المعرفة المحدودة التي تم استخلاصها من الملاحظة، طالما بدا هدف أي نظرية أو منهج التحليل التفسيري للظاهرة مع القدرة على توقع طبيعة أو سلوك تلك الظاهرة. وهنا حملت إدارة التغيير مضامين تشبه لحد ما مضامين الإستراتيجية لاسيما في التحسب والتنبؤ بالاستناد إلى قوانين الذاتية((٣١)). الأمر الذي يفسر لنا معاودة الدولة القومية لالتماس إستراتيجياتها القديمة لمعالجة تغييرات جديدة، كما هو الحال مع ديمومة الاستنجاد باستراتيجيات التكيف والمسايرة، الاحتواء، البحث عن الذات، الإصلاح، الشراكة الإستراتيجية، التآلفات الإستراتيجية وغيرها. ومع تعاظم دور الإستراتيجية في بناء الأمم والدول، لم تعد إدارة التغيير ترفا فكريا أو حاجة متولدة لمجابهة ظرف طارئ، بل هي:

أ. نتاج الإحساس بالحاجة إلى ضبط الفعل الاستراتيجي ونتيجته وتنميتها عبر ضمان روافد نجاحه في التأثير، نظرا لأنطلاق الفعل أساسا من قرار هادف ومدروس قائم على مرتكزات واضحة وملموسة وينفذ على وفق خطة مرسومة مسبقة وذات مرونة عالية متجددة الأدوات(٣٢). وهذا ما أفصحت عنه رؤية حزب العدالة والتنمية لإنهاء قطيعة التوجه التركي نحو الشرق الأوسط لـ "تحويل مخزون تركيا التاريخي وموقعها الجغرافي إلى رصيد يعزز السلام والاستقرار في المنطقة بوصفها كلاً متكاملاً " .(٣٣)

ب. استراتيجية بحد ذاتها محملة بخيارات ومعان متعددة تتداخل خصائصها في توليد حالة شاملة تجعل من التغيير ذاته مهمة مستمرة طالما القصد منها يبقى ثابتا حيث التحكّم بالمتغيرات لا التكيّف معها ، وذلك إدراك متميز يراهن صناع القرار عليه لكي لا يضلوا طريقهم في التعامل مع وقائع التغيير على الأرض... ولم يفقدوا وقود المسير نحو المستقبل حتى وأن تسربت الهواجس لديهم بأنه مستهجن ومكلف للغاية . ولعل أفضل ما يفسر تلك المقاربة إصرار تركيا على مواصلة مراقبة تداعيات الأزمة السورية والتعامل معها وفقا لمتطلبات أمنها القومي، وإن جاءت تلك التداعيات برسم متجدد للحركات والتنظيمات الكردية فيها .(٣٤)

يرى (جون كوتر) إن إدارة التغيير، إذا ما نظر إليها بمطمح صناعة التغيير ستحتاج إلى تسلسل هرمي لتثبيت عناوين التغيير وأهدافه لاسيما الوافدة منها، لكي لا يضطر القائمون على إدارتها التماس ممر واحد في التعامل معها، ذلك الاضطرار الذي يحول إدارة التغيير إلى إدارة بالمخاطر التي إذا فقد التركيز حيالها سينقلب قادة الإدارة إلى مقاومين للتغيير ذاته . وهذا ما صادفته تركيا في ليبيا أولا، وفي الأزمة السورية ثانية ولاسيما بعد التدخل التركي فيها والتعمد لتسليح الحركات والمنظمات والفصائل الكردية بالسلاح، والذي عدّ من لدن حكومة (يلدرم /أردوغان) تهديدا خطيرة للأمن القومي التركي لم تنفع معه تكرار حالة الاستنجاد التركية وعلى لسان (أردوغان) بحلف الناتو وفاءً التزاماته الموثقة والمنشئة له .(٣٥)

وكما كانت إدارة التغيير هي الهدف الاسمى المتاح لكل القوى الاقليمية والدولية ، تبعاً لتدافع حقائق السلوك (الدولاتي) السلمية منها والصراعية ، الا انها تبقى حاملة لاشكالية مهمة ، لاسيما

في المناطق / الاقاليم المتوترة والمأزومة التي يتوجه عبرها الفاعلون نحو اهداف محددة بعينيها مؤسسين ماأسميناه بـ (التماثل الغرضي في إدارة التغيير) . فالكل وضع التغيير هدفاً له ، حتى بتنا امام مشاريع متصادمة ولكن مخرجاتها متماثلة (٣٦).

ولو أقتربنا من الشرق الأوسط ومن لجّة تعرضه للتغيير مع ثورات الربيع العربي، نجد أن الجميع راهن على إرادة الشعوب (تماثلا غرضيا)، إلا أنهم أفترقوا في الموقف منها، بل وجعلوا منها منصات / مقتربات لزيادة الأفتراق في المدارك والسلوكيات معا، الأمر الذي طبع مقتضيات التوازن الاستراتيجي في الشرق الأوسط بطابع توازن التهديد، بكل ما يؤسسه ذلك الحال من سباق تسلح وقوى ومشروعات وتنافس، وهذا ما يرغب به الجميع طالما بدوا يرون بعصف التغيير ميدانا للتباري وفرصة للقيادة.(٣٧) كما تبدى ذلك بوضوح مع تجليات الازمتين السورية والخليجية والتماثل الغرضي للاستراتيجيتين التركية والايرانية على وفق قاعدة القيادة من الاسفل . الامر الذي افقد إدارة التغيير في الشرق الاوسط حوافزها الاستراتيجية . لذا لايخطئ من يصف منهجيتها في الشرق الاوسط بانها أرتدادية مولدة لحالات التأزم والانكشاف الاستراتيجي لصالح القوى الدولية المتنفذة فيه (٣٨).

ثانيا : تركيا وإدارة التغيير ..... مقدمات ومقاصد

لقد وجدت تركيا (بإدارة التغيير) ونمذجتها على أساس القواسم الجيو- إستراتيجية والجيو- ثقافية المشتركة في الشرق الأوسط ضرورة لا غنى عنها في إطار البحث التركي عن التوازن الاستراتيجي فيه، مادامت تمثل دليلا على حاجة صناع القرار في الشرق الأوسط ولاسيما بعد ثورات الربيع العربي إلى (ثورة عقلية) تبيح لهم التعاطي الإيجابي مع المتغيرات الداخلية والخارجية، مثلما تتطلب (نسغ المقاومة) لما تولده من أدوات ضارة تزيد من أضطرابات التعامل مع الأحداث بصورة أكبر مما تولده الأخيرة من أضطراب(٣٩) .

وهكذا أنتبهت حكومات حزب العدالة والتنمية إلى هذه الحقيقة لتجعل من طموحها في تشكيل توازن استراتيجي في الشرق الأوسط استراتيجية بناء وصناعة متجددة تأخذ بالحسبان متطلبات شعوب المنطقة ودولها على حد سواء ، تلك الاستراتيجية تستدعي إحلال قيم التنمية والسلام محل التسلح والحروب، قيم الإنسانية محل التذّرر الطائفي والعرقي حتى لو استدعى منها التذكير بالتاريخ وسطوته بوصفه محركاً لإقامة السلم وديمومته، وعلاجا للحاضر وتشييدا للمستقبل ولاسيما حيال القضية الفلسطينية. وهذا ما أشار إليه (أوغلو) بقوله: "إن حل هذه القضية يتمثل في قيام دولة فلسطينية حقيقية وليس شبه دولة.. دولة لها أقتصاد قوي وحيز جغرافي واضح، وإلا فإن المشاكل وعدم الاستقرار ستستمر".(٤٠)

إلا أن العلة في تراجع نموذج إدارة التغيير التركية لا تكمن في قصور الأداء التركي لتحقيق التناغم والتجانس الإيجابي في الشرق الأوسط، بل تكمن بما تفرزه أحداث الشرق الأوسط من تراكم للتغييرات دون معاونة. وهكذا بدت تركيا في مرات عديدة منفردة في مواجهتها للتحديات العاملة في الشرق الأوسط، كما هو الحال سبقها في مكافحة الإرهاب وتواري دورها عندما أصبحت تلك المكافحة جهداً دولياً بامتياز. ذلك التواري الذي أنتهي مع التفهم الأمريكي لمصالح وأهداف تركيا، لتغادر مكانها في أعلى التل وتنزل لسفوح ميادين المجابهة ضده (٤١) .

تلك المغادرة / النزول ، التي حذر منها (كينيث . ج . بولدنك) مبكراً في إطار تحليله للترادف بين الصراع والدفاع ، عندما قال " قد يغدو التراجع

تعبيراً عن رؤية إستراتيجية تحرك جذوة التغيير وتؤطرها استراتيجيا خوفا من الارتداد نحو حالة اللااستقرار من جديد " (٤٢) ، لاسيما في الشرق الاوسط الذي لم تزل قواه الاقليمية الفاعلة تعمد / تعمل على فكرة (الاستقرار التمييزي) لإتمام مصالحها على حساب مصالح قوى المنطقة وعلى التحصن خلف امنها الذاتي دون مقتربات جادة نحو تكاملية الاداء ، مما يعني فقدان جميع تلك القوى قدرة التمكيين لرؤية الامن الاقليمي وقد ساهم في تعزيز توجه الشرق الاوسط نظمياً كأقليم قائم بذاته .(٤٣)

لقد أحست تركيا ومع وصول حزب العدالة والتنمية إلى سدة الحكم عام ٢٠٠٢، إن التغييرات التي شهدها العالم وإقليم الشرق الأوسط وآسيا الوسطى مطلع القرن الحادي والعشرين، فضلا عن عودة روسيا كقوة دولية كبرى، تجعلها معنية بالنظر إلى ما يحيق بها من مخاطر وأزمات، تفاديا للدخول فيها (كما حصل مع عدم مشاركة تركيا الولايات المتحدة في احتلالها للعراق عام ٢٠٠٣) (٤٤) ، وتحييدا لانعكاساتها، بل والإسهام في تسويتها عبر مقولة (تصفير المشاكل) كما هو الحال مع موقفها من أزمة البرنامج النووي الإيراني. ولا يمكن لها إتمام ذلك دون رسم لما يتوجب على تركيا تبنيه من أفعال وسلوكيات على وجه الخصوص ، ودون ترسيخ القناعة بإن تركيا بلد مركزي ذو هويات إقليمية متعددة لا يمكن اختزاله في صفة واحدة (٤٥) . وهو ما يعني إنه لا يمكن تفسير تركيا جغرافيا (بين الشرق الأوسط أوربا) وثقافيا (بين الإسلام والعلمانية) بربطها بمنطقة واحدة، بل لا بد من تعزيز قابليتها على الانخراط في المناطق المجاورة بسلسلة من التفاعلات المنتجة التي تعظم المنافع الإستراتيجية التركية في ظل تسلحها بوشائج حضارية وثقافية واسعة ومؤثرة مع تلك المناطق، وهو ما يعكس الحاجة المزاوجة النشطة بين الثقافة والجيو إستراتيجية توطئة لنقل تركيا إلى جغرافية أوسع (٤٦) .

فتركيا على حد قول أوغلو (دولة لا يمكنها الانكفاء على ذاتها، لديها القدرة على تحويل عناصر أزمتها إلى عناصر قوة من خلال الانفتاح على الخارج بثقة جديدة في النفس، شرط أن يكون ذلك في سياق وضعية المركز التاريخي، لذا يتوجب عليها الانخلاع من كونها دولة طرفية (هامشية)، وأن تكتسب وبسرعة وضعيتها كدولة لا تصرف جهودها فقط من أجل حماية استقرارها و كما كان خلال القرن الماضي، بل توظفها لحماية نظامها من خلال الاضطلاع بدور يحمي استقرار ونظم الدول المجاورة) (٤٧) وهذا يعني إن تركيا معنية على وفق خيارها (إعادة التكون / البناء من جديد) تفعيل نموذجها الدولاتي العميق دون خجل من هويتها و دون المساومة عليها، لصالح توظيفه كمدخل للمبادرة في صياغة وزن تركيا الجيو إستراتيجي، أو تسويق استحقاقها ذو العمق الإستراتيجي والحضاري. وهكذا تكون تركيا قد نجحت وعبر ما أسميناه بـ « المبادرة المسؤولة » في الخيار بين تطلعها القومي ودورها الإستراتيجي، في تجاوز العوائق السيكولوجية التي كانت تلف خياراتها في الانفتاح نحو العالم وأقاليمه المتعددة منذ سقوط الخلافة العثمانية ١٩٢٣ (٤٨) ، ذلك التجاوز المبني على (مقاربة عالية التأثير والفاعلية) دون التحلل عن تحالفاتها مع الغرب عامة والولايات المتحدة خاصة أو عن طموحاتها بالانضمام إلى الاتحاد الأوربي الذي سيجد، عاجلا أم آجلا، بتركيا مركزا مهما يمكن الاستفادة منه لتقنين ومأسسة انفتاحه شرقا لا سيما بعد عودة روسيا لممارسة دورها العالمي (٤٩) .

وإذا كانت تركيا وطوال السنين اللاحقة لوصول حزب العدالة والتنمية للحكم فيها، قد اعتمدت على ذاتها في تكوّنها من جديد وتسويق نموذجها إقليميا وعالميا، لم تزل مصرة على ضرورة توافر فهم سيكولوجي وثقافي متين الأساس من العالم

الإسلامي ووجود ثابت فيه (٥٠) . وسر ذلك يكمن في أن تركيا لم تعد تكتفي بجهودها المنفردة لإتمام تكونها من جديد، بل تعول على الآخرين ليجعلوا منها جسرا أو مركزا بين الغرب والعالم الإسلامي مما يفتح الطريق أمامها للتحوّل من قوة إقليمية طامحة للزعامة الإقليمية إلى قوة عالمية مؤثرة (٥١) ، طالما بقيت الإرادة التركية متحفزة لإتمام مقصدها وطالما نجح حزب العدالة والتنمية من تجاوز إشكالات القرن الماضي حيث الصراع بين القومية والإسلام (٥٢) . عندها فقط ستكون تركيا وفية لما أرساه (أوغلو) من أهداف في مشروعه الإحيائي الجديد (٥٣) الذي بدا أسلوبا مجربا لإدارة التغيير الذي يجابه تركيا كدولة ، ولتثبت تركيا ، ان إدارة التغيير ، لم تعد بحاجة الى حوافز أو مسوغات طالما بدت تمثل صناعة لها آلياتها ومراحلها وفواعلها ، على حد قول (أ.ني . أوتكين) . وتلك نظرة جديدة وأن كان نسغ إدراكها حاضراً تاريخياً كماهو الحال مع افعال التوسع والطموح وحتى صناعة العدو ... الخ(٥٤) . كما واثبتت ، أيضاً ، ان النظر الى الاستراتيجية كمعطى ليس ثابتا ، طالما بقيت الاخيرة لاتحتكم الى قانون ثابت على حد قول (غاري هارت) ، لتتجاوز مهمتها الى أنتاج فكر استراتيجي يتناسب مع معطيات كل دولة حتى لو توسل ذلك بمسميات ودواع تأريخية او حضارية ، طالما كان هدفها إعادة بناء مكانة الدولة الاستراتيجية من جديد (٥٥)، حتى لوكان ذلك فعلا ونيةً متأخرة كما هو الحال مع جهود حزب العدالة والتنمية بعد عام ٢٠٠٢ . وهذا ماتوضح جلياً في تفرد حزب العدالة والتنمية في تسويق فكرته عن السلام ، بعد ان نّظر له ولقضاياه نظرة حاذقة عندما عدّه قياديه مدخلا تأهيليا لتركيا في تطلعاتها لتقويض الصراعات وتسويتها كدرب لبناء السلام ، بوصف ذلك مسارا حتميا في إدارة العلاقات الدولية والاقليمية(٥٦) . ولم تكن تلك النظرة قسرية ، بل خضعت كليا لمتطلبات إدارة التغيير ، خاصة عندما اطلق (احمد داود اوغلو) دعوته لـ (تصفير المشكلات) ، والتي ابدعت في صياغتها وتنفيذها على مرحلتين :(٥٧) المرحلة الأولى : هي احتواء الصراع وتسويته وتحويله إلى مقدمة للسلام، بما في ذلك معالجة جذور العنف. وبهذا تكون الدولة التركية، وفي ذهنها صناعة التغيير، قد أعفت نفسها مما تمتاز به البيئة الإقليمية حولها من تعقيد وتمدّد وتقلّب وعكسها لصالح (العدالة، وتنامي الثروة، وتجديد الهوية)، والثانية، السعي لصياغة ديناميات جديدة لتأهيل الدول للسلام مأخوذة بالتوجهات الجديدة التي أفرزتها المتغيرات الدولية بعد أنتهاء الحرب الباردة، ومنها إلتماس الديمقراطية كقوة دافعة من أجل تحقيق السلام بين الدول والمجتمعات وبداخلها، وتنامي ظاهرة الاعتماد المتبادل، ولاسيما في المجال الاقتصادي، وتبني خيار مأسسة التفاعلات الإقليمية عبر منظمات دولية ذات الطبيعة الحكومية والتي تمكّن الدول من الاضطلاع بواجباتها، من دون نسيانها للإشكاليات التي يمكن أن تبرز من جراء ذلك (٥٨). فضلا عن مراقبة ادوار الأطراف الخارجية، وتحديد مجالات ونطاق أنشطة بناء السلام، وتحديد حاجة الدول والمجتمعات إلى رؤية أيديولوجية جامعة ما بين السلام والعدالة ولاسيما فيما تعانيه حوافها، ولاسيما الشرق الأوسط من تعددية عرقية وطائفية وأزمة الهوية، بالاضافة الى قلة خبرتها التاريخية وثقافتها السلبية حيال التحرر السياسي، كذلك أنكشاف دولها داخليا وتعرضها للتحديات البنيوية المستحدثة من جراء ظواهر التغيير الدولية المتوالية مثل العولمة والحداثة. الخ، فضلا عن عدم وجود نماذج محلية موثوق منها لبناء السلام (٥٩). وهو ما دفع تركيا لتركز الجهود / المشروعات المبذولة بهذا الصدد على الديناميات الداخلية دون أن تولي اهتماما مناسبا لتشابكات الداخل والخارج فيما يتعلق بأسباب الصراع وتداعياتها.(٦٠)

رابعاً : تركيا وإدارة التغيير ... البحث عن المكنة الاستراتيجية

لاغصاصة في القول ، إن جوهر سياسة حكومات حزب العدالة والتنمية وإن ركزت بمجملها ، أبتداءاً ، على مقتضى صياغة هوية تركية جديدة ، الا انها مالبثت ان افصحت عن ذاتها ، وكأنها بحث عن مكنة إستراتيجية *(٦١) تستودع فيها كل المطامح لإتمام صيرورة الأمة التركية من جديد(٦٢). وإذا كانت التجارب التاريخية تربط ذلك الأمر على توافر الحافز ونمط الاستجابة، كما هو الحال مع ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية وبعد عام ١٩٨٩م، واليابان وإيطاليا في النصف الثاني من القرن العشرين، وحتى إيران بعد عام ١٩٧٩م (٦٣)، فإنها في تركيا ربطت على افتراضات متعددة، منها تراكم القوة وضرورة ضبطه، ولاسيما في الدول ذات الطبيعة الأثنية والعرقية والطائفية والتي عادة ما تواجه صعوبات حادة في توظيف ذلك التراكم لصالح التكوّن من جديد، كما هو الحال مع تركيا، وتوصيف المصالح القومية التي غالبا ما تحددها الغايات النهائية لأفعال الدولة وقدرتها على التحكّم بالمتغيرات وأستيعاب مصالح ومطامح أبنائها أولا، كما هو مواجهتها للتحدي الكردي أيضاً، وأخيرا ربطت على القدرة لبناء نموذج مفترض للتفاعل المنضبط خارجيا إذ المشاركة في توازن توليد يضمن لتركيا إدارة إستراتيجية لتحدياتها والأزمات المتوقعة بدعم من التألف المجتمعي من الداخل (٦٤).

وهذا ما قبضت عليه تركيا بنمط قيادة منضبط الأداء كما أفصحت عن ذلك سني حكم حزب العدالة والتنمية، لتؤسس عودة جديدة للروح التي تغذت على العلاقة بين السياسة وإدارة التغيير وصناعته، مادام الأولى معنية بصياغة وتطبيق ما توفره تلك الإدارة من فرص وهوامش حركة لتمكن الدولة من الحصول على الهيبة أو تحقيق أهدافها، لتغدو إدارة التغيير عند مسمياتها النهائية حيث صناعة التغيير ولكن بدلالة الاستقرار.(٦٥)

وبرعت قيادة حزب العدالة والتنمية في تكتيل القدرة الاستراتيجية التركية وعلى مختلف ابعادها عبر العودة بها الى حاضنتها الاستراتيجية التي لم تعد تنظر للقوة بشكلها المجرد، بل إلى وظيفتها المحفزة للدولة لكي تبدا بالتخطيط لأهدافها ومصالحها وما تستطيع كسبه من حرية العمل (الحراك الاستراتيجي)، وبالتالي تصبح القدرة الخارجة من الاستراتيجية في حالة التغذية العكسية أعمق مفهوما من القوة كمفهوم وكواقع، وهذا ما ميز تركيا عن القوى الإقليمية الفاعلة في الشرق الأوسط .[٤](٦٦)

وعلى الرغم من سعي قادة حزب العدالة والتنمية الحثيث بهذا الاتجاه، ماخوذين ب(تركيز القدرة)، إلا أنهم مازالوا حياري في تصريف أنماط التأثير غير المحسوسة التي تعترض إفصاح الأتراك عن قدراتها، كما هو الحال مع انقلاب ٢٠١٦م، داخليا وتداعيات الأزمة السورية وما قدمته من تعظيم للتحدي الكردي، فضلا عن المعوقات التي تعترض مسيرة انضمامهم للاتحاد الأوربي، والتي كانت بفعلها بوابة لارتباك المعطيات الإدراكية لمنازعة الأتراك لذاتهم وفقا لمبادئ أتاتورك [١](٦٧) .

وبخط مستقيم مواز، كان لتركيا دورا كبيرا في فرض إرادتها ضبطاً لقواعد التفاعل البيئي بين القوى الإقليمية الفاعلة في الشرق الأوسط، وتثويرا لقدراتها الإستراتيجية الذائية، حتى بدت بمنزلة القيادة الأولى بين المتساوين. وتلك وأن ردها البعض إلى صلادة وضع حزب العدالة والتنمية داخلياً ، ولاسيما بعد فشل إنقلاب ٢٠١٦م، إلا أن الحقيقة تبقى تدين لقيادة أردوغان ومنذ عام ٢٠١٠م، حيث حادثة أسطول الحرية، الذي عبر بسلوكياته الأدائية عما يحمله من فائض إدراك وقوة، جعلته قادرا على فرض الإرادة التركية إقليميا ولاسيما وهو يتسلح بمنظومة قيمية لها نصيب

كبير من المقبولية والمرغوبية، مع سيادة التوجه نحو مكافحة الإرهاب، مما جعل أدواره المتعددة، وإن عذت مولدة للمشكلات لا مصفّرة لها، عوائد صافية ما تلبث أن تتراكم محققة دفقا متصاعدا من القدرة الاستراتيجية التركية باتجاه تشييد مسارات ضبط جديدة للتوازن الإستراتيجي ولكن تحت قيادتها بكل ما يوحي ذلك التشييد من صناعة للتغيير.[٢](٦٨)

وهذا يعني أن تركيا لم تمنعها قيود الهوية ولا وجهتها الغربية ولا عقيدتها العلمانية من تأسيس أنظمة أداء طورت عبرها اتجاهات سياستها الخارجية التي نجحت في تجاوز محنة التحدي لها من لدن أي طرف، ولاسيما بعد شعور الجميع بأن تركيا طرف مهم في أية استراتيجية خروج (Exit Strategy) من المآزق الإستراتيجية[٣](٦٩) من دون الالتفات إلى ما يؤسسه ذلك الوجود من إغراء بالتمدّد الزائد للدور التركي مادام سلوكها السياسي الخارجي ضروريا ومتناسبا وفعالا وعادلا، مقربة لدواعي سيادة نظرية (السلام الديمقراطي) (Democratic peace Theory)، لتغدو تركيا الدولة/الأمة التي لا يمكن الاستغناء عنها في الشرق الأوسط [١](٧٠). (Indispensable Nation وقد أسسّ هذا الحال ، تحفزاً تركياً طاغياً لاستثمار مكنتها في هذا السبيل ، طمعاً في قيادة التغيير لا الاكتفاء بادارته ، ملوّحةً بقدرتها وامكاناتها والاهم ماصادفته سلوكياتها واتجاهات سياستها الخارجية من مقبولية في رسم حدود حركتها الاستراتيجية في كل ساحات الحواف ، ومنها منطقة الشرق الاوسط ، وفي تحريك مجساتها الحسية والادراكية لقيادة التغيير فيها / فيه والذي بقي لحقبة غير قصيرة من الزمن عصياً عليها بسبب الهيمنة الامريكية هناك [٢](٧١) . الامر الذي جعل قادة حزب العدالة والتنمية ، متحررين نوعا ما من معضلة ندرة الخيارات التي أبتليت بها الاستراتيجية التركية في توجهها نحو الشرق الاوسط ، كما حصل من موقف تركيا من الاحتلال الامريكي ـ البريطاني للعراق عام ٢٠٠٣ [٣](٧٢)، مجسدة بالتمام ماأسماه البعض بـ « النمط الاوروبي من القيادة « .[٤](٧٣)

ولو حاولنا تحليل سر تهافت قيادات حزب العدالة والتنمية لكي يجعلوا من تركيا (الدولة / القائدة للتغيير) لابد من استعارة وصف الباحث الانكليزي (جوزيف . سي . إيغبولم) عندما قال « ان الصفة الاخيرة (الدولة / القائدة للتغيير) ، غالباً ما تقع ضمن جهود الدولة للتسلح بصفتها المميزة، بالاعتماد على ما تراه من « أهلية مضمونة وتوقيت مناسب ووظيفة مستهدفة، وحيز أداء يفترض أن يكون ميدانا لتسويق تأثيرها « [١](٧٤)، فيما رأى (فيليب سادلر)، أن هذه المتطلبات تعد تالية لما تفترضه (قيادة التغيير) من شروط، أولها قدرة الدولة على حجز مكانة لها في انتشار القوة، وثانيهما قدرتها على إدامة التأثير مادام الأخير هدفا بحاجة إلى استدامة، وثالثهما، حاجة الدولة الطامحة لقيادة التغيير إلى مرجعية تضمن استمرارها بذلك، معبر عنها بتضامن القيم المشتركة التي غالبا ما يعبر عنها بالتضامن الجمعي المعبر بدوره عن الهوية الواحدة الذي سيصبح عنوانا لشروع الدولة بالتغيير».[٢](٧٥)

ولهذا كثيرا ما توصف قيادة التغيير بكونها تآلف قوى إستراتيجي يعبر عن قدرة الدولة في التأثير في سلوك الدول الأخرى، وتوجيه نشاطها وفقا لرؤاها [٣](٧٦). وعلى الرغم ثبات مما يعنيه ذلك التعريف، إلا أن درجة إلتماسه متغيرة من دولة إلى أخرى، تبعا لقدراتها اولا، ولضخامة الأهداف المبتغاة من وراء مشروعها التغييري ثانيا وأدواتها المستخدمة في ذلك ثالثا . لذا لا غرو أن تعد (قيادة التغيير) نمطا من أنماط الادارة الإستراتيجية .[٤](٧٧)

وهذا يعني أن قيادة التغيير ليس هدفا أوليا ناتجا عن مصفوفة الآمال والرغبات، بل هو نتاج القدرة على ضبط مسارات التفاعل بين العديد

من المتغيرات وتقليل حدة التناقض بينها معززة بعنوان واحد ومرجعية واحدة وأن تعددت أبعاده. وهنا تبدو قيادة التغيير الشغل الشاغل للقادة وصناع القرار وحتى النخب السياسية، اللذين ما أن يقبضوا على ممكنات دورهم في هذا الصدد، رؤية وتعريفا وتنبؤا بالمستقبل، تراهم يعلنون عن برامجهم للتغيير وفقا لنمط الأستجابة المخطط لها سلفاً.[٥](٧٨)

وإزاء ذلك وجدت قيادات حزب العدالة والتنمية ذاتها معنية بتحقيق تكافؤ بين مكانة تركيا التأريخية ومكانتها الجيواستراتيجية، كضرورة لإدامة تأثيرها السياسي داخلية وخارجيا [٦](٧٩)، لذا عمدت وبمختلف عناوينها ومؤسساتها الرسمية والحزبية إلى تشكيل الذات التركية على قدم المساواة مع أندادها الإقليميين في الشرق الأوسط، وكذلك الأوربيين، تدفعها بذلك معايير الأنضمام للأتحاد الأوربي وضرورة تلبيتها، وحسم هويتها ذات الألوان والاتجاهات من دون التنازل عن (أوربة) عنوانها الإستراتيجي، فضلا عن الحرص على تحقيق إنجاز ملموس على صعيد المكاسب المتحصلة أو المتوقعة من دون الالتفات إلى تأويلات الديمقراطية بقصد كسر مقاومة العلمانيين والعسكر على النهج الذي تبناه حزب العدالة والتنمية الذي أخذ من الحداثة هدفا لا خاتمة لمطامح الأتراك كما كان أيام العثمانيين أو حتى أيام (أتاتورك).(٨٠)

حال أستشعار قيادات حزب العدالة والتنمية بتأريخية منهجهم، حتى أستثاروا عزائم غالبية المجتمع التركي، ناقلين إحساسهم بضرورة إعادة هيبة التاريخ الغابر، إلى النخب السياسية محققين عصفا أدائيا وفكريا كبيرا لتدبر ما ينبغي لتركيا شغره من موقع في التفاعلات الإقليمية والدولية، ولاسيما في الشرق الأوسط، محققين أستجابة مقصودة لما يمر به من تغيير، وما تفصح عنه بيئته الإستراتيجية إذ ملئ الفراغ الإستراتيجي في الشرق الأوسط، وإعادة التموضع وإحتواء الاندفاع الإيراني والسعودي وإدامة التحالفات مع بقية دول المنطقة، وصولا إلى مكانتها الريادية في ضبط تفاعلاته، ليغدو التوجه التركي نحو الشرق الأوسط وقد امتلك منذ البداية شروط القيادة الإقليمية، ومابرح فضاء تلك التفاعلات يبيح التلون في الأدوات المصرفة لذلك الطموح (٨١) .

ويرى أستاذ العلاقات الدولية في جامعة غازي عنتاب التركية (Saban Kardas) من جانبه، أن طموح تركيا لقيادة التغيير في الشرق الأوسط، وأن مثل ميعادا لتركيا لإعلان نفسها كـ(قوة وسطى) دليلها الأمن، إلا أن المصلحة القومية لم تزل تمثل لها ناموسا حركيا ، لتتوائم مطامحها التاريخية في صف واحد. فهي لم تزل دولة محورية كما أرادها أتاتورك، لها منظومتها الفكرية وهويتها وتأخذ بالديمقراطية، وتقبض على فرشة واسعة من الوظائف لم تستنزفها الأحداث بل هي من يتلاعب بمعيارية مخارجاتها. ولم تزل أيضا دولة المركز القادرة على تصريف شواغلها وشواغل الأخرين أيضا، بعد أن تمكنت قيادات حزب العدالة والتنمية من تحويل النظر لعمق تركيا الجيوبولتيكي من منظار الجبرية الجغرافية إلى الديناميكية التاريخية التي منحت تركيا طاقة فائقة في فرض ذاتها ترفدها مكنة قيادية وإرادة سياسية جعلت من قيادتها للتغير ميدانا لتسويق ذاتها بوصفها أنموذجا قادرا على إدارة تفاعلات الشرق الأوسط(٨٢). وهذا ما عبر عنه الرئيس التركي السابق عبد الله غول بقوله: «إذا لم نأخذ رسن (مقود) القيادة فأن الأخرين سوف يحاولون ملئها على طريقتهم ويتدخلون في شؤوننا». وهكذا تبدو مطامع تركيا في قيادة التغيير، مرشدة لفاعليتها الاستراتيجية والتاريخية لتنمية وإدراك ذاتها وتأهيل الآخرين لمماثلة عزمها كما يقول (أردوغان) « مشاركتنا بحشد القوى لبلوغ الهدف الكبير» حيث السلام والتوازن الاستراتيجي، لاسيما يبعده النفسي الذي بدا التوجه نحو بناءه

مـن جديـد مطلبـا إقليميـا ودوليـا .(٨٣)
وممـا أعطـى لقيـادات حـزب العدالـة والتنميـة فرصـة لسـفورهم بمطمحهـم إذ القيـادة الإقليميـة، مـا يسـميه (توماس شـيلينغ) ب(طغيـان القـرارات الصغيـرة) (٨٤) لـدى أندادهـا فـي الشـرق الأوسـط . فعلـى الرغـم مـن اسـتمرار التمـدد الإيرانـي فـي الشـرق الأوسـط والضـد السـعودي المقابـل لـه، لـم يصـادف ذلـك المطمـح (القيـادة) حتـى هـذه اللحظـة قـرارات حاسـمة لتوجيـه دفتـه لتفـادي المواجهـة بيـن القطبيـن الإقليمييـن وإعـادة الاسـتقرار الميـزان القـوى الإسـتراتيجي فـي المنطقـة. وعلـى الرغـم مـن عقلانيـة مـا يقدمـه الطرفـان مـن مقتربـات رؤيـة وفعـل لتفـادي المواجهـة بينهمـا علـى الرغـم مـن اتسـاع ملامحهـا فـي سـاحات متعـددة، ماخوذيـن بأطروحـة (ظـل العمـق) مـن دون أنغمـاس كبيـر يؤدي إلـى المواجهـة، فـإن طغيـان القـرارات الصغيـرة لديهمـا انتـج قـرارا ضمنيـا غيـر عقلانـي يعـزز اسـتمرار حالـة الاختـلال فـي التـوازن الإسـتراتيجي في الشـرق الأوسـط. وقـد تزامـن ذلـك مـع أدراك قيـادات حـزب العدالـة والتنميـة فـي قراءتهـا للوضـع الدولـي ومـا يمـر بـه مما أسـماه البعـض ب(عصـر تحـول القـوة إلـى فاعليـن كثـر) (٨٥) ومـا صاحـب سـيادة هـذا العصـر مـن ملامـح تغييـر أهمهـا انتشـار القـوة، جعـل الأوضـاع الإقليميـة، ولاسـيما فـي الشـرق الأوسـط تتشـابك وتتعقـد بصـورة ملموسـة، الأمـر الـذي أدى كمـا يقـول (إيـان بريمـر): إلـى عـدم تمكـن قـوة واحـدة أو تحالـف معيـن مواجهـة تحديـات قيادتـه (٨٦) . وهـذا يعنـي أن القـوى الدوليـة الكبـرى أخفقـت فـي إدارة التغييـر فـي الشـرق الأوسـط، علـى الرغـم مـن عـدم رضاهـا عـن التوزيـع الحالـي للقـوة، وهـو مـا جعلهـا تبحـث عـن منافـذ خـلاص مـن هـذه المحنـة كمـا حصـل مـع أنسـحاب الولايـات المتحـدة الأمريكيـة فـي ظـل إدارة (أوبامـا) مـن الشـرق الأوسـط تاركـة إدارة أوضاعهـا المجـال أأدوار القـوى الإقليميـة (٨٧)، كمـا أشـارت إلـى ذلـك مؤسسـة سـتراتفور الأمريكيـة عندمـا ذكـرت فـي دراسـة لهـا «سـتتخلى واشـنطن عـن المسـؤولية والنفـوذ فـي المنطقـة، وستنسـحب لتديـر الموقـف بمبيعـات أسـلحة وحوافـز وعقوبـات اقتصاديـة، وسـتكون المنطقـة، ولأول مـرة منـذ الحـرب العالميـة الأولـى، فـي قيـد تطويـر تـوازن قـوى إقليمـي مسـتقل بذاتـه(٨٨). وقـد أعطـى هـذا الأمـر فرصـة لتركيـا فـي ظـل تصاعـد ازمـات الشـرق الأوسـط إلـى تولـي مهمـة القيـادة الإقليميـة، مـن دون تكليـف بنـاء علـى إحساسـها بفـراغ القيـادة الناجـم عـن فـراغ الرؤيـة لـدى القـوى الدوليـة (٨٩)
وهـذا الأمـر بقـدر مـا أسـس مقدمـة لـدورة انتقاليـة فـي ميـزان القـوى الإسـتراتيجي في الشـرق الأوسـط، إلا أن التمـاس قـواه، لاسـيما بعـد ثـورات الربيـع العربـي، للبعـد الجيوسياسـي كـدرب للهيمنـة ولاسـيما بعـد الرهـن المتعمـد لذلـك الميـزان بالبعـد المجتمعـي / الدينـي مـن دون البعـد الجيـو- إسـتراتيجي(٩٠)، فسـح المجـال أمـام تركيـا لأداء دورهـا القيـادي فـي الشـرق الأوسـط، لاسـيما مـع تصاعـد النزعـة الإقليميـة لـدى قـواه الفاعلـة، حتـى تحـول الشـرق الأوسـط بكليتـه إلى جزيـرة منعزلـة مليئـة بالتصارعـات مـن دون قواعـد منظمـة لهـا (٩١). وهكـذا كانـت فوضويـة الأوضـاع الإقليميـة فـي الشـرق الأوسـط، سـببا لكـي تقـدم تركيـا ذاتهـا لقيـادة التفاعـلات فـي الشـرق الأوسـط فـي ظـل مـا تعانيـه دولـه مـن انهيـار وإخفـاق حكوماتهـا فـي أداء أدوارهـا التنمويـة وتصاعـد دور الحكومـات المحليـة والمليشـيات الداعيـة إلـى تثويـر الصراعـات الأهليـة .(٩٢)
فـي ظـل هـذه التحديـات، التـي مثلـت لتركيـا محطـات اختبـار إجرائيـة لنموذجهـا / طموحهـا فـي قيـادة التغييـر فـي الشـرق الأوسـط، عمـدت تركيـا إلـى تبنـي دور هندسـة الأوضـاع الإقليميـة فـي الشـرق الأوسـط بعيـدا عمـا يلوحهـا مـن كلـف، وفـي ذهـن قياداتهـا حيـازة الأهـداف عـن بعـد وبضمـان ورضـي جميـع الأطـراف. وهـذا مـا كشـفته الزيـارات المتكـررة ل(أردوغـان) لمعظـم دول المنطقـة للمـدة ٢٠١٤-

٢٠١٧م، على الرغم مما عانته تركيا من تحديات داخلية بعد تظاهرات (تقسيم) التي كانت جرس إنذار لمنحنيات الإنحدار لصعود التيارات الإسلامية فيها وفي الإقليم برمته،(٩٣) والذي واجهته تركيا باستبدال جذوته بالتحفز لمحاصرة التهديد الكردي الذي ظل ذات مكانة كبيرة في المدرك التركي حتى أثناء محاربة داعش، ليتساوى العنوانان حتى هذه اللحظة في خطابات أردوغان، لاسيما بعد عملية غصن الزيتون في سوريا عام ٢٠١٨م، التي أرادت منها تركيا مخالفة توجهات الإدارة الأمريكية في إعادة النظر بخارطة الشرق الأوسط وحدود دوله بعد ما أرساه داعش من وقائع محفزة لرؤية الشرق الأوسط وكأنه (عالم من مناطق النفوذ الغامضة والمتداخلة على حد قول وزير الدفاع الأمريكي السابق (تشتاك هيغل).(٩٤)

وهكذا تحملت تركيا وزر تلك المهمة بالاعتماد على ما تمتلكه من مقومات قيادة، مثلتها مقومات القوة التركية بامتياز، حتى بات الأمن القومي التركي وكانه كشافا ، تبعا لتعدد معانيه ودلالاته وتراكيبه ومهامه، للأمن الإقليمي في الشرق الأوسط. فالنظرة واحدة، مادامت الانشغالات، والتهديدات والفرص، واحدة بدءا من الانعتاق وصولا لإعادة البناء، فضلا عن تحمّلها وزر التصدع السياسي الإسلامي وثقل المردود المنظماتي / الحركي لها.(٩٥)

وضمن هذا الإطار، وجدت آليات القوة الناعمة دورها في توصيف العلاقات التركية الخليجية التي ظلت وعلى الرغم من كثافة التعاون السياسي والثقافي والاقتصادي فضلا عن العسكري، ذات بعد تأثير مجتمعي الغاية، على الرغم من حدة/الاندفاع الموقفي في إدارة التغيير في الشرق الأوسط، بعد أن علّت دول الخليج العربية التزاماتها الغربية على التزاماتها حيال تركيا (٩٦). وهذا ما كشفته بوضوح الأزمة القطرية الخليجية عام ٢٠١٧م، فيما ظلت علاقاتها في هذا الإطار رهينة المواقف السياسية مع إيران و (إسرائيل). مما يعني أن تركيا وأن نجحت في تسويق ذاتها / أنموذجها في قيادة التغيير في الشرق الأوسط، إلا أنها لم تستطع لحد هذه اللحظة عكس مخرجاتها لصالح قيادة التوازن الاستراتيجي فيه، وهذا ما يسوغ لنا لجوء تركيا إلى إستخدام أدوات القوة الصلبة لحيازة تلك المهمة وتقريب هدفها في جعل انقرة محور السياسات الإقليمية، كما هو الحال مع حملتها ضد أكراد سوريا عبر ما يسمى بعملية (غصن الزيتون).(٩٧)

لا جدال في أن قيادة التغيير بالأدوات الوسائل الصلبة (الخشنة) تعد من أقسى أنواع القيادة، ليس لكلفها بل لأن الإرث العقابي في التماس القوة لم يزل حاضرا في مدركات شعوب الشرق الأوسط، ونخبها القيادية / السياسية (٩٨) . إلا أن قيادات حزب العدالة والتنمية وان لم تكن لتعول عليها كثيرا، إلا أن واقعية الوقائع في الشرق الأوسط جعلتها تلتمس التفكير فيها، طالما تلقت تركيا أنعكاساتها كتهديدات لأمنها القومي، حتى بدا التماسها لها وكانها جزءأ من (الإذعان الإكراهي) لإدامة دورها في إدارة التغيير وقيادته، اللتان لا يخرجان عن كونهما صراع من أجل المكانة والإنسجام معها لا من أجل القوة فحسب.(٩٩)

وإذا حاولنا استخلاص أهداف تركيا من وراء التماسها للقوى الصلبة، فإننا سنجد سعيا تركيا واضحا للخلاص من فوضى أنتشار القوة في الشرق الأوسط، ولتغدو مهمة إعادة هيكلية توازن القوى الاستراتيجي في المنطقة محصورة بين ثلاثة قوي رئيسة هي: إيران و(إسرائيل) والسعودية، فضلا عن تركيا التي ستسعى لاستغلال مجالات النفوذ المتقاطعة بينها من أجل إعلان نفسها الدولة القائدة أو القطب المسؤول عن ضبط ميكانزمات (نظم) التفاعل والتغيير في الشرق الأوسط ولاسيما بعد توجهها نحو النظام الرئاسي الذي سيتيح لأردوغان مبررات كثيرة للتدخل في المنطقة بقصد

إعـادة تفكيكهـا مـن جديـد، لتغـدو تركيـا نـدا للولايات المتحـدة الأمريكيـة فيهـا. وهـذا المطمـح ولـو صحـت أفتراضاتـه سـتكون تركيـا قـد قبضـت علـى كل المرتسـمات الإسـتراتيجية لقيـادة التغييـر فـي الشـرق الأوسـط.

الخاتمة :

الاتـراك وعبـر التاريـخ كانـوا ، لاسـيما صنـاع القـرار منهـم ، حـداة التغييـر وكسـب نتائجـه لصالحهـم مأخذويـن بفكـرة سـرمدية واحـدة ، انهـم يمتلكـون المحفـزات بـل والمقومـات لكسـب جولاتـه لصالحهـم . فكلمـا نجحـوا فـي بنـاء دولتهـم علـى ركام انهيـار الامبراطوريـة العثمانيـة ، نجحـوا فـي بنـاء مكانتهـم أبـان الحـرب البـاردة ، ليلتفتـوا تاليـا الـى تشـكيل الصـورة اللاحقـة لنهايتهـا .

ماشـخصت ابصارهـم لتكملـة مسـيرة انجازاتهـم فـي العقـد اللاحـق لانتهـاء الحـرب البـاردة لتشـكيل (العالـم التركـي) عـاودوا القبـض علـى محـركات التغييـر الدوليـة والاقليميـة مـع إطلالـة القـرن الحـادي والعشـرين ، ليؤسسـوا مـن زحمـة المتغيـرات نموذجـا لهـم ، وليعمـدوا الـى تسـويقه كمتغيـر هـام ينبغـي تبنيـه فـي اقاليمهـم المجـاورة التـي عـدت عمقـا اسـتراتيجيا لهـم وكأنهـم قادتهـا .

ومـن المثيـر ، ماتبعتـه قيـادات حـزب العدالـة والتنميـة مـن خطـط وتدابيـر لاخـراج طموحاتهـم مـن رؤيتـه النظريـة الـى رؤيتـه الواقعيـة ، ليـس بصيغـة الدفعـة الواحـدة ، بـل بصيغـة توليـد (الموجـات التغييريـة) لصالـح (العثمنـة) ، مناوبـة وتبـادلا بـل وحتـى تداخـلا .والاخيـرة ماهـي الاقترابـا لتعزيـز عملية انتقالهـم مـن (قـوة اقليميـة) الـى (قـوة عالميـة) ، حاسـمين بذلـك جدالهـم الداخلـي والخارجـي . لتغـدو تركيـا لاعبـا مهمـا ليـس فـي السـاحتين الاقليميـة والدوليـة ، بـل ومشـاركا فـي تحديـد هيكليـة النظـام الدولـي وتوصيفهـا طالمـا بـدا النمـوذج الاوراسـي ، فضـلا عـن الشـرق اوسـطي يمثـل نظـرة داخليـة لهمـا وناطقـا باسـم شـعوبهما مقابـل نمـاذج تعـد وافـدة عليهمـا . وهكـذا واصلـت تركيـا إدارتهـا للتغييـر (صناعـة وقيـادة) تحـت سـقف حلمهـا بالمسـتقبل .

الهوامش :

* جامعة النهرين / كلية العلوم السياسية / قسم الاستراتيجية .
** باحث اقدم .

1. Daniel Guerin , No Gods , No Masters , Anthology of Anarchism , AKP , Turkey , 2006 , pp. 7173- .
2. Tim Hannagan, Management Concept and Practices, Pitman publishing,London, 1995, pp. 2733-.
3. موربال ميراك فايسباخ وجمال واكيم، السياسة الخارجية التركية تجاه القوى العظمى والبلاد العربية منذ العام ٢٠٠٢ ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، بيروت ، ٢٠١٤ ، ص٤٤.
4. نقلا عن: محمد نور الدين، السياسة الخارجية... أسس ومرتكزات، في محمد عبد العاطي (محرر)، تركيا بين تحديات الداخل ورهانات الخارج ، الدار العربية للعلوم (ناشرون) ، بيروت ، ٢٠١٠، ص١٣٧ .
5. نقلا عن: علي حسين باكير ، تركيا: الدولة والمجتمع ، في محمد عبد العاطي (محرر) ، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦
6. شوقي ناجي جواد، مبادى الإدارة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، دائرة المعاهد الفنية، بغداد، د.ت، ص ٢١ ـ ٢٣ .
7. نقلا عن: بشير هادي عبد الرزاق، سياسة تركيا الخارجية تجاه منطقة المشرق العربي ما بعد عام ٢٠٠٢، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، بغداد، ٢٠١٢، ص٢٨٥ .
8. للمزيد عن أنماط الإدارة الاستراتيجية وأثرها في التخطيط الاستراتيجي، ينظر: خالد محمد بني حمدان ووائل محمد صبحي ادريس، الاستراتيجية والتخطيط الاستراتيجي، منهج معاصر، دار اليازوري للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٧، ص ٣٨٥-٣٨٦. وعن حالة تركيا بعد عام ٢٠٠٢، ينظر: معمر منعم العمار، الدولة واستراتيجية إدارة التغيير، مكتبة السنهوري ، بغداد ، ٢٠١٩ ، ص ٢٨٣ ـ ٢٨٤ .
9. يرد البعض ذلك إلى ما يتمتع به (أردوغان) من موهبة إدارية وقيادية يتساوى في ذلك مع (أتاتورك). للمزيد ينظر: سويز جاغاتاي، ملك تركيا، أردوغان بعد داود أوغلو، مركز البيان للدراسات والتخطيط، شبكة المعلومات الدولية على الرابط الآتي : www.bayancenter.org.
10. * عن صفات هذا النمط ، ينظر معمر منعم العمار ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٣٩ ومابعدها .
11. وهذا ما بدأته تركيا مع دول الخليج أولا. ينظر: محمد السعيد ادريس، تركيا والأمن في الخليج، مجلة أوراق الشرق الأوسط، العدد ٤٣، المركز القومي لدراسات الشرق الأوسط القاهرة، ٢٠٠٩، ص١٧.
12. وهي بذلك تماثل نموذجها في القوقاز مما ينبئ بتكاملية الاستجابة التركية. للمزيد ينظر:

Alenander Jackson, The limits of Good Intertions, The Caucasus As Test Case for Turkish Foreign policy, Turkey policy Quarterly, No.4, 2010, p.p.88-90

13. رحالي جحيلة، التغيير الاجتماعي في المجتمع الجزائري، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد ٧، جامعة محمد خضيرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، ٢٠١٠، ص٣.
14. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط٣ ، دار النشر المصري ، القاهرة ، ١٩٨٥، ص٦٩٢. وكذلك: فؤاد افرام البستاني، منجد الطلاب، الطبعة الثامنة، منشورات المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٦، ص ٥٣١.
15. Hermann Strasser & Susan C. Randall, An Introduction to Theories of SocialChange, London, Routledge, 1981, p.36
16. جورج سورس، العولمة، ترجمة: هشام الدجاني، الطبعة الأولى، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠٠٣، ص٩٨ ومابعدها .
17. عن هذه المداخل واسانيد دعاتها ، ينظر : كيرت ليوين ، دينامية الجماعة والتغيير الاجتماعي ، في : إمتياي أنزوني و أنيا أنزوني ، التغيير الاجتماعي ، ج١ ، ترجمة : احمد حنونة ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٨٤ ، ص ١٨٤ . وكذلك : جون توميسون ، العولمة والثقافة ؛ تجربتنا الاجتماعية في الزمان والمكان ، ترجمة : إيهاب عبد الرحيم محمد ، عالم المعرفة ، الكويت ، ٢٠٠٨ ، ص ٢٧ . وكذلك برهان غليون ، نقد السياسة ؛ الدولة والدين ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ٢٠٠٤ ، ص ٢١٦ .
18. نقلا عن: سناء الخولي، التغيير الاجتماعي والتحديث، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ٢٠٠٠، ص٤٣ .
19. نقلا عن: أرثرمارويك، الحرب والتحول الاجتماعي في القرن العشرين، ترجمة: سمير عبد الرحيم، دار المأمون للترجمة والطباعة والنشر، بغداد، ١٩٩٠، ص٢٣.
20. نقلا عن: إنصاف جميل الربضي، التحولات السياسية والاقتصادية في دول أوربا الشرقية، الطبعة الأولى، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٥، ص٥٨-٥٩.
21. تركي إبراهيم، هندسة التغيير، دار العارف الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٦، ص١٧
22. خليل العناني، إشكالية التغيير في الوطن العربي، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٢٩٦ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٣، ص١٦٧
23. هنا يرى البعض إن إدارة التغيير، قد أخذت تقنيتها الأدائية من إدارة الدولة لأمنها طالما بدت عناصر قوتها جزء من عناصر القوة في المجتمع الدولي. للمزيد ينظر: عبد المنعم المشاط، نظرية الأمن القومي الدولي المعاصر، دار الموقف العربي ، القاهرة ، ١٩٨٩ ، ص٢٧-٢٨. وكذلك أحمد يوسف القرعي، بطرس غالي وتجربة إصلاح الأمم المتحدة، مصدر سبق ذكره، ص١٢٤-١٢٦
24. Peter Morriss, power Aphilosophical analysis, Manchester university press, UK, 2002. P 5657-.
25. أحمد القطامين، الإدارة الإستراتيجية، مفاهيم وحالات تطبيقية، ط١ ، دار مجدلاوي للنشر ، عمان ، ٢٠٠٣، ص٦٤. وهنا يرى البعض إن إدارة التغيير غالباً ما تتأثر بثلاثية العوامل

(البنـاء التنظيمـي، ثقافـة البنـاء الدولـة وإدارتهـا، المـوارد). المصـدر نفسـه، ص١٣٦

26. J. Storey and K. Sisson, Looking to the future, in J. Storey (ed), New prespective on Human Resource management, Roultedge, London, 1989, p. 201.

27. Roll, Wright, Strategic management concepts, prentice, Hall INC, New York, ١٩٩٨, p. ٣٢.

28. وهـذا مـا يتسـق مـع مـا يعنيـه مصطلـح الإدارة فـي فقههـا، حيـث يعبـر الكثيـر مـن علمـاء الإدارة وفقهائهـا بـأن إدارة التغييـر، هـي النهـج الإداري الـذي يعنـي برصـد أسـباب التغييـر فـي بيئـة وأدواتـه ومؤشـراته بقصـد السـيطرة علـى مجريـات عمليـة التغييـر وتوجيهها. للمزيـد ينظـر: قحطـان الخفاجـي، المتغيـر القيمـي فـي التخطيـط الاسـتراتيجي، الأمـن الوطنـي العراقـي إنموذجـاً، (قـراءة نظريـة)، قضايـا سياسـية ، العـدد ١٦ ، بغـداد ، ٢٠٠٩ ، ص٤٣

29. منعـم صاحـي العمـار، التفكيـر الاسـتراتيجي وإدارة التغييـر، مقاربـة فـي المقدمـات، قضايـا سياسـية ، العـدد ٢٢ ، بغـداد ، ٢٠١٠ ، ص٥

30. ناهـدة إسـماعيل، دور عمليـات إدارة المعرفـة وتعزيـز الميـزة التنافسـية، بحـوث مسـتقبلية ، جامعـة الزيتونـة ، عمـان ، ٢٠٠٦، ص٣٦

31. بيتـرف داركـر، الإدارة للمسـتقبل، التسـعينات ومـا بعدهـا، ترجمـة : حليـب بطـرس ، ط٢ ، الـدار الدوليـة للنشـر ، القاهـرة ، ١٩٩٨، ص٥٠١-٥٠٢

32. John P. Kotter, A Force for Change: How leadership Differs from management, London, Rouledge, ١٩٩٣, p.١٢.

33. أحمـد داود أوغلـو، العمـق الاسـتراتيجي، موقـع تركيـا علـى السـاحة الدوليـة ، ط١ ، ترجمـة محمـد جابـر ثلجـي وطـارق عبـد الجليـل ، الـدار العربيـة للعلـوم ، بيـروت ، ٢٠١٠، ص ٤٨٧.

٣٤. John. P. Kotter, Leading Change Publisher, Harvard Business school, ١٩٩٦, p١٨٧.

35. عبـد الأميـر رويـح، مـا تبعـات الحـدود بيـن تركيـا وأميـركا؟، شـبكة النبـا للمعلوماتيـة، متوفـر علـى الرابـط التالـي: http:// annabaa.org/arabic/reports/١٤٣٤٦.

36. منعـم صاحـي العمـار ، التفكيـر الاسـتراتيجي وإدارة التغييـر ، مقاربـة فـي المقدمـات ، مصـدر سـبق ذكـره ، ص ٣ـ ٥ .

37. عـارف محمـد خلـف، الـدور التركـي الإقليمـي، مجلـة جامعـة تكريـت للعلـوم القانونيـة والسياسـية، العـدد ٢، جامعـة تكريـت، العـراق، ٢٠١٠، ص٤. وكذلـك: حسـام مطـر، تركيـا فـي الشـرق الأوسـط بيـن الطمـوح وقيـود النفـوذ، مجلـة شـؤون الأوسـط، العـدد ١٤٤، مركـز الدراسـات الاسـتراتيجية والبحـوث والتوثيـق، بيـروت، ٢٠١٣، ص١٦٤.

38. طهمـورث غلامـي ، مسـتقبل العلاقـات الايرانيـة ـ التركيـة ، منافسـة اسـتراتيجية ام تعـاون ؟ ، مختـارات ايرانيـة ، العـدد ١٥٢ ، مركـز الاهـرام للدراسـات السياسـية و الاسـتراتيجية ، القاهـرة ، ٢٠١٣ ، ص ٧٠.

39. ويبـدو أن قيـادات حـزب العدالـة والتنميـة كانـوا يخشـون تحـول الزمـن ضدهـم، عـن تلـك الخشـية عمومـا، ينظـر: الفـن توفلـر، صدمـة المسـتقبل، المتغيـرات فـي عالـم الغـد، ترجمـة: محمـد علـي نصيـف، الطبعـة الأولـى، دار النهضـة للطباعـة والنشـر، القاهـرة، ١٩٧٤، ص٤٨٦ ومـا بعدهـا.

40. نقـلا عـن: بشـير هـادي عبـد الـرزاق، سياسـة تركيـا الخارجيـة، مصـدر سـبق ذكـره، ص١٩٩.

41. منعـم العمـار، جـوف المحنـة، دراسـة فـي اقتفـاء اثـر الـذات العراقيـة ، مكتبـة الغفـران ، بغـداد ، ٢٠١٦ ، ص٨٥.

42. K .G. Boulding , Conflict and Defens , A General Theory , New York Harper , Tourch book , ١٩٦٣ , p p. ٧-٩

43. هـذا ماافرزتـة ثـورات (الربيـع العربـي) عندمـا بـدأت وكأنهـا ثـورات ارتداديـة علـى الامـن الاقليمـي فـي الشـرق الاوسـط . للمزيـد ينظـر : احمـد تهامـي عبـد الحـي ، المفاجـآت الادراكيـة لجيـل الثـورات العربيـة ، مجلـة السياسـة الدوليـة ، العـدد ١٨٤ ، مؤسسـة الاهـرام ، القاهـرة ، ٢٠١١ ،ص ١٥ ومابعدهـا .

44. عـن تفاصيـل ذلـك الموقـف، ينظـر أحمـد داود أوغلـو، العمـق الإسـتراتيجي، مصـدر سـبق ذكـره، ص ٢٢. وكذلـك جراهـام فولـر، الجمهوريـة التركيـة الجديـدة، تركيـا كدولـة محوريـة فـي العالـم الإسـلامي، الطبعـة الأولـى، مركـز الإمـارات للدراسـات والبحـوث الإسـتراتيجية، أبـو ظبـي، ٢٠٠٩ ، ص ١٥٥ - ١٥٩.

45. علـي حسـين باكيـر، تركيـا الدولـة والمجتمـع والمقومـات الجيـو سياسـية والجيـو إسـتراتيجية النمـوذج الإقليمـي والارتقـاء العالمـي، فـي مجموعـة باحثيـن، تركيـا بيـن تحديـات الداخـل ورهانـات الخـارج، الـدار العربيـة للعلـوم ناشـرون (بيـروت) ومركـز الجزيـرة للدراسـات الإسـتراتيجية (الدوحـة)، ٢٠١٠، ص١٧.

46. Alexander Jackson, The limits of Good intentions, The Caucasus As test case for Turkish foreign policy, Turkey policy Quarterly, No. ٤, ٢٠١٠, p.p. ٨٨ - ٩٠.

47. أحمد داود أوغلو، مصدر سبق ذكره، ص ٦٠٩ و ٦١١ .

48. نضـال حميـد جهـاد، الـدور الإقليمـي لتركيـا بيـن محـددات الناتـو والتطلـع القومـي، رسـالة ماجسـتير غيـر منشـورة، كليـة العلـوم السياسـية، جامعـة النهريـن، ٢٠١٣، ص ٥

49. أمـر الله أيشـلر، مغـزى التحـولات فـي تركيـا ومسـتقبل العلاقـات التركيـة - الغربيـة، مركـز دراسـات الشـرق الأوسـط، عمـان، محاضـرة لأكبـر مستشـاري رئيـس الـوزراء التركـي بتاريـخ ٢٠١١/١/٥ ، شـبكة المعلومـات الدوليـة، علـى الرابـط: http://www.mesc.com.jo

50. نقـلا عـن جراهـام فولـر، الجمهوريـة التركيـة الجديـدة، تركيـا كدولـة محوريـة فـي العالـم الإسـلامي، مصـدر سـبق ذكـره، ص ٦٥.

51. أحمد داود أوغلوا، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٩.

52. محمـد السـعيد ادريـس، تركيـا والأمـن فـي الخليـج، مجلـة أوراق الشـرق الأوسـط، المركـز القومـي الدراسـات الشـرق الأوسـط، القاهـرة، العـدد ٤٣، ٢٠٠٩، ص١٧.

53. نقـلا عـن علـي حسـين باكيـر، تركيـا الدولـة والمجتمـع، مصـدر سـبق ذكـره، ص١٠.

54. للمزيد ينظر : ا.ني . أوتكين ، النظام العالمي للقرن الواحد والعشرين ، ترجم يونس كامل الديب وهاشم حمادي ، دار المركز الثقافي ، دمشق ، ٢٠٠٧ ، ص ١١ ومابعدها .
55. غاري هارت ، القوة الرابعة؛ الاستراتيجية الكبرى للولايات المتحدة في القرن الحادي والعشرين ، ترجمة : محمد محمود النوبة ، دار العبيكان ، الرياض ، ٢٠٠٥ ، ص ٣٧ ومابعدها .
56. رسول طوسسون و آخرون ، الاسلاميون في تركيا ومشروع التغيير (ندوة) ، مجلة شؤون الاوسط ، العدد ١٢٧ ، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق ، بيروت ، ٢٠٠٧ ، ص ٢٣ ومابعدها .
57. Bulent Aras & Hakan Fidan , Turkey and Eurasia , Frontiers of a new Geographic Imagination , News perpective on Turkey , No.40 . 2009 , p.201.
58. هاتين المرحلتين، بدا الحث باتجاههما منذ منتصف تسعينيات القرن المنصرم، عندما بدأت تركيا تقترب الشرق الأوسط ومن آسيا الوسطى بالتوازي . للمزيد ينظر: منعم صاحي العمار ، السياسة الخارجية التركية المعاصرة، نظرة في سر الدينامية المؤثرة، نشرة مركز الدراسات الدولية، العدد ١٥، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، ١٩٩٧، ص٦ . وكذالك تانسو تشيلر، السياسة الخارجية التركية في نهجها الدؤوب، ترجمة: سميرة إبراهيم، نشرة مركز الدراسات الدولية، العدد ١٥، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، ١٩٩٧، ص٣٦.
59. يرى العديد من الكتاب أن (الفوضى التي حدثت ما بعد احتلال العراق، دفعت تركيا للانغماس بشكل أعمق في الشرق الأوسط). للمزيد ينظر: عمر تشبينار، سياسات تركيا في الشرق الأوسط بين الكمالية والعثمانية الجديدة، مصدر سبق ذكره، ص ٢.
60. أحمد نوري النعيمي، الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا، حاضرها ومستقبلها، دراسة حول الصراع بين الدين والدولة في تركيا، الطبعة الأولى، دار البشير، عمان، ٢٠٠٩، ص١١٣
61. * ونعني بها القدرة على أمتلاك أسباب القوة وتوظيفها للتحكم في ارادة الآخرين وأفعالهم، وهي بذلك ممارسة عملية تعنى بالتوظيف الإستراتيجي للموارد بمعاونة الإرادة والعقل الاستراتيجيين، وهنا تؤدي القيادة / صناع القرار دورا في تلك العملية، فإن نجحوا في ذلك تساوت عمليتا إنتاج القدرات أو الكشف عن حقيقتها، وإذا لم يحدث ذلك، فإن الفجوة بين العمليتين تبدو واضحة للعيان، فيخف التأثير وتتواضع الإرادة . للمزيد ينظر : معمر العمار ، الدولة واستراتيجية إدارة التغيير ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٢٥ .
62. بيكولاس لوبرون، تركيا: جغرافية قوة صاعدة، ترجمة: محمد الإدريسي، مجلة المستقبل العربي، العدد ٤٣٤، مركزدراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠١٥ ، ص ٢٠٩ ـ ٢١٠ .
63. معمر العمار، الدولة واستراتيجية إدارة التغيير، مصدر سبق ذكره ، ٢٠١٤ ، ص ٤١٠
64. للمزيد عن هذه الأفكار، ينظر: دلال محمد السيد، إنتشار القوة وحدود تغيير موازين القوى الإقليمية، مجلة السياسة الدولية، العدد ٢٠٠، مؤسسة الأهرام، القاهرة، ٢٠١٥، ص١٣ وما بعدها.
65. محمود سمير الرنتيسي، السياسة التركية في ضوء التحولات الداخلية، مجلة السياسة الدولية، العدد ٢٠٢، مؤسسة الأهرام، القاهرة، ٢٠١٥، ص١٥٨-١٦٢
66. 4 Henri J. BARKEY, Turkish foreign policy and the middle east. Ceri strategy paper, No.10, 2010, at: www.sciences po.fr
67. [١] يرى البعض أن قادة حزب العدالة والتنمية افسدوا مشروعهم مع ما قدموه من مواقف حيال (ثورات الربيع العربي) ، وعادوا يستنزفون أطروحتهم (العمق الاستراتيجي) بصيغة التهديدات لا الفرص. للمزيد ينظر: مراد يشيلطاش واسماعيل نعسان السياسة الخارجية التركية في ظل التحولات الإقليمية، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة ٢٠١٣، شبكة المعلومات الدولية، على الرابط التالي : www.aljazeera.net.
68. [٢] عدّ ذلك دربا لهيمنة تركية قادمة. ينظر: سعد عبيد السعيدي، العرب والعثمنة الجديدة، كراسات استراتيجية، العدد ١٣، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، بغداد، ٢٠١٣، ص ٣٣-٣٤.
69. [٣] مرت جهود تركيا في الشرق الأوسط بالعديد من محطات التعويق، ولاسيما في نهاية حكم (بوش الأبن)، إلا أن إدارة (أوباما) وانسحابها غير المعلن من الشرق الأوسط، فتح بوابات واسعة لإمكانية أداءها دورا إقليميا ودوليا مؤثرا ، كانت محصلة أفعاله رضا أمريكي نسبي وإن تعثر في قضايا معينة ما لبث أن عاود مكانته. عن إرث تلك العلاقة ينظر: حميد مرتضوي، تركيا والولايات المتحدة، الشراكة الصعبة، الطبعة الأولى، جنديان للدراسات الإستراتيجية، طهران، ٢٠٠٩، ص٦٤. وكذلك: ستيفن فلانجان، التقييمات التركية للقوة الأمريكية، سلسلة ترجمات، العدد ٦٩، ترجمة مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، ٢٠١١، ص١٣٤، ساعدها في ذلك الاتحاد الأوربي، ينظر: ودكا جاكوب وسارة كوسميس، الاتحاد الأوربي وتركيا في عصر ما بعد الربيع العربي، رسم خريطة المصالح الإستراتيجية في الجوار المضطرب، مجلة روية تركية، العدد ٢، ٢٠١٤، ص٣١-٣٢. وعن مضمون هذا المصطلح وبداية إستخدامه أمريكيا ومكانة تركيا فيه، ينظر: محمد كمال، عودة الانعزالية ، التداعيات المحتملة للثنائية الفكرية على سياسات إدارة أمريكية جديدة، مجلة السياسة الدولية، ملحق تحولات استراتيجية، العدد ٢٠٦، مؤسسة الأهرام، القاهرة، ٢٠١٦، ص١٠.
70. [١] وهذا مصطلح استخدمه (فوكوياما) للإشارة إلى ثقل الأمم في السياسة الدولية، ويعد نقيضاً لما استخدمه (هنتنغتون) عن وصف تركيا للمزيد ينظر:
Franeis Fukuyama (ed), Nation Building: Beyond Afghaniston and IraqBaltimor, The John Hopkins university Press, 2006, p.p.30-32.
71. [٢] محمد زاهد جول ، التجربة النهضوية التركية ؛ كيف قاد حزب العدالة والتنمية تركيا الى الامام ، مركز نماء للبحوث والدراسات ، بيروت ، ٢٠١٣ ، ص ٢٨ ـ ٣٠ .
72. [٣] Abdull Gul , Turkey s Role A changing Middle East

.Environ Ment Mediterranean Quarterly , No ١. ٢٠٠٤ , p.٧.
73. [٤] عـن هـذا النمـط مـن القيـادة ومسـتدعياته واشـتراطاته ، ينظـر : حسـين عبـد الحميـد احمـد رشـوان ، التغييرالاجتماعـي والتنميـة السياسـية فـي المجتمعـات الناميـة ، ط١ ، دار المكتـب الجامعـي الحديـث ، القاهـرة ، ١٩٨٨ ، ص ١٥ ومابعدهـا .
74. [١] Joseph C. Ebegbulem, Corruption and leadership Crisis in Afirca, International Journal of Business and social science, No.11, 2012, p.222.
75. [٢] فيليـب سـادلر، القيـادة، ترجمـة: هـدى فـؤاد، الطبعـة الأولـى، مجموعـة النيـل العربيـة، القاهـرة، ٢٠٠٧، ص١٦٥.
76. [٣] هاشـم حمـدي رضـا، إدارة التحـول والقيـادة الفعالـة، الطبعـة الأولـى، دار الرايـة للطباعـة والنشـر، عمـان، ٢٠١٠، ص ١٨٧.
77. [٤] ياسـر عبـد الحسـين، القيـادة فـي السياسـة الخارجيـة الأمريكيـة بعـد الحـرب البـاردة، دار ومكتبـة عدنـان، بغـداد، ٢٠١٤،ص ٢١.
78. [٥] انـي . أوتكيـن، النظـام العالمـي للقـرن الحـادي والعشـرين، ترجمـة : فاضـل زكـي ، دروب للنشـر ، بغـداد ، ١٩٩٧، ص١٤.
79. 6 George Friedman, Turkey's strategic and Geopolitical, Weekly Report, Austin Stratfor Global intelligence institute, U.S.A, 2012, p.p.3-5.
80. احسـان داغـي، لمـاذا تحتـاج تركيـا إلـى نظـام مـا بعـد الكماليـة؟، مجلـة رؤيـة تركية، العـدد ٤، اسـطنبول، ٢٠١٢، ص٣٤.٣٦. أن "اتخـاذ حـزب العدالـة والتنميـة، التحديـث هدفـا لا غايـة يمثـل واحـد مـن أمريـن كانـا سـببا فـي نجـاح تجربتـه السياسـية الحـد الآن. للمزيـد ينظـر: جمـال خاشـقجي، أمـران وراء نجـاح واسـتمرار الحركـة الإسـلامية فـي تركيـا بقيـادة أردوغـان، شـبكة المعلومـات الدوليـة علـى الرابـط الآتـي : www.turkpress.co
81. يـرى البعـض إن التوجـه التركـي نحـو الشـرق الأوسـط مثـل متنفسـا للطموحـات التركيـة فـي التمـدد فيـه. للمزيـد ينظـر: محمـد حسـين يونـس، العثمانيـون سـفاحون لـم يهذبهـم أتاتـورك، مركـز الدراسـات والأبحـاث العلمانيـة فـي العالـم العربـي، بكـة المعلومـات الدوليـة، علـى الرابـط الآتـي: www.ssreaw.org وكذلـك: عمـاد قـدورة، تركيـا ومسـألة التدخـل العسـكري بيـن الضغـوط والقيـود، المركـز العربـي للأبحـاث ودراسـة السياسـات، الدوحـة، ٢٠٠٤، ص٧.
82. Saban Kardas, Turkey Regional Power Facing a Changing International System, Turkish studies, No٤, ٢٠١٣, p.p ٦٣٧-٦٦٠.
83. نقـلا عـن: كاظـم هاشـم نعمـة، تركيـا القـوة الوسـطى ؛ مـن أتاتـورك الـى اردوغـان ، آمنـة للنشـر والتوزيـع ، عمـان ٢٠١٧، مصـدر سـبق ذكـره، ص ١١٠ و ٨٦ علـى التوالـي .
84. عـن تلـك الفكـرة ينظـر: جـان فرانسـوا دورتيـه، معجـم العلـوم الإنسـانية ، ط١ ، ترجمـة : جـورج كتـورة ، المؤسسـة الجامعيـة للنشـر ، بيـروت ، ٢٠٠٩ ، ص٨٦٥.
85. Joseph Nye, The Future of Power, Public affairs New York , library of Congress, ٢٠١١. p.p ١٠٩-١١٢.
86. ابـان بريمـر، عالـم بـلا قيـادة، كل أمـة لنفسـها ؛ الرابحـون والخاسـرون فـي عالـم المجموعـات الصفريـة ، ترجمـة : فاطمـة الذهبـي ، دار الفارابـي ، بيـروت ، ٢٠١٤ ، ص٩
87. ريتشـارد هـاس ومارتـن أنديـك ووالتـر رسـل ميـد، عهـد أوبامـا، سياسـة أمريكيـة للشـرق الأوسـط، دراسـات عالميـة ، مركـز الامـارات للدراسـات الاسـتراتيجية ، ابـو ظبـي ، ٢٠٠٩، ص ١٤ ـ ١٩
88. Decade forecast: 2010-2020 , The Full Report for state for decade fore cast f: 2010-2020 can be a ccessed from: http://www.strat for.com/
89. أيان بريمر، عالم بلا قيادة، مصدر سبق ذكره، ص١٨٥.
90. ابرتـران بديـع، زمـن المذلوليـن، باثولوجيـا العلاقـات الدوليـة، ترجمـة : ماجـد جبـور ، المركـز العربـي للابحـاث ، بيـروت – الدوحـة ، ٢٠٠٤، ص ٢٢٧.
91. تومـاس فريدمـان. العالـم مسـطح، تاريـخ موجـز للقـرن الواحـد والعشـرين، ترجمـة: عمـر الأيوبـي، دار الكتـاب العربـي، بيـروت، ٢٠٠٦، ص١٥٣ومـا بعدهـا.
92. لـم يخـف قـادة حـزب العدالـة والتنميـة، أعجابهـم بالأنمـوذج البرازيلـي وإعجابهـم بقـدرة البرازيلييـن علـى توليـد الخيـارات الإقليميـة والدوليـة لمصلحتهـم. عـن ذلـك الأمـر ينظـر: مجموعـة باحثيـن، البرازيـل القـوة الصاعـدة فـي أمريـكا اللاتينيـة، الـدار العربيـة للعلـوم ناشـرون، بيـروت، ٢٠١٠، ص١١٥ ومـا بعدهـا.
93. موريـال ميـراك فايبـاخ وجمـال واكيـم، مصـدر سـبق ذكـره، ص٢٣٨-٢٤٠.
94. نقـلا عـن: منعـم العمـار، جـرف المحنـة، مصـدر سـبق ذكـره، ص ١٢٥.
95. عـلاء عبـد الحفيـظ محمـد، النسـق السياسـي العقيـدي لرجـب طيـب اردوغـان، مجلـة رؤيـة اسـتراتيجية، العـدد٥، مركـز الإمـارات للدراسـات والبحـوث الاسـتراتيجية، أبـو ظبـي، ٢٠١٣، ص٢٣-٢٨، وكذلـك: ادريـس بووانـو، الإسـلاميون الجـدد فـي تركيـا، دار الوحـدة الإسـلامية، الربـاط، ٢٠٠٧، ص١٥-١٦
96. احمـد نـوري النعيمـي، تركيـا والخليـج قطـر انموذجـا : عقـدة الجيوبولتـك والتنافـس الاقليمـي ، مركـز بـلادي ، العـراق ، ٢٠١٨، ص ١٧٩- ١٧٤ .
97. محمـد ابـو سـعدة ، مابعـد عفريـن ؛ امريـكا- تركيـا الـى ايـن ، تقديـرات سياسـية ، المعهـد المصـري ، القاهـرة ، ٢٠١٨، ص ٦-٩ .
98. مكسـيم لوفايفـر، السياسـة الخارجيـة الأمريكيـة، ترجمـة: حسـن حيـدر، دار العويـدات للنشـر بيـروت، ٢٠٠٦، ص ١٢١ ومـا بعدهـا.
99. عـن مضمـون هـذا المصطلـح، ينظـر: المصـدر نفسـه، ص ١٢٥. وكذلـك: أمـر الله أوزلـو، مـن الطريـق الجهـادي المريـع إلـى المـلاذ الجهـادي الأمـن: سياسـات تركيـا الجهاديـة والأمـن الرغبـي، مركـز البيـان للدراسـات والتخطيـط، العـراق، ٢٠١٦، ص١٢-١٣.

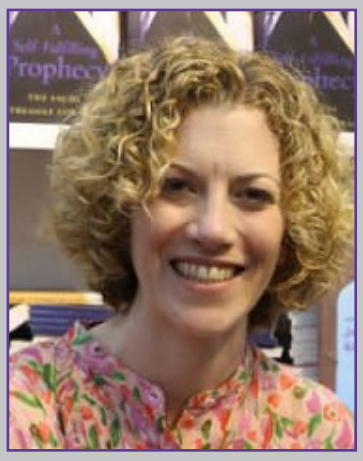

كاثرين هارفي

العلاقات العراقية السعودية

نبوءة تحقق ذاتها

نظّم المعهد العراقي للحوار ندوة استضاف فيها الكاتبة كاثرين هارفي للحديث عن كتابها الجديد الذي يحمل عنوان: » العلاقات العراقية السعودية. . . نبؤة تحقق ذاتها» وقد حاورها مدير المعهد العراقي للحوار، الدكتور عباس راضي العامري.

في هذه السطور تستعرض هارفي طبيعة العلاقات بين السعودية والعراق في السنوات التي تلت غزو العراق عام ٢٠٠٣. بالقول: كان هذا الكتاب مذكرة تخرجي لنيل شهادة الدكتوراه بمدرسة King's College London، قبل عدة سنوات، وعندما بدأت بالدكتوراه، كنت مهتمة باستكشاف ردود أفعال الدول العربية السنّية - والمملكة العربية السعودية بشكل أساسي، وطبيعة سياسة المملكة العربية السعودية تجاه النفوذ الإقليمي المتزايد لإيران في السنوات التي سبقت الربيع العربي. في ذلك الوقت.

في البداية اعتقدتُ أن دولة ذات أغلبية شيعية، مثل العراق، من الطبيعي أن تنحاز إلى إيران. لكن أثناء البحث وجدت أنَّ خلال السنوات القليلة التي أعقبت الغزو خصوصاً سنوات - ٢٠٠٦، ٢٠٠٧، ٢٠٠٨ - أن مجموعة من القادة العراقيين، من السنة والشيعة والأكراد، كانوا يتواصلون مع السعوديين في محاولة للاندماج. وقد وثقت التقارير الإخبارية جهودهم في تلك الفترة، وكانوا يرددون عادة، «نريد علاقات أفضل مع العالم العربي، ونريد علاقات أفضل على وجه الخصوص مع المملكة العربية السعودية، لأن المملكة العربية السعودية هي بوابتنا للعودة إلى العالم العربي. . "

وفي غضون هذه الفترة، كان السعوديون يبدون وكأنهم في مأزق حقيقي، حيث لم يبذلوا أي جهد ظاهري للرد بالمثل على التواصل العراقي. فإذا كان السعوديون قلقون للغاية بشأن النفوذ الإيراني في العراق في هذه المرحلة، فلماذا لم يبذلوا أي جهد للرد بالمثل على التواصل

العراقي، الذي كان سيمنحهم بالتأكيد طريقة للحد من النفوذ الإيراني في العراق؟
وحيث أنّ الرفض السعودي للتعامل مع العراقيين كان غير منطقي، فقد أدركت طريقة طرح السؤال يجب أن تكون: كيف كان رد فعل السعودية على صعود الشيعة في العراق بعد عام ٢٠٠٣؟ وبدا هذا السؤال مفتاح الحلول أمام تساؤلاتي لسبب رفض السعوديين الاندماج مع العراقيين.
كانت فرضية البحث الرئيسة أن اصطفاف العراق مع إيران بعد غزو عام ٢٠٠٣ لم يكن نتيجة حتمية، فعندما انتهى الأمر بالعراق إلى تحالف إقليمي مع إيران، في زمن حكومة المالكي الثانية تقريباً، كانت تلك نتيجة، كما أفترض، لنبوءة تحقق ذاتها أوجدها السعوديون، ونبوءة أنشأها على وجه الخصوص الملك الراحل عبد الله، الذي كان مسؤولاً بشكل أساسي عن القرار السعودي بعدم التعامل مع العراق.
أنا أفترض أن قرار عبد الله في عدم الاندماج نتيجة شعوره بخيانة الأمريكيين العميقة له، ، إذ لم يستجيبوا لرغبته بإنشاء نظام يهيمن عليه السُّنة في بغداد، ليكون هذا النظام ثقل موازن او حصن ضد ايران.
وبعد إن تجاهل الأمريكيون مصالح السعوديين، لذا فمن الطبيعي أنّ الملك عبد الله لم يبدِ رغبة في التعامل مع العراق الجديد الذي يقوده الشيعة.
وإذا ما قارنّا بين حالة السعودية وحالة الأردن بعد عامين من الغزو، نجد أنّ منهج الأردن مختلفاً تماماً عن منهج المملكة العربية السعودية، وبالرغم من أنّ القلق كان يساور القادة الأردنيون بشأن صعود الشيعة في العراق، إلّا أنّ أولويتهم كانت الحفاظ على علاقة وثيقة مع العراق بغض النظر عن أي شيء، وسرعان ما قرروا الاندماج مع القادة الشيعة الجدد في العراق.
انخرطت عدداً من الدول العربية الأخرى، وأبرزها الإمارات العربية المتحدة، مع بغداد بحلول عام ٢٠٠٨. حيث أظهر القادة من هذه الدول الأخرى درجة أكبر من المرونة والانفتاح فيما يتعلق بالعراق الجديد.
وبشأن ما أعنيه حول عبارة « نبوءة تحقق ذاتها" فقد صاغ عالم الاجتماع البارز روبرت ميرتون في القرن العشرين هذا المفهوم، وعرّفه على أنه» اعتقاد خاطئ والإيمان به يؤدي بشكل مباشر أو غير مباشر إلى تحقيق ذلك الاعتقاد».
قدم ميرتون، في صياغته للمفهوم، مثالاً من السياق الأمريكي لصورة نمطية اجتماعية غير دقيقة انتشرت على نطاق واسع. فقد لاحظ ميرتون أنه في أوائل القرن العشرين في أمريكا، مُنع الأمريكيون السود من الانضمام إلى النقابات العمالية، لأن أعضاء النقابات البيض كانوا ينظرون إليهم على أنهم كاسرين للاضراب، - والكاسر للإضراب يعني: "شخصٌ يشذ ويذهب إلى العمل في وقت الاضراب".
لكن ميرتون أشار إلى أن الأمريكيين السود، الذين لديهم فرص عمل قليلة، غالبًا ما يأخذون أي عمل يمكنهم القيام به. وهكذا، ما يعني أنهم لم يكونوا كاسرين للإضراب لأنهم أرادوا ذلك، وغالباً ما كسر الأمريكيون السود الإضرابات، لأنهم أُجبروا على ذلك بسبب استبعادهم من النقابات العمالية. وقد تحققت النبوءة من تلقاء نفسها. فقد رسم الأمريكيون البيض صورة نمطية عن نظرائهم الأمريكيين السود، وعومِل السود على أساس هذا الاعتقاد، رغم معارضة السود للاعتقاد نفسه. وقد أشار ميرتون إلى أنه بمجرد السماح للسود بالانضمام إلى النقابات،

توقفت أعداداً كبيرة منهم عن كونهم كاسرين للإضراب.

وبالعودة لعلاقة المملكة العربية السعودية بالعراق، أنا أفترض أن المعتقدات الراسخة بعمق لدى السعودية بشأن إيران والشيعة العرب هي المسؤولة عن قرار السعوديين بعدم التعامل مع العراق، من هذه المعتقدات، أن إيران توسعية بطبيعتها - وأنها عازمة دائماً على التوسع في المنطقة - بالإضافة إلى أنها تحمل نوايا خبيثة تجاه المملكة العربية السعودية.

أما المجموعة الأخرى من المعتقدات والتي تفسر قرار السعوديين بعدم التعامل مع العراق هي: الاعتقاد الذي ينسب ولاء العرب الشيعة لإيران، وهذه بالطبع صورة نمطية للشيعة العرب شائعة إلى حد ما في العالم العربي ككل.

توصلت الدراسة إلى أنّ القادة السعوديون غالباً ما افترضوا وبدون دليل أن الشخصيات العربية الشيعية متحالفة مع إيران، إن لم تكن تسيطر عليها إيران بشكل مباشر. ولم يكلف القادة السعوديون أنفسهم في التفكير بفاعلية الشخصيات العربية الشيعية والتي لا طالما كانت لها مصالح تختلف عن تلك المصالح الخاصة بإيران.

لذا فقد افترضت أنّ اعتقادات القادة السعوديون، ولا سيما الملك الراحل عبد الله، الذي كان آنذاك صانع القرار النهائي في السياسة الخارجية السعودية، كانت قائمة على أن القادة الشيعة الذين وصلوا إلى السلطة في العراق بعد الغزو، مدينون بالفضل لإيران، مما يعني أن إيران هي المسيطرة على البلاد.

وعدَّ الملك عبد الله رئيس الوزراء الأسبق نوري المالكي، عميلاً إيرانياً في الأساس، كما اعتقد عبد الله أن المالكي قدم له وعوداً ولم يفِ بها. والشيء بالشيء يذكر، واستناداً لما توصلت إليه، فلا أعتقد أن المالكي قدم وعوداً للملك عبد الله. بل أعتقد أن المالكي بذل جهوداً حسنة النية للتعامل مع السعوديين في ذلك الوقت.

لكن على أي حال، أصرّ الملك عبد الله على رفض التعامل مع المالكي معتقداً بأن المالكي موالياً لإيران، ثمّ ما لبث أن تنحى المالكي عن السلطة في صيف عام ٢٠١٤، أي قبل أشهر من وفاة الملك عبد الله.

ونأتي الآن إلى جزء النبوءة التي حققت ذاتها. ما اكتشفته خلال دراستي، أنَّ المالكي كان يتبنى وجهة نظر تشكيكية في إيران. تمتد جذورها إلى الثمانينيات من القرن الماضي خلال إقامته الفعلية في إيران، فهذه الفترة التي قضاها في إيران كانت كفيلة بأن تجعله يشعر بالمرارة والأسى تجاه الجمهورية الإسلامية، التي قمعت حزب الدعوة التابع له. وفي نهاية الحرب العراقية الإيرانية، انتقل المالكي إلى دمشق، حيث واصل قتاله ضد البعثيين.

عند عودته إلى العراق في عام ٢٠٠٣، اكتسب المالكي لنفسه سمعة طائفية للغاية، كشخص كان يسعى إلى تفكيك جذور نظام صدام حسين وحزبه، ولكن بغض النظر عن سمعته الطائفية، لم يكن مبلغ همه أن يجعل العراق مديناً لإيران. . في الواقع، أظهر بحثي أن المالكي كان بالفعل، ولا يزال، قومياً عراقياً.

وفي الوقت نفسه لم يكن المالكي يبحث عن علاقة سيئة مع إيران – بل كان يريد علاقة إيجابية معها – مع أنّ أولويته أن يرى العراق دولة عربية مستقلة وأراد إعادة دمجه ضمن العالم العربي. وليس هدفي اليوم الدفاع عن نوري المالكي، فقد كان سلطوياً، ولم يكن يميل إلى تقاسم السلطة – واتخذ في بعض

الأحيان مواقف طائفية للغاية. وموضع جدلي هنا أنّ صورة المالكي كعميل إيراني غير صحيحة.

في ولاية المالكي الأولى، اتخذ إجراءات أظهرت رغبته في إعادة دمج العراق ضمن العالم العربي والبقاء مستقلاً عن إيران. وكانت أولى هذه المحاولات، رحلته إلى الخارج بصفته رئيس للوزراء إلى المملكة العربية السعودية. في ذلك الوقت، أراد الأمريكيون بشدة أن يتواصل المالكي مع السعوديين، لكنني أعتقد أن المالكي نفسه اتخذ قرار السفر إلى المملكة العربية السعودية كأول رحلة له إلى الخارج لأنه كان يعتقد أن هذه الرحلة ستكون مفيدة للعراق.

كما اتخذ المالكي إجراءً ملحوظاً في عام ٢٠٠٨ أظهر استقلاله عن إيران، عندما بدأ المالكي عملية صولة الفرسان لاستهداف الميليشيات التابعة لمقتدى الصدر. في ذلك الوقت، كانت هذه الميليشيات الصدريّة هي الوكيل الرئيسي لإيران في العراق، وقلّل من فعاليتها بشكل كبير.

ونال المسؤول عن هذه الحملة إشادة كبيرة من جهات عديدة في العراق، بما في ذلك العرب السنة. فقد وصف نائب الرئيس طارق الهاشمي، أكبر سياسي سني عراقي آنذاك، قرار المالكي بمواجهة الميليشيات الصدرية بأنه «تاريخي»، وأعلن الهاشمي أن حكومة المالكي قد اتخذت «خطوة عظيمة غير متوقعة في الاتجاه الصحيح. "

كانثم بدأت ملامح استقلال المالكي عن إيران تتضح أكثر في الفترة التي سبقت الانتخابات البرلمانية العراقية عام ٢٠١٠. فقبل تلك الانتخابات، قام المالكي بحملته على أساس برنامج قومي. ودعا إلى عراق « قوي وذي سيادة « وشعب عراقي يعيش «فخوراً وحراً»، وقاوم الضغوطات للانضمام إلى تحالف تدعمه إيران والذي يتألف من أحزاب إسلامية شيعية.

وبدلاً من ذلك، قام المالكي بالتواصل مع أعضاء من العرب السُّنة في العراق والمجتمعات الكردية لتشكيل تحالف عابر للطوائف، وفي محادثات خاصة مع الأمريكيين شرح أفكاره وقال للأمريكيين إن تشكيل تحالفات طائفية مدعومة من قوى خارجية مثل إيران ستكون نتائجها «كارثية» على العراق وتحويل العراق فعلياً إلى لبنان آخر. وتم تسجيل هذه المحادثات في البرقيات الدبلوماسية الأمريكية التي نشرتها ويكيليكس. ومع ذلك، فإن جلّ ما نتذكره بشأن انتخابات ٢٠١٠ هو أنه عقب تلك الانتخابات اجتمع المالكي مع إيران للحفاظ على قبضته على السلطة. حيث أظهر المالكي تغييراً ملحوظاً في السلوك في هذا الوقت، وانتقل من مقاومة الضغط للانحياز إلى جانب إيران قبل الانتخابات، ثم إلى السعي وراء الدعم الإيراني بعد ذلك. وأصبحت علاقة المالكي بإيران وثيقة بشكل متزايد في حكومته الثانية.

ماذا حدث بعد ذلك؟ أنا أفترض أن ما يفسر تغيير سلوك المالكي هو التهديد الذي كان يتصوره من المملكة العربية السعودية. ففي وقت مبكر من عام ٢٠٠٧، كان المالكي يعبر عن قلقه للأمريكيين من أن السعوديين يريدون عزله عن السلطة. أضف إلى ذلك فقد أثبت بحثي أن اعتقاد المالكي كان صحيحاً فقد تبين أن السعوديين أرادوا بالفعل إزاحة المالكي. إذ أراد الملك الراحل عبد الله استبدال المالكي برئيس الوزراء الأسبق إياد علاوي. بالنظر إلى كون علاوي بعثي سابق، فقد كان الملك عبد الله يشعر بالارتياح لأنه يحمل ما يكفي من المشاعر العدائية تجاه إيران.

وبالنسبة لانتخابات عام ٢٠١٠، دعم السعوديون ودول سنية أخرى مثل تركيا ائتلافاً انتخابياً بقيادة علاوي. فعندما تقدم ائتلاف علاوي بمقعدين عن ائتلاف المالكي في تلك الانتخابات، تغير سلوك المالكي بطريقة تتفق مع الصورة النمطية التي رسمها عبد الله عنه. وأكرر كلامي، فإن الحجة الأساسية في علم النفس الاجتماعي هي أن الصور النمطية الاجتماعية غير الدقيقة يمكن أن تصبح نبوءات تتحقق ذاتياً من خلال التفاعل البشري - عندما يعامل المدركون الأهداف بما يتماشى مع الصورة النمطية للمجموعة الاجتماعية المستهدفة، غالباً ما يثيرون تغييراً في السلوك في جزء من الأهداف يتوافق مع تلك الصورة النمطية.

وبناءً على هذا رفض عبد الله التعامل مع المالكي لأنه كان يعتقد وبدون دليل أنّ المالكي عميلٌ إيراني. ورغم أنّ المالكي شعر بتهديد السعوديين منذ عام ٢٠٠٧، ألا أنّ قلقه ازداد مع نجاح علاوي في انتخابات ٢٠١٠. بلا شك في أن المالكي أراد التمسك بالسلطة في هذا الوقت من منطلق طموحه الشخصي. في الوقت نفسه فسّر العديد من العراقيين، وليس المالكي فقط، تشكيل تحالف علاوي على أنه محاولة مدعومة من السعودية ضد صعود الشيعة في العراق بعد عام ٢٠٠٣. وكان المالكي على وجه الخصوص يعتقد في هذا الوقت أن السعودية كانت تحاول تأكيد سيطرتها على العراق عن طريق علاوي.

أنا أفترض أن الحاجة إلى منع هذا السيناريو، مقترنة بالطبع برغبة المالكي في التمسك بالسلطة، هو ما أجبره على تغيير المسار والاصطفاف مع إيران.

لذلك، أنا أفترض أن السعوديين اتخذوا في النهاية قراراً ليس في صالحهم دفع بالعراق نحو إيران. ولكن لكي نكون منصفين معهم، يجب النظر إلى قرارهم من منظور قرار جورج دبليو بوش بغزو العراق في المقام الأول.

لا يعني ذلك أن السعوديين أرادوا بقاء صدام حسين في السلطة. بل على العكس لقد أرادوا الإطاحة بصدام تماماً وبطريقة أقل إزعاجاً للعراق، وقد عملوا لتحقيق هذه الغاية مع الولايات المتحدة والدول العربية الأخرى في السنوات التي تلت تحرير الكويت. وكان الحل المفضل لديهم هو انقلاب القصر الذي من شأنه أن يطيح بصدام، مع ترك نظامه البعثي في مكانه. والحفاظ على القوة العربية السنية في بغداد حتى يتمكن العراق من الاستمرار في العمل كحصن ضد إيران. وكانت هذه أيضاً في الأساس سياسة الولايات المتحدة في التسعينيات. فقد حاولت إدارات كل من بوش الأب وبيل كلينتون إثارة الانقلاب المنشود في بغداد، مع الحفاظ على العراق كثقل موازن لإيران.

لكن بالطبع لم ينجح ذلك الانقلاب، وقبيل الإطاحة بصدام، وضعت إدارة كلينتون قرار الإطاحة به على نار هادئة. إذ لم يكن أولوية مهمة في الأشهر الأولى لإدارة جورج دبليو بوش - حتى هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ بالطبع. وفي وقت قصير جداً، تحولت السياسة الأمريكية من محاولة الإطاحة بصدام عبر الانقلاب إلى قرار غزو البلاد، واستناداً إلى أيديولوجية المحافظين الجدد التي تبناها العديد من كبار أعضاء إدارة بوش، لترسيخ الديمقراطية في بغداد.

هنا عارض السعوديون بشدة قرار الغزو، واعتقدوا أنه سيقسم البلاد ويُخلّف فراغاً في السلطة. ألا أنهم في النهاية قدموا دعماً ضمنياً للغزو، نظراً لعلاقاتهم الطويلة مع الولايات المتحدة، مع إصرارهم على رأيهم أنّ

فكرة الغزو سيئة للغاية. وفي عشية الحرب، بذلوا كل أنواع الجهود لإقناع صدام بالتنحي عن السلطة في محاولة أخيرة لتجنب الحرب القادمة.

وفي هذه الأثناء، كان السعوديون يبلغون الأمريكيين بما يريدون حدوثه في العراق. كما في السابق، فأرادوا أن يبقى معظم حاشية صدام حسين في مكانهم للحفاظ على العراق كحصن منيع ضد إيران. وهذا هو هدفهم المشترك مع الأب بوش وبيل كلينتون. وأعتقد أنه لم يكن لدى السعوديين أي فكرة في هذا الوقت أن بوش الابن كان ينوي بدلاً من ذلك إقامة الديمقراطية في بغداد. وبالتالي تمكنت الأغلبية الشيعية هنا من الصعود إلى السلطة بعد عام ٢٠٠٣.

لقد شرحت بالفعل كيف كافح الملك الراحل عبد الله ليرى عراقاً بقيادة الشيعة بأي صفة غير صفة التبعية لإيران. ومارس الأمريكيون ضغوطاً كبيرة على حلفائهم العرب، وخاصة المملكة العربية السعودية، لقبول الحكومة الجديدة في بغداد.

والتقى جورج دبليو بوش بالملك عبد الله لحثه على الاندماج مع العراق. لكن عبد الله قال للأمريكيين «كلا». كما وضحنا سابقاً. وحاول الأمريكيون مراراً وتكراراً مصالحة عبد الله مع التغييرات التي حدثت في العراق. لكن في الأساس، لا يمكن لأي قدر من الضغط الأمريكي أن يجبر عبد الله على قبول شيء اعتبره بنفسه غير متوافق بشكل أساسي مع الأمن القومي السعودي.

جوهرياً، من خلال إقامة الديمقراطية هنا، تدخل الأمريكيون في العراق بطريقة لم يكن من المحتمل أبداً أن يحصلوا فيها على دعم سعودي، إذ أن الأمريكيين لم يتمكنوا من إقامة الديمقراطية وكسب قبول السعوديين. في الواقع، وكان هذا تناقضاً كبيراً في سياسة الولايات المتحدة، أدى إلى تقويض الجهود المبذولة لتحقيق الاستقرار في العراق لسنوات عديدة.

إلى جانب ذلك، فد أظهر القادة الأردنيون نفس المخاوف السعودية بشأن عراق بقيادة الشيعة، فقد ابتكر الملك عبد الله ملك الأردن مصطلح «الهلال الشيعي» عشية انتخابات كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٥. وكان مسؤولون أردنيون آخرون يدلون بتعليقات مماثلة في الصحافة في ذلك الوقت - على سبيل المثال الأردني حذر وزير الخارجية من أن الحكومة العراقية الجديدة قد يكون لها «نكهة فارسية»، وقد تكون «معادية للعرب".

لكن في السنوات التالية، غير الأردنيون مسارهم بالكامل تقريباً. فقد كان هدفهم الأساسي في هذا الوقت هو الحفاظ على العلاقة الاقتصادية الوثيقة التي بنوها مع العراق خلال سنوات صدام، وبالتالي إذا كان العراق الآن تحت القيادة الشيعية، فقد أدرك الأردنيون أن عليهم التكيف. وهكذا، بعد أن اكتشفوا على ما يبدو أن خطابهم قبل الانتخابات كان فقط من شأنه أن يُنفر قادة العراق الجدد، ما لبث أن تبدلت تصريحاتهم بعد بضعة أشهر، نحو»حان الوقت للدول العربية لفتح قلوبها للعراق»، و « سيكون العراق الديمقراطي «نجاحاً للأردن بقدر ما سيكون للعراقيي».

في عام ٢٠٠٨، سافر الملك عبد الله ملك الأردن إلى بغداد، ليصبح أول رئيس دولة عربي يزور العراق منذ الغزو. بحلول هذا الوقت، كان العنف في العراق قد انحسر، وكان العراقيون، بدعم من الأمريكيين، قد أكملوا للتو عملية صولة الفرسان لنزع سلاح الميليشيات الشيعية. في الواقع، كما جادلت صحيفة أردنية عقب الانتهاء من صولة الفرسان

بالقـول: «الآن، بعـد أن اتخـذت حكومـة المالكـي مثـل هـذا الموقـف الشـجاع، يجـب علـى العـرب التحـرك بسـرعة، وإرسـال سـفراءهم إلـى بغـداد، وإعـادة فتـح سـفاراتهم هنـاك». وأدلـى وزيـر الخارجيـة الإماراتـي، الشـيخ عبـد الله بـن زايـد، بتعليـق مثيـر للاهتمـام فقـد صـرح أثنـاء قيامـه بزيـارة إلـى بغـداد فـي صيـف ٢٠٠٨ فـي مؤتمـر صحفـي: "يجـب أن نكـون صريحيـن ونقـول إن دول المنطقـة اسـتغرقت وقتـاً طويـلاً لفهـم العراق الجديـد. . . . وقـد عانـى العـراق لأن إخوانـه فشـلوا فـي دعمـه خـلال السـنوات الماضيـة ".

واختـم بإشـارة سـريعة أوجـز فيهـا كل مـا ذكرتـه: لـم يكـن اصطفـاف العـراق مـع إيـران بعـد عـام ٢٠٠٣ نتيجـة حتميـة، ولكنـه جـاء نتيجـة عـن عزل العـراق مـن قبـل السـعوديين. ثانيـاً، كان العـداء السـعودي للعـراق الجديـد نتيجـة غيـر مقصـودة لقـرار الأمريكييـن بإرسـاء الديمقراطيـة فـي بغـداد. وثالثـاً، أن الانفتـاح الذهنـي والمرونـة يميـلان إلـى تحقيـق نتائـج أفضـل فـي صنـع السياسـات مـن الانغـلاق الذهنـي والصلابـة.

فـي الختـام، لا أسـتطيع أن أعبـر لكـم عـن مـدى سـعادتي لإتاحـة هـذه الفرصـة لـي لمشـاركة بعـض نتائـج بحثـي معكـم. وسـعيدة لأننـي زرت العـراق فـي هـذا الوقـت.

سلسلة عنوان:

علي محسن عاصي التميمي

الإصلاح

(مفهومه، أنواعهُ، متطلباتهُ)

المستخلص

يعد الإصلاح من الأمور المهمة لديمومة النظام والمحافظة على مستوى معين من الشرعية، وعلى الرغم من الاختلاف في تعريف وتوضيح مفهوم الاصلاح إلا ان الجميع متفق على أنه مفهوم يقع في قبال الفساد والإفساد ودالة حسنة على الاستقامة والخير، ويعني ايضاً تحسين في شكل النظام السياسي والاجتماعي، فهو تقويم اعوجاج وتصحيح مسار ولا يمكن الاستغناء عن الاصلاح اذا ما اريد لأي مجتمع ان يتطور ويتقدم، فما هو صالح اليوم في الانظمة والمؤسسات قد لا يكون صالحاً في المستقبل مع التطور الكبير الذي يشهد العالم بكافة المجالات التكنولوجية والتقنية والاتصالية، فالاصلاح يعمل على الانتقال بالمؤسسة او النظام من حال سيء الى حال أفضل، عن طريق المراجعة لمؤسسات الدولة ومن ثم إعادة هيكلتها، لاجل حفظ سيادة القانون واحترام حقوق الانسان.

مقدمة

يعد الإصلاح من الامور المهمة لديمومة النظام والمحافظة على مستوى مُعين من الشرعية، والإصلاح من المفاهيم المهمة جداً التي أخذت حيزاً من تفكير الأكاديميين والمفكرين والقادة والنُخب السياسية والاجتماعية والاقتصادية والمثقفة، لما للإصلاح من أهمية في تعديل وتصحيح المسار لأي مؤسسة أو نظام سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي، فالإصلاح يعمل على الانتقال بالمؤسسة أو النظام من حال سيئ إلى حال أفضل، عن طريق المراجعة لمؤسسات الدولة ومن ثم إعادة هيكلتها، لأجل حفظ سيادة القانون واحترام حقوق الإنسان.

وعلى الرغم من الاختلاف في تعريف وتوضيح مفهوم الاصلاح إلا ان الجميع متفق على أنه مفهوم يقع في قبال الفساد والإفساد ودالة حسنة على الاستقامة والخير، ويعني ايضاً تحسين في شكل النظام السياسي والاجتماعي، فهو تقويم اعوجاج وتصحيح مسار ولا يمكن الاستغناء عن الاصلاح اذا ما اريد لأي مجتمع ان يتطور ويتقدم، فما هو صالح اليوم في الانظمة والمؤسسات قد لا يكون صالحاً في المستقبل مع التطور الكبير الذي يشهد العالم بكافة المجالات التكنولوجية والتقنية والاتصالية، وسيتم ذكر اهم تعريفات الاصلاح وانواعه ومتطلباته في هذه المبحث وعلى هذا الاساس سيتم تقسيم هذا المبحث كالاتي:-

المطلب الأول: مفهوم الإصلاح

المطلب الثاني: أنواع الإصلاح

المطلب الثالث: متطلبات الإصلاح

المطلب الاول: مفهوم الاصلاح

اولاً: مفهوم الاصلاح لغوياً

جاء في كتاب القاموس المحيط للفيروز ابادي عن مادة صُلح: (الصلاحُ ضد الفساد، كالصُلوح، صلح، كمنع وكرم، وهو صلِحٌ بالكسر، وصالحٌ، وصليحٌ، وأصلحه: ضدُ أفسده، وإليه: أحسن والصُلحُ، بالضم: السلمُ، ويؤنث، وصالحهُ مصالحة وصلاحاً واصطلحا، واصّاحا، وتصالحا، وأصتلحا، وصَلاح، كفطام، ويقد يُصرف: مكة والمصلحةُ: واحدةٌ المصلِح، واستصلح: نقيضُ أستفسد)[1].

اما في مختار الصحاح لزين الدين الرازي: (ص، ل، ح: الصلاح ضد الفساد وبابه دخل. ونقل الفراء صلح أيضاً بالضم. وهذا يصلح لك إي هو ياتيك، والصلاحُ بالكسر مصدر المُصالحة والاسم الصُلح يذكر ويؤنث. وقد اصطلحا وتصالحا واصالحا بتشديد الصاد. والاصلاح ضدُ الافساد والمصلحة واحدة المصالح. والاستصلاح ضد الاستفساد)[2].

اما في معجم المرادفات والأضداد نجد ان صَلُح: طُهر، عُف، نزُه، بريء، حُسن وصَلُحَ: وافق، لاءم، طابق، ناسب وآمن، إتقى، رَشَدَ، تَعَبَدَ، أستقام، إعتدل، وصَلَّح: جَبَّرَ، أصلَحَ، وصُلح: مُصالحة، مُسالَمة، مُهادنة، وفاق، تصالُح[3].

ويُذكر المنجد في ترجمته (ان صلح: صُلحُ - وصَلَح وصُلُوحا وصلاحية فالصَلاح: ضد الفساد)[4].

والاصلاح، عموماً، هو دالة لصفة حسنه، يرجع جذره اللغوي الى الصلاح ودرء المفاسد. فأصل كلمة الاصلاح من (صلح) وهو نقيض الفساد ودال على الأستقامة والخير، ويقال (صلحت حال فلان) بمعنى بدا صالحاً في عمله[5].

وفي معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا يذكر أن مفردة (صلح: الصاد واللام والحاء أصلٌ واحدٌ يدل على خلاف الفساد. يُقال صُلِح الشيء يصلُح صلاحاً، ويقال صلَح بفتح اللام، وحكى ابن السكيت صلَح وصلُح، ويقال وصلح ويقال صَلح صلُوحاً[6]) (الصلاح عبارة عن الايتان بما ينبغي والاحتراز عما لاينبغي)[7] كما يذكر الالوسي.

وفي المعاني اللغوية تختصر الكثير من المعاجم المختصة باللغة العربية لفظ الإصلاح في كونه لفظ يقابل الإفساد، ولا يتم فرد مساحات كثيرة لشرح هذه المفردة. وقد ذهب المفكر العربي عابد الجابري إلى القول (بأن المعاجم العربية القديمة لا تسعفنا بأي تعريف فيما يخص الأصلاح غير قول هذه المعاجم أن الإصلاح هو ضد الفساد وإذا تم البحث عن معنى الأفساد فإنها تردنا إلى الإصلاح بقولها الإفساد ضد الإصلاح)[8].

فالفساد والإصلاح هما مفردتان متلازمتان لا ينفكان، ويصعب فهم أحدهما وتعريفه دون فهم وتعريف الاخر، ويصعب الاستدلال على معنى مفردة الفساد من الناحية اللغوية دون اعتباره كحالة مُتنافية مع مبدأ الاصلاح والاصلاح.

والإصلاح دالة حسنة عموماً، ويرجع جذرهُ لغوياً إلى الصلاح، ودرء المفاسد فكلمة الإصلاح أصلها من (صلح) وهي على النقيض من الفساد، وتدل على الاستقامة والخير، فعندما يقال (صلحت حال فلان) فهذا يعني بدأ صالحاً في عمله[9].

وفي القرآن الكريم وردت كلمة الإصلاح في الكثير من الآيات القرآنية منها: (ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها)[10]، (إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت)[11]، (لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس)[12] وفي هذه الآيات وردَ مصطلح الإصلاح كنقيض الفساد بمعنى ان الإصلاح دالة على الخير والنفع.

ولم يقتصر ذكر مفهوم الإصلاح على الآيات الثلاثة التي ذكرناها بل هنالك الكثير من الآيات القرآنية في مختلف السور القرآنية قد ورد فيها مفهوم الإصلاح والتي منها: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ

يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ»(١٣) فكلمة الأصلاح الأولى قرنت بالخير، وكلمة مصلح وردت في قبال المفسد.

«قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ»(١٤) فنبي الله شعيب عليه السلام يريد إصلاح لمجتمع القوم في حينها بالعلم النافع والعمل الصالح(١٥)

«وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا»(١٦)

«لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا»(١٧)

«فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ»(١٨)

«ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ»(١٩)

«إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ»(٢٠)

والآيات التي تم ذكرها تبين أن مفهوم الإصلاح ضد الفساد وضد الظلم بمعنى أن كل أزالة للظلم سواء أكان على المستوى الفردي أو على المستوى الجماعي يعتبره القران الكريم أصلاح.

ثانياً: الإصلاح أصطلاحاً

أن المشكلة في أي مصطلح وخاصة إذا كان سياسي أجتماعي تكمن في حاجته إلى أمرين أساسيين ينبغي توفرهما.

الأمر الأول: إتقان الصياغة للمصطلح لأجل مواكبة التطورات الحاصلة في الحقول الإنسانية والأجتماعية والسلوكيه.

الامر الثاني: حاجة المصطلح إلى أتقان الأقتباس وأتقان الترجمة، بمعنى لابد من التوحيد في الدلالة والمفهوم(٢١)

ومفهوم الإصلاح من المفاهيم الهامة في العلوم الاجتماعية والسياسية ولهُ عدة أستعمالات عربياً وأوروبياً تتشابه أحياناً وتختلف أحياناً أخرى.

وهنالك معاني وأستعمالات عديدة وكثيرة للإصلاح، فمرة يُراد به التحديث والتطوير ومرة يُراد به النهضة والتطور والتمدن والتغيير، والتجديد مرة أخرى، وإلى غير ذلك من الأستعمالات، فدلالات وأستعمالات الإصلاح قديمة بقدم الفساد، والكلام عنه سيظل مفتوحاً وثرياً ما دامت هنالك حاجة للإصلاح(٢٢).

فالإصلاح إصطلاحاً عبارة عن ترميم ما موجود بُغية تحسينهُ أو تصحيحهُ لمنع أنهياره، وقد يكون عبارة عن تعديل وتبديل في حاله من حالات الأشياء التي تتصف بالنقائض والمساويء وخاصة المؤسسات السياسية الفاسدة او الجائرة، والإصلاح يوازي فكرة التقدم، فهو ينطوي جوهرياً على رؤية أو فكرة التغيير نحو الأفضل، بمعنى أنهُ يبحث عن الأوضاع الأكثر ملائمة لأجل تحقيق الاهداف الموضوعية المطلوبة والتي يتبناها أصحاب القرار في أي حقل من حقول النشاط الإنساني(٢٣).

وإذا قارنا بين اللغة العربية واللغة الإنجليزية نلاحظ أن الإصلاح في المرجعيات العربية يتعلق بحصول الفساد في الشي مادة وصورة، ومن ثم تؤول قضية الإصلاح كعملية إلى الرجوع في الشي إلى ما قبل حصول الفساد.

أما الإصلاح في اللغة الأنكليزية «Reform» فيعني التحرر من العيوب وتصحيح الأخطاء، ويقابل مفهوم التعديل، ويوافق دلالاته السياسية التي تعني بعض دلالات مصطلحها إصلاح الشي وحسن القيام به(٢٤).

ويرى عبد الوهاب الكيالي

والإصلاح كمفهوم يُنظر إليه في أوروبا «إعادة تشكيل» وحذف وتعويض والبحث عن وضع جديد

وتطوير وتعديل، وإزالة ما لم يعد صالحاً للاستعمال، وكل هذه المعاني يستوعبها مفهوم الإصلاح في قواميسنا العربية، الذي يلخص المضمون برفع وإزالة ما يُفسد ويُهلك ويُعطل ويُعوق([٢٥]).

ويعرف قاموس أكسفورد الإصلاح بأنه «تغيير أو تبديل نحو الأفضل في حالة الأشياء ذات النقائض، وخاصة في المؤسسات والممارسات الفاسدة والإصلاح يوازي فكرة التقدم وينطوي جوهرياً على فكرة التغيير نحو الأفضل»([٢٦]).

| المطلب الثاني: انواع الاصلاح

أن الاصلاح ليس شعاراً يرفع أو قراراً يُتخذ ثم يذهب أدراج الرياح، بل هو منظومة شاملة من الجهود المتظافرة للإصلاح، لإعادة بناء الأنظمة التعليمية والثقافية والإدارية والسياسية والاقتصادية وكذلك الحكومية([٢٧]) فالإصلاح كإزالة للفساد أو إصلاح شيء أو درء المفاسد او تطوير المؤسسات للأفضل والاحسن، ليس مقتصراً على نوع واحد، بل أن الإصلاح أنواع وأنماط عديدة وسيتم التطرق في هذا المطلب لبعض الأنواع ومن ثم التركيز على النوع الذي يتلائم مع الدراسة والبحث، ومن أهم انواع الإصلاح:

اولاً: الإصلاح الثقافي
ثانياً: الإصلاح الاجتماعي
ثالثاً: الإصلاح الاقتصادي
رابعاً: الإصلاح السياسي

أولاً: الإصلاح الثقافي

أن الثقافة هي عبارة عن مجموعة من العناصر التي لها علاقة بطرائق التفكير والسلوك والشعور والعادات، فهي تتصل أتصالاً مباشراً بالنشاط الإنساني والثقافة ترتبط بالمحيط العام فهي تتفاعل معه، وتستمد وتنشئ - الثقافة - مضمونها الأجتماعي والسياسي منهُ، ويرى مالك بن نبي الثقافة بأنها المحيط الذي فيه يُشكل الفرد فيه شخصيته وطباعهُ، لأن الثقافة حسب رأيتهِ لا تنتقل وراثياً بل تأتي عن طريق التربية والأكتساب والتعليم والتلقين والمعاينة([٢٨]).

وعند الحديث عن الاصلاح الثقافي فهو حديث عن الاصلاح العميق لان هذا النوع من الاصلاح يتصل بالتكوينات الذهنية والبنى النفسية عند الناس([٢٩]) «فمن يراهن على الاصلاح الثقافي فأنه يراهن على الأنسان وتغييره، بأعتبار ان الرهان يكون على الارادة وعلى الوعي التي تكون الدافع والحافز لأي اصلاح ومنه الاصلاح الثقافي لأجل النهضة ومعالجة كل عوامل الانحطاط والتكوينات النفسية عند الناس»([٣٠]).

ولأهمية الاصلاح الثقافي وأثرهُ في المجتمع وفي النظام السياسي بشكل عام فلابد من الاهتمام بالمناهج التعليمية والتربوية وجعلها مواكبة لروح العصر ومتطلباته، وأن لا تبقى تقليدية وقديمة تنتج جيل أُمي وان كان يقرأ ويكتب، فلابد من اخضاع المؤسسات الثقافية المهمة الى اعادة هيكلة ورفع الوصاية الحكومية عليها لأجل استمرار عملية الابداع الثقافي والمعرفي فيها وتوسيع الآليات المسؤولة عن تشجيعه ومن ثم توزيعه داخل المجتمع الواحد من خلال أصلاح ثقافي([٣١]) ولابد من أتباع الثقافة المبدعة في الاصلاح الثقافي. «فالثقافة المُبدعة هي الثقافة التي تتمكن من تطبيق أفق الاختلافات المعرفية من غير أن تساهم بقطع أُصر التعاون مع الثقافات المختلفة الأخرى أو تمنع التعاون معها ففي الثقافة كما هي في السياسة عندما لا يكون هنالك أجماع على قيم ثقافية مشتركة، نكون أمام صراعات وليست منافسات وتكون هذه الصراعات الثقافية بسبب ولادة انقسامات اجتماعية وسياسية»([٣٢]).

»ولا بد من إصلاح الثقافة السياسية التي هي محصلة لجميع التفاعلات والخبرة التاريخية والمعتقدات الدينية والظروف الاجتماعية والاقتصادية

وتوجهات الرأي العام وتأثيراته، فالثقافة السياسية عبارة عن منظومة من القيم والأفكار والمبادئ والسلوك السياسي والقيمي التي تتجسد من خلال مواقفه المتعلقة بالسلطة السياسية أو النظام السياسي في المجتمع»[٣٣] واصلاح الثقافة السياسية للفرد تكون عبر برامج تنموية سياسية لتعريف المواطن بحقوقه وواجباته وأهمية دورهِ في العملية السياسية عبر خطة تُعد لهذا الغرض تشترك فيها الأسرة والمدرسة والجامعة ومؤسسات المجتمع المدني. وتُدعم هذه الخطة من قبل السلطات الثلاثة.

والإصلاح الثقافي يتطلب التحرر من سطوة الحكومات والاحزاب في السيطرة على رؤساء التحرير للصحف والمجلات والتحكم بتوجيهاتها لأجل خلق جيل يتمتع بروح الإبداع والابتكار والنقد وتؤسس إلى عقلية علمية قادر على اختراع الحلول لأي مشاكل تواجه المجتمع، ولابد من رفض أي حشو للأذهان بمعلومات غير صحيحة الغرض منها تستطيح العقول وصناعة عقل وفق ما يريده بعض من يبث هذه المعلومات غير صحيحة وكل ذلك لا يكون إلا عبر إصلاح ثقافي شامل[٣٤].

ثانياً: الإصلاح الأجتماعي

«يعني ألاصلاح الاجتماعي في مفهومه البسيط وبحسب ماتدل عليه اللغة مناقضة الفساد الاجتماعي، وأقامة مجتمع بديل عنه يُبنى على أسس فكرية وعقدية سليمة، تنشأ عنها سلوكيات صحيحة تشمل جميع المظاهر الاجتماعية»[٣٥].

والأصلاح في النواحي الاجتماعية يعني توظيف للموارد الأجتماعية الكبيرة والهائلة لأجل الأستفادة من جميع الأمكانات والطاقات البشرية لأجل بناء مجتمع متماسك وقوى وقادر على حل الأشكاليات والمشاكل التي تحصل في المجتمع ومن ثم الأنطلاق بفاعلية لتحقيق التقدم[٣٦].

والتفكير بالأصلاح الأجتماعي قد جاء بعد أن حلت بالأنسانية الكثير من النكبات بسبب الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية، وما تلاها من حروب، كما انه جاء ايضاً نتيجة للثورات والأنقلابات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي شملت تقريباً جميع دول العالم، بالأضافة إلى ما أحدثته وسائل الاتصالات والتطورات التكنولوجية، والأستعارات الحضارية مابين حضارة مسيحية وهندوسية وأسلامية وكونفوشوسية، أزداد التصادم والتناحر وكثر القلق الأجتماعي والأضطرابات المتعددة، وأصبحت - نتيجة لذلك - بيئة المجتمع غير مُستقرة، وينقصها التوازن والحركة والفاعلية، فبنية المجتمع لابد أن يشملها الأصلاح ولابد أن تتطور وتنموا مع مقتضيات الأحوال والظروف الجديدة لتلبي مطالب وحاجات الفرد والجماعة معاً[٣٧].

«ويتفق الناس جميعاً في مستوى المشكلات الأصلاحية على أن ظروفاً غير مرغوب فيها أخذت تهدد القيم الاجتماعية، ولكنهم لايستطيعون أن يجمعوا الرأي على منهج مُعين لأصلاح تلك الظروف، أن جوهر المشكلات الأصلاحية هو حلها، أي كيفية أدارة برامج الأصلاح وليس الأتفاق على نوع الظروف وطبيعتها وعلى إلاسباب التي ساهمت في ظهورها كالجريمة والقمار والبغاء والرشوة والمحسوبية»[٣٨].

والظواهر الأجتماعية لاتسير بحسب المصادفات والأهواء، بل هنالك قوانين اجتماعية تخضع لها الظواهر ألأجتماعية والتاريخية، وأن كل حادث تاريخي أو أجتماعي لابد أن تكون له طبيعة تخصهُ[٣٩] بمعنى آخر أن الظواهر الاجتماعية التي تحتاج إلى أصلاح لا تسير بحسب مايُريدها الأفراد بل أنها تسير في مسألة نشأتها وتطورها ومختلف أحوالها وارهاصاتها بحسب قوانين توصف بأنها ثابتة ومطردة كالقوانين الطبيعية بحسب طرح أبن خلدون[٤٠] وإن الإصلاح الاجتماعي لايُمكن أن يتم بصورة عشوائية وارتجالية بل لابد من

قوانين اجتماعية يحددها علم الاجتماع والتي وصل أليها بعد رحلة طويلة سار العلم فيها بخطوات المنهج العلمي بدءاً من ملاُحظة الظاهرة الاجتماعية - التي تحتاج إلى أصلاح - وتحديدها وحتى صوغ القوانين اللازمة لإصلاحها وما بينهما من خطوات تحليلية وخطوات تفسيرية وتعميمية، شريطة أن يفضي توظيف القوانين المستخلصة إلى أوضاع أفضل تُمكن من استشراف أو التنبؤ بمسار المجتمع وبنائه([٤١]).

«وأن المجتمع ليس ثابت الأحوال وإنما هو دينامي مُتغير، يلعب الصراع بين العصابات دوراً بارزاً في تغيره وتسميته»([٤٢]) وقد يؤدي هذا الصراع إلى بروز ظواهر أجتماعية سلبية تحتاج إلى أصلاح أجتماعي.

أن آية عملية أصلاح أجتماعي جادة وحقيقية لابد أن يكون أنطلاقها من تغيير الأنسان لذاته وانتقاله - الأنسان - من حالة الكلالة والكسل إلى الفعالية والذي بدورهِ يؤدي إلى أصلاح الواقع الأجتماعي([٤٣]) والقرآن الكريم قد إشار إلى هذه السنة التاريخية في قوله تعالى: «أن الله لا يُغير مابقوم حتى يُغيروا ما بأنفسهم»([٤٤]) «فمرجع هذا المفاد القرآني إلى أن هنالك علاقة بين تغيير المحتوى الداخلي للإنسان وبين الوضع الظاهري للبشرية، متى ما وجد ذلك التغير في أنفس القوم، وجد هذا التغير في بناء القوم وكيانهم»([٤٥]) فأول خطوات الأصلاح وفق هذا الخطاب القرآني هو الاستعداد النفسي للإصلاح والتغيير عن طريق تغيير النفس الشرية للأفضل والأحسن وبناء الذات علمياً وثقافياً.

ومشاركة المجتمع بالأصلاح يتطلب أصلاح المجتمع ثقافياً واجتماعياً بأزالة ذهنية التقاعس والجمود والكسل ومنحه قوة الإرادة والثقة والوعي([٤٦]).

ثالثاً: الإصلاح الأقتصادي

أن مفهوم الاصلاح الاقتصادي تناولته العديد من البحوث والمصادر بالدراسة والتحليل ومن أهمها بأنه «عملية أقتصادية إجتماعية سياسية ثقافية شاملة ومستمرة تستدعي فك الأرتباط بين المتغيرات الاقتصادية والأجتماعية وأعادة صياغتها من جديد بحيث يؤدي ذلك الى ظهور أفكار وقيم وعلاقات أقتصادية وأجتماعية جديدة تؤدي الى زيادة النمو الاقتصادي وتحسن مستوى المعيشة»([٤٧]).

ومفهوم الإصلاح الاقتصادي يُشير كذلك بأنه إعادة التوازن والاستقرار الاقتصادي والمالي النقدي المتعلقة بالدخل وأسعار الصرف، وكذلك اعادة هيكل الوحدات الإنتاجية بهدف رفع الطاقة الإنتاجية ومن ثم زيادة الإنتاج وتقوية الإنتاج وتحفيزه على النمو([٤٨]).

والإصلاح في أي نظام اقتصادي يعني إصلاح مؤسسات هذا النظام وهيكلة الإنتاج وكذلك الاستخدام الأمثل للموارد المتاحة، ومن ثم تخفيض الطلب وزيادة العرض،([٤٩]) والإصلاح الاقتصادي يحتاج إلى جهود وطنية متضافرة وتأييد شعبي ليُكتب له النجاح وتحقيق التطور المنشود.

وهدف عملية الإصلاح الاقتصادي هو مُعالجة الاختلالات التي تُعاني منها أغلب الدول النامية وإيجاد الحلول لهذه الاختلالات وللمشاكل الأقتصادية والاجتماعية، ومن هذه الأختلالات هو انخفاض الأحتياطات، والعجز في الموازنة العامة، وأرتفاع نسبة البطالة، وعجز الميزان التجاري، وأرتفاع نسبه التضخم، وأختلال القطاع المصرفي، وتدهور أسعار الصرف للعملة الوطنية، وارتفاع حجم الديون الخارجية..... الخ، وهذه الاختلالات والمشاكل لها أثار سلبية كبيرة على الاقتصاد الوطني بالإضافة إلى زيادة وتفاقم المشاكل الاجتماعية([٥٠]) ومن ثم يؤثر على الاستقرار المجتمعي والسياسي للنظام الحاكم، ولا يُكتب النجاح لأية إصلاحات سياسية ما لم تكون مقرونة بإصلاحات أقتصادية خطوة بخطوه، فمن غير تحقيق العدالة الاجتماعية وإلغاء الفوارق

الاجتماعية بين أبناء الشعب والطبقة السياسية يفقد الاصلاح المنشود كل مضامينهُ التي يريد تحقيقها([٥١]).

«فالإصلاح عملية أقتصادية أجتماعية سياسية ثقافية شاملة تشمل جميع القطاعات الانتاجية والخدمية وتشمل كافة الفئات والشرائح الأجتماعية بحيث يتأثر ويؤثر الجميع من خطوات الاصلاح واذا لم تكن الخطة مدروسة ومتكاملة فالنتائج ستصيب البعض على حساب البعض الاخر»([٥٢]).

رابعاً: الاصلاح السياسي

يُعد الإصلاح السياسي من أهم أنواع الأصلاح لشموله وتأثيره في باقي أنواع الإصلاح ويمكن أن نعرف الإصلاح السياسي على أنه مجموعة من العمليات التي يتم القيام بها على مستوى النظام السياسي ككُل بهدف التعديل التدريجي في التشريعات والقوانين والمؤسسات وكذلك في الإطر والأليات والسلوكيات والإدارة والثقافة السياسية السائدة، والهدف من ذلك هو مواكبة التغيرات المشاركة والحاصلة في البنية الداخلية والخارجية والاستعداد للأستجابة للتحديات([٥٣]).

«ويعرّف قاموس المصطلحات السياسية، الإصلاح السياسي بأنه تحسين النظام السياسي من أجل أزالة الفساد والأستبداد، ويُعد الإصلاح السياسي ركناً أساسياً مرسخاً للحكم الصالح، ومن مظاهره سيادة القانون، والشفافية والمشاركة الشعبية في أتخاذ القرار، والعدل وفعالية الأنجاز، وكفاءة الادارة والمحاسبة، والمسائلة والرؤية الاستراتيجية وهي تجديد للحياة السياسية وتصحيح مساراتها»([٥٤]).

وأنماط وإشكال الاصلاح السياسي ليست واحدة وإنما تختلف بحسب كل حالة، وهذا الاختلاف قد يأتي بسبب التباين في المستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية كما يمكن أن يكون سبب الاختلاف في بلد ما وبلد آخر يعود إلى تعدد أشكال التأثير بنماذج سياسية، فكريه سواء أكانت اشتراكية او ليبرالية غربية([٥٥]) وهذا ما جعل هذه المشكلة ترافق محاولات الإصلاح في الدول العربية والمسلمة، هو كون هذه الإصلاحات قد جاءت مستوردة لمؤسسات وثقافات، من غير أن تدرك لوظيفة ودور هذه المؤسسات والثقافات مما أدى إلى التزاحم بين الجديد والقديم أو تدمير القديم([٥٦]).

والإصلاح السياسي لم يعد مطلب شعبياً فقط بل هو ضرورات بناء الدولة والاستقرار الاجتماعي والسياسي، فمؤسسات الدولة لا يمكن لها أن تواجه كل التحديات الداخلية والضغوطات الخارجية من غير أن تنخرط بمشروع إصلاح سياسي، والتعامل مع الملفات والأجندة والقضايا بعقلية جديدة من أجل إزالة كل الأحتقانات والتوترات التي تضر بأمن المجتمع والدولة ووحدة الوطن([٥٧]).

لكن ما يمكن مُلاحظتهُ أن أغلب الخطابات التي تتبنى الإصلاح فيما يخص القوى السياسية في السلطة هو لأجل التكيف مع الدعوات الدولية للإصلاح او أن الهدف من تبني فكرة الإصلاح في الخطابات هو لأجل التعبئة الشعبية والسياسية أكثر من كونها قراءة دقيقة للحاجة الفعلية للمجتمع ولطبيعة المشكلات والتحديات وايجاد الحلول اللازمة لها، في أطار مشروع متكامل وواضح المعالم من حيث الاهداف والقوى والوسائل([٥٨]).

ومن أجل أن يكون الإصلاح السياسي حقيقياً ومنتجاً فلابد من أشراك النخب المثقفة والاكاديميين، فأن النخب المثقفة والواعية والاكاديميين وحسب تخصصاتهم سواء أكانت ثقافية أو اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية هم الخبراء في وضع الخطط والخطوات الصحيحة لمسيرة الاصلاح السياسي. فإذا كان مسار الإصلاح خاطئ فهذا المسار لا يزيد الأمور إلا سوءاً وتعقيداً([٥٩]) وليس المقصود بالأكاديميين والنخب المثقفة هنا كجهود فردية بل المقصود هو المؤسسات الأكاديمية المختلفة. فالمؤسسة هي الأقدر على الإصلاح والتغيير من الفرد المثقف

أو الأكاديمي مهما بلغت قدرتهم الثقافية والعلمية، ناهيك عن التطلعات الفردية والذاتية والطموحات الشخصية المتعلقة بالأنا والذات(٦٠) فالجامعات والكليات ومراكز البحوث والدراسات ومؤسسات المجتمع المدني الرصينة والفاعلة في الأقدر على وضع الخطط الإصلاحية الناجحة التي تهدف إلى إحداث تغيرات تدريجية للقوانين والمؤسسات لأجل مواكبة التطورات في البنية الداخلية والخارجية للدولة والأستجابة لجميع التحديات التي يواجهها النظام السياسي.

ومن خلال ما تقدم ذكره «يمكن أن يتم التحكم بمخرجات الإصلاح إذا تم اعتماد أساليب علمية وتجارب ناجحة مع مراعاة خصوصية كل دولة وبالتالي فنمط الإصلاح يجب أن يكون عميقاً وهيكلياً بالشكل الذي يرسم صورة جديدة للنظام تختلف عن تلك المتداولة عن النظام»(٦١).

ولا يمكن أن يتحقق أي إصلاح سياسي بدون أن يكون هناك تفاهم وإقتناع من قبل الطبقة السياسية سواء أكانت ماسكة للحكم أو كانت معارضة للحكم، وإقتناع من قبل الجماهير أيضاً، فلا بد أن تتوافر أرضية شعبية وجماهيرية تقبل بعملية الإصلاح السياسي المطروحة وتتبناها، مع وجود مؤسسات للحكم والإدارة من السلطتين التنفيذية والتشريعية(٦٢) فالإصلاح السياسي كمسار سياسي تتوقف مخرجاته ونتائجه ونهائياته على الأهداف والغايات التي تتبناها القوى السياسية التي تباشر هذا الإصلاح أو تشرف على تجسيده، ثم على قدرة تلك القوى السياسية على فرض منطقها الإصلاحي الذي أعلنته إلى النهاية، ففي الغالب يتعرض أي مشروع إصلاحي إلى ضغوط المعارضين وتأييد المؤسسين(٦٣)، ويحكم هنا المصالح الخاصة بالأحزاب والتيارات السياسية وعلى حساب هذه المصالح ينقسمون الى مؤيدين ومعارضين مع عدم إنكار وجود أحزاب وقادة وتيارات وطنية تعارض أو تؤيد أو تطرح الإصلاحات وفق المصلحة الوطنية العليا حتى لو كانت على حساب مصالحها الخاصة.

والحديث عن الاصلاح السياسي لا يمكن أن يبدأ من غير الحديث عن الإصلاح البرلماني، فيقول جوزيف بارتملي "Bartelmy":- (أن إصلاح النظام النيابي هو الحجر الأساس في بناء وإصلاح النظام الديمقراطي)(٦٤).

فأي أصلاح يراد البدأ فيه في المجتمع سواء أكان أقتصادياً او سياساً ام أجتماعياً هو في حقيقة الامر إصلاح تشريعي تكون اول خطواته من البرلمان(٦٥). عبر أصلاح اللجان النيابية.

وأن قيام أي برلمان بمهامه الأصلاحية السياسية وترشيد الحكم يُشترط ان يكون البرلمان ممثلاً للمواطنين تمثيلاً حقيقياً وعادلاً بأعتبار الشعب هو مصدر السلطات في اي نظام ديمقراطي، وهذا يعني تحمل المسؤولية تجاه الشعب وخضوع البرلمان للمحاسبة في الانتخابات(٦٦) فأية عملية اصلاح لابد أن تتطلب رسم سياسات عديدة من قبل الحكومة ومن ثم عرضها على البرلمان ليوافق عليها ومن ثم ترجمتها الى تشريعات وقوانين، فالبرلمان هو صاحب القرار الأخير بحكم كونه يمارس سلطته الاشتراعية ويمارس دوره في المراقبة والمحاسبة في الأنظمة البرلمانية وكذلك الحفاظ على المال العام(٦٧).

وقضية الاصلاح البرلماني -بأعتباره إصلاح سياسي- تقع دائماً في مجال المواجهة بين السلطة التشريعية والتنفيذية، فضلاً عن المواجهات بين الاغلبية والمعارضة في اطار التوتر الإيجابي، والحديث عن الإصلاح البرلماني، يتضمن بلا شك الأشارة الى موضوعة إعادة توزيع السلطات بين المؤسسات السياسية بأختلاف انواعها، لذلك فغالباً ما يتم مواجهة أية مجهود للإصلاح البرلماني بمعارضة من خارج البرلمان(٦٨).

«من ناحية أخرى تواجه عملية الاصلاح بمعارضة

من قبل الحكومات المختلفة - لاسيما وان الاصلاح يهدف الى ضمان استقلال البرلمان في مواجهة الحكومة - حيث تواجه معظم الحكومات دعوات الاصلاح البرلماني بعدائية شديدة او على الاقل بنوع من عدم التعاون»([٦٩]) لان الاصلاح البرلماني يهدف الى تقوية البرلمان في اداء مهامه الرقابية والمحاسبية إتجاه الحكومة وبالتالي يحد من تغولها وتفردها بالسلطة.

المطلب الثالث: مُتطلبات الإصلاح

أن الحديث عن الإصلاح او المطالبة به وتنفيذهُ، هو حق على الدولة وليس منة، وعلى الدولة أن توفي بهذا الحق لجميع المواطنين وبشكل مستمر، فلا يمكن أن يقوم المواطنين بطرح موضوع الإصلاح على استحياء أو بطريقة الاستجداء لعطف الدولة أو من خلال تهديد الدولة، إنما ينبغي أن يتم النظر إلى الإصلاح كجزء من عقد بين المواطنين والحكومة، فالمواطن هو الأصل والقاعدة الذي تنبثق منه الحكومة عبر عملية الانتخابات، وهو من يدفع الضرائب وليس القائد السياسي أو الحكومة([٧٠]) وإذا كان المواطن هو من يطالب بالإصلاح بأعتباره المستفيد من عملية الإصلاح- سواء أكان الإصلاح إقتصادي أو سياسي أو إجتماعي إلخ - فيجب على جميع مؤسسات الدولة الممثلة للسلطات الثلاث أن تقوم بالإستجابة لمطالب الإصلاح، فأي إصلاح يحتاج إلى تضافر جميع الجهود الوطنية والدولية بالإضافة إلى التأييد الشعبي حتى يتم الوصول للإصلاح ومن ثم النجاح وتحقيق التطور([٧١]).

فأصلاح المؤسسات بصورة عامة يعني تصحيح لوضع خاطئ في المؤسسة أو أي حالة شاذة ترافق عمل المؤسسة، فيعمل الإصلاح على الانتقال بالمؤسسة من حال سيئ إلى حال أفضل عن طريق المراجعة لمؤسسات الدولة ومن ثم اعادة هيكلتها لأجل حفظ سيادة القانون وأحترام حقوق الإنسان، وكذلك تكون المؤسسة خاضعة لمحاسبة الناخبين([٧٢]).

ولا يمكن أن تتحقق أي خطوة في طريق الإصلاح ما لم تكون هنالك مُقدمات ووسائل وأدوات يمكن تسميتها بمتطلبات الإصلاح «فطريق الإصلاح كما هو طريق الحق، طريق شديد الوعورة ويحتاج إلى قيادة صالحة ذات أرادة قوية من جهة، ودعم القواعد الشعبية الشجاعة جهة أخرى، فإذا كانت تحتاج حركة الإصلاح رأس صالح فأن هذا الرأس يحتاج إلى جسد شجاع يتمثل في الجماهير الواعية والمناضلة التي تطالب وتساند الإصلاح»([٧٣]).

وتكون الدولة قوية ومُحترمة عندما تُدعم وتُحترم من قبل مواطنيها لسلطاتها ولمشاريعها الاصلاحية، ومن ثم الاذعان طواعية لأوامر الدولة فكلما كانت الدولة والسلطة السياسية قريبة من المواطن ومواكبة للمصالح والرغبات التي يبتغيها المواطن كانت تلك الدولة قوية. وهذا يقودنا في النهاية إلى ضرورة مواكبة الدولة لروح التجديد والإصلاح في جميع مؤسسات الدولة وأجهزتها الحكومية لكي يضمن إلتزام المواطن بأحترام أوامر الدولة وعدم تجاهل قراراتها أو التحايل عليها. وإن الخضوع الطوعي لسلطات الدولة وأوامرها يخلق استقراراً نسبياً([٧٤]) «فالإصلاح هو واجب وضرورة وانهُ بالمحصلة النهائية ليست عقوبة»([٧٥]).

وعند الحديث عن الإصلاح ومتطلباته لابد من الإشارة إلى أن آية عملية إصلاح لابد أن تمر بثلاثة مراحل مهمة([٧٦]):

المرحلة الأولى: يتم من خلالها طرح البدائل الصحيحة والناجحة

المرحلة الثانية: وهي العملية التي من خلالها يتم تغيير الأنظمة السلبية

المرحلة الثالثة: هي المرحلة التي يتم خلالها تقييم ومتابعة الاصلاحات التي يرجى من خلالها

تحقيق الأهداف المرجوة.
ولأجل تحقيق الإصلاح الحقيقي يُفترض أن يتم تحقيق شروط أساسية ومهمة يمكن إيجازها بما يلي:([٧٧])
أولاً: لابد أن تتوفر النخب السياسية المؤمنة بالإصلاح والنزيهة والتي تملك القدرة على تنفيذ الإصلاحات المطلوبة.
ثانياً: لابد من الأعتماد على الذات في مسألة تمويل عملية الإصلاح.
ثالثاً: ضرورة وضع سياسات بعيدة المدى تحتوي أستراتيجيات محددة للإصلاح، تأخذ في الأعتبار الأولويات، ويكون البدأ بإصلاح التربية والتعليم وكذلك التدريب المهني، لأجل توفير الكوادر والنخب الضرورة لعملية الإصلاح الشامل.
رابعاً: لا بد أن تكون هناك ثقة بين الحاكم والمحكومين، ولابد من الإيمان بجدوى الإصلاح، للمضي بتطهير مؤسسات الدولة من الفاسدين، لخلق المناخ السياسي والأجتماعي للإصلاح.
خامساً: التعامل والتعاون مع الدول الصناعية الكبرى المتقدمة وعلى قاعدة المنافع المتبادلة.
سادساً: الأهتمام بالتوعية والتنمية الشعبية لنشر فوائد الإصلاح وأهمية وأقناع الجماهير بجدوى الإصلاح ومنافعة العائد عليهم.

الخاتمة

تاسيساً لما سبق من فهم الأبعاد الرئيسية لمفهوم الاصلاح وأنواعة ومتطلباته واهمية نجد أنه موضوع لا غنى عنه، فلا يمكن لاي نظام سياسي يراد له الديمومة او المحافظة على مستوى معين من الشرعية من غير أن يمارس عملية الاصلاح، فهو الطريق الأمثل لتعديل وتصحصح المسار لأي مؤسسة او نظام سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي.
و من خلال تناولنا لبعض انواع الاصلاح نجد ان أهمها هو الاصلاح السياسي، فمن خلاله يتم تحسين النظام السياسي بأزالة الفسادوالافساد. والاصلاح الساسي ليس نمطاً واحداً بل هو أنماط مختلفة تختلف بحسب كل حالة تبعاً للتباين في المستويات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، بمعنى آخر يختلف الاصلاح السياسي باختلاف شكل وطبيعة النظام السياسي سواء اكان أشتراكيا او ليبرالياً غريباً أم غير ذلك.
ولم يعد الاصلاح السياسي مطلبا شعبياً فقط بل هو من ضرورات بناء الدولة من أجل تحقيق الاستقرار السياسي والاجتماعي، فمؤسسات الدولة لا يمكن لها ان تواجه التحديات الداخلية والضغوط الخارجية من غير ان تنخرط بمشروع اصلاحي سياسي شامل من أجل التعامل مع الملفات والاجندة بعقلية اصلاحية تًزال من خلالها كل الاحتقانات والتوترات وأنواع الفساد التي تضر بأمن المجتمع والدولة.
إن تحقيق الأصلاح الحقيقي لا يتم الا عبر توافر شروط من قبيل توافر النخب السياسية التي تؤمن بالأصلاح وقادرة على تنفيذ الاصلاحات المطلوبة ولابد من وضع سياسات بعيدة المدى تحوي أستراتيجات محددة للاصلاح تأخذ بالاعتبار الاولويات المطلوبة، وينبغي أن يكون هنالك ثقة بين الحكام والمحكومين بالاضافة الى ضرورة الاهتمام بالتوعية والتنمية الشعبية لنشر فوائد الاصلاح وأهمية لتكون الجماهير مؤيدة وداعمة لكل الخطوات الاصلاحية.

المراجع والمصادر:

القران الكريم

١. الاب معلوف اليسوعي، المنجد، المطبعة الكثالوكية للأباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٧٣.
٢. أحمد إبراهيم الورني، مشاريع الإصلاح في الشرق الاوسط، مطبعة دار السلام، دمشق، ٢٠١٠.
٣. أحمد عبد الله ناهي، علي محمد علوان، الإصلاح السياسي في العراق، قراءة في أهم التحديات الداخلية، بحث منشور في مجلة قضايا سياسية، كلية العلوم السياسية- جامعة النهرين العدد ٥٤، بغداد ت١، ت٢، ك١، ٢٠١٨.
٤. أخلاص جواد على مير القره لوسي، أبن خلدون في الفكر العربي المعاصر «شخصيات منتخبة»، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب - الجامعة المستنصرية، ٢٠١١.
٥. أسماء أونيس، واقع الإصلاحات السياسية في الجزائر ٢٠٠٨-٢٠١٦، رسالة ماجستير منشورة، كلية الحقوق والعلوم السياسية جامعة العربي بن مهيدي، ٢٠١٥-٢٠١٦.
٦. اكرم عبد العزيز، الاصلاح المالي بين نهج صندوق النقد الدولي والخيار البديل، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٧.
٧. خيري عبد الرزاق جاسم، الاندماج وبناء الدولة، مجلة حمورابي للدراسات، العددان ٢١-٢٢، بغداد، شتاء ربيع ٢٠١٧.
٨. ستار شدهان شياع، الاصلاحات السياسية والأقتصادية في العراق بعد عام ٢٠٠٣ وآفاقها المستقبلية، أطروحة دكتور غير منشورة مقدمة إلى كلية العلوم السياسية -جامعة النهرين، ٢٠١٠.
٩. سعدي الضناوي، جوزيف مالك، معجم المرادفات والاضداد، المؤسسة الحديثة للكتاب، ط١، لبنان، ٢٠٠٧.
١٠. السيد الطباطبائي، تفسير الميزان، المكتب الشيعية، ج١٠
١١. صلاح الدين المُنجد، ترجمة المُنجد، مطبعة صبا، طهران، ترجمة مصطفى رحيمي نيا، ١٩٩٩.
١٢. طارق عاشور، الإصلاح السياسي العربي بعد عام ٢٠١١ تحليل الحالة الجزائرية، المجلة العربية للعلوم السياسية، التي تصدرها الجمعية العربية للعلوم السياسية بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ٣٧، شتاء ٢٠١٣.
١٣. عامر حسن فياض، أسئلة في التغيير السياسي لمعادلة التظاهر والإصلاح في حكومة العبادي، مجلة قضايا سياسية، كلية العلوم السياسية - جامعة النهرين، العدد ٤٧، آذار، ٢٠١٧.
١٤. عبد الباسط عبد المعطي، أتجاهات نظرية في علم الاجتماع، مطابع ألانباء الكويتية، الكويت، ١٩٨١.
١٥. عبد السلام إبراهيم بغدادي، النظم السياسية العربية وتحديات التغيير والإصلاح، ط١، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر، بغداد، ٢٠١١.
١٦. عبد العظيم جبر، التحول الديمقراطي في العراق الواقع والمستقبل، مؤسسة مصر مرتضى للكتاب، بغداد، ٢٠١١.
١٧. عبد العظيم جبر، جدل الفيدرالية في العراق، ط١، مؤسسة ثائر العصامي، بغداد، ٢٠١٧.
١٨. عبد المجيد محجوب السقعان محمد، اللجان البرلمانية (دراسة مقارنة)، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠١٠.
١٩. عبد الوهاب الكيالي وآخرون، موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ١٩٧٩.
٢٠. عبدالجليل الطاهر، المشكلات الاجتماعية في حضارة مُتبدلة، المفكر للكتب، بغداد، ٢٠٢٠.
٢١. علي فهد الزميع، تجربة الانتقال إلى

الديمقراطية في دولة الكويت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، بيروت، ٢٠١٤.
٢٢. علي محافظة، حركات الإصلاح والتجديد في الوطن العربي والتحديات التي تواجهها، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١١.
٢٣. عمر عبد الله نجم الدين الكيلاني، مفهوم الإصلاح في القرآن الكريم، مجلة ديالى، العدد ٢٨، ديالى، ٢٠٠٨.
٢٤. ليث عبد الحسن الزبيدي، كاظم علي مهدي، مجلس الاتحاد والتوازن التشريعي في العراق، بحث منشور في مجلة قضايا سياسية، كاية العلوم السياسة - جامعة النهرين العددان ٣٧-٣٨، ٢٠١٤، ص٩٧، وكذلك ينظر محمد أبو رمان، مصدر سبق ذكره.
٢٥. محمد أبو رمان، الإصلاح السياسي في الفكر الإسلامي «المقاربات»، القوى، الأولويات، الاستراتيجيات ط١، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ٢٠١٠.
٢٦. محمد باقر الصدر، السنن التاريخية في القرآن الكريم، ط١، دار أحياء التراث العربي للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ٢٠١٦.
٢٧. محمد بريش، المصطلح العلمي بين المستقبل المفقود والتيه المشهود، حولية محكمة يصدرها «معهد الدراسات المصطلحية» في المغرب، العدد الثالث، ٢٠٠٣.
٢٨. محمد بريش، مفهوم الإصلاح أو نحو الإصلاح لفهم المصطلح، حولية أمتي في العالم، المجلد السابع، القاهرة، ٢٠٠٧.
٢٩. محمد تيم، في نظرية الاصلاح الثقافي، مدخل لدراسة عوامل الانحطاط وبواعث النهضة، ط١، مؤسسة الأنشاط العربي، بيروت، ٢٠١٢.
٣٠. محمد درويش، مفهوم «الإصلاح» أو نحو إجلاً لفهم المصطلح، حولية (أمتي حي العالم)، المجلد السابع، القاهرة، ٢٠٠٧.
٣١. محمد عبد الواحد الغراوي، مكافحة الفساد المالي والإداري في الأنظمة الحكومية مع الإشارة إلى حالة العراق، مجلة حوار الفكر، العدان ٣٤، بغداد، كانون الأول، ٢٠١٥.
٣٢. مسلم بابا عربي، محاولة في تأصيل مفهوم الإصلاح السياسي، مجلة دفاتر السياسة والقانون، العدد٩، الجزائر، جوان ٢٠١٣.
٣٣. مصطفى محمد عبد الله، التصحيحات الهيكلية والتحول إلى اقتصاد السوق في البلدان العربية، الإصلاحات الاقتصادية وسياسات الخصخصة في البلدان العربية، بحوث الندوة الفكرية التي نظمها المركز الوطني للدراسات والتحليل الخاص بالتخطيط، الجزائر، إصدار دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٩.
٣٤. معجم مقاييس اللغة، الطبعة الأولى دار أحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١.
٣٥. معمر منعم صاحي العمار، الدولة واستراتيجية التغيير، دار السنهوري، بيروت، ٢٠١٩.
٣٦. نور الدين أبو لحية، الأصلاح الأجتماعي عند أبي حامد الغزالي، الطبعة الثانية، دار الأنوار للنشر والتوزيع، دمشق-سوريا، ٢٠١٦.
٣٧. هاني أدريس، الثقافة السياسية منطلق المفهوم وأزمة التأسيس، المعهد العراقي لحوار الفكر، بغداد، ٢٠١١.
٣٨. هيفاء أحمد محمد، مؤسسات المجتمع المدني في الحياة السياسية المصرية ودورها في تحقيق الإصلاح السياسي، مجلة دراسات أستراتيجية، العدد ٩٤، بغداد، ٢٠٠٨.

الهوامش:

١. محمد درويش، مفهوم «الإصلاح» أو نحو إجلاً لفهم المصطلح، حولية (أمتي حي العالم)، المجلد السابع، القاهرة، ٢٠٠٧، ص١٣.

٢. محمد درويش نفس المصدر

٣. سعدي الضناوي، جوزيف مالك، معجم المرادفات والاضداد، المؤسسة الحديثة للكتاب، ط١، لبنان، ٢٠٠٧، ص٣٧٣

٤. صلاح الدين المُنجد، ترجمة المُنجد، مطبعة صبا، طهران، ترجمة مصطفى رحيمي نيا، ١٩٩٩، ص٥٠٠

٥. الاب معلوف اليسوعي، المنجد، المطبعة الكثالوكية للأباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٧٣، ص٤٤٠

٦. معجم مقاييس اللغة، الطبعة الأولى دار أحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١، ص٥٥٠

٧ [٧] عمر عبد الله نجم الدين الكيلاني، مفهوم الإصلاح في القرآن الكريم، مجلة ديالى، العدد ٢٨، ديالى، ٢٠٠٨، ص٧٥

٨. مسلم بابا عربي، محاولة في تأصيل مفهوم الإصلاح السياسي، مجلة دفاتر السياسة والقانون، العدد ٩، الجزائر، جوان ٢٠١٣، ص٢٣٤

٩. الاب معلوف اليسوعي، المنجد، مصدر سبق ذكره، ص٤٤٥

١٠. القرآن الكريم، سورة الأعراف، الاية ٥٦

١١. القرآن الكريم، سورة هود، الاية ٨٨

١٢. القرآن الكريم، سورة النساء، الاية ١١٤

١٣. القرآن الكريم، سورة البقرة، آية ٢٢٠

١٤. القرآن الكريم، سورة هود، آية ٨٨

١٥. السيد الطباطبائي، تفسير الميزان، المكتب الشيعية، ج١٠، ص٣٦٩

١٦. القرآن الكريم، سورة النساء، آية ٣٥

١٧. القرآن الكريم، سورة النساء، آية ١١٤

١٨. القرآن الكريم، سورة المائدة، آية ٣٩

١٩. القرآن الكريم، سورة النحل، آية ١١٩

٢٠. القرآن الكريم، سورة النور، آية ٥

٢١ محمد بريش، المصطلح العلمي بين المستقبل المفقود والتيه المشهود، حولية محكمة يصدرها «معهد الدراسات المصطلحية» في المغرب، العدد الثالث، ٢٠٠٣ ص٦٨-٦٩

٢٢. محمد بريش، مفهوم الإصلاح أو نحو الإصلاح لفهم المصطلح، حولية أمتي في العالم، المجلد السابع، القاهرة، ٢٠٠٧، ص٨

٢٣. أسماء أونيس، واقع الإصلاحات السياسية في الجزائر ٢٠٠٨-٢٠١٦، رسالة ماجستير منشورة، كلية الحقوق والعلوم السياسية جامعة العربي بن مهيدي، ٢٠١٥-٢٠١٦، ص١٠

٢٤. معمر منعم صاحي العمار، الدولة واستراتيجية التغيير، دار السنهوري، بيروت، ٢٠١٩، ص٢٦

٢٥. محمد بريش، مصدر سبق ذكره، ص١٤

٢٦. أحمد إبراهيم الورني، مشاريع الإصلاح في الشرق الاوسط، مطبعة دار السلام، دمشق، ٢٠١٠، ص٢٩

٢٧. محمد عبد الواحد الغراوي، مكافحة الفساد المالي والإداري في الأنظمة الحكومية مع الإشارة إلى حالة العراق، مجلة حوار الفكر، العدان ٣٤، بغداد، كانون الأول، ٢٠١٥، ص (٣٢)

٢٨. عبد العظيم جبر، التحول الديمقراطي في العراق الواقع والمستقبل، مؤسسة مصر مرتضى للكتاب، بغداد، ٢٠١١، ص٢١٠

٢٩. محمد تيم، في نظرية الاصلاح الثقافي، مدخل لدراسة عوامل الانحطاط وبواعث النهضة، ط١، مؤسسة الأنشاط العربي، بيروت، ٢٠١٢، ص٩

٣٠. محمد ابو رمان، مصدر سبق ذكره، ص٢٨

٣١. محمد تيم، مصدر سبق ذكره، ص٩

٣٢. عبد العظيم جبر، جدل الفيدرالية في العراق، ط١، مؤسسة ثائر العصامي، بغداد، ٢٠١٧، ص٢٧٧

٣٣. هاني أدريس، الثقافة السياسية منطلق المفهوم وأزمة التأسيس، المعهد العراقي لحوار الفكر، بغداد، ٢٠١١، ص١٩-٢١

٣٤. المدخل الثقافي لقضايا الاصلاح العربي، بحث منشور على الانترنيت على الرابط الالكتروني www.bibalex.org تمت مشاهدتة في ٢٠٢٠ / ٣ / ٢٢

٣٥. نور الدين أبو لحية، الأصلاح الأجتماعي عند أبي حامد الغزالي، الطبعة الثانية، دار الأنوار للنشر والتوزيع، دمشق-سوريا، ٢٠١٦، ص٣٧

٣٦. ستار شدهان شياع، الاصلاحات السياسية والأقتصادية في العراق بعد عام ٢٠٠٣ وآفاقها المستقبلية، أطروحة دكتور

غير منشورة مقدمة إلى كلية العلوم السياسية -جامعة النهرين، ٢٠١٥، ص١٠

٣٧. عبدالجليل الطاهر، المشكلات الاجتماعية في حضارة مُتبدلة، المفكر للكتب، بغداد، ٢٠٢٠، ص٥٣

٣٨. المصدر نفسه، ص٣٨-٣٩

٣٩. أخلاص جواد على مير القره لوسي، أبن خلدون في الفكر العربي المعاصر «شخصيات منتخبة»، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب - الجامعة المستنصرية، ٢٠١١، ص٢٤

٤٠. المصدر نفسه، ص٣٥

٤١. عبد الباسط عبد المعطي، أتجاهات نظرية في علم الاجتماع، مطابع ألانباء الكويتية، الكويت، ١٩٨١، ص٢١

٤٢. المصدر نفسه، ص٨٢

٤٣. محمد أبو مازن، مصدر سبق ذكره، ص٦٦

٤٤. القرأن الكريم، سورة هود آية (١١)

٤٥. محمد باقر الصدر، السنن التاريخية في القرآن الكريم، ط١، دار أحياء التراث العربي للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ٢٠١٦، ص٨٩

٤٦. محمد أبو مازن، مصدر سبق ذكره، ص٢٨

٤٧. ستار شدهان شياع، مصدر سبق ذكره، ص١٠

٤٨. عطارد عوض عبد الحميد، نحو منهج وطني الاقتصادي في العراق، الأعمال الكاملة للموسم الثقافي العلمي، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، للفترة من ٢٠٠٩/١١/١٧ الى ٢٠٠٩/٧/٢١، جامعة النهرين، ٢٠١٠، ص٦٢

٤٩. اكرم عبد العزيز، الاصلاح المالي بين نهج صندوق النقد الدولي والخيار البديل، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٧، ص١٧

٥٠. مصطفى محمد عبد الله، التصحيحات الهيكلية والتحول إلى اقتصاد السوق في البلدان العربية، الإصلاحات الاقتصادية وسياسات الخصخصة في البلدان العربية، بحوث الندوة الفكرية التي نظمها المركز الوطني للدراسات والتحليل الخاص بالتخطيط، الجزائر، إصدار دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٩، ص٣١

٥١. جاسم محمد دايش، الاصلاح السياسي في العراق ضرورة وطنية، شبكة المعلومات الدولية على الرابط الالكتروني: www.ahewar.org.show.art.asp تمت المشاهدة في ٢٠٢٠ / ٤ / ١٧

٥٢. عطارد عوض عبد المجيد، مصدر سبق ذكره، ص٦٢

٥٣ علي مسلم بابي، مصدر سبق ذكره، ص٢٤٣

٥٤. ستار شدهان شياع، مصدر سبق ذكره، ص١٢

٥٥. طارق عاشور، الإصلاح السياسي العربي بعد عام ٢٠١١ تحليل الحالة الجزائرية، المجلة العربية للعلوم السياسية، التي تصدرها الجمعية العربية للعلوم السياسية بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ٣٧، شتاء ٢٠١٣، ص٢٩

٥٦. محمد أبو رمان، الإصلاح السياسي في الفكر الإسلامي «المقاربات»، القوى، الأولويات، الاستراتيجيات ط١، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ٢٠١٠، ص٢٨٨

٥٧. عبد السلام إبراهيم بغدادي، النظم السياسية العربية وتحديات التغيير والإصلاح، ط١، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر، بغداد، ٢٠١١، ص٣٤

٥٨. هيفاء أحمد محمد، مؤسسات المجتمع المدني في الحياة السياسية المصرية ودورها في تحقيق الإصلاح السياسي، مجلة دراسات أستراتيجية، العدد ٩٤، بغداد، ٢٠٠٨، ص٢٠

٥٩. ليث عبد الحسن الزبيدي، كاظم علي مهدي، مجلس الاتحاد والتوازن التشريعي في العراق، بحث منشور في مجلة قضايا سياسية، كاية العلوم السياسة - جامعة النهرين العددان ٣٧-٣٨، ٢٠١٤، ص٩٧، وكذلك ينظر محمد أبو رمان، مصدر سبق ذكره، ص٢٢٨

٦٠. عبد السلام إبراهيم بغدادي، مصدر سبق ذكره، ص٤٣

٦١. أحمد عبد الله ناهي، علي محمد علوان، الإصلاح السياسي في العراق، قراءة في أهم التحديات الداخلية، بحث منشور في مجلة قضايا سياسية، كلية العلوم السياسية- جامعة النهرين العدد ٥٤، بغداد ت١، ت٢، ك١، ٢٠١٨، ص١٤٨

٦٢. علي فهد الزميع، تجربة الانتقال إلى الديمقراطية في دولة الكويت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، بيروت، ٢٠١٤، ص١٣٨

٦٣. مسلم بابا عربي، مصدر سبق ذكره، ص٢٤٧

٦٤. عبد المجيد محجوب السقعان محمد، اللجان البرلمانية (دراسة مقارنة)، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠١٠، ص٥٦

٦٥. عبد المجيد محجوب السقعان محمد، مصدر سبق

ذكــره، ص١٨٩

٦٦. المركـز العربـي لتطويـر حكـم القانـون والنزاهـة، البرلمـان فـي الـدول العربيـة، رصـد وتحليـل (الاردن - لبنـان - المغـرب - مصـر)، بيـروت، عمـان، ٢٠٠٧، ص١٠بحـث منشـور علـى الرابـط الالكترونـي Www.arbruleoflaw.com تمـت المشـاهدة فـي ٢٠٢٠ / ٤ / ٢٢

٦٧. المصدر نفسه، ص١٠-١١

٦٨. علـي الصـاوي، الاصـلاح البرلمانـي، مصـدر القاهـرة، ٢٠١٣، ص ٥٣

٦٩. المصدر نفسه، ص٥٣-٥٤

٧٠. علي الصاوي، الإصلاح البرلماني، مصدر سبق ذكره، ص١٣٠

٧١. ستار شدهان شياع، مصدر سبق ذكره، ص ١٧

٧٢. خيـري عبـد الـرزاق جاسـم، الاندمـاج وبنـاء الدولـة، مجلـة حمورابـي للدراسـات، العـددان ٢١-٢٢، بغـداد، شـتاء ربيـع ٢٠١٧، ص٣٨

٧٣. عامـر حسـن فيـاض، أسـئلة فـي التغييـر السياسـي لمعادلـة التظاهـر والإصـلاح فـي حكومـة العبـادي، مجلـة قضايـا سياسـية، كلبـة العلـوم السياسـية - جامعـة النهريـن، العـدد ٤٧، آذار، ٢٠١٧، ص(ء)

٧٤. علي الصاوي، مصدر سبق ذكره، ص١٣١

٧٥. عبد السلام إبراهيم بغدادي، مصدر سبق ذكره، ص٢٩

٧٦. جاسـم محمـد دايـش، الإصـلاح السياسـي فـي العـراق ضـرورة وطنيـة، شـبكة المعلومـات الدوليـة متـاح علـى الرابـط الالكترونـي:Www.ahewar.org.show.art.asp تـم المشـاهدة فـي ٢٠٢٠/١٢/٢٢

٧٧. علـي محافظـة، حـركات الإصـلاح والتجديـد فـي الوطـن العربي والتحديـات التـي تواجهـا، ط١، المؤسسـة العربيـة للدراسـات والنشـر، بيـروت، ٢٠١١، ص٧٨

عنوان البحث:

م.م. سيماء علي مهدي

أثر التنمية المستدامة

على استقرار النظام السياسي في العراق

شهد العالم خلال العقود الثلاثة الماضية إدراكاً متزايداً بان نموذج التنمية الحالي أو ما يعرف بنموذج الحداثة لم يعد مستداماً، بعد أن ارتبط نمط الحياة الاستهلاكي المنبثق عنه بأزمات بيئية خطيرة مثل (تقلص مساحات الغابات- تلوث الماء والهواء -ارتفاع درجة حرارة الأرض وما الى ذلك) ، وأيضاً في أن كثيراً من الموارد التي تعتبر وجودها الآن من المسلمات معرضة للنفاد في المستقبل القريب؛ مما دفع إلى الدعوة إلى نموذج تنموي بديل مستدام يعمل على تحقيق الانسجام بين تحقيق الأهداف التنموية من جهة وحماية البيئة واستدامتها, وقد برز هذا الاهتمام العالمي بقضية البيئة بوضوح في تأكيد منهجية التنمية الإنسانية، وفقاً لتقرير التنمية الإنسانية العالمي الصادر عام ١٩٩٥، على عنصر الاستدامة، من خلال التأكيد على عدم إلحاق الضرر بالأجيال القادمة سواء بسبب استنزاف الموارد الطبيعية وتلويث البيئة أو بسبب الديون العامة التي تتحمل عبئها الأجيال اللاحقة أو بسبب عدم الاكتراث بتنمية الموارد البشرية مما يخلق ظروفاً صعبة في المستقبل نتيجة خيارات الحاضر. وتعمل حركة الاستدامة اليوم على تطوير وسائل اقتصادية وزراعية جديدة تكون قادرة على تلبية احتياجات الحاضر وتتمتع باستدامة ذاتية على وتعمل حركة الاستدامة اليوم على تطوير وسائل اقتصادية وزراعية جديدة تكون قادرة على تلبية احتياجات الحاضر وتتمتع باستدامة ذاتية على الأمد الطويل.

| الواقع التعليمي

يعد التعليم في أي بلد من بلدان العالم ركيزة أساسية من ركائز التقدم؛ لذلك يكون محل اهتمام ورعاية دائمة، فتحرص البلدان على تطوير تعليمها، إذ يتم اختيار أفضل الكفاءات التدريسية، وأحسن طرق التدريس، وأن تكون المناهج الدراسية مقبولة للطلاب من حيث الجودة والخصوصية الثقافية، وملبية لاحتياجات المجتمع. أما في العراق فإن واقع التعليم بعد ٢٠٠٣م، بدأ بالعد التنازلي، وكان لهذا التراجع أسباب عديدة، منها, غياب التخطيط في استيعاب الطلبة, وتتفاقم سنوياً في جميع مدن العراق، مشكلة النقص في المباني المدرسية، بالإضافة إلى ازدياد عدد التلاميذ، دون أن تكون هناك حلول جذرية بحسب القائمين على العملية التربوية وهناك مدارس هدم منها بأمر من وزارة التربية قبل سنوات عدة على أن يعاد بناؤها، لكنها لم تبن بعد، بل تحولت إلى مساحات فارغة, مما يؤدي الى اكتظاظ الطلبة في المدارس المتوافرة، وتحول كثير منها إلى دوام ثلاثي، علماً أن كل فصل يضم ما بين خمسين تلميذاً وسبعين في كل من الدوامات الثلاثة، فالمدرس لا يتمكن من إعطاء المادة, وهو ما يدمر الوضع النفسي للتلاميذ, بالتالي تؤدي انخفاض نسب النجاح ((١)) , وخصص دستور ٢٠٠٥ المادة (٣٤) منة بفقراتها الاربع لحق التعليم, وتكفله الدولة بالمجان لكافة العراقيين, وتلتزم الدولة بمكافحة الامية, وتشجيع البحث العلم للأغراض السلمية ويخدم الانسانية, أما الفقرة الرابعة من نفس المادة اكدت على التعليم الخاص والاهلي وأنه ينظم بقانون ((٢)) .

كما إن تطور التعليم في العراق وانتشاله من واقعه الحالي يحتاج أولًا إلى علاج الفساد الإداري المستشري في دوائر الدولة عمومًا والتعليم على وجه الخصوص، فضلًا عن الاعتماد على أصحاب

الكفاءة والنزاهة من ذوي الخبرة في مجال التعليم والإدارة خاصة بعد تدني واقع التعليم الجامعي في العراق بعد ٢٠٠٣م، بظهور الكليات الأهلية وبأعداد غير مسبوقة بعيدًا عن المعايير العلمية والضوابط, إذ تتبع معظمها لأحزاب وسياسيين، وبالتالي أصبحت مجالًا للكسب المادي وتحول التعليم إلى تجارة. إضافة لمنافسة طلبة الكليات الأهلية ذوي المعدلات العالية لطلبة الكليات الحكومية في الدراسات العليا، على الرغم من الفارق بين المعدلين في درجاتهم بمرحلة الإعدادية ((٣)) . أما بخصوص عدد الجامعات الحكومية في العراق فقد بلغت (٣٥) جامعة, وهناك جامعتين للوقفين السني والشيعي (كلية الامام الاعظم مرتبطة بديوان الوقف السني) و (كلية الامام الكاظم مرتبطة بديوان الوقف الشيعي) , والكليات الاهلية (٧٢) كلية متفرقة في جميع محافظات العراق ١٨ ((٤)) .

| الواقع الاقتصادي

بما أن الحاضر اولى الاهتمام من الماضي, فإن العراق بعد ٢٠٠٣ عانى اقتصاده من تدهور سواء بالقطاع الزراعي او الصناعي بفعل مقصود وإدارة غير مسؤولة وكأنما صناع القرار ضيوف في هذا البلد تنتهي مهمتهم بعد انتهاء دورتهم النيابية بدون إصلاح.

١. قطاع الصناعة: تمكنت القوات الامريكية ومن معها من قوات اجنبية من استهداف القطاع الصناعي بشكل مباشر وغير مباشر، كونها تعي اهمية هذا القطاع ودوره في التنمية الاقتصادية للعراق، بعد أن دمرت اكثر من ٨٥٪ من البنى التحتية (التقنية والاجتماعية) تدميرا كاملا, وتم استهداف ١٧٨ الف مصنع حكومي ومختلط وخاص صغير ومتوسط وكبير التي كانت تعمل بكل طاقاتها الانتاجية قبل ٢٠٠٣, عدا سرقة ما تبقى من معداته ((٥)) , لهذا لايزال قطاع الصناعة يعيش تراجع صناعاته التقليدية المتواضعة, في وقت يشهد العالم تطور هائل في مجال الصناعات المتنوعة. عدا ظاهرة الاغراق السلعي المستورد، بسبب قرار (بول بريمر) الذي دعا الى تخفيض الرسوم الجمركية عن جميع السلع المستوردة إلى ٥٪ مما ساهم في تدهور الصناعة العراقية. ورغم التشريع الاخير لقوانين التعرفة الجمركية وحماية المستهلك والتنافسية ومنع الإغراق السلعي في عام ٢٠١٠ الا انه بقى حبر على ورق وذلك بسبب دخول المستفيدين من بعض الاحزاب والساسة النافذين على خط التجارة والاستيراد, ونتيجة لتدني القطاع الصناعي الحكومي هناك مؤشرات تدل عن ٨٣ شركة ومعمل تحت أشراف وزارة الصناعة والمعادن، لم يلمس منها المواطن العراقي إلا نسبة ضئيلة من المنتج رغم توجه الحكومة الداعم للقطاع الصناعي ((٦)) . وتقرر تأسيس ١٨٥٣ مصنعاً عام ٢٠٢١، أنجز منها ٢٥٣ مصنعاً، وبنسبة تطور بالإنتاج بلغت نحو ٢٥٪ ((٧)) .

٢. قطاع الزراعة: لم يكن القطاع الزراعي بعيداً كل البعد عما جرى في العراق خلال العقدين الماضيين، من تدهور في كل القطاعات، لا سيما بعد ٢٠٠٣, إذ بلغت مساحة الاراضي الزراعية ١٢مليون دونم بعد ان كانت ٤٨ مليون دونم وكانت نسبة مساهمة القطاع الزراعي بالناتج المحلي الاجمالي حتى عام ٢٠٠٢ (٢٧٪) واليوم وصلت هذه النسبة الى (١. ٥٪) وهذا يعني تراجع نسبة الانتاج الزراعي من الناتج المحلي الاجمالي GDP مقابل تزايد نسبة الانتاج النفطي فيه وكذلك تراجع دور القطاع الخاص في المساهمة في الانتاج الزراعي والحيواني فضلا عن ضعف دور البحث والتطوير ومراكز البحوث، وضعف الترابط بين القطاع الزراعي

والصناعي وذلك بسبب تدمير القطاع الصناعي ((٨)) . وكشفت دراسة أجرتها المنظمة الدولية للهجرة بدعم من وزارة الخارجية الأميركية، مكتب السكان واللاجئين والهجرة، حقائق عن الهجرة في مدن جنوب العراق، وذكرت الدراسة أن «التدهور البيئي على مدى السنوات الـ١٠ الماضية أدى إلى إلحاق أضرار بالغة بالقطاع الزراعي في العراق، وأدى تفاقم ندرة المياه ونوعيتها إلى عدم قدرة القطاع على توفير سبل العيش الكافية والمستدامة، لا سيما في المناطق الريفية حيث كان القطاع الزراعي لفترات طويلة مصدر العمل الرئيس للقوى العاملة»، وأضافت أن «ذلك أسهم بشكل مباشر في هجرة سكان الريف بحثاً عن فرص أخرى، غير أن المهاجرين بسبب المناخ يحاولون الاستقرار في بيئات جديدة ذات موارد مالية واجتماعية محدودة ومتشعبة ما قد يؤثر على قدرتهم في الحصول على الخدمات والحقوق» ((٩)) .

لا يخفى ما تمثله الزراعة من أهمية بالغة ولما يمكن أن يلعبه القطاع من أدوار أساسية في مكافحة الفقر وتحقيق الأمن الغذائي وامتصاص البطالة، لهذا يواجه العراق أكبر مشكلة بيئية في تاريخه تتمثل بالتصحر الشديد الذي يعرض أمنه الغذائي للخطر، بتضافر العديد من العوامل الطبيعية والبشرية في صنعه، وتزيد من خطورته على الجوانب البيئية والاقتصادية والاجتماعية والحضارية، اذ تفقد الكثير من الأراضي المنتجة، وتحرك الكثبان الرملية وهبوب العواصف الرملية والترابية الشديدة وما ينتج عنها من زيادة تلوث الهواء. لذا بات من الضروري إعطاء الزراعة مكان الصدارة في خطط التنمية, وإحياء خصوبة التربة وصيانتها من التصحر.

| واقع القطاع الصحي

يعد قطاع الصحة من القطاعات بالغة الاهمية كونه يتصل بشكل مباشر بحياة المواطن, لهذا الاهتمام به من الضروريات, إذ أصبح هذا التطور واجباً أخلاقياً واجتماعياً على الدول اتجاه مواطنيها وعنصراً أساسياً من عناصر التنمية المستدامة طويلة الأمد, ويعد القطاع الصحي ركيزة أساسية من ركائز المجتمعات السليمة حيث انعدام توفر نظام صحي متطور يؤدي إلى انعدام العدالة الاجتماعية وانتشار الكراهية والحقد الطبقي, كما ويلعب القطاع الصحي دوراً أساسياً في عالم السياسة (خاصة في الحملات الانتخابية لبعض السياسيين عبر برنامج الضمان الصحي) ؛ إذ تتداعى الأمم المختلفة لمواجهة التحديات الصحية المطروحة كالأمراض المزمنة والأوبئة والميكروبات المختلفة من خلال دعم البحث العلمي وتطوير القطاع الصحي وتسخير كافة العقبات أمامه.

كما يعد القطاع الصحي داعماً أساسياً للاقتصاد من خلال تحفيز النمو في الخدمات الطبية المقدمة كالمستشفيات والعيادات بالإضافة إلى صناعة الأجهزة الطبية والسياحة العلاجية وخدمات التأمين الصحي وغيرها من القطاعات، كل هذا يزيد من الاستثمارات في القطاع الصحي وبالتالي تحفيز النمو الاقتصادي ((١٠)) .

وعانى العراق من هجرة الكفاءات الطبية واغتيل بعضهم بفعل تدهور الوضع الامني في عراق ما بعد الاحتلال, عدا انتشار بعض الامراض نتيجة ضعف الرعاية الصحية وانهيار بنى الصحية من نقص المعدات الطبية ونقص الاسرة للمرضى, هذا اذا علمنا ان مخصصات القطاع الصحي في الموازنة العامة للدولة بلغ ١٪ من الناتج المحلي الاجمالي ((١١)) , وهناك دراسة حديثة اجراها الباحث (مقدام الشيباني) ((١٢)*) اوضح بها بالأرقام عدد البنى التحتية والموارد البشرية الصحية والتحديات التي واجهت قطاع الصحة في العراق.

ولهذا فإن الاستدامة في العراق تحتاج الى:

١. انهاء الخلافات السياسية التي اغلبها لأطماع حزبية واخرى شخصية, كون استمرارها تعرض البلد لـ (ازمة الهوية، ازمة المشاركة، ازمة الشرعية، ازمة الاندماج، وازمة التغلغل وغيرها من الازمات) ، التي تؤثر جميعها في استقرار النظام السياسي، خصوصاً الانظمة ذات الديمقراطيات الناشئة ومنها النظام السياسي العراقي بعد عام ٢٠٠٣.
٢. القضاء على الفساد الاداري والمالي كونه عدو للتنمية.
٣. زيادة من التوعية المجتمعية عبر التعاون الحكومي مع منظمات المجتمع المدني كونها قريبة من المواطن لمحاولة اقناعه بأنه شريك مع الدولة في إدارة شؤونه, ويستحيل على الحكومات توفير كل متطلبات المجتمع دون التعاون والاصرار في النهوض بواقعهم, عبر حملات تطوعية منها (تنظيف بيئتهم, القضاء على التصحر عبر التشجير, التعاون مع الاجهزة الامنية بالإبلاغ عن المخربين والمجرمين, التوعية بترشيد الاستهلاك الكهرباء والماء كونهما لجميع العراقيين وغيرها) كل ذلك يزيد من المواطنة واحساس المواطن بالمسؤولية اتجاه بلده.
٤. الاهتمام بالنهوض بالقطاع الاقتصادي والخدمي والاستثماري بوجه الخصوص, لان ذلك يقضي على البطالة, واشغال المواطن بعمله بدل اللجوء للتظاهرات.
٥. القضاء على ازمة السكن عبر القروض بلا فوائد ربوية لأنها مخالفة للدين الاسلامي, وكذلك تقلل من العبئ على المواطن, اضافة اكثار المجمعات السكنية لان الارض لا تتسع للزيادة السكانية عبر توزيع الاراضي بشكل عشوائي, بذلك ينهي القطاع الزراعي بالعراق.
٦. النهوض بالقطاع الزراعي في العراق لأنه يقضي على التصحر اولاً ويحقق الاكتفاء الذاتي ثانيا.
٧. لكون العراق يمثل ثاني خزان نفطي عربياً والخامس عالمياً، فأن ذلك سيجعل من فرص تحقيق الاستدامة اكثر ضماناً، بالاعتماد على عوائد الصناعة النفطية في تنمية القطاعات المادية (الصناعة، والزراعة، والبنى التحتية) والقطاعات غير المادية (الخدمات) .
٨. النهوض بالقطاع التعليمي ومراكز البحوث لأنها أساس تطور شعوب العالم, والنهوض بواقعه الاقتصادي والخدمي.

ولكي نتجاوز سلبيات الماضي ونستفاد من تجارب العالم الحالي, لابد من السعي قدماً في تحقيق الاصلاحات الاقتصادية والاجتماعية والتعليمة والصحية وتعزيز من المواطنة عبر التوعية المكثفة من قبل منظمات المجتمع المدني ووسائل الاعلام المختلفة, ولأن التاريخ يكتب فعلى صناع القرار انهاء خلافاتهم والشعور بالمسؤولية تجاه هذا البلد فالعراق والعراقيين يستحقون حاضراً ومستقبلاً أجمل.

الهوامش

١- تقرير: واقع التعليم الجامعي في العراق منذ ٢٠٠٣ – ٢٠٢٠, الشرق اليوم, نشر بتاريخ ١٨أب ٢٠٢٠, على الرابط: https:// www.alsharqtoday.com, كذلك : مدارس عراقية... مشاكل تتراكم عاماً بعد عام, العرابي الجديد, نشر بتاريخ ٣٠أيلول ٢٠١٨, على الرابط: https://www.alaraby.co.uk/

٢- المادة ٣٤, من الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥.

٣- واقع التعليم الجامعي في العراق منذ ٢٠٠٣ – ٢٠٢٠, الشرق اليوم, نشر بتاريخ ١٨أب ٢٠٢٠, على الرابط: https://www. alsharqtoday.com

٤- قاسم اسماعيل جاسم, نظرة احصائية في توزيع الجامعات والكليات الحكومية والاهلية في العراق, مجلس النواب, دائرة البحوث, ٢٠١٨, ص١ وما بعدها.

٥- محمد طاقة, الاقتصاد العراقي على وشك الانهيار: دراسة تحليلية عن واقع الاقتصاد العراقي قبل وبعد عام ٢٠٠٣, بلا, ص١٠

٦- ناجي الغزي, تدهور القطاع الصناعي في العراق..الاسباب والحلول, وكالة انباء برثا, نشر بتاريخ ٢٠٢١/٩/٧, على الرابط: ٣٩٩٣٦٢/http://burathanews.com/arabic/economic

٧- مؤيد الطرفي, العراق ينجز ٢٥٠ مصنعا وتفاؤل بدور واسع للقطاع الخاص, اندبينت عربية, نشر بتاريخ ١١ نيسان٢٠٢٢, على الرابط: https://www.independentarabia.com/node

٨- محمد طاقة, الاقتصاد العراقي على وشك الانهيار: دراسة تحليلية عن واقع الاقتصاد العراقي قبل وبعد عام ٢٠٠٣, المصدر سبق ذكره, ص١٢.

٩- جبار زيدان, هل فقد العراق هويته الزراعية؟, اندبينت عربية, نشر بتاريخ ٢٩ تشرين الاول٢٠٢١, على الرابط: https:// www.independentarabia.com/node/

١٠- محمد الجدع, أهمية القطاع الصحي, موقع موضوع, نشر بتاريخ ١١ آيار٢٠٢٢, على الرابط: https://mawdoo٣.com/٪D٨٪A٩٪٨A٪D٨٪D٩٪٨٥٪D٩٪٨٧٪D٩٪A٣٪D٨٪٨٤٪D٩٪A٧٪D٨٪_B٩٪D٨٪A٧٪D٨٪B٧٪D٨٪٨٢٪D٩٪٨A٪AD٪D٩٪D٨٪B٥٪

١١- محمد طاقة, الاقتصاد العراقي على وشك الانهيار..., المصدر سبق ذكره, ص١٥.

١٢- (*) يمكنك الاطلاع على البحث الذي يقدر بحدود ١٢ صفحة من قبل: مقدام الشيباني, واقع قطاع الصحة في العراق وسبل النهوض به (قراءة أولية), مركز البيان للدراسات والتخطيط, نشر بتاريخ ٢-٢-٢٠٢٢

سلسلة عراقيون:

مرسين الشمري

ترجمة: د. نصر محمد علي – فيصل الياسري

تطور المجتمع المدني

في منطقة الفرات الأوسط في العراق في حقبة ما بعد الحرب

| خلاصة تنفيذية

على الرغم من الازدهار والاستقرار النسبيين، لم تنجح منطقة الفرات الأوسط في العراق من انشاء مجتمع مدني يعزز النمو الديمقراطي وينتجه. ودُرست الصلة المفترضة بين المجتمع المدني والتحول الديمقراطي دراسة مستفيضة على الصعيد الوطني في الشرق الأوسط، وعلى النقيض من ذلك، يتقرح هذا التقرير دراسة لتنمية المجتمع المدني على المستوى المحلي (القطري) ، تأسيساً على حجة مؤداها ان الظروف التي تعزز تنمية منظمات المجتمع المدني (CSOs) والآليات التي من شأنها ان تربط المجتمع المدني بالديمقراطية ليست ثابتة في أنحاء العراق كافة. واعتماداً على البيانات الجديدة التي جُمعت عبر العمل الميداني والمقابلات التي أجريت مع النشطاء والعاملين في مجال الإغاثة الدولي، يدفع هذا التقرير بأن الحركيات (الديناميات) السياسية والاجتماعية على المستوى المحلي والاقليمي قد أثرت على التطور المتباين للمجتمع المدني.

ويعرض هذا التقرير نظرة شاملة على تطور المجتمع المدني في جنوب العراق، ثم يركز على حالتي كربلاء والحلة، اللتان شهدتها وجود أنواع مختلفة من منظمات المجتمع المدني، على الرغم من تشاطرهما بالعديد من القواسم المشتركة. على سبيل المثال، لدى الحلة المزيد المنظمات المنخرطة بالمناصرة، فيما تمتلك كربلاء المزيد من المنظمات التي تُعنى بالأنشطة الخيرية. وهذا الامر نتيجة لأنماط المانحين في تينك المدينتين، إذ استفادت كربلاء من الشبكات المحلية واستجابت للتصورات المحلية لما ينبغي أن يكون عليه المجتمع المدني، فيما تأثرت الحلة بدور المنظمات الدولية في أوائل العقد الأول من القرن الحالي. وأُبتليت المدينتان، حالهما حال بقية أنحاء البلاد، بقضية «المنظمات الوهمية» التي لم تُسجل إلا للتأهل للحصول على التمويل المتاح، ثم تختفي بعد جفاف التمويل. تمثل «المنظمات الوهمية» واحدة من العديد من التحديات التي تواجه المجتمعات المانحة الدولية عند التعامل مع المجتمع المدني في العراق، بالإضافة إلى تحديات تحديد المنظمات الأصغر وتوفير التدريب لها. هناك العديد من التحديات التي يتشاطرها الناشطون العراقيون والمنظمات المحلية، وأن حالتي كربلاء والحلة تفصح عن ان الطريق من تنمية المجتمع المدني إلى التحول الديمقراطي مليئ بالعقبات. حتى في المناطق الآمنة والثرية نسبياً، تتحكم الآثار الاجتماعية والاقتصادية للحرب والاستبداد في الكيفية التي يتفاعل فيها الناس مع الحياة النقابية ونظرتهم إليها.

المقدمة

ماتـزال الصلـة بيـن المجتمـع المدنـي والتحـول الديمقراطـي، علـى الرغم من مناقشـتها فـي الخطابات الأكاديميـة وتلـك المتعلقـة بالسياسـات علـى السـواء، تحفـز الدعـم الدولـي لمنظمـات المجتمـع المدنـي فـي العديـد مـن الـدول غيـر الديمقراطيـة والتـي تمـر بمرحلـة انتقاليـة. وفـي سـياق السياسـة الخارجيـة الأمريكيـة كان الدافـع وراء انشـاء مبـادرات مثـل مبـادرة الشـراكة الأمريكيـة الشـرق أوسـطية MEPI التـي أطلقتهـا وزارة الخارجيـة الأمريكيـة، وفـي العـراق، التركيـز علـى تعزيـز نمـو المجتمـع المدنـي الـذي قادتـه الولايـات المتحـدة فـي العـام ٢٠٠٣. ومـع ذلـك بعـد مـرور عقديـن تقريبـاً، تجاهلـت المنظمـات الدوليـة والمنظمـات المانحـة العديـد مـن مناطـق العـراق فيمـا يتصـل بدعـم المجتمـع المدنـي. يفحـص هـذا التقريـر إحـدى هـذه المناطـق- جنـوب وسـط العـراق او منطقـة الفـرات الأوسـط (علـى وجـه التحديـد، كربـلاء وبابـل) - والتـي علـى الرغـم مـن تمتعهـا ببيئـة أمنيـة مسـتقرة نسـبياً لأكثـر مـن عقـد مـن الزمـان، إلا أنهـا لـم تتمكـن مـن تطويـر مؤسسـات ديمقراطيـة علـى المسـتوى المحلـي. عوضـاً عـن ذلـك باتـت مركـزاً للسـخط الشـعبي، وهـو أحـد المصـادر الرئيسـة لعـدم الاسـتقرار فـي العـراق اليـوم. يفسـر هـذا التقريـر الكيفيـة التـي تطـور فيهـا المجتمـع المدنـي فـي جنـوب العـراق ووسـطه وكيـف يمكـن للمجتمـع الدولـي، الـذي ماتـزال لديـه مصلحة فـي عـراق مسـتقر وديمقراطـي، أن يدعمـه علـى نحـو أفضـل.

تميـل الانتقـادات الموجهـة إلـى الدعـم الأجنبـي للمجتمـع المدنـي إمـا إلـى تسـليط الضـوء علـى الفشـل فـي تمويـل المجتمـع المدنـي بالكامـل أو الفشـل فـي تحديـد منظمـات المجتمـع المدنـي «الصحيحـة» التـي يجـب تمويلهـا. وإذ ان لهـذه الانتقـادات مايبررهـا، إلا انهـا مـع ذلـك تميـل الـى التغاضـي عـن التحديـات التـي يواجههـا المانحـون فـي اختيـار منظمـات المجتمـع المدنـي وتعزيزهـا. كمـا يسـلط التقريـر الضـوء، اضافـة الـى هـذه التحديـات وكيـف يمكـن أن تُفضـي إلـى قـرارات دون المسـتوى الامثـل فـي مجـال تعزيـز المجتمـع المدنـي فـي السـياق العراقـي.

ويمضـي التقريـر على النحو التالي: أولاً، أقدم اسـتعراضاً للدراسـات بشـأن المجتمـع المدنـي والديمقراطيـة، اعتمـاداً علـى الأدلـة المسـتقاة مـن أنحـاء العالـم كافـة، ثـم التركيـز علـى النتائـج المسـتخلصة مـن الشـرق الأوسـط. ومـن هـذا التحليـل، أجـد أن المجتمـع المدنـي كمـا وصفـه العلمـاء: «مضاعـف محايـد» يعـزز السـياق السياسـي الـذي يوجـد فيـه. وفـي البيئـات الانتقاليـة وحقبـة مابعـد الصـراع يمثـل المجتمـع المدنـي تحديـاً إضافيـاً يتمثـل بالمحدوديـة الكبيـر التـي تعتـري قـدرة الدولـة بشـأن معالجـة مطالـب المسـائلة التـي لاتسـتطيع الاسـتجابة لهـا، ومـن ثـم تقويـض ثقـة المواطـن فـي دولـة التـي لـم تـزل فـي طـور إعـادة البنـاء.

وأقـدم فـي القسـم التالـي لمحـة موجـزة عـن تاريـخ تطـور المجتمـع المدنـي فـي العـراق، مـع التركيـز علـى حقبـة صـدام حسـين البعثـي (١٩٧٩-٢٠٠٣) وكيـف قضـى المجتمـع المدنـي وضمـه بالكامـل إلـى دولـة الحـزب الواحـد. ثـم أناقـش مشـهد المجتمـع المدنـي العراقـي بعـد زوال الدكتاتوريـة، عندمـا حـدث نمـواً مفاجئـاً فـي عـدد منظمـات المجتمـع المدنـي التـي تقـدم خدمـات تتـراوح مـن المسـاعدة الانسـانية إلـى الحفـاظ علـى التـراث الثقافـي والتاريخـي. وأدرجت دائرة المنظمـات غيـر الحكوميـة العراقيـة، وهـي الهيـأة الرسـمية المكلفـة بتسـجيل منظمـات المجتمـع المدنـي، اعتبـاراً مـن تمـوز / يوليـو عـام ٢٠١٨، ٣٦٤٨ منظمـة مسـجلة تعمـل فـي ١٧ قطاعـاً فـي العـراق- لاتشـمل كردسـتان العـراق. واسـتعملت مجموعـة البيانـات هـذه لتحديـد أنـواع المنظمـات فـي العـراق، مـع إيـلاء تركيـز خـاص علـى المنطقـة جنـوب وسـط العـراق، والتـي تشـمل محافظـات بابـل، والبصـرة،

كربلاء، وميسان، والمثنى، والنجف، والقادسية، وذي قار، وواسط.

وبعد هذه النظرة الشاملة للمجتمع المدني العراقي بعد عام ٢٠٠٣، أقدم دراسات حالة مقارنة لمدينتي: كربلاء والحلة. لقد اخترت تينك المدينتين لثلاثة أسباب وهي:

أولاً، دراسات الحالة هذه متفردة لان البحوث بشأن المجتمع المدني في العراق كثيراً ماتجاهلها، فيما ركز على بغداد وأربيل بنحو رئيس، مع بعض الأعمال بشأن الموصل والمناطق المتنازع عليها بين الحكومة العراقية وحكومة إقليم كردستان.

ثانياً، وبالمثل أيضاً، بان مجتمع الاغاثة الدولي على وعي متزايد بالإهمال الذي يواجهه جنوب العراق وجنوب وسطه فيما يتصل بالتنمية.

وأخيراً، وربما الأهم من ذلك، أن هذه المدن هي بالمعدل هي أكثر استقراراً وازدهاراً من مدن أخرى في العراق والجنوب، ومع ذلك فهي موقعاً للسخط الشعبي. يمكن القول أن المجتمع المدني لديه مساحة أكبر للتطور في ظل هذه الأوضاع. وعبر الاعتماد على كل من التحليل الكمي والمقابلات المعمّقة مع النشطاء ورؤساء منظمات المجتمع المدني في كلتا المدينتين، أثبت وجود أنواع مختلف من المنظمات في كل من تينك المدينتين، والتأثير الذي يمكن أن تحدثه هذه المنظمات على السياسات في الصعيدين المحلي والوطني وعلى بناء الدولة.

أن تأثيرها على السياسات المحلية والوطنية هو الذي يجعل منظمات المجتمع المدني أماكن مهمة للاستثمار من جانب المنظمات الدولية والبعثات الأجنبية التي تسعى إلى تعزيز الحكم الرشيد والتحول الديمقراطي في العراق. واعتماداً على المقابلات مع الدبلوماسيين والافراد العاملين في هذه المنظمات، اقوم بدراسة الكيفية التي تفاعل فيها المانحون الدوليون مع منظمات المجتمع المدني والتحديات التي يواجهونها في تحديد المنظمات ودعمها من دون إضعاف مهمتها أو تحدي شرعيتها المحلية أو جعلها تابعة. أخيراً، أوجز النتائج المستخلصة من التحليل على المستوى الوطني، ودراسات الحالة، ومقابلات مجتمع المانحين لتقديم أفكار بشأن الكيفية التي يمكن أن تدعم فيها المنظمات الدولية المجتمع المدني في العراق.

نظريات المجتمع المدني «الجيد» و «السيء»

استعرضت الباحثة في هذا القسم الاطر النظرية والفلسفية للمجتمع المدني عبر الاشارة إلى أهم مفكريها ومدارسها الفكرية، مع الاشارة الى العلاقة بين المجتمع المدني والديمقراطية والتنمية الاقتصادية.

نبذة تاريخية للمجتمع المدني العراقي

كانت المظاهر الأولى للمجتمع المدني في العراق أماكن التجمع الفكري، عادة ما تكون المقاهي، وكذلك الصالونات والنوادي الاجتماعية للمنظمات المهنية. وكانت هناك أندية فكرية وأدبية حتى قبل تشكيل دولة العراق الحديثة، بما في ذلك جمعية النهضة الإسلامية في النجف، والتي جمعت المثقفين وطلاب الحوزة ورجال الدين.

يعود تاريخ نشأة الدولة العراقية الحديثة الى تتويج الملك فيصل الأول في ٢٣ آب / أغسطس عام ١٩٢١. وفي ظل النظام الملكي تباهى العراق بمجتمع مدني مثير للإعجاب شمل جماعات عملت بنشاط على سد الفجوة بين المجتمع والدولة، مثل غرفة تجارة بغداد ونقابة المحامين العراقيين التي شبه زهير الحمادي دورها بدور الاتحاد الأمريكي للحريات المدنية. غير ان معظم المنظمات قد عملت في الفضاء السياسي الممنوح لها ولم تواجه الدولة. وقد سمح ذلك

بظهور منظمات ثقافية واجتماعية، بما في ذلك النقابات المهنية والفنية مثل جمعية الكتاب العراقيين وجمعية الفن الحديث، وكذلك جمعية النهضة النسائية في عام ١٩٢٤. زد على ذلك، مع تطور العراق اقتصادياً، تم تنظيم قوته العاملة أيضاً في نقابات، التي تحدت الدولة على نحو متكرر من خلال المظاهرات. واستمر هذا النشاط جيداً في تشكيل الجمهورية العراقية التي أسست عبر انقلاب عام ١٩٥٨. وبحلول عام ١٩٥٩ كان لدى الجمهورية العراقية أكثر من ٢٠٠ نقابة عمالية مسجلة.

وتم التراجع عن هذه المكاسب بالكامل تقريباً من قبل النظام البعثي، الذي ارتقى السلطة في العام ١٩٦٨ واتخذ شكلاً استبدادياً مع صعود صدام حسين الى الرئاسة في العام ١٩٧٩. وقد قضت الدول البعثية على المجتمع المدني المستقل وأجبرت الحياة النقابية على قالب الحزب الواحد. وشمل ذلك الاستيلاء على جماعات المصالح والنقابات، وانشاء فروع للحزب البعثي في حرم الجامعات والمدارس، والسيطرة على كل جانب من جوانب الحياة العامة. وعلى سبيل المثال، تم حل العديد من الجماعات النسائية واستبدالها بالاتحاد العام لنساء العراق الذي ترعاه الدولة.

وذهب حزب البعث إلى أبعد من ذلك في القضاء على التعبيرات الطائفية عن الهوية واستهداف الجماعات الدينية المشاركة في الطقوس العامة الجماهيرية، والأهم من ذلك، أنه حاول مراراً وتكراراً تضييق الخناق على الزيارة الدينية الشيعية، والذي نظراً لطبيعته التطوعية وتفانيها في تقديم الخدمات يمكن عده شكلاً من أشكال الحياة النقابية. وبحلول التسعينيات، حاول فرض السيطرة على المؤسسات الدينية واستبدالها بالمؤسسات التي ترعاها الدولة، بوصفها جزءاً من الحملة الإيمانية، وهي مبادرة قادتها الحكومة لزيادة التدين في العراق. لقد قضت الدولة البعثية على التنظيمات على التنظيمات الخاصة وقضت على أي جمعيات غير مرتبطة بالدولة. بعبارة أخرى، قضت على المجتمع المدني الرسمي ومنع المواطنين من التنظيم على نحو غير رسمي.

وفي أعقاب غزو عام ٢٠٠٣ مر المجتمع المدني بتحول آخر في العراق. أولاً، توافدت المنظمات غير الحكومية الدولية على البلاد لتقديم أنواع الخدمات كافة، بدءاً من الاغاثة الانسانية وصولاً إلى المناصرة والتنمية، كما يحدث في حالات مابعد الصراع. وبلغ عدد هذه المنظمات غداة الغزو مباشرة حوالي ٢٠٠ منظمة وكانت تتوقع مواجهة أزمة إنسانية وأزمة هجرة كبيرة. وبحلول تموز / يوليو عام ٢٠٠٣، لم يتبق سوى ٦٠ شخصاً. وفي الوقت نفسه بدأ العراقيون في تأسيس أشكالهم الخاصة من الحياة النقابية في شكل المجتمع المدني التقليدي (مثل المنظمات الخيرية) ، فضلاً عن استعادة استقلالية الجماعات التي تم احتواؤها خلال الحقبة البعثية (مثل النقابات المهنية) . وعلى وفق سلطة التحالف المؤقتة CPA كان هناك مايقرب من ٤٠٠ منظمة مجتمع مدني عراقية اعتباراً من عام ٢٠٠٤ وادعت الأمم المتحدة ووزارة التخطيط أن أعداداً أكبر طلبت التسجيل. وبالإضافة إلى ذلك، بدأ العراقيون على الفور تقريباً في تشكيل شبكات غير رسمية وجماعات اجتماعية كانت تخضع للرقابة والعقاب في ظل حكم حزب البعث.

وقد أستعمل التمويل الأجنبي، وفي البدء، لدعم منظمات المجتمع المدني الوليدة، والتي كرست نفسها لأداء طائفة واسعة من الأنشطة التي يُعتقد أنها تدعم الانتقال إلى التحول الديمقراطي على المدى الطويل. وتراوحت هذه الأنشطة من التنمية إلى الدفاع عن حقوق المرأة إلى الإغاثة الإنسانية. وتبعاً للمقابلات التي أجريتها مع المنظمات في جنوب العراق ووسطه، كان هذا التمويل يُدار أحياناً من خلال فرق اعادة إعمار المحافظات PRTs والتي

كانت عبارة عن وحدات مدنية عسكرية أسستها وقادتها الولايات المتحدة وشركاؤها في التحالف الذين دعموا حكومات المحافظات في منتصف العقد الأول من القرن الحالي. وقد أدى هذا، إلى جانب أشكال الدعم الأخرى من المنظمات الدولية، إلى ظهور موجة أولية من طاقة المجتمع المدني، لم تكن كلها مكرسة لمهام المنظمات المعلنة. وبمرور الوقت أفلت أشكال معينة من التمويل وبزغت أشكال أخرى تتطلب مهارات مختلفة (اتصالات مع المنظمات الدولية، وكتابة المنح وقدرات التشبيك) . لقد شهد المجتمع المدني في العراق تحولاً وبدأ بالظهور على هذا النحو في دول أخرى في المنطقة. وتغيرت مع هذا التحول أهداف المانحين الدوليين أيضاً. ولم يعد الهدف هو مجرد وجود منظمات مجتمع مدني، ولكن باتت الآن جودة المنظمة واستدامتها عاملين أساسيين. لقد تحول العراق من الاستبداد، حيث كان وجود منظمات المجتمع المدني المستقلة بحد ذاته نجاحاً، إلى دولة انتقالية سياسياً حيث كانت التوقعات أعلى. كان المانحون الدوليون مايزالون مهتمين بدعم المنظمات العراقية، ولكن مع تطور الأحداث في العراق، استحوذ تركيزهم على جماعات المناصرة التي عملت من أجل حقوق الإنسان وحقوق المرأة – ولاسيما بعد حركة الاحتجاج لعام ٢٠١٩، حيال المنظمات التي وجهت طاقة الشباب إلى العمل النشط. وفي الوقت نفسه، أراد هؤلاء المانحون الاستثمار في المنظمات التي لم تكن تعتمد على التمويل الأجنبي والتي أظهرت ديمومة، وإبداع، وامكانات للنمو.

تحول المجتمع المدني في العراق بعد عام ٢٠٠٣

لعل أفضل طريقة لفهم كيفية التي شهد فيها المجتمع المدني تحولاً تساوقاً مع السياسة بعد عام ٢٠٠٣ تكمن في دراسة مكانته في الدولة العراقية وعلاقته بها. وفي هذا التقرير، قمت بذلك عبر تدقيق البيانات من دائرة المنظمات غير الحكومية العراقية. وتقع دائرة المنظمات غير الحكومية تحت إشراف نائب الأمين العام لمجلس الوزراء، وهي بذلك ترتبط بمكتب رئيس الوزراء. وكانت الهيأة السابقة المكلفة بإدارة المجتمع المدني هي وزارة التخطيط والتي قامت بتسجيل المنظمات الأجنبية والمحلية العاملة في العراق بعد عام ٢٠٠٣. ويوحي الانتقال إلى منظمة منفصلة، تحت اشراف أمانة مجلس الوزراء، بالاعتراف الحكومي بالأهمية، ولو على نحو رمزي، بعلاقة الدولة بالحياة النقابية وإدارتها.

ومن الاهمية بمكان ملاحظة أن سجل مديرية المنظمات غير الحكومية يوفر نظرة متعمقة على جزء يسير مهم من المجتمع المدني العراقي ولكن ليس بمجمله. يسلط هذا التقرير الضوء على الثغرات الموجودة في دائرة المنظمات غير الحكومية والسبل التي يتعامل بها مع النشطاء، ولاسيما الكيفية التي يدركون فيها أهميتها عندما يتعلق الأمر بعلاقتهم مع الحكومة والجهات الفاعلة والمانحة الدولية. زد على ذلك، يتيح النقاش بشأن دائرة المنظمات غير الحكومية والقانون الذي يحكم الحياة التنظيمية في العراق لمحة مهمة بشأن الاهتمامات الأساسية للناشطين العاملين في العراق المحليين والأجانب على السواء.

لقد تم المصادقة على قانون المنظمات غير الحكومية (القانون رقم ١٢ لعام ٢٠١٠) في ٢ آذار / مارس عام ٢٠١٠، ولقد حظي هذا القانون باستحسان كبير وبشر به باعتباره انتصاراً للمجتمع المدني في الشرق الأوسط، من جانب المنظمات والنشطاء الدوليين والمحليين. ويتمثل أحد الجوانب الرئيسة للقانون أنه يسمح للمنظمات غير الحكومية المحلية بتلقي التمويل من المنظمات الأجنبية والتفاعل معها من دون موافقة الدولة. أضف إلى ذلك، جعل القانون التسجيل مباشراً وتقل فيه

احتمالية رفض المنظمات الساعية للتسجيل. بيد أن المنظمات المحلية تصف عملية التسجيل، من الناحية العملية بأنها عملية مرهقة وبيروقراطية بنحو كبير. لذلك يمكن تصور وجود منظمات محلية صغيرة عمل من دون تسجيل وأن المنظمات التي تقوم بالتسجيل هي منظمات راسخة أو منظمة جيداً أو مرتبطة سياسياً ومن ثم لها القدرة على القيام بذلك.

أضف إلى ذلك، هناك مخاوف أخرى تتصل بالاعتماد على دائرة منظمات غير الحكومية لتقديم صورة كاملة عن المجتمع المدني العراقي. وقد نشأت هذه المشكلات عندما قمت بتحليل قاعدة البيانات المحدثة سنوياً لجميع المنظمات في العراق، بما في ذلك الاسم، والعنوان، ورقم الهاتف، واسم المؤسس، وعنوان البريد الالكتروني، ونوع المنظمة الذي يختار ذاتياً. واعتمد في هذا التقرير على قائمتين مختلفتين: واحدة من عام ٢٠١٥، التي قمت بتعديلها لتدقيق المنظمات على مستوى المناطق عبر جنوب العراق ووسطه فقط والأخرى من عام ٢٠١٨، والتي قمت من خلالها بدراسة مشهد المجتمع المدني على مستوى المحافظات في أنحاء العراق كافة، خلا إقليم كردستان العراق. ونظراً لأنني أجريت معظم عملي الميداني بين عامي ٢٠١٦- ٢٠١٧ فقد استعملت بيانات عام ٢٠١٥ لاختيار منظمات المجتمع المدني لإجراء المقابلات معها، واستعملت بيانات عام ٢٠١٨ لتحديث التحليل الكمي. زد على ذلك، تختلف بيانات عام ٢٠١٨ عن بيانات عام ٢٠١٥ في ان مديرية المنظمات غير الحكومية صنفت المنظمات غير الحكومية على وفق النوع في العام ٢٠١٨. وفي العام ٢٠١٥ اضطررت لترميز المنظمات غير الحكومية بنفسي، بالاعتماد على أسمائها الوصفية للكشف عن مجال اهتمامها. وتوقفت دائرة المنظمات غير الحكومية عن نشر هذه المعلومات عام ٢٠١٩، متذرعة ببيئة المجتمع المدني المتوترة بعد حراك تشرين الأول / أكتوبر عام ٢٠١٩ سبباً في ذلك، على وفق مسؤول حكومي.

وبالإضافة إلى تحليل البيانات هذه، أقدم أدلة نوعية من دراسات الحالة في مدينتين: كربلاء والحلة. لقد أجريت مقابلات مع العديد من منظمات المجتمع المدني في كل من هذه المدن لإدخال المزيد من التشعب على التحليل الكمي. لقد اخترت هذه المدن، كما ذكرنا سابقاً، لثلاثة أسباب. أولاً، لم يتم دراستها على نحو جيد في الدراسات المعاصرة بشأن العراق. ثانياً، هي مدن آمنة ومزدهرة نسبياً ولم تُثقل، بنحو كبير، بدرجة عالية من العنف الذي عصف بأماكن أخرى من العراق، لكنهم شعروا مع ذلك بالمظالم ووجهوها إلى سلوك الاحتجاج. وأخيراً، هم من المنطقة الجنوبية الوسطى من العراق، والتي أبدت مجتمعات المساعدة والتنمية الدولية، التي تغاضت سابقاً عن هذه المنطقة، رغبتها في تحويل التركيز حيالها.

وأثناء عملية تحليل قواعد البيانات، صادفت أولاً مشكلة «المنظمات الوهمية». المنظمات الوهمية هي منظمات مجتمع مدني مسجلة لدى دائرة المنظمات غير الحكومية وليس لديها مقر أو موظفين أو حتى خط هاتف فعال. وظهرت هذه المشكلة لأول مرة في محادثة مع عضو في منظمة خيرية في كربلاء تأسف على حجم العمل وقلة الدعم الذي كانت تقدمه منظمات المجتمع المدني الأخرى. وقال «هناك ١٦٧ منظمة (مسجلة) في كربلاء، لكن في الحقيقة، هناك حوالي ٤٠ منظمة فقط نعرف عنها». وأشارت المقابلات مع منظمات المجتمع المدني الأخرى في كربلاء والحلة إلى وجود مابين ١٠ إلى ٥٠ منظمة نشطة في المدينة. وفي الحلة اشتكى الناشطين أيضاً من المنظمات الوهمية، وأشاروا إلى ارقام متواضعة من ١٠ إلى ٢٤ بوصفها الرقم

الحقيقي لأعدادها. وبطبيعة الحال، ان المنظمات الوهمية لاتقتصر على العراق وتفصح عن الحوافز الكامنة وراء التسجيل.

لقد حاولت استخراج المنظمات الوهمية في مجموعة فرعية من السجل منذ عام ٢٠١٥. اخترت عشوائياً ٤٠ منظمة من منظمات المجتمع المدني في كل من المدينتين واتصلت بهم لترتيب المقابلات. ثم تابعت أي أجاب على الهاتف وأي منهم كان لديه رقم غير متصل. وعلى الرغم من ان عدم وجود رقم هاتف لايعني بالضرورة ان المنظمة وهمية، إلا أنها إشارة قوية على عدم وجود نشاط. وجدت من بين تلك المنظمات الأربعين التي اتصلت بها في كربلاء، ١١ منها أجابت على الهاتف فيما كانت ٦ أرقام مفصولة عن الخدمة. في المدة المتبقية رن جرس الهاتف من دون أن يرد أحد، رغم انني حاول الاتصال ثلاث مرات (على مدى ثلاثة أسابيع) . كان الوضع أكثر صعوبة في الحلة حيث بالكاد تمكنت من الوصول إلى اربعة (ثبت ان الترتيب للمقابلات في الحلة أكثر صعوبة) .

وكما أوضح لي الناشطون، فان المنظمات الوهمية تؤسس عن قصد لأسباب محددة وتميل إلى أن تكون قصيرة العمر. المانحون يعرفون الناشطين في العراق وليس المنظمات. فلما يكن لديهم (المانحون) مبلغ من المال، فانهم يتواصلون مع جهات الاتصال الخاصة بهم ويشجعونهم على التسجيل كمنظمة غير حكومية، حتى يكونوا مؤهلين لتلقي الأموال. عملية التسجيل صعبة وتستغرق شهوراً، لذا وبحلول ذلك الوقت الذي يتم فيه تسجيل منظمة المجتمع المدني في نهاية المطاف، غالباً ما تحول الأموال إلى مكان آخر، تاركة خلفها منظمة وهمية. ولاتشير هذه المشكلة بالضرورة إلى دوافع خفية من جانب الناشط أو المنظمة، ولكنها تشير إلى ضعف خطوط التواصل بين منظمات المجتمع المدني والمانحين الدوليين.

وأوضح ناشط آخر في الحلة انه منذ مدة طويلة كانت هناك فورة في نشاط منظمات المجتمع المدني في أعقاب الاحتلال بقيادة الولايات المتحدة في أعقاب الاحتلال بقيادة الولايات المتحدة بسبب الأموال الكبيرة التي أستثمرت في بناء المجتمع العراقي عبر فرق إعادة الاعمار PRTs، وكذلك من خلال المنظمات الدولية. أشار على نحو خاص إلى وجود مكتب سفارة إقليمي للولايات المتحدة في الحلة (مغلق الآن) الأمر الذي وفر حافزاً لإنشاء منظمات بسرعة. ان الانسحاب الأمريكي (المالي والمادي) خلف وراءه منظمات وهمية.

ومع ذلك تُظهر البيانات من دائرة المنظمات غير الحكومية إلى ان متوسط عمر المنظمة في جنوب وسط العراق يبلغ حوالي ٢.٥ سنة، الأمر الذي من شأنه أن يضع معدل عام للتأسيس بعد حاولي عقد من الغزو الذي قادته الولايات المتحدة. وهذا الأمر يفصح عن ان المنظمات الوهمية التي وصفت لي في المقابلات ليست هي نفسها الواردة في قائمة دائرة المنظمات غير الحكومية.

الجدول رقم (١)
معدل عمر منظمات المجتمع المدني في المحافظات الجنوبية (حتى تموز / يوليو عام ٢٠١٨)

المحافظة	العمر	المحافظة	العمر
بابل	٥. ٨٥ سنة	النجف	٤. ٨٨ سنة
البصرة	٤. ٨٥ سنة	القادسية	٥. ٣٩ سنة
كربلاء	٤. ٩٥ سنة	ذي قار	٥. ٣٥ سنة
ميسان	٤. ٨٧ سنة	واسط	٥. ٣١ سنة
المثنى	٥. ٤٣ سنة		

المنظمات الوهمية ليست فقط من آثار الاحتلال الأمريكي، بل هي أيضاً نتيجة عدم قيام الحكومة العراقية بتوفير الأموال لمنظمات المجتمع المدني. إذ اقترح العديد من رؤساء منظمات المجتمع

المدنـي الذيـن تحدثـت معهـم أنهـم قـد سـجلوا منظماتهـم لأنهـم توقعـوا نوعـاً مـن الدعـم المالـي مـن الحكومـة. فبموجـب قانـون المنظمـات غيـر الحكوميـة، فـان الحكومـة العراقيـة ليسـت ملزمـة بتمويـل المجتمـع المدنـي- مـع ذلـك هنـاك اعتقـاد شـائع فـي أوسـاط منظمـات المجتمـع المدنـي هـو أنـه يحـق لهـا الحصـول علـى أمـوال مـن الحكومـة. وقـد يكـون هـذا الاعتقـاد مـن إرث دولـة النقابويـة فـي عهـد صـدام والتـي قدمـت الأمـوال للمنظمـات الخاضعـة للدولـة والتـي عـززت ثقافـة الاعتمـاد علـى الدولـة علـى المسـتويين الفـردي والتنظيمـي. ويتجلـى ذلـك أيضـاً فـي طـرق أخـرى، بمـا فـي ذلـك، التفضيـل القـوي للتوظيـف فـي القطـاع العـام فـي العـراق.

وقـال أحـد الناشـطين ان الوعـد الـكاذب بهـذه الأمـوال يفسـر وجـود منظمـات وهميـة. ان ظاهـرة المنظمـات الوهميـة أمـر يدركـه مجتمـع المانحيـن. ومـع تقـدم الوقـت، طـورت متطلبـات طـول مـدة بقـاء المنظمـة فـي البرامـج والمنظمـات التـي تتلقـى الدعـم. ومـع ذلـك وفـي الوقـت نفسـه لـم يكـن قـادراً علـى معالجـة قضيـة أكبـر كثيـرا ماتطـرح للنقـاش ألا وهـي: كيفيـة الابتعـاد عـن المنظمـات التـي وضعـت العروض والخدمـات التـي تجتـذب التمويـل الأجنبـي وتعتمـد عليـه بالكامـل تقريبـاً. وهـذه ليسـت بـأي حـال مـن الأحـوال تحديـات ينفـرد فيهـا السـياق العراقـي، ولكـن الكشـف عـن نـوع المنظمـات التـي تميـل الـى تلبيـة متطلـب طـول مـدة بقـاء المنظمـة فـي العـراق، والأهـداف والوظائـف التـي تؤديهـا، لهـو أمـر مثيـر للاهتمـام. وفـي القسـم التالـي، سـأضع تقسـيماً لمنظمـات المجتمـع المدنـي الموجـودة فـي العـراق وأقـوم بتقسـيمها جغرافيـا اسـتنادا الـى بيانـات مـن عامـي ٢٠١٥ و ٢٠١٨. ثـم أقـدم تحليـلاً معمقـاً إلـى دراسـة حالـة نوعيـة للمدينتيـن فـي جنـوب وسـط العـراق: كربـلاء والحلـة.

أنواع منظمات المجتمع المدني

تطلـب دائـرة منظمـات غيـر الحكوميـة، عنـد التسـجيل، أن تقـدم المنظمـات معلومـات مفصلـة عـن السـيرة الذاتيـة لأعضائهـا الداخلييـن، ومعلومـات الاتصـال بمـا فـي ذك العنـوان الفعلـي، والتقاريـر الماليـة، والتقاريـر الداخليـة. ثـم تتـاح بعـد ذلـك بعـض هـذه المعلومـات فـي سـجل دائـرة المنظمـات غيـر الحكوميـة. وفـي هـذه الورقـة قمـت بترميـز منظمـات المجتمـع المدنـي علـى وفـق المنطقـة والوظيفـة وأخـذت فـي الحسـبان عـدد سـكان المـدن – ومـن ثـم نظـرت إلـى عـدد منظمـات المجتمـع المدنـي / نسـبة السـكان، عوضـاً عـن عـدد منظمـات المجتمـع المدنـي علـى نحـو مطلـق. والغـرض مـن البيانـات هـذه هـو تقديـم لمحـة عامـة عـن المجتمع المدنـي العراقـي، مـع التركيـز علـى نحـو خـاص علـى المحافظـات الجنوبيـة والوسـطى، وتمهيـد الطريـق للتحليـل النوعـي.

ويقـدم الجـدول رقـم ٢ تصنيفـاً لمنظمـات المجتمـع المدنـي العراقـي التـي أنشـأت مـن خـلال تحليـل كل مـن أوصـاف منظمـات المجتمـع المدنـي والاختيـار الذاتـي لهـا فـي فئـات دائـرة منظمـات غيـر الحكوميـة. وهـي تقسـيم منظمـات المجتمـع المدنـي إلـى سـت فئـات تتفـق مـع تصنيـف دائـرة منظمـات غيـر الحكوميـة.

الجدول رقم (٢)
أنواع منظمات المجتمع المدني

نوع منظمة المجتمع المدني	نوع منظمة المجتمع المدني: تصميم دائرة المنظمات غير الحكومية	الوصف	أمثلة من مجموعة بيانات منظمات المجتمع المدني العراقية
المناصرة	شؤون المرأة، حقوق الانسان، بيئة، ديمقراطية	منظمة هدفها التأثير على السياسة العامة على نحو غير مباشر (أي ليس من خلال الانتخابات) . وتميل جمعات المناصرة إلى تعزيز حقوق جماعات معينة في المجتمع أو معالجة سلوك الدولة مثل الفساد المالي أو البيئي.	المركز الوطني لحماية الصحفيين والاعلاميين (الحلة) الجمعية الوطنية للصيد والحفاظ على البيئة (البصرة)
خيرية / إنسانية	الأطفال والأيتام، إغاثة، مساعدة إنسانية، احتياجات خاصة	منظمة تسعى جاهدة للتخفيف من وطأة الفقر والمعاناة بنحو مباشر عبر المساعدة المادية.	مؤسسة الفواطم لرعاية الأيتام. منظمة أطفال السرطان الإنسانية
ثقافية / أكاديمية وبحثية	ثقافة	منظمة تهدف إلى الحفاظ على جوانب معينة من الثقافة وتعزيزها- مثل الفن أو الأدب أو التراث. كما تشمل المنظمات الأكاديمية والدينية.	مركز إنماء للبحوث والدراسات (بابل) منظمة أحباب الوطن للفنون الجميلة (الديوانية)
تنمية	الخدمات العامة، الصحة، التعليم، الشباب، التنمية المستدامة	وهي المنظمات التي تسعى للتخفيف من المعاناة وحل المشكلات المجتمعية عبر توفير المعرفة والتدريب.	مركز تواصل لبحوث التنمية والحوار المدني (الديوانية) مركز المناهل للتنمية الزراعية (المسيب)
هوايات	هوايات	وهي المنظمات التي تسعى جاهدة لتوحيد الاشخاص الذين لديهم مصلحة مشتركة في نشاط ترفيهي أو هواية.	جمعية النحالين البابليين (الحلة) تجمع الشعراء وكتاب الأدب الشعبي في العراق.
مهنية	اعلام، زرعة	وهي المنظمات التي توحد الاعضاء بناءً على أوجه التشابه المهني (على سبيل المثال، الجماعات المهنية، جماعات الخريجين)	أكاديميو العراق الجديد (العمارة) جمعية الحسين للخطباء (البصرة)

يقسم الشكل أدناه المجتمع المدني العراقي على وفق فئات دائرة منظمات غير الحكومية. فيما يقسم الشكل ٢ المؤسسات من خلال استراتيجية الترميز المبسطة التي استعملها في تحليلي، الأمر الذي يتيح لي تحليل الفئات. تُظهر الارقام أن أنواع المنظمات المرتبطة تقليدياً بالتحول الديمقراطي- الديمقراطية، وحقوق الانسان، وشؤون المرأة- تصل إلى ٦٤٤ منظمة مسجلة في أنحاء البلاد كافة. وفي التصنيف الأوسع، تشغل جماعات المناصرة – التي تضم جماعات الديمقراطية، وحقوق الانسان، وشؤون المرأة- حوالي ربع أنواع منظمات المجتمع المدني كافة المسجلة في العراق.

الشكل رقم 1
منظمات المجتمع المدني العراقية على وفق النوع (تصنيف دائرة المنظمات غير الحكومية) حتى تموز / يوليو عام 2018

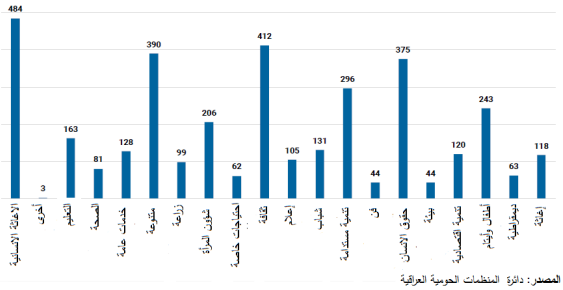

المصدر: دائرة المنظمات الحومية العراقية

ظاهرياً، يشير هذا الانهيار إلى وجود عدد كبير من المنظمات التي تعمل على التأثير في السياسة والدعوة إلى القضايا الاجتماعية الرئيسة في العراق. ومع ذلك فان واقع الحياة اليومية في العراق يوحي بخلاف ذلك. علاوة على ذلك، فان قضية المنظمات الوهمية تعقد هذا الادعاء. أولاً، هل ان منظمات المناصرة والجمعيات الخيرية أكثر تحفيزاً للتسجيل أكثر من الأنواع الأخرى ولماذا؟ ثانياً، هل يوجد المزيد من التمويل لجماعات المناصرة؟ ثالثاً، هل أن الأفراد الذين أنشأوا منظمات المجتمع المدني لدوافع خفية- سواء أكان لذلك لمنفعة السمعة أو الوصول إلى الموارد- أكثر ميلاً للتسجيل بوصفها جماعة مناصرة ولماذا؟

الشكل رقم 2
منظمات المجتمع المدني العراقية (ترميز مبسط) حتى تموز / يوليو عام 2018

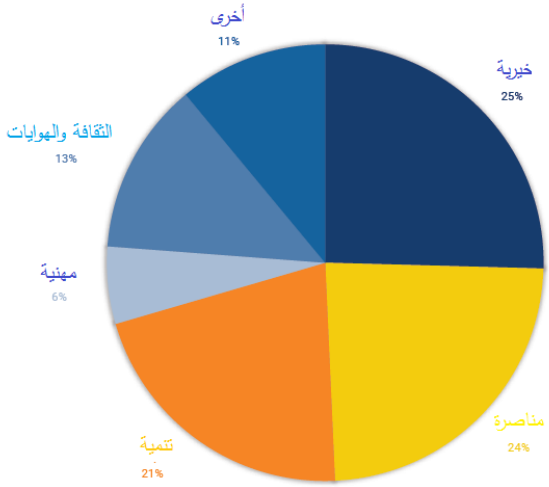

المصدر: دائرة المنظمات غير الحكومية العراقية مع إضافة الباحث للترميز المبسط

لاتقدم البيانات الواردة من دائرة المنظمات غير الحكومية أي إجابات على هذه الأسئلة. المقابلات، ومع ذلك، تقدم فرضيات معقولة. في القسم أدناه، أقدم وصفاً كيف ينظر ناشطين المجتمع المدني في مدينتي كربلاء والحلة إلى تطور الحياة النقابية في العراق.

الشكل رقم 3
أعداد منظمات المجتمع المدني وأشكالها في مدن جنوب العراق حتى عام 2015

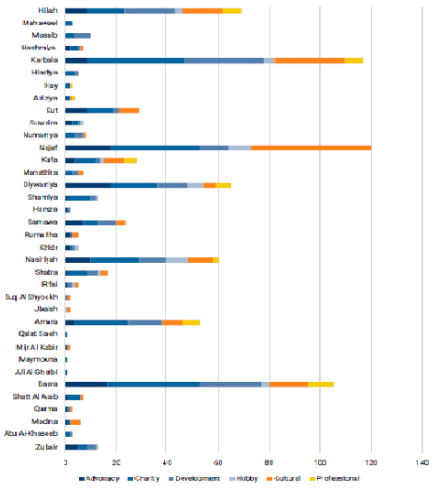

المصدر: دائرة المنظمات غير الحكومية العراقية مع اضافة الباحث للترميز المبسط

التحديات على المستوى المحلي: نموذج كربلاء و الحلة

يبحث هذا الموضع من الدراسة الحياة النقابية في مدينتي كربلاء والحلة في وسط العراق. ومن الجدير بالتنويه ان النماذج المحلية في هاتين المدينتين ليست نماذج مثالية يمكن تعميمها على بقية المدن العراقية ولاتعكس التنوع الاثني والديني الذي يتمتع به العراق. ويعود سبب اختيار مدينتي كربلاء والحلة كون البيئة التي توفرها هاتان المدينتان تعد من اكثر البيئات المواتية لنمو المجتمع المدني في عراق ما بعد ٢٠٠٣ لأسباب عديدة اهمها. اولا, هاتان المدينتان شهدتا مستويات منخفضة من العنف سواء اثناء الغزو او في الازمات التي عصفت بالعراق بعد ذلك, ويعود ذلك في بعض الاحيان الى الهوية الاثنو-دينية لهاتين المدينتين. ثانيا, ازدهار هاتان المدينتان النسبي وتحديداً عند مقارنتهما بالمدن الواقعة في جنوب العراق. وبكل المقاييس, فان ظروف السائدة في هاتين المدينتين ساهمت في ايجاد حيز للمواطنين للتجمع والتنظيم وخلق مجتمع مدني نابض بالحياة. ففي كربلاء والحلة اعلى نسبة من منظمات المجتمع المدني المسجلة على الرغم من قلة عدد سكانهما. وعند انطلاق موجة التظاهرات المناهضة للحكومة في سنة ٢٠١٩, شهدت كلا المدينتين مشاركة جماهيرية كبيرة في هذه التظاهرات حيث عبر فيها مواطنون عن عدم رضاهم عن اداء الدولة العراقية بالتزامن مع المظاهرات التي اشتعلت في بقية محافظات المنطقة الوسطى والجنوبية في العراق. لكن منظمات المجتمع المدني لم تلعب اي دور في هذه المظاهرات ونأى كثير منها بنفسه عن المشاركة بالتظاهرات. وسواء كانت الحركات الاحتجاجية تعد جزءاً من التحول الديمقراطي, او كان حدوثها يدل على العجز في الانتقال الى الحالة الديمقراطية, فان ضعف انخراط المجتمع المدني في حركة الاحتجاج واشتعال التظاهرات نفسها في مدينتين من اكثر مدن العراق امنا وازدهاراً يدل على ان الرابطة بين وجود المجتمع المدني وعملية التحول الديمقراطي وتعزيزها في هذا البلد هي رابطة ضعيفة جداً.

وفي سياق وثيق الصلة, فقد تلقت كربلاء والحلة اهتماما ضئيلاً من المنظمات الدولية المعنية بالتنمية وتقديم المعونات. فبسبب الحرب على تنظيم الدولة الاسلامية, فقد انصب تركيز عمل المنظمات الدولية في العراق على المجتمعات المتأثرة بالنزاعات. ولم تحض مناطق الجنوب والفرات الاوسط بالاهتمام الكافي حتى مع التراجع في ظروف المعيشة. مؤخراً, ازدادت نسبة الاهتمام بمدن حيوية مثل مدينة البصرة. الا ان كربلا والحلة وعلى الرغم من كونهما اكثر ازدهاراً من غيرهما من مدن الفرات الاوسط لا يزالان من اقل المناطق المدروسة وضعف نشاط المنظمات الدولية العاملة في مجال تقديم المساعدات وقلة تواجد العاملين المرتبطين بالمكاتب التنموية التابعة للسفارات الاجنبية وغيرها من المنظمات الدولية. ويأمل هذا التقرير ومن خلال التركيز على هاتين المدينتين بتقديم بعض المعلومات الاساسية عن طبيعة البيئة والوسط السائد في منطقة الفرات الاوسط.

ولمقارنة مدينتي كربلاء والحلة فائدة اضافية كونها تساهم في ازالة القيود التي تصاحب عملية التحليل السياسي في العراق في الكثير من الاحيان, فوجود المؤسسات الدينية والرموز والافراد يثير المخاوف حول معاملة مناطق معينة كاستثناء او النظر اليها على اعتبارها حالة فريدة لا يمكن تعميمها او مقارنتها مع غيرها. ففي بعض مدن العراق, ينظر الى الدين كاحد السمات الطاغية على الحياة العامة ويؤطر هذا التصور, سواء كان صحيحاً او خاطئاً, نسق الحديث حول مدن بذاتها

في وسط العراق كمدينتي النجف وكربلاء. ولهذا السبب, فان دراسة كربلاء والحلة معاً يقدم ميزة اضافية للتحقق فيما اذا كانت المؤسسات الدينية تحول بالفعل السياسات المحلية بالشكل الذي تصبح معه المدن المحتضنة لهذه المؤسسات غير قابلة للمقارنة مع المدن الاخرى. ففي حالة مدينة كربلاء, والتي تحتضن اهم الاضرحة الدينية في العراق, بالاضافة الى وجود حوزة دينية فيها وكونها وجهة مهمة للسياحة الدينية, بالامكان مقارنتها مع حالة مدينة الحلة التي لا تمتلك اهمية دينية مماثلة لاهمية كربلاء.

وبالتأكيد فان هذا النوع من المقاربات المزدوجة يحمل في طياته العديد من اوجه القصور, من ضمنها حقيقة عدم تمثيل التنوع الاثني والديني في العراق, ويمكن معالجة ذلك في بحث اخر في المستقبل.

يقدم الجدول ادناه معلومات اولية عن مدينتي الحلة وكربلاء وعن المحافظات التي تنتمي اليها هذه المدن كما يوضح الجدول اوجه الشبه بين الاثنين. بعض المعلومات الواردة في الجدول ترصد التشابهات التي كانت قائمة في الفترة التي سبقت احتلال العراق, على سبيل المثال سوء التغذية بين الاطفال. علاوة على ذلك, تم تضمين الجدول معلومات تخص انماط التصويت ومعدلات الفقر والبطالة. وللاسف, فان كثير من المعلومات هذه المعلومات لا تتوفر على المستويات المحلية او على مستوى المدن في العراق. لذلك, فان ما يمكن فهمه عن هذه المدن بشكل مستقل هو التشابه في مساراتها التاريخية, وفي حجم سكانها, وتركيبتها الاثنية والدينية.

جدول: مقارنة بين محافظة كربلاء ومحافظة بابل

	كربلاء	بابل
مركز المحافظة	كربلاء	الحلة
عدد السكان (٢٠١٥-٢٠١٨)	١, ١٢٥, ٦٤٦	١, ٩٠٧, ٣٢٧
السكان الحضر (٢٠١٨)	٧٨٢, ٨١٤	٨٨٥, ٩٩٦
التركيبة الدينية والاثنية	شيعة عرب	غالبية شيعية عربية في مركز المدينة واقلية عربية سنية في اطرافها
معدل البطالة (٢٠١٦)	١٠.٧٪	٣٠.٧٪
معدل البطالة بين الشباب (٢٠١٦)	١٠.١٢٪	١١٪
معدل الفقر (٢٠١٨-٢٠٢٠)	١٢٪	١١٪
سوء التغذية بين الاطفال (٢٠٠٣)	٣٠.٣٪	٤٠.٣٪
عدد السكان المهجرين داخلياً	٨٤٦, ١٥	٠١٦, ١٧

الاحزاب التي حصلت على اعلى المقاعد في انتخابات ٢٠١٨	ا لفتح , سائرون, ا لنصر	الفتح, سائرون, النصر
نسبة غير المشاركين في انتخابات ٢٠١٨	٪٢ .٤٦	٪٨ .٥١
الثقة في منظما ت ا لمجتمع ا لمد ني	٪٦ .٣٦	٪٥ .٢٨

لمحة عن انواع منظمات المجتمع المدني في كربلاء والحلة

يوضح الشكل ادناه ان عدد المنظمات بصورة عامة في مدينة كربلاء يفوق نظيره في مدينة بابل بشكل كبير, والامر ذاته ينطبق على منظمات المجتمع المدني المهتمة بالتنمية, والتبرعات, والمنظمات الثقافية للفترة من ٢٠١٥ ولغاية ٢٠١٨. وعند فرز الفروقات النوعية لهذه المنظمات, نجد ان الحلة تتفوق على كربلاء من حيث عدد المنظمات المهتمة في الشأن الزراعي, وشؤون المرأة, وحقوق الانسان والتنمية المستدامة.

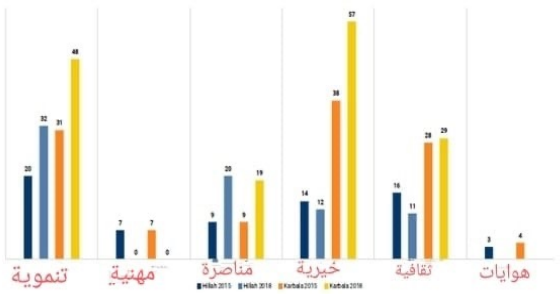

شكل يوضح انواع منظمات المجتمع المدني العاملة في كربلاء والحلة

وبناءً على المقابلات التي اجرتها الباحثة, اتضح ان منظمات المجتمع المدني الخيرية تعتمد على التبرعات المحلية لعدد محدود من العوائل الميسورة, في الغالب رجال اعمال. وفي احيان اخرى, تاتي التبرعات من رجال دين وساسة اسلاميين شيعة. بالاضافة الى ذلك, يمكن ملاحظة محدودية نشاط «جماعات المناصرة» في مدينة كربلاء. وهو امر مثير للاهتمام اذا ما تم الاخذ بنظر الاعتباران جماعات المناصرة, نظرياً, هي الاكثر ارتباطاً بالانتقال السياسي والدمقرطة. فجماعات المناصرة في واقع الامرهي التي تسعى الى التاثير في الاجندات الحكومية وتقوم بالترويج الى قضايا محددة. وعليه فان حقيقة كونها قليلة التمثيل في واحدة من اكثر مدن العراق استقرارا وازدهارا هو امر يستدعي الوقوف عنده. وطبقاً للمقابلات التي اجرتها الباحثة مع ناشطين من محافظة كربلاء فان السبب وراء ضعف انشطة جماعات المناصرة يتعلق بطبيعة الحياة النقابية في المدينة. فالمتبرعون المحليون, الذين يكونون في الغالب من نخب ووجهاء المجتمع تهتم بصورتها وسمعتها المجتمعية, يفضلون تمويل منظمات واعمال خيرية. وبالنسبة للافراد المحسنين فانهم ينظرون بريبة الى المجموعات التي يتعدى عملها النشاطات الخيرية, ويدل على ذلك ان حجم المجتمع المدني في كربلاء لا يتناسب مع معدل الثقة المجتمعية والاموال, وهي سمة ربما يمكن ان تكون مفهومة في المجتمعات الخارجة من الصراع:

«يتهمنا الناس بالعمل لاطراف ثالثة. خاصة ان مجموعات مثلنا, مجموعة من الخريجين, كونها تعمل بشكل محترف. . . لا يتم الاعتراف

بها كمنظمة انسانية او خيرية. . . بالشكل الذي يمنحها ثقة اكبر بين الناس. . لذلك فان مجموعاتنا تجد صعوبة في الحصول على التبرعات من الناس. في بعض الاحيان احصل على تبرعات كفرد. فانا معروف كناشط في مجال المجتمع المدني, لكنهم لا يعرفون في واقع الامر عن هذه المنظمة. »

ان السبب وراء وجود منظمات مناصرة في مدينة الحلة لايعود الى وجود ثقة مجتمعية اكبر لدى الناس بهذه المنظمات او لوجود متبرعين كثر. على الارجح, فان احد الاسباب وراء ذلك يعود الى ان منظمات المناصرة في مدينة الحلة, بما في ذلك المنظمات المعنية بمجال حقوق الانسان, تتلقى دعما من الخارج, بعضه يتأتى من الوقفية الوطنية للديمقراطية وغيرها من المنظمات الدولية. من ناحية اخرى, فان المنظمات الخيرية تتلقى الاموال والتبرعات العينية من متبرعين محليين. ويشرح احد اعضاء منظمة المؤسسة الاجتماعية السبب وراء ذلك بالقول:

«الناس في العراق لهم احتياجات مالية ملحة. فلا يتطلعون الى تحقيق متطلبات الحياة الاخرى حتى يتم تحقيق احتياجاتم المالية. هذا الامر يعطل من التنمية البشرية التي تعتمد بدورها على التنمية الاقتصادية. . . فالمنظمات غير الحكومية اوجدت عندما كان العراق يمر بمرحلة اعادة البناء, وعملية اعادة البناء هذه لا تتماشى مع احتياجات المواطن العراقي. »

بعبارة اخرى, فان الشارع العراقي من الممكن ان يتقبل موضوعة التبرعات ذات الغايات الخيرية او التنموية, لكنه يتحفظ على تقديم التبرعات الى جماعات المناصرة التي ينظر اليها باستغراب وريبة. ويبدو انه يوجد في محافظة كربلاء عدد اكبر من منظمات المجتمع المدني الممولة محلياً والمدعومة من فئة صغيرة من المتبرعين الاغنياء: اصحاب المصانع والفنادق ومراكز التسوق. ولذلك, يظهر ان النشاط التجاري المتزايد في كربلاء النابع من السياحة الدينية يساهم في تمويل المنظمات الخيرية في المدينة. وقد ذكر احد الناشطين الكربلائيين ان علاقة الاغنياء مع منظمات المجتمع المدني ذات الطابع الخيري يحسن من سمعتهم في اوساطهم الاجتماعية. وعلى الرغم من كون كربلاء مدينة دينية, الا ان هناك القليل من الاشارة الى دور الدافع الديني وراء الانخراط في النشاطات الخيرية.

ومن المثير للاهتمام ان النشاط التجاري المتزايد لم يؤد الى تأسيس جماعات مناصرة, كما تجري عليه العادة في النماذج التقليدية حول العالم والتي يقود فيها النمو الاقتصادي الى تطور المنظمات التي تعمل على حماية هذا النمو من تغول الدولة. وفي واقع الامر, ولا واحدة من منظمات المجتمع المدني التي رصدتها الباحثة في كربلاء تقدم نفسها على انها من مجموعات المناصرة. وخلافا لذلك, فان ثلاثة من من التقتهم الباحثة في مدينة الحلة كانوا منخرطين بشكل مباشر في قضايا حقوق الانسان والتي تعتبر شكل من اشكال مجموعات المناصرة. واكد هؤلاء الناشطون على اثر فرق اعادة اعمار المحافظات, والتي تمركز العديد منها في محافظة بابل, على تطور المجتمع المدني في مراحله الاولى في مدينتهم. وكما تم ذكره من قبل, فان التمويل السريع القادم من فرق اعادة اعمار المحافظات حفز الكثير من غير الناشطين الى خلق منظمات «شبحية» للاستفادة من التمويل الاجنبي. وبالرغم من ذلك, فان اموال فرق اعادة اعمار المحافظات اعانت بعض من المنظمات الحقيقية, مثل تلك التي التقت بها

الباحثة, على مواصلة عملها.
وعلى الرغم من التباين في انواعها, فان العدد الكبير للمنظمات غير الحكومية المسجلة في كربلاء لاتقف الدوافع الدينية وراء تشكيله. وفي حقيقة الامر, يوجد عدد قليل من هذه التنظيمات في كلا المدينتين (خمسة في كربلا وواحدة في الحلة) . وفي الوقت ذاته, فان المسحة الدينية لمنظمات المجتمع المدني لا يمكن تجاهلها فهي تحمل في الغالب اسماء رموز دينية وتشارك في احياء العطل الدينية والمناسبات (مثل رمضان والزيارات الدينية) . وكما ادعى احد الناشطين في مجال المجتمع المدني من محافظة كربلاء «ان معظم المنظمات في كربلاء ذات صبغة دينية, على العكس من المنظمات في محافظة بابل. » بالاضافة الى ما تقدم, يمكن ملاحظة ان معظم منظمات المجتمع المدني في محافظة كربلاء مرتبطة بشكل كبير مع باقي المنظمات في جميع انحاء العراق. وفي الواقع, ابلغ احد الناشطين من مدينة الحلة الباحثة «الجميع يذهب الى كربلاء» (اشارة الى مواسم الزيارات الدينية) ولذلك فان المنظمات في كربلاء تمتلك روابط قوية مع باقي منظمات المجتمع المدني في العراق. على سبيل المثال, واحدة من منظمات المجتمع المدني في كربلاء منخرطة في مشروع ايجاد شبكة واسعة من منظمات المجتمع المدني على امتداد العراق تهدف الى منح العراقين منفذا بديلاً لبث شكاويهم. هذه المجموعة منظمة بشكل كبير ولديها لجان فرعية وشركاء مختصين في جميع انحاء العراق (وليس فقط في جنوب وسط العراق) . ان منظمات المجتمع المدني في كربلاء, وعلى العكس من نظيراتها في الحلة, تبدو وان لها اتصال خارج محافظة كربلاء, وهو ما يدل على دور المناسبات الدينية في تعزيز الثقة بسكان المحافظات الاخرى واثر ذلك على تقوية شبكة عملها على المستوى الوطني.
فعلى سبيل المثال, بحكم طبيعة عملها كمنظمات لتقديم الخدمات, كان لمنظمات المجتمع المدني دوراً اساسياً في ادارة ازمة الافراد المهجرين داخلياً التي اعقبت احتلال تنظيم الدولة الاسلامية لمحافظة الموصل في سنة ٢٠١٤. فقد شكل ناشطو المجتمع المدني في كربلاء وعلى الفور «غرفة عمليات» وبدأو بالتنسيق فيما بينهم لادارة ازمة تدفق النازحين من شمال العراق. وقد تحدثت الباحثة مع مدير غرفة العمليات والشخص الثاني في القيادة حيث اطلعوا الباحثة على كيف ان منظمة واحدة من منظمات المجتمع المدني في كربلاء نجحت في خلق شبكة تضم احدى عشر منظمة في عموم كربلاء تولت تسجيل المهجرين وتثبيت احتياجاتهم والتأكد من حصولهم على المأوى والغذاء. وهذا لا يعني ان منظمات المجتمع المدني في الحلة لم تقم بمساعدة النازحين او انها لا تستجيب للازمات المحلية. في حقيقة الامر, ان اغلب منظمات المجتمع المدني التي تواصلت معها الباحثة, بما في ذلك رابطة النحالين البابليين, ذكروا بانهم قد قاموا بجمع التبرعات للنازحين بالتعاون مع منظمات محلية اخرى. الا ان ما يميز شبكة منظمات المجتمع المدني في كربلاء عن تلك في مدينة الحلة اظهارها القدرة على التنظيم وتقديم خدمات بشكل جماعي بالاشتراك مع باقي المنظمات على المستوى المحلي.
تستخدم منظمات المجتمع المدني في محافظة كربلاء قدراتها التنظيمية في الاستجابة للازمات الامر الذي يجعل منها ذات قيمة للحكومة المحلية في المحافظة. في الواقع لقد ابلغ احد الناشطين الباحثة بان «الحكومة

المحلية تتساهل مع نشاطنا لان وجود المجتمع المدني يجعل من هذه الحكومة تبدو وكانها واحدة الكيانات الديمقراطية. » اما في مدينة الحلة, فان العلاقة بين منظمات المجتمع المدني والحكومة المحلية تبدو, وكما وصفها احد الناشطين, تعاونية, حيث يعمل في الطرفان على تنظيم ورش عمل ومهرجانات للموظفين الحكوميين. بالاضافة الى ذلك يوجد قدرعالي من التعاون بين هذه المنظمات نفسها في العديد من النواحي كالتشارك بالمعلومات, وغالبا ما تتاح لهم فرصة التعرف على بعضهم الاخر من خلال المؤتمرات واللقاءات التي تنظمها الحكومة المحلية.

ان التباين في القصص الواردة من كل من هذه المدينتين يبين ان عملية تطور المجتمع المدني غير منفصلة عن التأثيرات المجتمعية, بما في ذلك في بعض الاحيان قلة ثقة المجتمع التي تدفع الافراد الى النظر بعين الشك الى جماعات المناصرة وتفضيل المجموعات التي تنشط في مجال العمل الخيري عليها. حتى ان الافراد والمنظمات الثرية تتجنب تمويل جماعات المناصرة وتركز على المؤسسات الخيرية. وعليه فان جماعات المناصرة, ذات الصلة المباشرة بعملية التحول الديمقراطي, تركت امام خيارين وهما اما ايجاد طرق خلاقة بشكل استثنائي للحصول على التمويل, او السعي للحصول على الدعم الاجنبي.

تحديات تمويل المجتمع المدني

يعي المتبرعون الاجانب التحديات العديدة التي تواجهها منظمات المجتمع المدني بما في ذلك مسألة خلق منظمات قادرة على الاستمرار, بالاضافة الى تحدي تطبيق الاهداف التي وجدت من اجلها هذه المنظمات. وفي صلب هذه التحديات يقع التحدي المتعلق بالتوقعات التي يحملها الممولون الدوليون والمنظمات حول بيئة العمل في دولة استبدادية او دولة تمر بمرحلة تحول ديمقراطي, وتحمل هذه التوقعات اثاراً صادمة على الحياة التنظيمية التي تنمو في المجتمعات الخارجة من الصراع. ففي هذه الظروف الانتقالية, تكون نظرة المنظمات الدولية والمتبرعون انه وجود منظمات مجتمع مدني تعتمد على التمويل الاجنبي هو امر غير كافي. اما في الدول الاستبدادية, فمجرد وجود منظمة مجتمع مدني مستقلة يعد نصراً بحد ذاته. كما ان اهداف المنظمات في الظروف الانتقالية كما هو الامر مع العراق تكون اعلى طموحاً. وفي حديث للباحثة مع اعضاء من المجتمع الدولي للمانحين, اتضح ان احد اهداف البعيدة الامد التي يسعى المانحون الدوليين الى تحقيقها هو جعل منظمات المجتمع المدني المحلية قادرة على الاعتماد على ذاتها.

لوجيستياً, تواجه المنظمات الدولية ايضا تحدياً يتمثل بالتعرف وتحديد المنظمات المحلية العاملة على الارض. حيث اكد افراد عاملون مع المنظمات الدولية خلال المقابلات معهم بانهم واعون بشكل كبيربوجود نوع من انواع التحيز: فمنظمات المجتمع المدني المحلية ذات التنظيم والقدرة الجيدة على تقديم نفسها للمانحين الدوليين لاتمثل البلد باكمله. وبالرغم من وعي افراد مجتمع المانحين الدوليين بوجود منظمات اصغر واقل مهارة في مجال استحصال المنح والاتصال, لكنهم يواجهون صعوبة في العثور على منظمات جديدة والتحقق من شرعيتها.

احد اسباب المخاوف من منظمات المجتمع المدني المحلية هو امكانية ارتباطها باحزاب سياسية او فصائل مسلحة. ولان الديناميات

السياسية مختلفة على صعيد المحافظات, تحتاج المنظمات الدولية موارد اضافية للخوض في تفاصيل السياسات المحلية. علاوة على ذلك, وفي السياق العراقي, يوجد هناك قلق لدى الحكومات الغربية تجاه الجماعات ذات الميول الدينية, وهو قلق نابع من النفور من الاسلاموية والخلط ما بين ما هو ديني وما هو سياسي. بعبارة اخرى, يوجد هناك تفضيل للمنظمات العلمانية والليبرالية والتي تكون في الغالب اكثر قدرة على التواصل مع المنظمات الاجنبية.

وبعد استكمالها للمتطلبات اللازمة, تستثمر المنظمات الدولية في بعض الاحيان في توفير التدريب اللازم لمنظمات المجتمع المدني المحلية في مجال تقديم طلبات الحصول على المنح, لكن المنظمات الدولية تخشى ان تعطل هذه التدريبات العمل الاكثر اهمية والذي تقوم به منظمات المجتمع المدني المحلية. بالاضافة الى ذلك, فان حجم المنح لا يتناسب مع حجم المنظمات العاملة في الميدان. ويمكن الاستدلال على ذلك من خلال حديث دائرة المنظمات غير الحكومية, فالمنظمات العراقية تميل لان تكون صغيرة الحجم وغير مؤهلة للتعامل مع المنح الضخمة التي تزودها كيانات مثل الوكالة الامريكية للمساعدة الدولية. في الماضي, كانت فرق اعادة اعمار المحافظات قادرة على العمل محليا وتقديم منح صغيرة تساعد على دعم المنظمات الصغيرة, لكن القليل من هذه المنظمات باستطاعتها طلب الحصول على منح اكبر والتي تتيحها الوكالة الامريكية للمساعدة الدولية. ناهيك عن الذكر, انه حتى المنح الصغيرة تتطلب تقديم طلبات تحتاج الى مجموعة محددة من المهارات التي تفتقر اليها معظم المنظمات العراقية, ومثال على ذلك, دعوة بعثة الامم المتحدة لمساعدة العراق (يونامي) وبرنامج الامم المتحدة للتنمية لتقديم منح منخفضة القيمة لمنظمات المجتمع المدني المشاركة في الاعداد لانتخابات مجلس النواب لسنة ٢٠٢١. هذه المنح ذات حجم صغير يكفي لدعم اغلب منظمات المجتمع المدني العراقي الصغيرة, لكن التقديم على هذه المنح هي عملية مضنية للمنظمات المحلية التقليدية, والتي تسعى بعثات الامم المتحدة نظريا الى دعمها.

ان ما تثمنه المنظمات الدولية والمانحين في اي منظمة مجتمع مدني محلية هو قدرتها على الاعتماد على ذاتها على المدى البعيد بالاضافة الى امتلاك موازنة وادارة واضحة وشفافة. المخاوف من اساءة استخدام التمويل يعيق الطرق التي يتواصل عن طريقها المانحون الاجانب مع المنظمات المحلية. وكما هو الحال مع التدريب الخاص بكتابة طلبات التقديم على المنح, فان الاستثمار في التدريب الاداري والمالي يثيرالمخاوف من ان المنظمات الدولية تقوم ومن غير قصد بالانتقاص من عمل منظمات المجتمع المدني المحلية. ومهما يكن من الامر, من دون اشتراط هذا التدريب او تسهيل اجراءات التقديم على المنح, فان المنظمات المحلية ستستمر بالاعتماد على مجتمعاتها او افرادها, وهو ما تفعله هذه المنظمات في الوقت الحاضر.

وفي الختام, يمكن القول ان المنظمات الدولية لديها اسباب عديدة لتجنب دعم منظمات المجتمع المدني المحلية الصغيرة, ومن هذه الاسباب صعوبة التعرف والتحقق من هذه المنظمات, والمخاوف من امكانية ان تتسبب التدريبات الخاصة بكتابة طلبات التقديم على المنح وغيرها من التدريبات بتمييع مهمة هذه المنظمات, واخيراً عدم توافر الحجم

المناسب للمنح الذي يتناسب مع حجم هذه المنظمات.

| الطريق الى المستقبل

نظراً للتحديات التي تعوق عمل المنظمات الدولية, يطرح التساؤل, كيف لهذه المنظمات ان تدعم المجتمع المدني من اجل مساندة الحكم الرشيد والتحول الديمقراطي؟ اولاً, من المهم معرفة من اين تنبع هذه التحديات وماهي التحديات المشتركة الموجودة. من منظور المنظمات المحلية, فان التحديات الاساسية تتمثل في التمويل, والتخفيف من قيود الاجراءات البيروقراطية المصاحبة لعملية التسجيل, وضمان الدعم والقبول المجتمعي. ومن منظور المانحين, فتتمثل التحديات الرئيسة بتشخيص ورصد المنظمات الجديدة والتي تنبؤ بمستقبل واعد والمتحررة من الارتباطات السياسية ولا يعتريها الفساد, ثم دعم هذه المنظمات لتكون قادرة على الاعتماد على ذاتها.

يوجد هناك حيز مشترك مُوَاتٍ لتعزيز التعاون بين المنظمات الدولية والمنظمات المحلية. ففي الوقت الذي يشكو العديد من ناشطي المجتمع المدني في مجالات التنمية البشرية وحقوق الانسان وجماعات المناصرة من صعوبة اقناع السكان المحليين بتقديم التبرعات, يؤكد اعضاء المنظمات الدولية والدارسيين على الحاجة الى خلق منظمات محلية قادرة على اعالة نفسها من خلال تعزيز العمل التطوعي والحصول على الدعم من المجتمعات المحلية والمغتربين. هذه المشكلة المشتركة مدركة من قبل الناشطين العراقيين والمنظمات الدولية وهي مشكلة مرتبطة بعملية التحول الديمقراطي. فمن ناحية, هذه المنظمات تتعامل مع العملية الديمقراطية من خلال التشجيع على المشاركة بالانتخابات, ومراقبة الاداء الحكومي, والدفاع عن الفئات المجتمعية المستضعفة.

ومن ناحية اخرى تعزز هذه المنظمات الثقافة الديمقراطية. ولعل افضل طريقة لمواجهة جذور التحديات التي تواجهها هذه المنظمات هو محاولة فهم السبب وراء غياب الدعم الشعبي لمثل هذا النوع من النشاطات. هل السبب يعود الى انعدام وجود الثقة بالمجتمع المدني ككل ام ببساطة غياب الثقة بالتغيير الحكومي؟ اذا كان السبب الاول هو الاجابة, فعليه ربما يجب الاعتراف باهمية تقوية المنظمات التي لا تعمل بشكل مباشر على انضاج عملية التحول الديمقراطي والذي بدوره سيفتح المجال امام خلق حياة نقابية اكثر تنوعاً.

ثانياً, ربما توجد هناك حاجة حقيقية لتغييرالنظرة الموجودة حيال جماعات المناصرة. حيث يجب اعتبار وجود جماعات حقوق الانسان نجاحاً في المجتمعات التي تمر في طور التحول والتي يكون مواطنيها مغمورين بالكثير من الاحتياجات والمطالب التي تحتاج الى تلبيتها.

اخيراً, يجب ان لا تقتصر عمليات التدريب المقدمة للمنظمات المحلية على التدريبات المتعلقة بالحصول على منح وتتعدى هذه التدريبات الى اليات التواصل مع المجتمعات العراقية في المهجر والسعي الى الحصول على دعم منهم, حيث يختلف موقف ونظرةعراقيو المهجر حيال منظمات المناصرة عن موقف عراقي الداخل. هذه الطريقة تمثل حلاً وسطاً بين طلب الدعم من المجتمع المحلي والمنظمات الدولية, وتسمح لمنظمات المجتمع المدني بتطوير مهارات تساعدها على الاعتماد على ذاتها بالتواصل مع متبرعين عراقيين

من الخارج, وقد يمكن هذه المنظمات من الحصول على دعم المجتمعات المحلية في المستقبل. هذا النوع من الاستراتيجية يساعد العراقيين على تنمية مجتمعهم المدني الخاص بهم ويساعدهم على ايجاد سبل للاكتفاء الذاتي من دون الضغط على المنظمات الحديثة النشأة.

بالاضافة الى ذلك, بالرغم من تقديم التدريب والمهارات الى منظمات المجتمع المدني الصغيرة قد يؤدي الى حرفها عن مهامها وتشتيتها عن ذلك, هذا الانحراف ليس دائمياً وهو ضروري اذا ما ارادت هذه الجماعات ان تطور نفسها الى منظمات كبيرة ومعتمدة على ذاتها. فبالنتيجة, جزء من عملية الاعتماد على الذات هو القدرة على الترويج للمنظمة بين العامة وجذب اكبر قدر من المتبرعين, سواء كانوا محليين ام اجانب. وحتى يأتي الوقت الذي ينمو فيه لدى الشارع العراقي الحس التطوعي والاستعداد والقابلية لتمويل منظمات المجتمع المدني غير العاملة في المجال الخيري, يجب ان لا تترك الانواع الاخرى من منظمات المجتمع المدني لتواجه مصير الافول. كما ان الاستثمار في تدريب منظمات المجتمع المدني الصغيرة له انعكاسات واصداء ايجابية على المدى البعيد. ففي المقابلات التي اجرتها الباحثة كانت قد لاحظت ان الناشطين يميلون الى المشاركة والعمل مع عدة منظمات والتواصل مع بعضهم الاخر, الامر الذي يعني مشاركة وتداول المهارات فيما بينهم.

هذا يترك مشكلة التعرف على منظمات المجتمع المدني والتأكد من استقلاليتها وعدم ارتباطها بالاحزاب السياسية والفصائل المسلحة. ان الخطوة الاولى لحل هذه المشكلة هو الاستثمار في البحث عن المجتمع المدني والتنقيب عميقاً بدلاً عن اختيار المنظمات المعروفة. هذا النوع من البحث سيساعد على التعرف على المنظمات المغمورة عن طريق تسليط الضوء على المدن النائية والمواضيع التي لا تجلب كثيرا من الاهتمام, ليعقب ذلك فحص اعمق للمنظمات الجديدة للتاكد من استقلاليتها والحاجة الفعلية اليها. وهذه هي الاستراتيجيات التي يمكن ان تستخدم للتخفيف من التحديات المشتركة والتي تواجهها المنظمات الدولية ولتسمح لمنظمات المجتمع المدني المحلية بالنمو والتغلب على تحدياتها الخاصة.

| الخاتمة:

استعرض هذا التقرير تطور المجتمع المدني في وسط العراق الجنوبي بعد حرب عام ٢٠٠٣ والجهود الدولية التي اعقبتها لتعزيز الديمقراطية. وبالرغم من ان النتاج المعرفي والتجربة العملية في المنطقة تسجل ارثاً متباينا لتأثير المجتمع المدني على تعزيز الديمقراطية, نقب هذا التقرير في تعقيدات تطور المجتمع المدني في الظروف الانتقالية. وسلط التقرير الضوء على بعض التحديات التي تفسر تعقيدات العلاقة بين الديمقراطية والمجتمع المدني, كما سلط التقرير الضوء على بعض مواضع النجاح التي تبين لماذا يعود دعم المجتمع المدني بالفائدة. وعمد هذا التقرير دراسة تطور المجتمع المدني في المدن المستقرة نسبياً والتي تشهد قدرا من الازدهار في منطقة الفرات الاوسط, والتي وبالرغم من هذه الظروف, اضحت مواقع للسخط الجماعي ومن مصادر اللااستقرار. وبالتركيز على هذين المدينتين, تحذر الدراسة من اهمال منطقة وسط جنوب العراق من اعمال التنمية ودعم المجتمع المدني.

ان حكاية المجتمع المدني في العراق تبدا مع الالاف من المنظمات المسجلة ـ والتي يعمل جزء بسيط منها في واقع الامر ـ مدعية العمل في مجال المساعدات الانسانية والثقافة وحقوق الانسان. هذا التباين بين المنظمات العاملة والمنظمات غير العاملة يفسر بمجموعة من العوامل وينعكس بالظروف السائدة في مجتمعات الخارجة من الصراع والتي تمر بفترة تحول ديمقراطي, بما في ذلك الدوافع المختلطة وراء هذا التسجيل, ولاجل الحصول على تمويل خارجي من دون عناء, وعوامل مجتمعية اخرى مثل فقدان ثقة العامة بانواع معينة من منظمات المجتمع المدني.

المنظمات الدولية الساعية لدعم المنظمات المحلية تواجه بدورها تحدياتها الخاصة: كصعوبة التعرف والعثور على المنظمات المحلية, مخاوف من ارتباطات هذه المنظمات بالكيانات السياسية والفصائل المسلحة, والخوف من خلق منظمات اتكالية تحيد عن اداء مهمتها بسبب التدخلات الخارجية. لكن هناك طرق لتجاوز التحديات المشتركة مثل تقديم التدريب لمنظمات المجتمع المدني في مجال السعي للحصول على التمويل والتواصل, بالاضافة الى الاستثمار في مجال البحث عن المجتمع المدني الذي يسهل من عملية التعرف والتحقق من المنظمات الجديدة.

وبالرغم من وجود التحديات, فان المنظمات التي تسعى لتلبية الاحتياجات المحلية والتي تكون قوة تغيير ايجابية في المجتمع ظهرت واستمرت بالوجود في العراق, وان كانت لا تزال محدودة العدد مقارنة بالمنظمات الوهمية وغير العاملة. ولهذا السبب تحديداً فانه من المهم الاستمرار بدعم المجتمع المدني.

التوصيات والملاحظات:

- ارتبطت نشأة الكثير من منظمات المجتمع المدني في العراق بعد عام ٢٠٠٣ بتوفر المنح الدولية السخية، لذا شهد العراق زيادة انفجارية بعدد تلك المنظمات خلال توفر المنح للمشاريع من المانحين الدوليين ثم مالبثت ان شهدت انحساراً حاداً في اعدادها عندما شح التمويل.
- تعد منظمات المجتمع المدني في العراق معلماً من معالم الفوضى والفساد في حقبة مابعد ٢٠٠٣.
- شجعت الجهات المانحة الدولية، إلى حد ما، ظاهرة المنظمات الوهمية من خلال عدم التدقيق على نحو كاف في أهلية المنظمة لتلقي المنح أو قد أنها أخفقت في تحديد المنظمات المناسبة المؤهلة لتلقي المنح.
- عجزت تجربة العراق عن انتاج مجتمع مدني يعزز التحول الديمقراطي وينتجه.
- يفصح وضع المجتمع المدني في العراق عن أوجه كثيرة تعتري قدرة الدولة وضع آليات محاسبة ناجعة وفرضها.
- ان وجود الحياة المدنية والمجتمع المدني في العراق وبالرغم من كل اوجه القصور التي تعتريه بشكله القائم هي دلالة و مؤشر على وجود نوع من انواع المناخ الديمقراطي والحد الادنى من الحريات التي سمحت بخلق مساحة من الممكن ان تتبلور فيها جماعات تتصدى لرعاية احتياجات مختلفة للمجتمع.
- العمل على انضاج الحياة المدنية في العراق وتهذيب تجربة وتقويم عمل منظمات المجتمع المدني وترشيدها بشكل سليم لما يمكن ان تؤديه مثل هذه المنظمات من دور في استيعاب الطاقات الشبابية المعطلة

والخاملــة وتوجيــه هــذه الطاقــات لمعالجــة مشــاكل مجتمعيــة عديــدة التــي يصعــب علــى المؤسســات الحكوميــة معالجتهــا نتيجــة لجملــة مــن القيــود البيروقراطيــة والماليــة.

- ضــرورة تنظيــم القوانيــن والتشــريعات المتعلقة بانشــاء واســتحداث المنظمــات غيــر الحكوميــة والرقابــة علــى تمويــل المنظمــات التــي تعمــل تحــت غطــاء المجتمــع المدنــي, وذلــك لتلافــي الاختــراق الخارجــي لهــذه المنظمــات, او اســتغلالها كواجهــات ثانويــة لجهــات سياســية, او اتخاذهــا كقنــوات لغســيل الامــوال المتأتيــة مــن الجريمــة المنظمــة وتجــارة المخــدرات ونهــب المــال العــام.

سلسلة: أوراق

ليلى هادي

الفصل بين السلطات في العراق

| مقدمة مبسطة

مبدا الفصل بين السلطات يعود صياغته الى المفكر الفرنسي مونتسكيو, كما تم تأسيسه لأول مرة كنموذج من الفصل و دخل حيز الأستخدام الواسع من قبل الدول الرومانية انذاك, في اطار هذا النموذج فان الدولة مقسمة إلى فروع أو سلطات، كل سلطة منفصلة ومستقلة في صلاحيات ومجالات المسؤولية, حيث قسم أفلاطون وظائف الدولة في كتابه (القوانين) إلى عدة هيئات تختص كل منها بوظيفة محددة, وكذلك فعل الفيلسوف أرسطو في كتابه (السياسية) , إلا أن المبدأ لم يأخذ شكله النهائي المعروف إلا على يد الفيلسوف (مونتسيكيو) , الذي تميز بوصفه لمبدأ الفصل بين السلطات، ومكمن ذلك متأتي من أنه أعطى وصفاً دقيقاً ومميزاً للقضاء قبالة بقية السلطات, وبعد أن قدم تبريراته في صياغة المبدأ المذكور وبرؤيته الجديدة فقد جعل القضاء سلطة مستقلة قائمة بذاتها تقف على قدم المساواة مع السلطتين التشريعية والتنفيذية. وعلى ذلك تمثل استقلالية القضاء الباب الأوسع لتجسيد مبدأ الفصل بين السلطات, حيث أن استقلال القضاء هو أحد النتائج المتمخضة عن مبدأ الفصل بين السلطات, وذلك لأنه يدعو إلى إنشاء سلطة مستقلة عن السلطتين التشريعية والتنفيذية تسعى إلى إحقاق الحق وردع الباطل وصيانة الحريات العامة من الانتقاص والافتئات الصادر من السلطات الأخرى التي قد يدفعها شغفها في التسلط إلى التعرض إلى القضاء إذا تقاطع مع ما ترتئيه أو منع ما تبتغيه. وبذلك يكون لسلطة القضاء دوراً فاعلاً في بناء أسس العدالة الاجتماعية وإرساء الثقة ما بين المواطن والدولة والحفاظ على منظومة الحقوق العامة التي تكفل التعايش السلمي للمجتمع, فالقضاء بحكم كونه الجهة المختصة بإنزال حكم القانون على الجميع سلطات وأفراد, وأن القانون هو أداة تهدف إلى فرض النظام وتحقيق العدالة في الدولة فيكون الالتزام به خير وسيلة لتحقيق هذه الأغراض.

المبحث الأول

المطلب الأول: الفصل بين السلطات عند مونتسكيو

يعد مونتسكيو اول من صاغ هذا المبدأ حيث يبين أن الملكية نظام شاذ غير سوي، ينتهي حتما إلى حكم استبدادي مطلق. الحاشية فاسدة، والنبلاء خاملون مبذرون يسيئون إدارة أموال الدولة. لكنه يمتدح جمهوريات اليونان وروما القديمة، وهولندا وسويسرا الحديثة. الحكومة شيء ضروري. شر لا بد منه. لكنها يجب أن تكون قائمة على الفضيلة والأخلاق. (إنما الأمم الأخلاق ما بقيت – فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا) . لكن انتقادات مونتسكيو الدينية كانت أكثر قسوة. بعد ثلاث عشرة سنة من كتاب الرسائل لمونتسكيو، كتب فولتير عندما كان في المنفى في انجلترا، كتابا شبيها يصف فيه الحرية ونظام الحكم في بريطانيا، بعنوان: «رسائل عن الإنجليز». كتاب الرسائل لمونتسكيو وكتاب الرسائل لفولتير يعتبران انتصارا لحرية الرأي، وإيذانا ببداية عصر الأنوار في فرنسا. من حسن الحظ، كان الوصي على عرش فرنسا في ذلك الوقت متسامحا بعض الشيء. ترك مونتسكيو زوجته وراءه في لابريد، وذهب إلى باريس لكي يجني ثمار الشهرة بين الطبقة الراقية والصالونات. لذلك لم يكن من الصعب وقوعه في غرام أخت الدوق دي بوربون الذي أصبح رئيسا لوزراء فرنسا عام ١٧٢٣. ألف لها قصيدة شعر بعنوان «معبد الحب» عام ١٧٢٥. انضم بسبب مساعدة حبيبته إلى مجمع الأربعين الخالدين عام ١٧٢٨. ثم زار بعد ذلك إيطاليا والنمسا والمجر وسويسرا وهولنده وانجلترا، في رحلة استغرقت ثلاثة أعوام. قضى نصف هذه المدة في انجلترا. أثناء هذه الزيارة، عقد مونتسكيو أواصر الصداقة مع مجموعة من علية القوم. واختير عضوا في الجمعية الملكية بلندن. استقبله الملك جورج الثاني والملكة كارولين. وحضر جلسات البرلمان الانجليزي، وأولع بالنظام السياسي البريطاني. عندما عاد إلى فرنسا، كان شديد الإعجاب، مثل فولتير فيما بعد، بالحرية التي يتمتع بها الانجليز. رجع إلى لابريد وتفرغ لأبحاثه وكتاباته التي شغلت بقية أيام حياته.

المطلب الثاني: الفصل بين السلطات في النظم الدستورية

أولا: تقسيم الوظائف

يسمح الشكل الديمقراطي التي يتمتع به الدولة أي كان شكلها بممارسة بعض الوظائف سواء كانت هذه الوظائف اساسية او ثانوية، حيث ان وظائف الدولة كانت في الماضي تقتصر على ما يسمى بالوظائف الساسية او التقليدية وتشمل هذه الوظائف مهمة الدفاع الخارجي. والمن الداخلي، وكذلك وظيفة القضاء للفصل في المنازعات وقد اتفق فقهاء القانون العام على هذه الوظائف الساسية للدولة. ولكن منذ القرن السابع عشر ظهرت عدة نظريات حول الوظائف التي تمارسها الدولة وعددها وكانت النظرية المقبولة والمسيطرة هي نظرية الوظائف. (١)
فتكون ادارة الدولة بهذه الصلاحيات وفقا لمبدأ الفصل بين السلطات:
١-الوظيفة التشريعية: و يعني ذلك هذه الوظيفة تشريع القوانين ووضع القواعد العامة التي تطبق على جميع الفراد المرتبطين بالدولة، وتم ذلك عن طريق القوانين وكذلك اعمال قانونية اخر. لها نفس القيمة التشريعية مرسوم تنظيمي، مرسوم تشريعي علما ان الوظيفة الدستورية وضع الدستور هي جزء من الوظيفة التشريعية

فـي الدولـة(٢) .
٢- الوظيفـة القضائيـة: و تهتـم هـذه الوظيفـة بتطبيـق القوانيـن بيـن المتنازعيـن و الخصـوم و الفصـل بينهـم وكمـا قدمنـا فـان فكـرة وجـود الوظائـف القانونيـة الثلثـة للدولـة فكـرة قديمـة، حيـث وجـدت منـذ ايـام فلسـفة الغريـق اذ ميـز ارسـطو بوضـوح بيـن وظيفـة التقريـر والمداولـة التشـريع ووظيفـة، وفـي الحقيقـة ان توزيـع الوظائـف بيـن الهيئـات تحقـق نـوع القضـاء ووظيفـة الامـر التنفيـذ.
٣- الوظيفـة التنفيديـة: و مهمتهـا بتنفيـذ القواعـد القانونيـة الخاصـة بتنظيـم حيـاة المواطـن اتخـاذ كل العمـال التـي يفرضهـا الحكـم والـدارة، وتشـمل الادارة العامـة، الدبلوماسـية، الشـرطة، الادارة الماليـة (ولـكل هـذه العمـال لهـا اسـاس قانونـي واحـد وهـو الدسـتور والقوانيـن.

ثانيا: توزيع الصلاحيات

توزيـع السـلطات فـي الـدول الديمقراطيـة تعنـي تعـدد الذيـن يحكمـون السـلطة، بحيث يكـون هناك اكثـر مـن طـرف واحـد، ولكـن قبـض علـى السـلطة وتمـارس هـذه السـلطة الموزعـة مـن قبـل جميـع القابضيـن عليهـا ممارسـة السـلطة يمكـن ان تجري باشـكال متعـددة وفقـا لصـورة القبـض عليهـا، ولكن السـلطة ذاتهـا فهـي واحـدة فـي طبيعتهـا، لذلـك فمـن خلـل التعريـف بمفهـوم توزيـع السـلطة ل بـد مـن التأكـد بـان فـي كل مجتمـع توجـد سـلطة واحـدة ربمـا يكـون لهـا عـدة قابضيـن.
وينطـوي مبـدأ توزيـع السـلطة علـى اهميـة كبيـرة وهـو منـع الحـكام مـن السـتحواذ علـى جميـع اختصاصـات السـلطة ومنعهـم مـن السـتبداد والطغيـان بالسـلطة، حيـث تسـد هـذه السـتقللية المتبادلـة للهيئـات واقـع بحيـث تجـد فـي الدولـة وظائـف جوهريـة متباينـة مـن حيـث طبيعتهـا يمكـن ان تمـارس ال منفصلـة عـن بعضهـا البعـض. (٣)
كمـا ان تركيـز السـلطة ليـس دائمـا مرادفـا للاسـتبداد لانـه ليـس هنـاك مـا يمنـع الحاكـم فـي ظـل مبـدأ تركيـز السـلطة بـان يكـون صالحـا يحتـرم الحقـوق والحريـات للفـراد ويعمـل لتحقيـق مصالحهـم ورغباتهـم، الا ان التجـارب التاريخيـة كمـا بينـا سـابقا قـد اثبتـت ان كل انسـان يتمتـع بالسـلطة يميـل الـى اسـاءة اسـتعمالها. (٤) تعتبـر فكـرة توزيـع السـلطة فكـرة قديمـة بالمقارنـة مـع تقسـيم الوظائـف اذ انهـا ظهـرت مـع ظهـور المدنيـة بعـد ان تعـددت مشـاكل الدولـة وعجـز الحـكام مـن النفـراد بممارسـة السـلطة، اضافـة الـى ظهـور المبـادئ الديمقراطيـة الحـرة ودعوتهـا الـى توزيـع السـلطة وتنديدهـا لتركيزهـا.

الفصل بين السلطات في العراق

لقـد اعتمـد الدسـتور العراقـي لعـام ٢٠٠٥ مبـدأ الفصـل بيـن السـلطات فـي بابـه الثالـث فـي محاولـة منـه للتخلـص مـن مبـدأ وحـدة السـلطات ذات الوظائـف الثـلاث التـي كرسـت الاسـتبداد السياسـي، حيـث عالـج كل فصـل مـن فصـول هـذا البـاب وظائـف السـلطات الثـلاث واختصاصاتهـا وطـرق تشـكيلها ... الـخ.
وأولـى السـلطات التـي تطـرق لهـا هـذا البـاب هـي السـلطة التشـريعية التـي تعـد أسـاس النظـم البرلمانيـة الحديثـة، حيـث أكـد علـى أن هـذه السـلطة تتشـكل مـن مجلسـين همـا: أولا: مجلس النـواب الـذي يختـار أعضـاءه بطريقـة الاقتـراع السـري المباشـر علـى أن يراعـي تمثيـل سـائر مكونـات الشـعب العراقـي علمـا أن هـذه النقطـة بالـذات أي المراعـاة تتناقـض مـع فكـرة الانتخـاب التـي هـي أسـاس اختيـار مجلـس النـواب، كمـا حـدد الدسـتور صلاحيـات مجلـس النـواب بـ: التشـريع، ومراقبـة أداء السـلطة التنفيذيـة عـن طريـق السـؤال والمسـاءلة وطـرح موضـوع عـام

للمناقشة والأستجواب وسحب الثقة، وانتخاب رئيس الجمهورية، ومنح رئيس الوزراء والوزراء الثقة وسحبها منه، والمصادقة على المعاهدات والاتفاقيات الدولية، والموافقة على تعيين كبار موظفي الدولة، ومسآلة رئيس الجمهورية وإعفاءه من منصبه، وإعلان الحرب وحالة الطوارئ، والموافقة على الموازنة العامة.

وبالعودة الى نصوص الدستور نجد انه منح مجلس النواب صلاحيات واسعة أدت الى تغليب كفته على كفة سائر المؤسسات الدستورية الأخرى مقتربا بذلك من نظام حكم الجمعية أكثر من كونه نظام للحكم البرلماني.

ثانيا: مجلس الاتحاد: نص الدستور على إنشاء مجلس الاتحاد الذي يضم ممثلين عن الأقاليم والمحافظات غير المنتظمة في إقليم، ويعد هذا المجلس فكرة دستورية مؤجلة لحين صدور قرار من مجلس النواب بأغلبية الثلثين، واذا لم يصدر مثل هذا القرار فلن يتشكل مجلس الاتحاد، ويعد هذا الإجراء انتقاصا من مكانة هذا المجلس في نظام يفترض انه يقوم على ثنائية السلطة التشريعية بوصفه شرطا من شروط النظام البرلماني، اذ يقوم المجلس الاول على اساس التمثيل السكاني، اذ تمثل كل ولاية بحسب ثقلها السكاني، فيما يقوم الآخر على اساس مبدأ المساواة في التمثيل بين الولايات، اذ لا فرق بين ولاية صغيرة او كبيرة.

يفترض ان يكون المجلسان شريكان في العملية التشريعية، الا ان المشرع الدستوري يتجاهل لحد الآن دور مجلس الاتحاد وحجته في ذلك ان هذا المجلس لم يأخذ طريقه الى التشكل.

ان اولى المهام التي يجب ان تهتم بها التعديلات الدستورية للدستور العراقي هي معالجة آلية تشكيل مجلس الاتحاد واختصاصاته والعلاقة بين المجلسين فيما يتعلق بمجمل العملية التشريعية مثل الاقتراح والتصديق وحل الخلاف، من اجل ضمان استقرار النصوص التي تنظمه، وتأسيس نظام برلماني متكامل الى حد ما (٥)

المطلب الثاني: الهيمنة السلطوية

تعرف الهيمنة السلطوية ميل السلطوية إلى تبجيل الممارسة غير الرسمية وغير المنظمة للنفوذ السياسي، فالقائد الذي «يعين نفسه وحتى إن تم انتخابه لا يمكن أن يعزله الاختيار الحر للمواطنين لصالح المنافسين»، والحرمان من الحريات المدنية، وعدم تحمل المعارضة البناءة ذات المعنى.

يحاول النظام السلطوي عن طريق عدد من الضوابط الاجتماعية كمحاولة لقمع المجتمع المدني، في حين يتم الحفاظ على الاستقرار السياسي من خلال السيطرة والحصول على تأييد القوات العسكرية، والتي تكون بيروقراطية عينها النظام نفسه، وخلق طاعة للنظام من خلال طرق تنشئة اجتماعية مختلفة وغرس وتلقين العقائد.

قد يتم إضعاف الأنظمة السياسية من خلال «الأداء الضعيف الذي لا يصل إلى مطالب الشعب». كتب فستال أن الميل نحو الرد على التحديات التي تواجهها السلطوية عن طريق إحكام السيطرة بدلا من التكيف هو أحد نقاط الضعف الهامة، وأن هذا الأسلوب القاسي يفشل في «التكيف مع التغيرات أو مع المطالب المتزايدة من جانب الشعب أو حتى من المجموعات داخل النظام نفسه». لأن الشرعية السياسية للنظام تعتمد على الأداء، تفشل الأنظمة السلطوية في التكيف وقد تسقط.

يقترح جون داكت وجود رابط بين السلطوية والجماعية، مؤكدا على أن كلا منهما يقف في وجه الفردانية. كتب داكت أن كلا من السلطوية والجماعية تطمس الحقوق والأهداف الفردية لصالح أهداف المجموعة وتوقعاتها والامتثال لها.

الهوامش:

١. نقل عن القاضي لطيف مصطفى امين مبدا الفصل بين السلطات ووحدتها وتطبيقاتهما في الدساتير
٢. د. رأفت دسوقي هيمنة السلطة التنفيذية على اعمال البرلمان منشأة المعارف السكندرية سنة ٢٠٠٦
٣. د. محمد كاظم المشهداني النظم السياسية جامعة موصل كلية القانون سنة ١٩٩١
٤. موريس دوفرجيه ترجمة د جورج سعد المؤسسات السياسية والقانون الدستوري النظمة السياسية
٥. د. حميد حنون خالد، مبادئ القانون الدستوري وتطور النظام السياسي في العراق، مكتبة السنهوري، بغداد وبيروت، ٢٠١٢ ص ٣٥٠ – ٣٦٧

مقالة

محمد محفوظ*

الانسان

في رؤية الدكتور علي شريعتي

يعتبر الدكتور علي شريعتي في الساحة الإيرانية أنه أحد مفكري المشهد الثقافي والفكري الإيراني، وأن الدكتور ساهم في تعبئة الجمهور الإيراني للقيام على النظام الديكتاتوري البهلوي السابق. . ونظرة فاحصة إلى المشهد الإيراني، يكتشف المرء فيه أن هذا المشهد عاش مجموعة من الحركات الاستقلالية الإسلامية، التي تطالب بالاستقلال والخروج من كتب الأنظمة الاستبدادية وقد توجت هذه الحركات بحركة الامام الخميني الذي تمكن عبر ثورته من اسقاط الشاه وتفكيك كل الوقائع والحقائق السياسية والاقتصادية والثقافية الداعمة لنظام الحكم الاستبدادي والعمل مع النخبة السياسية الجديدة على بلورة آفاق الثورة في أبعادها السياسية والاجتماعية والاقتصادية. .

وكان الدكتور علي شريعتي أحد رواد الثورة التي ضخ فيها الفكر والتصورات الثورية التي حررت الإنسان من جموده وانهزاميته ومواقفه السلبية، وحولت هذه الأفكار إلى مشروع رافض للديكتاتورية ومحارب للاستبداد ومؤيد لخطاب الثورة التي انتصر فيها الشعب الإيراني على جلاديه. . (ومنذ بداية الأربعينات وحتى سقوط مصدق (١٩٥٣م) اكتسح التيار الوطني الديمقراطي المتمثل أساسا بخط مصدق والجبهة الوطنية، ساحة النضال الوطني في البرلمان والشارع على حد سواء. . وخلالها أيضا، ظلت أغلبية الفئة العليا من المؤسسة الدينية غير فعالة في الكفاح السياسي، لكننا مرة أخرى، نجد جناحا من المؤسسة يتعاون مع مصدق، وكان الرمز البارز لهذا الجناح، هو آية الله الكاشاني، الذي بدأ نشاطه السياسي عندما عاد إلى إيران من النجف الأشرف (١٩٤٦م) ، ثم تصدر الدعوة إلى التطوع للجهاد دفاعا عن فلسطين. . وبالرغم من أن دعوته لم تلق نجاحا يذكر، بسبب الموقف الرسمي للحكومة، إلا أنها اكسبته شعبية كبيرة، ما أعطى لتحالفه مع مصدق أهمية بالغة، فكان هذا التحالف أهم عماد لجهود الحركة الشعبية، كما كان انتهاؤه أهم عامل في سقوطها، فعندما اختلف الكاشاني مع مصدق ووصل بموقفه حد معاداته، جرى استغلال هذا الموقف من قبل بقايا نظام الشاه ومنظمي انقلاب ١٩٥٣ م ضد حكم مصدق. .

خلال فترة امتدت أكثر من أربعين عاما – من نهاية الثورة الدستورية وإلى الخمسينات -، عاشت الحركة الإسلامية مرحلة انحسار نسبي، وتراجع الدور القيادي والفاعل للتيار الإسلامي، وبالرغم من الرموز النضالية البارزة التي شهدتها هذه الفترة (كوتشك خان، خيابابي، المدرس، الكاشاني – حتى ١٩٥٣ م) ، إلا أن القسم الأكبر من المؤسسة الدينية، خصوصا قمتها، ظلت غير نشيطة في النضال السياسي) . . (١)

ولعل ما يميز علي شريعتي أنه اعتنى بالإنسان وعمل عبر محاضراته المتنوعة إلى بث الروح

والعزيمة في حياة الإنسان العادي. . وبهذا الجهد هو الذي حول غالبية الشعب الإيراني إلى قوة ضاربة بيد الحركة الإسلامية لتقويض النظام الديكتاتوري الشاهنشاهي. . (شهدت الستينات من القرن الماضي – وهي الفترة التي شهدت بروز دور شريعتي، تحولات هامة في الوضع السياسي بإيران، وفي مسيرة الحركة الوطنية الإيرانية. . ففي أوائل الستينات، بدأ الشاه عهد الانفتاح السياسي، الذي رأى منظروه بأنه ضرورة حيوية لمزيد من الانفتاح على الغرب. . فمجموعة السياسات الإصلاحية التي اتبعها الشاه في مجال الاقتصاد والمجتمع، استهدف تعميق تبعية إيران وتغريب اقتصادها وحياتها الاجتماعية أكثر فأكثر. . لذلك رأى أيضا منظرو الشاه، أن هذه السياسة تحتاج إلى مزيد من الليبرالية في الحياة السياسية. .

لقد كانت تلك الفترة، فترة رسملة الريف وإنشاء الشركات الزراعية الكبرى، وتوسيع الاستثمارات الأجنبية في إيران، وإعطاء حقوق الحصانة للأمريكيين، وتضخيم مؤسسة الجيش وجعلها أكثر ارتباطا بالولايات المتحدة، ورافق ذلك أيضا إجراءات اجتماعية، شكلت بمجملها تغييرات هامة في البنية الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الإيراني. .

وهكذا أصبح النضال ضد التبعية، وضد التغرب محور النضال الوطني آنذاك، بعد أن بدأ الوعي العام لخطورة تلك السياسة يزداد تبلورا. .

إن ذلك، يفسر إلى حد كبير، تراجع دور الجبهة الوطنية الثانية وسقوط أطروحتها: « نعم للإصلاحات لا للاستبداد «، ويفسر أيضا، أحد أهم أسباب النهوض الإسلامي الذي شهدته إيران بداية الستينات، والذي كان بروز الامام الخميني وتكوين حركة تحرر إيران من أهم علاماته. .

إن التمسك بالإسلام، كعنوان للأصالة، وسياج يحمي الاستقلالية، وأيدلوجيا معبئة في الكفاح الوطني المناهض للسيطرة الأجنبية، برز بوضوح خلال تلك الفترة. . فكما كان الشاه – السائر على خطى أبيه رضا شاه – يعرف خطورة الإسلام في إيران، وضرورة إضعاف مواقعه أو مسخه وتشويهه، من أجل تسهيل عملية تغريب إيران، فإن قطاعات هامة من الحركة السياسية ومن الجماهير، بدأت هي الأخرى تعي أهمية الإسلام كسلاح مضاد فعال، وكأفضل إطار لخوض نضالات المرحلة. .

وبالرغم من أن النضالات التي خاضها الإمام الخميني، وحركة تحرر إيران – والتي كان محورها النضال ضد السيطرة الأجنبية وإصلاحات الشاه وإعطاء حقوق الحصانة للأجانب و. . . . . ، قد انتهت إلى انتكاسة مفجعة في سنة ١٩٦٣ م، انهت النضال العلني للحركة الإسلامية، وأدت إلى اعتقال قادتها ونفيهم، إلا أنها أنهت أيضا أسطورة سياسة الانفتاح، والأوهام التي علقتها تيارات أخرى على تلك السياسة. . لكن التمسك بالإسلام وبالتيار الإسلامي ازداد بعد ١٩٦٣ م ولم يضعف. .

منذ ١٩٦٣ م، جمد قادة الجبهة الوطنية الثانية نشاطهم السياسي مرة أخرى، فأوجدوا بذلك ارتباكا وتشتتا كبيرين في قواعد الجبهة. . وقد ظلت تنظيمات الجبهة الوطنية في الخارج – أوروبا وامريكا – هي الوحيدة التي تنشط، والتي كانت لها مواقفها المتميزة، حتة أثناء تلكؤ قيادة الجبهة (١٩٦٠-١٩٦٣ م) إلا أن تنظيمات الخارج هذه، توزعت اتجاهاتها ونشاطاتها بعد ١٩٦٣ م، فالقسم الأكبر من الطلبة، اتجهوا نحو مواقف يسارية أو أقرب إلى اليسار وهم، وأن ظلوا عامين باسم الجبهة الوطنية في الخارج، إلا أن خطهم السياسي، في الواقع، كان قد اصبح غريبا على تراث مصدق والجبهة الوطنية، وكانت هذه التنظيمات قد أعلنت في أواخر السبعينات، تحولها فعلا إلى تنظيمات شيوعية وتخلت عن اسم الجبهة. .

أمـا المؤسسـة الدينيـة، فقـد اسـتمر الصـراع فيهـا بيـن اتجاهـات مختلفـة، كان أهمهـا اتجاهـان: أحدهمـا يقـوده الامـام الخمينـي، ويدعـو لتثويـر المؤسسـة ولتصدرهـا للكفـاح الوطنـي المناهـض للاسـتعمار، والإيمـان بـأن الإسـلام هـو رسـالة دائمـة وثـورة دائمـة، وهـو ديـن سياسـة وعبـادة، وأن الكفـاح السياسـي هـو مـن صلـب واجبـات المسـلمين، ومـن بـاب أولـى علمـاء الديـن، امـا الاتجـاه الآخـر، فقـد مثلـه بعـض الفقهـاء مثـل شـريعتمداري، وكان يدعـو إلـى الحفـاظ علـى قدسـية المؤسسـة الدينيـة وكرامتهـا وذلـك بعـدم توريطهـا فـي نزاعـات الدنيـا وفـي الصراعـات السياسـية. إن هـذا التيـار حـاول إبقاء المؤسسـة الدينيـة منزويـة عـن الكفـاح السياسـي، رغـم تحفظاتـه وانتقاداتـه للنظـام السياسـي ولبعـض سياسـات السـلطة، خصوصا السياسـات الاسـتبدادية. وكان هـذا التيـار فـي المؤسسـة الدينيـة، أقـرب إلـى مواقـف الوطنيـة الثانيـة، رغـم أنـه لـم ينشـط، حتـى فـي تلـك الحـدود، بـل حـاول تحييـد المؤسسـة الدينيـة وعزلهـا، حتـى الشـهور الأخيـرة قبـل انتصـار الثـورة الإيرانيـة.

بعـد نفـي الإمـام الخمينـي واعتقـال عـدد مـن علمـاء الديـن، تراجـع دور الاتجـاه الـذي مثلـه، بينمـا سـاد التيـار الآخـر فـي المؤسسـة الدينيـة طـوال الفتـرة الممتـدة مـن (١٩٦٣ إلـى ١٩٧٩م) ، أي إلـى أن حسـمت الحركـة الشـعبية المعركـة لصالـح تيـار الإمـام الخمينـي.

إن الفتـرة التـي نشـط فيهـا شـريعتي داخـل إيـران – منتصـف السـتينات إلـى ١٩٧٧م- كانـت فترة تشـتت وانحسـار الحركـة الساسـية المنظمـة، فتـرة اختمـار النهـوض الإسـلامي، فتـرة صـراع الإيديولوجيـات فـي الحركـة السياسـية. لكـن هـذه الفتـرة، لـك تكـن انحسـارا مطلقـا ولا فراغـا حقيقيـا، فهـي لـم تخـل مـن نضـالات وطنيـة منظمـة، حيـث نشـطت منظمـات، مثـل مجاهـدي الشـعب وفدائيـي الشـعب فـي العمـل المسـلح، وإن كان ذلـك العمـل قـد اتسـم بطابـع العمليـات المحـدودة والاغتيـالات. كمـا جـرت محـاولات عـدة لبنـاء منظمـات سياسـية سـرية. إلا إنـه يمكـن القـول إن أسـبابا عـدة – منهـا منهـج الحركـة السياسـية المنظمـة وطبيعـة تكونهـا وأسـاليب عملهـا، وكذلـك القمـع المنظـم الـذي مارسـته أجهـزة الشـاه-، حاولـت دون تكـون أي حركـة كبيـرة منظمـة فـي السـتينات وأوائـل السـبعينات. لذلـك جـرى التمهيـد الأسـاس للثـورة الأخيـرة خـارج أطـر التنظيمـات السياسـية التقليديـة. أي أنـه جـرة أساسـا، ضمـن وسـائل التعبئـة والتنظيـم والتحريـض التـي وفرهـا الإسـلام والمراكـز الإسـلامية (مسـاجد وحسـينيات) ، وضمـن أسـلوب تكـون المؤسسـة الدينيـة (الهيكليـة التنظيميـة للمرجعيـة الدينيـة للشـيعة، والمـدارس الدينيـة بشـكل خـاص) . ولكـن، وقبـل ذلـك كلـه، كانـت عمليـة التعبئـة الفكريـة، والكفـاح الـذي خاضـه علـي شـريعتي وآخـرون علـى صعيـد أكثـر شـمولية، صعيـد الإيديولوجيـا والفكـر، هـو الـذي مهـد فعـلا – إلـى جانـب أسـباب أخـرى- للنهـوض الإسـلامي المنظـم فـي مـا بعـد، وللحركـة الشـعبية التـي سـاهمت فـي الثـورة الإسـلامية.

لقـد بـدأ علـي شـريعتي حياتـه السياسـية بالإسـهام فـي النهـوض الشـعبي الـذي قـاده مصـدق، ثـم كعضـو فـي حركـة المقاومـة الوطنيـة عـام ١٩٤٥م، ثـم كعضـو فـي حركـة تحـرر إيـران عـام ١٩٦١م، ومؤسـس لفروعهـا فـي أوروبـا. لكـن دوره الأسـاس كان فـي مجـال الفكـر، والواقـع أنـه انتبـه إلـى أهميـة هـذه الناحيـة فـي فتـرة مبكـرة، عندمـا كان يسـاهم فـي نشـاطات مركـز نشـر الحقائـق الإسـلامية الـذي أسسـه والـده. وقـد نظـم شـريعتي بنفسـه حلقـات للدراسـة والنقـاش فـي المدرسـة الثانويـة التـي كان يـدرس فيهـا، ثـم فـي الجامعـة.

وتعتبـر فتـرة دراسـته فـي الخـارج، ومعايشـته لظـروف الانتكاسـة والتشـتت بعـد العـام ١٩٦٣م، فتـرة تبلـور أفـكاره وتحديـد أسـلوب عملـه، وبالرغـم مـن أنـه بدأ حياتـه السياسـية ضمـن تيـار بـارز كان-الطالقانـي، إلا

أن أطروحاته الفكرية في ما بعد، تجاوزت هذا التيار وآفاقه. فعد أن درس في فرنسا الفلسفة وعلم الاجتماع وتاريخ الأديان، واحتك بالمدارس الفلسفية الأوروبية وبحركات التحرر العالمية -خصوصا الجزائرية-، كون منظومة فكرية متكاملة و وجهة نظر شاملة حول الدين والسياسة وتاريخ الشيعة. ووضع لنفسه رسالة مؤداها، تنقية الدين الإسلامي من شوائب عهود الانحطاط والتخلف، وجعله -كما كان في الأصل- ثورة اجتماعية، لذلك سعى إلى أن يجعل مفهومه للإسلام إطارا للثورة الإيرانية.

كان شريعتي يريد من خلال العودة إلى أصالة الإسلام، بناء منظومة أيديولوجية وفكرية كاملة، تشق طريقها كخط ثالث بين الأيديولوجيتين الماركسية والبرجوازية (الليبرالية) . لكنه كان يائسا بشكل مطلق من المؤسسة الدينية القائمة. لذلك استهدف بناء شيء جديد تماما، شيء ينهض من وسط الشعب وبأيدي جيل الشباب أنفسهم. لهذا كانت مهمته في غاية الصعوبة، وقد اصطدمت حركته بمعارضة بعض رجال الدين الذين رأوا في أطروحاته نوعا من البدع، واتهموه مرة بالبهائية والوهابية وبالزندقة، ومرة بالتغرب وأخرى بالعمالة للصهيونية.

عندما قرر شريعتي العودة إلى إيران في منتصف الستينات والشروع بمجهوده الضخم، لم يحاول أبدا بناء حزب سياسي، ولا الدخول في إطارات منظمة. فقد كان واعيا لظروف المرحلة، ومعتقدا بأن نقطة البدء هي في الإعداد الفكري والإيديولوجي، الذي يجب أن يسبق عملية البناء التنظيمي والممارسة الثورية. وبالرغم من هذا، فقد ظل على صلة طيبة مع التجمعات السياسية الموجودة.

إن استناد شريعتي إلى الإسلام، يتجاوز حدود الالتزام بالدين كإيمان وكمراسم عبادة، ويتجاوز أيضا كونه يمثل هوية الإنسان المسلم وانتماءه، بل إنه حاول أن ينظر لإيديولوجيا إسلامية، لمنظور شامل، واثقا بأن نظرة معينة إلى العالم، تقود إلى مواقف فكرية وسياسية معينة أيضا. ففي معرض تحليله لسيرورة الفلسفة المثالية والمادية والبنى السياسية والاجتماعية المبنية على كل واحد منهما، يصل إلى اعتماد النظرية التوحيدية التي تهدي الإنسان إلى نظرة صحيحة للعالم، فهي مضافا إلى انعكاساتها الاجتماعية تضمن طريقا مستقلا عن الشرق والغرب، وتهيئ أيضا الأساس الفكري لنهوض العالم الإسلامي) . (٢) .

ولم يبحث علي شريعتي موجبات الثورة من خلال أفكار خارج الفهم الإسلامي، وإنما عمل على صياغة رؤية اجتماعية للدين، تبشر بالإيمان وتعمل على إخراج الدين من صومعة الانعزال وجعله من جديد دين للحياة والكفاح الاجتماعي. .

ولاريب ان تصفية الإسلام مما علق به من خرافات وبدع وصيانته من التغرب والالتحاق بالنموذج الحضاري الغربي ساهم في ان يتحول إلى مشروع للقيام والثورة. .

هذا ما عمل من أجله علي شريعتي وكان جهده الفكري والثقافي يصب في هذا الاتجاه. . وفي تقديرنا أن علي شريعتي نجح في أداء دوره وفي تعبئة الشعب الإيراني باتجاه المطالبة بالحرية والاستقلال والعدالة الاجتماعية. . (ويرى علي شريعتي في الدفقة الروحية التي تنتجها « العودة إلى الذات « نوعا من الاعجاز الذي يجعل من الوعي محركا للتاريخ والمجتمع، يعكس المفهوم المادي الذي يجعل من المادة محركا للفكر والوعي المنعكس على المادة. .

وتلك ظاهرة لم يستطع علماء الاجتماع الوضعيون فهمها ما خلا ماكس فيبر. . فالمجتمعات الراكدة « الآسيوية «، أو الثالثية « العالم ثالثية « أحدث فيها الدين « الجزائر « أو لاهوت التحرير « أمريكا

اللاتينية»، ناهيك عن إيران نهضة روحية – سياسية قلبت الأمور رأسا على عقب ضد الاستعمارين الخارجي والداخلي وتبدل حال المثقفين « الغرباء « – المحليين والعفويين – غير « المتغربين « ولا السلفيين، فباتوا لا يستطيعون اعتناق الايدلوجيات السائدة، فيهاجرون إلى الذات، في حركة من الوعي المستقل، المقترن بالإيمان والأصالة) . . (٣)

| الأيدلوجيا والإنسان:

على المستويين المعرفي والإنساني من حق أي إنسان, أن يتبنى رأي أو منظومة فكرية, لأن هذه من الحقوق الأساسية للإنسان, ولا يمكن لهذا الإنسان حتى لو تنازل عن هذا الحق, أن يعيش الحياة بدون هذا الحق. فمن لوازم الوجود الإنساني أن يمتلك رأيا وفكرة تجاه كل الظواهر الإنسانية سواء كانت فردية أو جماعية.

ولعل بعض المشاكل التي تحدث في المجتمعات الإنسانية, حينما تتشكل رؤية دينية أو دنيوية أن من حق القائمين على هذه الرؤية امتلاك هذا الحق, وبالتالي يتم التعدي الأيدلوجي على أحد حقوق الإنسان الأساسية تحت تبريرات معينة قد يقتنع بها الإنسان ضمن ظرف محدد أو قناعة أيدلوجية ثابتة.

إلا أن أي تحول يصيب الإنسان, سيلتفت إلى هذا الحق المنزوع وسيعمل على إعادة هذا الحق.

فالأيدلوجيات ليست مهمتها انتزاع حقوق الإنسان الأساسية, أو التعدي على البعد الذي لا غنى للإنسان عنه. وكل أيدلوجية سواء كانت دينية أو غير دينية تسيطر على هذا الحق فإن الإنسان حينما يتحرر من قيود هذه الأيدلوجية, سيلتفت إلى حقه, وسيعمل لإعادته إليه. وبالتالي فإن الأيدلوجيات التي تمتلك شهوة التدخل في تفاصيل وخصوصيات الإنسان, لا سبيل مستديم إلى نجاحها وتميزها في أي بيئة اجتماعية.

وعليه فإن الإنسان ليس في موقع خدمة الأيدلوجيا, ومن يعتقد أن مهام الإنسان الأساسية خدمة هذه الأيدلوجيا أو تلك, فإنه يمارس تزييف الوعي لهذه الأيدلوجيا ولدور الإنسان في الوجود والحياة. فالإنسان ليس خادما للإيدلوجيا, وإنما الأيدلوجيا هي في خدمة الإنسان سواء على المستوى المعنوي أو الاجتماعي.

والإنسان حينما يضحي بحياته من أجل مبادئه, فهو في حقيقة الأمر يدافع عن وجوده النوعي بفعل عوامل احتقان أو غضب ليس للأيدلوجيا أي دخل بها. فالإنسان حينما تغضبه السياسة أو الأوضاع الاقتصادية أو أي شيء آخر فهو يضحي بنفسه بوصف أن هذه التضحية هي التي ستحرر المجتمع الذي أنتمي إليه من كل القيود والأغلال التي تفرضها الأوضاع والظروف السياسية أو الاقتصادية.

وعليه فإن الأيدلوجيا بما تمتلك من مخزون معرفي ومعنوي جاءت لخدمة الإنسان ونقله من طور لآخر.

وبالتالي فإن الأيدلوجيات سواء كانت سماوية أو غير سماوية, جاءت من أجل أن يعيش الإنسان حياة جديدة, مختلفة وتفرض هذه الأيدلوجيا أن هذه الحياة أكثر سعادة واستقرارا.

نسوق هذا الكلام من أجل نحرر علاقة الإنسان والأيدلوجيا من نزعة الهيمنة والخدمة التي لا تنتهي.

ونعتقد بشكل جازم أن الأيدلوجيا التي لا تخدم الإنسان ولا تسعى إلى تطوير وجوده على المستويين المادي والمعنوي, فإن هذه الأيدلوجيا لن تصمد في حياة الإنسان وسرعان ما يفارقهما هذا الإنسان لصالح رؤية أو أيدلوجيا جديدة أو مغايرة.

ولعل النقطة المركزية في تحرير العلاقة بين الإنسان والأيدلوجيا هي في تحرر من يخدم من, هل الأيدلوجيا خادمة للإنسان أم العكس.

نحن نعتقد أن الأيدلوجيا هي بمثابة خريطة طريق يسير عليها الإنسان سواء في حياته الخاصة أم العامة, وإن الالتزام بهذه الخريطة ستجنب الإنسان الكثير من الصعوبات والمآزق.
وعليه فإن الأيدلوجيا هي في موقع خدمة الإنسان على المستويين المعنوي والمادي, الفردي والجماعي.
وإن أي تغيير في هذه المعادلة سيضر جوهريا بالإنسان والأيدلوجيا في آن واحد. .
وعليه فإن الأيدلوجيا التي تكون معبرة بشكل صحيح عن جوهر الإنسان وفطرته الأساسية, فإن هذه الأيدلوجيا ستنجح في تقديم خدمات جليلة للإنسان, وستتمكن هذه الأيدلوجيا من التمكن من تقديم الخدمات الضرورية للإنسان. .
أما إذا كانت هذه الأيدلوجيا مغايرة للإنسان أو غير منسجمة وطبيعة الإنسان وفطرته الأساسية فإن هذه الأيدلوجية ستتحول إلى قيد حقيقي يمنع الإنسان من ممارسة حياته بشكل سليم. بحيث تكون هذه الحياة متناغمة بشكل دقيق مع ما يصبوا إليه الإنسان انطلاقا من خصائصه الإنسانية والميولات الجوهرية التي تفرضها الفطرة التكوينية للإنسان. .
ونحن نعتقد إن بناء هذه الرؤية في علاقة الأيدلوجيا والإنسان والعكس, سيحرر الإنسان من الكثير من القيود والكوابح التي تحول دون أن يعيش الإنسان حياة مستقرة وعميقة. وإن مربط الفرس أن يعيش الإنسان حياة طبيعية ومستقرة, تبدأ من طبيعة العلاقة التي تربط الإنسان بالأيدلوجيا التي يحملها.
وعليه فإن كل أيدلوجيا تسوغ لحاملها قتل الإنسان المختلف بدون سبب إلا سبب الاختلاف, هي أيدلوجيا مضرة للإنسان راهنا ومستقبلا.
وكل أيدلوجيا تمنع الإنسان من تلبية غرائزه وحوائجه البيولوجية والإنسانية بشكل سليم ومتوازن, هي أيضا أيدلوجيا كابحة للإنسان ومانعة لطمأنينته واستقراره النفسي والاجتماعي.
وكل أيدلوجيا تحول الإنسان إلى قنبلة موقوتة ضد من يختلف معها, فإن هذه الأيدلوجيا ستحول دنياها إلى جحيم يحرق كل من يختلف معها أو يتباين معها.
وما أحوجنا اليوم إل الأيدلوجيا التي تحترم الإنسان وتتعامل مع كل لوازمه بوصفها دائرة يحرم فيها التعدي عليها من قبل أي إنسان آخر. فكل أيدلوجيا تقتل من يختلف معها, هي أيدلوجيا تدمر الوجود الإنساني ولا تقدم خدمة جليلة للإنسان.
وكل أيدلوجيا يضيق صدرها بالمختلف وتعمل على اجتثاثه واستئصاله, هي أيدلوجيا تساهم في عسكرة الحياة وإدخال الإنسان المؤمن بها في خطر وجودي.
نحن نحتاج إلى رؤية وأيدلوجيا تعتز بالإنسان وجودا وحقوقا سواء كان مؤمنا بها أو لا.
ونحتاج إلى رؤية تعمل على حماية وصيانة كل أشكال التنوع والتعدد في الحياة الاجتماعية والإنسانية.
إن تحرير علاقة الإنسان بالأيدلوجيا من أعباء القتل وسفك الدم وتصحر حياة الإنسان, هي الخطوة الأولى في بناء مجتمع أكثر استقرارا وحيوية وفعالية على المستويات كافة.

من قضايا المستقبل:

ثمة معطيات عديدة، تدفعنا إلى القول أن التواصل الإنساني بكل صوره ومستوياته، من الضرورات القصوى في حياة الإنسان الفرد والجماعة، وهو مساحة حرية وتفاعل متبادل، ورسالة حوار وتعارف وأرضية تسامح وتعايش بين الثقافات والأفكار المختلفة. .

لذلك فإن تطلعنا جميعا، ينبغي أن يتجه إلى ضرورة إرساء قواعد وأطر للتواصل المستمر بين مختلف التعبيرات والثقافات، واستكمال الشروط الضرورية لإطلاق فعل تواصلي شامل. .

وفي منظورنا وتقديرنا، أن فعل التواصل المستديم، هو الذي يحرر الوعي الوطني والثقافي من كل التشوهات والأوهام التي تغذي حالات القطيعة والإقصاء. .

ولا تواصل فعال وديناميي، بدون تسويد قيم الحرية والنقد والتسامح. . ففي كنف الحرية وثقافة والحوار والتسامح، تذوب الفروقات والاختلافات، وتتبلور وظيفتها الحضارية في إثراء المعرفة والواقع، وإنضاج خيارات عديدة للرقي والانطلاق. . وفي رحاب النقد البناء تنمو المعرفة، وتزدهر مواطن الإبداع، وتثرى مصادر التجديد والتطوير في الأمة والوطن. . من هنا فإن الإنصات الواعي والعميق لكل الآراء والأفكار والإبداعات، يجعل وعي الاختلاف وعيا جماليا كتنوع أغصان الشجرة. .

ومهمة المنابر الإعلامية في هذا الصدد، احتضان الجهد الإبداعي والنقدي، وتعميق آفاقه ومتطلباته في المحيط الاجتماعي. . كما أن الوظيفة الجوهرية للقارئ والنخبة، هي أن تفتح عقولها وتوفر الاستعداد النفسي اللازم، للقبول بخطاب النقد والإبداع. .

وهذا القبول لا يعني بأي حال من الأحوال، أن ننخرط في المضاربات الأيدلوجية والفكرية، بل يعني توفير الظروف الذاتية والموضوعية لترجمة المفردات الجديدة إلى حقائق شاخصة ووقائع راسخة. .

ولا نعدو الصواب حين القول: أن هذه العملية بحاجة إلى تكريس قيم الحرية والعدالة في الفضاء الاجتماعي. . وذلك لأنه إذا توفرت الحريات العامة، توفر المناخ الملائم لتعبئة طاقات المجتمع، وبلورة كفاءات نخبته، وازدادت إبداعاته ومبادراته، وكل هذه الأمور من القضايا الحيوية لصناعة القوة في الوطن. .

ويخطأ من يتصور أن الإقصاء والنفي والنبذ، هي القادرة على خلق المواطنة الصالحة وحالة الولاء إلى الوطن. .

إننا نرى ومن خلال التجارب التاريخية العديدة، أن الحرية والشفافية وسيادة القانون والمؤسسات الدستورية، هي الكفيلة بتعميق حس المواطنة الصالحة. . فشعب الولايات المتحدة الأمريكية، أتى من بيئات جغرافية متعددة، وأطر عقدية ومرجعيات فكرية وفلسفية متنوعة، ولكن الحرية بكل آلياتها ومجالاتها ومؤسساتها، وسيادة القانون والمؤسسات الدستورية، هي التي صهرت كل هذه التنوعات في إطار أمة جديدة وشعب متميز. .

وحدها الحرية التي تعيد الاعتبار إلى الذات والوطن، وتعيد صياغة العلاقة بينهما، فتنتج وعيا وطنيا صادقا، يحفز هذا الوعي على الدفاع عن عزة الوطن وكرامة المواطنين. . فالاستقرار السياسي والمجتمعي يتطلب باستمرار تطوير نظام الشراكة والحرية على مختلف الصعد والمستويات، حتى يتسنى للجميع كل من موقعه خدمة وطنه وعزته. .

وأن القواسم المشتركة المجردة بوحدها لا تصنع وحدة، وإنما هي بحاجة دائما إلى تنمية وحقائق وحدوية ومصالح متداخلة، حتى تمارس هذه القواسم المشتركة دورها ووظيفتها في إرساء دعائم الوحدة وتوطيد أركان التوافق. .

لذلك فإن المطلوب، أن ننفتح على مساحات التنوع ونتواصل مع المختلفين من أجل استنبات مفاهيم وقيم جديدة، تزيد من فرص تقدمنا، وتحررنا من شبكة العجز والاستكانة، وتجعلنا نقتحم آفاقا جديدة، تحملنا على نسج علاقة جديدة مع مفاهيم الحرية والنقد والتواصل والوطن. .

وعلى هدى هذه العلاقة الجديدة، وذات المضامين الحضارية والإنسانية، نخلق فضائنا النقدي، ونمارس تنوعنا وتعدديتنا، ونجسد حضورنا وشهودنا. .

والنقد لا يعني بأي حال من الأحوال التفلت من القيم ومحاسن العادات والأعراف، وإنما يعني استخدام إرادتنا والتعامل مع راهننا بتحولاته وتطوراته بما ينسجم والمثل العليا والضمير والوجدان. .

فالنقد المنضبط بضوابط الحكمة والمصلحة العليا، من وسائل التطور والتقدم. . لذلك ينبغي أن لا نخاف من النقد أو نرذله، وإنما من الضروري التعامل الفعال والإيجابي مع عمليات النقد عن طريق الآتي:

ثقافة جديدة:

١-من المؤكد أن تثمير النقد في عمليات التقدم الاجتماعي، بحاجة إلى ثقافة جديدة تدخل في النسيج الاجتماعي، قوامها قيم التسامح والحرية وحقوق الإنسان وحرية الرأي والتعبير. . فالنقد يتطور ويؤتي ثماره الإيجابية، حينما تسود ثقافة تسمح للجميع بممارسة حقائقهم وقناعاتهم، وتعطيهم حق التعبير عن آرائهم وأفكارهم. . فلا فعالية للنقد، بدون ثقافة تعتني بعملية الحوار وتنبذ كل خيارات الإقصاء والنبذ والعنف. . فبمقدار تواصلنا المعرفي وحوارنا الثقافي مع الآخرين، تتجلى فعالية النقد في الفضاء الاجتماعي. .

حيوية اجتماعية:

٢-لا يتطور النقد، ولا يعطي ثماره الإيجابية، إلا في فضاء اجتماعي يستوعب ضرورات النقد، ويوفر متطلبات استيعابه. .

فالحيوية الاجتماعية، ووجود أطر ومؤسسات وقنوات لتداول الرأي وممارسة النقد والمراجعة والتقويم، كلها عوامل تساهم في توظيف عملية النقد والمراجعة في تقدم المجتمع ورقيه الحضاري. .

لذلك فإن المطلوب من جميع الشرائح والتعبيرات الاجتماعية، أن تتحلى بسعة الصدر وحسن الظن والحكمة من أجل تثمير عملية النقد في البناء والعمران. .

حوار النخب:

٣-من البديهي القول: أن المشاكل في حد ذاتها لا تنشأ من وجود الاختلاف، ولا من وجود أنظمة للمصالح مختلفة، بل تنشأ من العجز عن إقامة نظام مشترك أو من تخريب هذا النظام من بعد إيجاده. .

وحوار النخب ينطلق من الاعتراف بالآخر كما هو شريكا مختلفا مع احترام هذا الاختلاف وفهم أسبابه واعتباره حافزا على التكامل لا داعيا إلى الافتراق، وقدرة نفسية وعملية تتطلب رؤية الذات من موقع الآخر، وقدرة على فهم الآخر بلحاظ اعتباراته ومعاييره الخاصة. .

فحوار النخب من الأطر الهامة، لاستيعاب عملية النقد والمرجعة، والانطلاق نحو تصحيح الأوضاع وتقويم الاعوجاج. . كما أن هذا الحوار من الخطوات الجوهرية التي تساهم في تأسيس نظام مشترك وصيغة فعالة وعملية للتنسيق والتعاون. .

وجماع القول: إننا لا يمكن أن نمنع النقد والتفكير الحر، وأن أي جهد يبذل في سبيل منعهما، يدخل الجميع في متاهات ودهاليز، لا تفضي إلا إلى المزيد من التدهور والدخول في معارك هامشية، تشتت الطاقات، وتبعثر الجهود، وتكثف من حالات التردد وجلد الذات. .

بينما المطلوب هو الإنصات الوعي لعملية النقد والتفكير الحر، واستيعاب القضايا الرئيسية المطروحة والمتداولة، وذلك لإحداث نقلة نوعية في مسيرة مجتمعنا ووطنا باتجاه أكثر حيوية وفعالية نحو التطلعات والطموحات المشروعة. .

وجمـاع القـول: إن إعـادة الاعتبـار إلـى الانسـان، هـو المدخـل الضـروري لتحويـل الإنسـان مـن طاقـة سـلبية لا إباليـة، إلـى طاقـة إيجابيـة – بنـاءه. . لذلـك عمـل الدكتـور علـي شـريعتي فـي مشـروعه الثقافـي والاصلاحـي، إلـى إعـادة الاعتبـار إلـى الانسـان، وعمـل علـى إزالـة كل الوقائـع التـي تحـول دون إنسـانية الانسـان. . وحينمـا يتمكـن الانسـان مـن إزالـة كل مـا يعيقـه، سـيتحول هـذا الانسـان إلـى فاعـل إيجابـي فـي هـذه الحيـاة..

ورؤيـة علـي شـريعتي فـي هـذا السـياق، قائمـة علـى تحريـر الانسـان مـن كل مـا يعيقـه مـن عوامـل نفسـية وموضوعيـة واجتماعيـة وسياسـية. . لأن الانسـان المحـرر مـن القيـود هـو القـادر علـى العطـاء والتميـز وصناعـة الفـرادة والتميـز. .

| الهوامش:

* باحث من المملكة العربية السعودية

كتـاب علـي شـريعتي الهجـرة إلـى الـذات، جميـل قاسـم، مركـز الحضـارة لتنميـة الفكـر الإسـلامي، الطبعـة الثانيـة بيـروت ٢٠١٥ م، ص ٣٤. .

مركز الحوار

حسين الجميل

الأمن المجتمعي

وتأثره بالشائعات

المقدمة

إذا أردنا الانغماس في موضوع متجدد ومهم مثل موضوع الإشاعات، خصوصا وأن الموضوع ذو أبعاد ومزايا متعددة كونه مرتبط بوجود الذات البشرية, وكيف ستؤثر هذه المفاهيم (الإشاعات ' الشائعة. . . . الخ) على أمن الفرد والمجتمع كونها تحمل في طياتها الكثير من الأفعال السلبية.

إن النفس الإنسانية على مر العهود و القرون جبلت على حب الجديد. فنرى أن غالبية الناس تستمع إلى الأحاديث اليومية لتعرف ما الجديد إما بالإنصات أو بالمشاركة فيه, ربما يكون هذا الحديث زائفاً أو صحيحاً أو خليطاً من هذا و ذاك المهم أنه كلام أو رواية أو قصة. . . الخ تتناقله أفواه الناس دون أن يعرفوا بدقة مصدر هذا الكلام، فيتداول العامة هذا الحديث الذي إن كان يحوي نسبة عالية من الصحة فسيصبح تقريباً خاوياً من الصحة نتيجة تداوله و إضافة و تحريف الناس له.

هذا الكلام المحرف المزيف هو ما يسمى بالشائعة ' الأدهى و الأمر إذا كان تسريب الشائعة عن طريق مصدر معادي سواء من خارج الوطن أو داخله ' لأنه في الغالب تكون الشائعة مدروسة قبل إطلاقها و يسهل أيضاً انتشارها و لكن يصعب علاجها و أضرارها أكبر لو أن مطلقها شخص عادي لا يقصد من ورائها الضرر بأنواعه المختلفة (أمني، سياسي، اقتصادي، اجتماعي. . . الخ) .

لذلك سوف نطرق في هذه الدراسة إلى مجموعة من المجالات ما بين التأثر والتأثير بسبب تشعبية الشائعات وتداخلاتها في العديد من مجالات الحياة المهمة خصوصا في مجالات (الأمن، الاقتصاد، الإعلام) .

أهمية الدراسة

تنطلق أهمية الدراسة من خلال الدور الذي تلعبه الشائعات في التدخل المباشر وغير المباشر في الكثير من المجالات المهمة المرتبطة بالحياة اليومية بالمجتمع، خصوصا ونحن في زمن تتسارع فيه الأحداث بسبب التطور السريع في مجال وسائل التواصل بدءاً من الصحف والفاكس واستمرار التطور إلى التلفزيون والراديو حتى زماننا هذا وسائل التواصل الاجتماعي (السوشيال ميديا) ، والقائمين في كل زمان يوظفون كل وسائل التواصل عبر الأزمان خدمتا لتحقيق أهدافهم المتعمدة غالبا وغير ذاك.

الفصل الأول / الإطار ألمفاهيمي للشائعة والأمن المجتمعي

تعددت المفاهيم والتعاريف حول مفهوم الإشاعة اصطلاحا ولغةً لذلك اقتضى التوضيح مابين المفهومين وكما في الآتي:

الإشاعة لغةً: مشتقة من الفعل "أشاع " أما الشائعة لغةً فهي اشتقاق من الفعل "شاع"

الشيء يشيع شيوعا وشياعا ومشاعا وضهر وانتشر ‘ ويقال شاع بالشيء
أما الشائعة: فهي الخبر الذي ينتشر ولا تثبت فيه.
الإشاعة من المنظور الإسلامي: حذر الإسلام من إشاعة الخبر الكاذب, ووصف (اللّه تعالى) مبتدع الإشاعة بمجموعة من الأوصاف فقال تعالى (يا أيها الذين امنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) وأما الكذب في قوله تعالى (إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات اللّه وأولئك هم الكاذبين) , وإما السامع أي المتلقي فقد أمره (اللّه تعالى) بالتثبت والتأكد مما يسمع وحذره من المسارعة في تصديق كل ما يبلغه فيقع في ندامة من أمره, قال تعالى (يا أيها الذين امنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) فكم من إشاعة أطلقها مغرض ومعها وصدقها متعجل أدت إلى تباغض الأخوان والأصدقاء وبالتالي حتى على مستوى المجتمع والأمم.
ويرى الباحث أن مفاهيم الإشاعة آو الشائعة تعددت مدلولاتها لو أردنا الغور في تلك المفاهيم لوجدنا لها معاني أخرى مثلا:

- الشائعة: هي ترويج لخبر مختلق لا أساس له من الواقع أو تعتمد المبالغة والتهويل أو التشويه في سرد خبر فيه جانب ضئيل من الحقيقة.
- الشائعة هي كل قضية أو عبارة نوعية قابلة للتصديق وتتناقل من شخص إلى أخر بالكلمة المنطوقة وذلك دون أن تكون هناك معايير للصدق.

الإشاعة من منظور نفسي:

هي عبارة نوعية أو موضوعية مقدمة للتصديق تتناقل من شخص إلى آخر وهي تعتمد على المبالغة من شخص إلى آخر في إخبار معينة والترويج لها ونشرها على نطاق واسع أو خلق إخبار لا أساس لها من الصحة.
كل ذلك بهدف التأثير على الرأي العام تحقيقا لأهداف سياسية أو اقتصادية أو عسكرية, لذلك تعتمد الإشاعات على نسج وصنع الخيال فقط وكذلك تجد الأرضية المناسبة لسهولة انتشارها بين الناس في الأزمات الاقتصادية والاجتماعية وفي زمن الحروب نظراً للحالة النفسية التي يعيشها الإفراد.
تعريف آخر للإشاعة: هي خبر أو مجموعة أخبار زائفة تنتشر في المجتمع بشكل سريع و تُتداول بين العامة ظناً منهم على صحتها.
دائماً ما تكون هذه الأخبار شيقة و مثيرة لفضول المجتمع والباحثين و تفتقر هذه الإشاعات عادةً إلى المصدر الموثوق الذي يحمل أدلة على صحة الأخبار. وتمثل هذه الشائعات جُزءاً كبيراً من المعلومات التي نتعامل معها.
الإشاعة: هي وسيلة أو أداة ذات حدين، فإذا أسيء استخدامها أتت بنتائج عكسية على صاحبها في حال اكتشافه ومعرفة أهدافه، ولتفادي ذلك يلجأ مطلقوها عادة لاستخدام أساليب متنوعة ومبهمة لترسيخ تطلعاتهم وأهدافهم دون وقوعهم في دائرة الشبهات.

ولابد من التطرق إلى المفهوم الثاني المهم ألا وهو مفهوم الأمن

كل المفاهيم التي تتناول معاني أو توضيحات لمفهوم الأمن يوجد هاجس كبير لدى المفكرين وصناع القرار على حد سواء، حيث مثل ضمان البقاء والأمن والاستمرار أولوية السياسة الداخلية والخارجية، وعلى الرغم من أنه مصطلح غامض إلا أنه مصطلح خلافي بالأساس غير أنه يبقى مفهوما بالغ الدلالة، وهو ما ذهب إليه رونى ليبشتز Ronnie D. Lipschutz في قوله: ”بوجود ليس فقط صراع حول الأمن بين الأمم بل أيضا صراع حول الأمن بين المفاهيم.

أولا-الأمن من المنظور الواقعي الكلاسيكي:

ترجع الجذور التاريخية للنظرية الواقعية إلى الفلسفة السياسية القديمة التي بحثت في أساس توسع الدول سواء بالتحالف مع الخصوم أو بالقضاء عليهم، وفي الحالتين الدولة مطالبة بتطوير قوتها لمواجهة التهديد المرتقب من الخصوم المباشرين، إذ يعتبر "كوتيليا" بأن دول التماس الجغرافي هي مشاريع أعداء محتملة، وفي وصفه لسلوك الدول فإنه يصنفها إلى دول محاربة وأخرى حيادية إذ يقول: " إن شعرت بتفوقك على خصمك لابد من شن الحرب، أما إذا شعرت بعدم القدرة على ذلك ولكنك تستطيع الدفاع عن نفسك فعليك التزام الحياد.

ومن خلال مقولته يعتبر كوتيليا بأن الدور الذي تلعبه القوة كمحرك أساسي للسلوكية الدولية أو السلوك السياسي الخارجي للدولة، ولذلك فإنه يرى ضرورة أن تتسلح الدول بعنصر القوة للدفاع عن نفسها، أو لغزو جيرانها أو لمواجهة أي عدوان محتمل عليها، وهو ما ذهب إليه مورغانثو حين إعتبر بأن: " السياسة الدولية ككل هي صراع من أجل القوة، ومهما تكن الأهداف النهائية للسياسة الدولية القوة هي دائما الهدف العاجل.

ثانيا-المنظور الواقعي الجديد للأمن:

تنص الواقعية الجديدة بأن الدول تعمل وفقا لمبدأ الحوافز المادية، وتعكس مواقفها مواقعها ضمن النظام الدولي، وعليه فالدول تسعى للحفاظ على مكانتها النسبية داخله، فكلما نمت قدرات دولة ما ازدادت مكانتها في تراتيبية السلطة وازداد نفوذها وتتحدد بنية النظام العالمي عبر هذا التوزيع للقدرات.

ويندرج مقترب الواقعي الجديد في تلك المقتربات التي تتناول سلوك الدولة من الزاوية العليا في تبنيها لمستوى تحليل تنازلي، فيما يعرف بمقترب النسق الدولي، ومفتاح فهم سلوك الدول وفق هذا المقترب هي الحوافز والقيود، كما أن الواقعية الجديدة تتفق مع الواقعية الكلاسيكية في دور الدولة وأهمية القوة وميزان القوى والمصلحة القومية هذه الأخيرة التي تسير السلوك الخارجي للدولة التي في مقدمتها تحقيق الأمن والبقاء، ويرى والتز (أن النظام الدولي يتميز بالفوضى وهو الذي يحدد سلوك الفاعلين فيه (الدول) والذين يحتلون نفس المركز خلافا للأنظمة السياسية الداخلية التي تحكمها الهرمية) ، فكل الدول تمارس الوظائف نفسها أي لا يوجد تقسيم للعمل بسبب غياب ثقة الدولة في الدول الأخرى.

ومن ابرز مقتضيات إقامة هذه الدراسة هو لا بد من وجود التعريف المناسب لأمن المجتمع.

الأمن الاجتماعي: يعرف الأمن بأنه مجموعة الإجراءات التي تتخذها الدولة في حدود طاقاتها أو إمكانياتها للحفاظ على كيانها، ومصالحها في الحاضر والمستقبل مع مراعاة التغيرات الداخلية أو الخارجية.

والأمن في أساسه السيكولوجي: هو الشعور بالهدوء والطمأنينة وبعيداً عن القلق والاضطراب وهو شعور ضروري لحياة الأفراد والمجتمع، ويعني اطمئنان الفرد على نفسه وأمواله وثقته باحترام حقوقه وإحساسه بالعطف والمودة للذين يحيطون به، ويتكون هذا الشعور عادة منذ الطفولة فمن نشأ عادةً على الخوف والرهبة كثيراً ما يحمل بقايا من تلك الرهبة طوال حياته، وما يطمئن الفرد هو انتشار الأمن في المجتمع.

أما الأمن في أساسه السيسيولوجي: فيعني غياب الخطر المادي أو الحماية ويعني أيضا الحماية من القلق النفسي فهو أذن يتضمن جانبين وهما توفير الحاجة والابتعاد عن الخوف، إذ إن الفرد يفقد شعوره بالأمن والطمأنينة عندما يواجه التهديد بالخطر سواء كان الخطر ناشئاً عن دوافع الأفراد التي لا يتمكن من السيطرة عليها، والتي تؤدي إلى حدوث صراعات داخلية أو ناشئا من

الظـروف الاجتماعيـة التـي يعيـش فيهـا الفـرد مثـل حرمانـه مـن حـب الأبويـن وعطفهمـا أو ناشـئا عـن الظـروف الحيـاة مثـل التعـرض للفشـل المتكـرر أو تدهـور الحالـة الاقتصاديـة. وتـرى (كارن هورنـي) إن أي شـيء يهـدد امـن الفـرد يثيـر فيـه القلـق، وأهـم مـا يهـدد أمـن الطفـل هـو الحرمـان مـن حـب الأبويـن فـي المرحلـة المبكـرة مـن حياتـه. وقـد حـدد (ماسـلو) العوامـل التـي تنتـاب الفـرد فـي حالـة فقـدان الأمـن هـي الشـعور بالرفـض أو النبـذ فـي المجتمـع والشـعور بالذنـب والرغبـة فـي العزلـة أو الخـوف مـن أحـداث الحيـاة وزيـادة مشـاعر الشـك والغيـرة والكـره وفقـدان احتـرام الـذات.

لـذا يمكـن القـول إن الأمـن الاجتماعـي يرتبـط ارتباطـا وثيقـا بعناصـر الحيـاة الاجتماعيـة بوصفـه يقتـرن بتوفيـر الحمايـة والطمأنينـة الشـاملة، بأبعادهـا الاقتصاديـة والسياسـية والاجتماعيـة والصحيـة والتعليمـة والثقافيـة والدينيـة والجنائيـة للمجتمـع، فهـو يسـتند إلـى توفيـر الحمايـة مـن خطـر الجـوع بمعنـى إن تحقيقـه يعتمـد علـى إشـباع الحاجـات الأساسـية للأفـراد والجماعـات، ويتـم ذلـك عـن طريـق حمايـة مـوارد الإنتـاج بمختلـف القطاعـات التـي تضـم المصانـع والمـزارع ومصـادر الطاقـة وطـرق المواصـلات والأمـوال العامـة والخاصـة، ويتـم حمايتهـا بوجـود قوانيـن تحفـظ وتنظـم عمـل رؤوس الأمـوال وتنميتهـا، وبهـذا تمكـن القطاعـات العامـة والخاصـة مـن القيـام بالبرامـج والمشـاريع التنمويـة البشـرية التـي تكـون بعـض مهامهـا توفيـر السـلع والخدمـات للأفـراد العامـة والجماعـات لإشـباع احتياجاتهـم.

الفصل الثاني / العلاقة التأثيرية للإشاعات على الأمن المجتمعي ومجالات أخرى

الشـائعات ليسـت وليـدة اليـوم بـل هـي موجـودة ومؤثـرة فـي اغلـب الحضـارات والثقافـات عبـر التاريـخ لأنهـا أحاديـث يوميـة يتناولهـا النـاس ولهـا أهـداف وأغـراض ووسـائل نقـل وحسـب المجتمـع والبيئـة التـي تسـود فيهـا، فبعـض المجتمعـات تسـود فيهـا مفاهيـم السـحر والخرافـة كمصـر والصيـن، وبعـض المجتمعـات تسـود فيهـا الفلسـفة مثـل اليونـان، والإشـاعة قديمـة بقـدم الجنـس البشـري.

ومنـذ القـدم عـرف رجـال الديـن ورجـال السياسـة ورجـال الحـرب الأقـوال والأفعـال التـي تدفـع الإنسـان وتحركـه، ففـي مصـر القديمـة اسـتخدمت الشـائعة في الحيلـة والخديعـة والمفاجئـة فـي الحـروب خاصـة فـي فتـح يافـا بفلسـطين.

وفـي الصيـن القديمـة اسـتخدم الشـائعات كثيـر مـن العرافيـن والعسـكريين، وفـي اليونـان القديمـة أيضـا اسـتخدموا الشـتائم والتشـهير للتأثيـر علـى الـروح المعنويـة علـى العـدو، ولقـد أدت الشـائعات إلـى مـوت سـقراط بتهمـة انـه كان يفسـد أخـلاق الشـباب فـي أثينـا ويدفعهـم إلـى التمـرد والعصيـان، وأكثـر مـن اسـتخدم الشـائعات بشـكل مثالـي هـم المغـول فـي العصـور الوسـطى وتعتبـر عامـل رئيسـي فـي انتصاراتهـم لمـا أحدثتـه فـي نفـوس المسـلمين.

المبحث الأول/ خصائص ومصادر الشائعات

أولاً: مصادر الشائعات وهي:

١. خبر من شخص
٢. مجلة
٣. جريدة
٤. إذاعة
٥. تلفاز

٦. رسالة نصية
٧. شريط مسجل
٨. شبكة الانترنت

ثانياً: خصائص الشائعات هي:

يمكن إن نوجز خصائص الشائعات في الأمور التالية:

- من السهل أن تنطلق الشائعات وليس من السهل أن تتوقف فالشائعة تسير بسرعة النار في الهشيم بل تسير بسرعة الصوت والضوء عن طريق الأقمار الصناعية في الوقت الحاضر.
- قد تكون الإشاعة صادقة، أي أنها تحتوي على معلومات حقيقية مثل (إشاعة حول زيادة رواتب الموظفين، استقالة مسؤول، ارتفاع في أسعار بعض المواد الاستهلاكية) .
- قد تكون الإشاعة كاذبة أو ترتكز على معلومات غير صحيحة.
- قد تكون صادقة وكاذبة في نفس الوقت، مثل ما تقوم به بعض الحكومات من تسريب أسماء محتملة وغير محتملة لشغل منصب معين، وذلك بهدف معرفة مدى قبول الناس لهذه الشخصيات، فالجانب الصادق في هذه الشائعة هو وجود أسماء حقيقية محتملة، والجانب الكاذب هو وجود أسماء غير محتملة.

هناك خصائص وسمات مهمة للشائعات لابد من تداولها وكما في الآتي:

- لا تنبع الشائعات من فراغ في الغالب، وقد تحمل جزءا من الحقيقية التي ترتبط بحدث معين يمنحها القوة عندما يكون هذا الحدث محورا مهما لدى الناس.
- من يروج للشائعة يملك القدرة على الانتقاء منها.
- تزول الشائعة بزوال الظروف التي أوجدتها وتستدعى من الذاكرة كلما توفرت الظروف التي أوجدتها مسبقا.
- تتبدل وتتغير أكثر من مرة، وفقا لمعطيات الزمان والمكان وفي صدد الظروف المعاشة.

ثالثا: أنواع الشائعات وبشكل عام يمكن تقسيم الشائعات المنتشرة في المجتمعات العربية إلى:

١. شائعة الرعب: تستخدم لبث الرعب في نفوس الجنود أو المدنين في الحروب وذلك بإرسال رسائل لهم بحيث تدفعهم هذه الشائعات إلى ترك القتال والهروب منه أوتدفعهم إلى اليأس من النصر وبالتالي يتمكن الجيش الآخر من إضعاف معنوياتهم والانتصار عليهم.
٢. شائعات تتعلق بالأمراض والأوبئة وانتشارها وخطورتها وتخويف الناس منها: وهي شائعات يتم تداولها بين الناس تتعلق بالتخويف من الأمراض والأوبئة مثل شائعة البطيخ الملوث بالإيدز والذي سيدخل مع الحدود للبلاد وكذلك الشائعة التي تتحدث عن وجود أناس يتعمدون وضع دبابيس أو أبر (ملوثة بالإيدز في مقاعد السينما بحيث يصاب من يجلس عليها بمرض الإيدز.
٣. شائعات سوء السيرة: يكون سببها العداوة بين شخصين أو الغيرة التنافسية في أي مجال مما يجعل أحد هؤلاء أو جميعهم يقوم بإطلاق الشائعات عن سوء سيرة الطرف الثاني.
٤. شائعة الشغب: وهي الشائعة التي عادة ما تكون شرارة أولية للمظاهرات وأعمال الشغب حيث يكون هدفها الدعوة لتجمع الجماهير للاعتراض على شئ ما غالباً غير صحيح ومن ثم يتطور الموضوع إلى مظاهرات ومشاجرات عنيفة.
٥. شائعة جس النبض الجماهيري: تستخدم لرصد فكرة الجمهور عن موضوع معين أو معرفة الرأي العام ومدى تقبله لموضوع ما حيث يتم إطلاق هذه الشائعة ورصد ردة فعل

الـرأي العـام وكيفيـة تعاملـه مـع هـذا الموضـوع.

٦. شـائعة حـرب الأعصـاب: تهـدف إلـى زيـادة حـدة التوتـر والقلـق لـدى الجمهـور المسـتهدف بهـدف التأثيـر عليـه ومثـال ذلـك مـا يحـدث فـي المباريـات الرياضيـة والحديـث عـن عـدم تواجـد أحـد اللاعبيـن المشـهورين فـي تشـكيلة الفريـق للمبـاراة المصيريـة ممـا يـؤدي إلـى احتقـان الجماهيـر.

٧. الشـائعات الاندفاعيـة: وهـي التـي تنتشـر انتشـار اللهـب فـي الهشـيم لأنهـا تتعلـق بوعيـد أو وعـد مباشـر لذلـك أنهـا تجتـاح المجتمـع فـي وقـت مذهـل وتنطـوي علـى إشـاعات العنـف أو الحـوادث أو الكـوارث.

٨. شـائعات شـخصية: يسـعى مروجوهـا إلـى تحقيـق مكاسـب شـخصية للحصـول علـى مراكـز مرموقـة ولذلـك فأنهـا تعـد مـن الشـائعات الحالمـة، مثـلا يـروج عميـد كليـة عـن نفسـه بأنـه مرشـح لمنصـب رئيـس جامعـة.

٩. الشـائعات القوميـة: وهـي الشـائعات التـي تـدور حـول القضايـا القوميـة العامـة والأزمـات التـي تواجههـا وعوامـل التدهـور والانحطـاط ونواحـي القـوة والقـدرة.

ويـرى الباحـث إن أنـواع الإشـاعات جمـة وليـس هنـاك متسـع فـي هـذا البحـث لتناولهـا كلهـا، واقتصـر القـول والتطـرق لهـذه المجموعـة مـن الأنـواع بهـدف توضيـح مزايـا الشـائعات كيـف تسـير مـن ناحيـة تكوينهـا وطـرق حدوثهـا وتأثيراتهـا ونوايـا القائميـن عليهـا أو بهـا أفـراد أو جماعـات.

المبحث الثاني / الإشاعات كوسيلة للحرب النفسية وزعزعة التكامل الاجتماعي واستقرار الدولة.

تعتبـر الإشـاعات احـد افتـك الحـروب النفسـية, حيـث يعمـد صانعوهـا إلـى تخطيـط بعيـد وقصيـر المـدى بهـدف خلـق الظـروف الملائمـة لإضعـاف العـدو امنيـا وخلـق الثغـرات والنعـرات الداخليـة فـي أوسـاط المجتمـع وخلـق الفتـن وتمزيـق المجتمـع ممـا يـودي إلـى زعزعـة التكامـل الاجتماعـي وعـدم الثقـة بيـن الأفـراد.

وفـي مجـال التطبيـق العملـي لاسـتخدام الشـائعات فـي الحـرب النفسـية تسـتوقفنا اكبـر شـائعة عرفهـا التاريـخ وهـي (ادعـاء إسـرائيل بـأن فلسـطين هـي موطنهـم) التـي اسـتطاعت مـن خـلال ذلـك إن تزيـف التاريـخ وتجـذب المهاجريـن إليهـا.

وان مـا حـدث لليهـود علـى يـد هتلـر هـو لاسـتدرار عطـف العالـم علـى أن يعيـش اليهـود بسـلام فـي موطنهـم فلسـطين, وكذلـك ادعـاء أميـركا لبعـض دول العالـم الثالـث بامتـلاك أسـلحة الدمـار الشـامل مثـل (العـراق ٢٠٠٣) بعـد أحـداث ١١ سـبتمبر إن الإسـلام مصـدر الارهـاب بالعالـم وتبريرهـم للقيـام بعمليـات اسـتبقاية علـى منابعـه بالعالـم.

ومـن هنـا يـرى الباحـث ببصيرتـه المتواضعـة يـرى الباحـث إن الـدول المتحكمـة بطبيعـة النظـام السياسـي العالمـي أو الـدول المهيمنـة تسـتخدم الشـائعات فـي غالـب تحركاتهـا التوسـعية سـواء كانـت تحركاتهـم عسـكرية أو اقتصاديـة أو ثقافيـة إلـى بقيـة المجـالات كتبريـر لتواجدهـم فـي بلـد مـا أو مجـال مـا أو منطقـة مـا حتـى ولـو علـى حسـاب الشـعوب.

المبحث الثالث / أثر الشائعات على الأمن المجتمعي

الإشـاعة هـي سـلوك عدوانـي ضـد المجتمـع وتعبيـر عـن بعـض العقـد النفسـية المترسـبة فـي العقـل الباطـن وهـذا السـلوك العدوانـي قـد ينجـم عنـه أفعـال مباشـرة وقـد يتحـول إلـى نـوع مـن الشـذوذ فـي القـول والعمـل ولعـل ابـرز أنـواع الشـائعات هـي

مـا يتعلـق بأمـن النـاس لأنـه يتركهـم فـي دوامـة القلـق ويؤثـر علـى مجـرى حياتهـم ولان إطـار الوطـن اشـمل واعـم فـان الوضـع الاقتصـادي والاجتماعـي للفـرد الأكثـر تأثـرا بالشـائعات فهـي تمسـه بشـكل مباشـر إذا تعرضـت لمقومـات حياتـه الاقتصاديـة والاجتماعيـة.

وتـزداد خطـورة الشـائعات علـى المجتمـع إذ لـم تسـتطع الحكومـة مواجهتهـا وتفنيدهـا أولا بـأول واطـلاع المواطنيـن علـى الحقائـق التـي تحـاول الشـائعات طمسـها وتزويرهـا، وكلمـا أمكـن توعيـة المواطنيـن واطلاعهـم تلـك الحقائـق كلمـا أمكـن الحفـاظ علـى الجبهـة الداخليـة متماسـكة متراصـة الصفـوف مـن خـلال بعـث الثقـة والاطمئنـان بالنفـس، والجبهـة الداخليـة القويـة لا تتأثـر بالشـائعات وذلـك لان الشـائعات لا يمكـن أن تختـرق جـدار الثقـة التـي تحكـم الجبهـة الداخليـة فـي نسـيج قـوي ومتماسـك. لان هـذه الجبهـة ومـن خـلال والعمـل علـى ترسـيخ مفهـوم الانتمـاء الوطنـي تصبـح أكثـر قـوة علـى التصـدي للشـائعات وتجاوزهـا، والممارسـات التـي تـؤدي إلـى ترسـيخ مفهـوم الانتمـاء الوطنـي لا يمكـن إلا أن تكـون مبنيـة علـى الثقـة بيـن أفـراد المجتمـع بـكل فئاتـه حيـث لا فـرق بيـن مواطـن مسـئول ومواطـن عـادي لان شـرف الانتمـاء إلـى الوطـن ومـا يترتـب علـى ذلـك مـن واجبـات وحقـوق أمـر لا يقتصـر علـى احـد دون سـواه مـن أبنـاء الوطـن.

وعندمـا يفقـد الوطـن خاصيـة الإدراك والوعـي وثوابـت الاسـتقرار كالأمـن، الديـن، القيـم، فأنـه بطبيعـة الحـال سـيتأثر وسـتتعرض جبهتـه الداخليـة إلـى هـزات عنيفـة ربمـا أدت إلـى نشـوب مخاطـر يصعـب معالجتهـا، ولذلـك تختلـف المجتمعـات فـي درجـة تأثرهـا بالشـائعات بحسـب درجـة ثقافـة الأفـراد ووعـي المجتمـع وحجـم العلاقـة والوظائـف بيـن المؤسسـات وعمـق المفاهيـم والقيـم داخـل الأسـرة، فالمجتمعات المتخلفـة مـن البيئـات الصالحـة لانتشـار الشـائعات كمـا إن غيـاب المعلومـة وبعـد الأفـراد عـن مصادرهـا أو المسـاهمة فـي اتخـاذ القـرار كل ذلـك يحـدد درجـة التأثـر بهـا.

لذلـك هنـاك اثـر بالـغ للشـائعات علـى طبيعـة المجتمـع كأفـراد وكمتغيـرات, الآثـار المترتبـة علـى إطـلاق الشـائعات فـي المجتمـع كثيـرة ومتنوعـة حسـب المجتمـع ودرجـة تماسـكه وتفككـه وكذلـك درجـة الوعـي والمسـتوى العلمـي لـدى أفـراده ومسـتوى تواصـل الأفـراد مـع صنـاع القـرار وقدرتهـم علـى كشـف الغمـوض الـذي تسـببه نقـص المعلومات وبالتالـي تنتشـر الشـائعة, ولا يخفـى علـى أي شـخص الأثـر البالـغ لإطـلاق الشـائعات علـى الأفـراد فـي المجتمـع ولـو علـى سـبيل المـزاح وسـنعرض بيـن أيديكـم بعـض مـن هـذه الآثـار وكمـا يأتـي:

١. الفـرد الـذي يعيـش فـي مجتمـع تنتشـر فيـه الشـائعات بكثـرة يكـون معرضـا للأمراض النفسـية والاجتماعيـة التـي تسـيطر عليـه وخصوصـا الشـائعات الموجهـة, حيـث إنهـا تركـز علـى ميـول الإنسـان واحتياجاتـه ورغباتـه وقـد تسـيطر علـى علـى توجهاتـه العقليـة والنفسـية والاجتماعيـة.
٢. انتشـار الشـائعات يـؤدي إلـى شـيوع الأمـراض النفسـية فـي المجتمـع ويولـد لـدى البعـض الغـل والحقـد والكراهيـة ويـؤدي بالتالـي إلـى ضعـف الروابـط المجتمعيـة والأسـرية ويكـون المجتمـع بيئـة مهيئـة إلـى انتشـار الشـائعات.
٣. يـؤدي انتشـار الشـائعات فـي المجتمع إلـى تفكك المجتمـع وشـعور الأفـراد فيـه بالخطـر خصوصـا لـو كانـت الشـائعة تمـس العقيـدة والقيـم والبنيـان المجتمعـي ممـا يـؤدي إلـى انهيـار أو تزعـزع قيـم الفـرد وتكاملـه مـع الأفـراد الآخريـن داخـل المجتمـع.
٤. الشـائعة وخصوصـا الموجهـة مـن جهـات خارجيـة تـؤدي إلـى تدميـر النظـام ألقيمـي للمجتمـع مثـل (الصـدق' الأمانة'الإيثار'التكافل'غيـاب الشـعور بالمواطنـة. . . الـخ) ممـا يـؤدي بأثـر كبيـر علـى المجتمـع وضعـف القـدرة علـى الصمـود

بوجه هذه الشائعات.

٥. يعتبر انتشار الشائعة في المجتمع وسيلة لانتشار تدني المعنويات وبالتالي قد يؤدي إلى أثارة نوع من الشك في المجتمع وعلى المدى البعيد قد لايثق الشخص بأي معلومة تدور في المجتمع حتى لو كانت صحيحة لعدم توضيح الحقائق عن الشائعات السابقة.

٦. للشائعة تأثير كبير على الأمن لأنها تترك الأفراد يعيشون في دوامة القلق وتؤثر على مجرى حياتهم وخصوصا الوضع الاقتصادي والاجتماعي والأمني وذلك في حالة عدم وجود الوعي ألازم والإدراك المطلوب.

المبحث الرابع / الشائعات والبعد الاقتصادي

الشائعة وباء اجتماعي وظاهرة مدمرة وتنشأ لتزامن عدة أسباب متلازمة ومكملة لبعضها مثل انعدام المعلومات وندرة الأخبار بالنسبة للجماعة وغالبا ما نجد أن الشائعة تحتوي على جزء من الأخبار أو الحقائق لكن بعد ترويجها تحاط بأجزاء خيالية حيث يصعب فصل الحقيقة عن الخيال, وتنشأ الشائعة الاقتصادية نتيجة لعدة عوامل وكما يأتي:

أولا/: الأزمات الاقتصادية والتجارية المشتركة:

يجب أن يكون هناك أزمة معينة لجعل الناس مهيئين لاستقبال الشائعة مثل فترات الحروب والكوارث الطبيعية والأزمات المالية والاقتصادية والأحداث والتحولات الاجتماعية الكبرى، فأن زمن الحروب هو انسب وقت لبث الشائعات ونشرها، إذ يكون الأفراد في حالة استعداد نفسي لتصديق الكثير من الأخبار والأقاويل التي يسمعونها نظرا لحالة التوتر النفسي التي يعيشونها.

ثانيا /: المنافسة غير المشروعة بين الشركات:

انتشار صور المنافسة التجارية غير المشروعة, وما يصاحبها من فساد الذمم وضعف النزاهة مع التطور الهائل في العمليات التجارية والإقبال المتزايد على الشراء وإبرام العقود التجارية والبحث على السلع ذات الجودة العالية.

إذ تقوم شركة ما بنشر إشاعة بقصد الإساءة والتشهير بشركة منافسة أخرى أو للتحذير من منتجاتها أو لتدمير المركز المالي لها بنشر قصة ملفقة تبين سوء التخزين أو رداءة المنتج أو لايحمل مواصفات عالمية في الإنتاج.

ثالثا /: الرغبة الشخصية بالاستماع إلى الشائعة:

وهي عادة نفسية تتمثل برغبة الأفراد في تتبع الأخبار ومراقبة الأحداث والبحث عن المعلومات النادرة, كونه متهيئ لتلقي الشائعات والمساهمة بنشرها بعد إن يتم سردها وربطها بأحداث سابقة أو قريبة من الشائعة ليقوم بجذب المتلقي ويحاكي أفكاره واختلاق أعذار مناسبة لتصديقها.

رابعا /: التقاضي القانوني:

غيابا لرقابة القانونية الصارمة والعقاب الرادع لمروجيها من قبل الجهات الرسمية, وغالبا ما تكون هناك جهات مستفيدة وأخرى متضررة من الإشاعات الجارية مثل التجار.

ونرى بان مهما كانت أسباب الإشاعة الاقتصادية فأن لها انعكاسات سلبية تؤثر على التنمية الاقتصادية وبالتالي فان المسؤولية الوطنية تتطلب إيجاد حلول عملية لمقاومتها ومحاولة التغلب على الظروف التي وضعتها, وان لايتم اتخاذ اجاراءات مستعجلة بل يجب الهدوء ودراسة الإشاعة دراسة متأنية والتفكير في إيجاد طرق عملية ايجابية لحل المشكلة ومن ثم البدء باتخاذ الإجراءات

السـليمة للتصـدي لهـا.

الفصل الثالث / الحلول والمعالجات

كمـا سـبق الذكـر فـي مضاميـن البحـث المختصـر لهذا المفهـوم أو المفاهيـم البالغـة الضـرورة الإشـاعات بأنواعهـا بأشـكالها بتصنيفهـا تحتـاج صارحتـا إلـى وقفـه فعليـة فـي التعامـل معهـا عمليـا للحـد مـن انتشـارها ‘ وإلا هـي اخطـر مـن أي وبـاء أو حـرب ممكن أن تحـدث فـي الشـعوب داخلهـا أو مابيـن الـدول, كونهـا مفاهيـم غيـر واضحـة فـي تطبيقاتهـا وغيـر واضحـة مصداقيتهـا لذلـك اقتضـت الحلـول المناسـبة, ومـن الجديـر بالذكـر ارتـأى الباحـث أن يكـون الـدور الرئيسـي للأعـلام ودوره فـي المواجهـة كجـزء أساسـي فـي الحلـول والمعالجـات.

أيـا كانـت الأدوار التـي تقـوم بهـا وسـائل الأعـلام فـي المجتمـع، ومهمـا كانـت الوظائـف التـي تقـوم بهـا، إلا أن الوظيفـة الأهـم هـي الحفـاظ علـى النسـيج الاجتماعـي مـن التفتيـت، سـواء كان ذلـك عبـر الدعـوات الطائفيـة، أو الاثنيـة، إلـى جانـب الحفـاظ علـى السـلم المجتمعـي أو زعزعـة الأمـن العـام.

ولكـي تتمكـن وسـائل الإعـلام مـن لقيـام بدورهـا فـي الضبـط الأجتماعـى وتوحيـد الجهـود المجتمعيـة، لابـد لهـا مـن القضـاء علـى المخاطـر التـي تهـدد هـذه الوحـدة الاجتماعيـة والقضـاء عليهـا فـى مهدهـا ‘ ومنهـا الشـائعات، وهـى التـي تسـرى فـي المجتمعات مسـرى النـار فـي الهشـيم.

فمثلمـا يقـوم الإعـلام بنشـر الشـائعات علـى نطـاق واسـع، كذلـك يسـتطيع مكافحـة تلـك الشـائعات والقضـاء عليهـا إذا مـا اسـتطاع القائمـون علـى شـئون الإعـلام بتوجيـه الأخبـار توجيهـا صحيحـا، مـن خـلال اسـتخدامها كأداة للتأثيـر وخلـق الانطباعـات الايجابيـة.

فـا ألأخبـار سـلاحا ذا حديـن: تقـوم بنشـر الشـائعات فـي حالـة تحريفهـا، أو التعتيـم عليهـا، أو إيـراد نصـف الحقيقـة مـن خلالهـا، أو تفسـيرها تفسـيرا مغرضـا. كمـا يمكـن لهـا أن تكـون أداة لمكافحـة الشـائعات عندمـا تحافـظ علـى معاييـر الصـدق.

ومـن ثـم فـإن مكافحـة الشـائعات بوسـائل الإعـلام المختلفـة؛ لا تتـم إلا مـن خـلال العمـل الإعلامـي الناجـح المسـتند علـى العلـم، وفـق أسـس مدروسـة، وتخطيـط محكـم وبرامـج مثمـرة، ونشـر المعلومـات الصحيحـة، فضـلا عـن الـدور الهـام لوسـائل الإعلام من خـلال زيـادة وعـى الجمهـور وبنـاؤه ثقافيـا، فالوعـي هـو العنصـر الفاعـل فـى مواجهـة الشـائعات، وهـو الـذي يجعـل الجمهـور قـادرا علـى التمييـز والانتقـاء مـن بيـن مـا يتعـرض لـه مـن عشـرات الأحـداث اليوميـة.

وإذا أردنـا توضيـح المعالجـات والحلـول لابـد لنـا مـن المـرور عبـر بوابـة مهمـة الا وهـي مراحـل الإشـاعة ‘ وهـي كمـا يأتـي:

تمر الإشاعة بثلاث مراحل وأطوار مهمة منها:

** مرحلة الولادة والظهور:

خـلال هـذه المرحلـة يتـم إنتـاج الإشـاعة وانتشـارها، ويقـوم مروجـو الإشـاعات سـواء مـن الداخـل أو مـن الخـارج باختيـار الوقـت المناسـب لحاجـة النـاس إلـى المعلومـات والأخبـار، فيطلقـون الشـرارة الأولـى للإشـاعة، وحسـب طبيعـة الهـدف منهـا يكـون نوعهـا، فـإذا كانـت بهـدف زرع بـذور الفتنـة والكراهيـة مثـلا بيـن الأفـراد والجماعـات أو بيـن الأقليـة والأغلبيـة مـن السـكان أو بيـن السـلطة والجماهيـر، فإنهـا سـتكون مـن النـوع الاسـود المدمـر. ويكـون مصدرهـا غالبـا الأعـداء سـواء مـن داخـل أبنـاء البلـد أو مـن الأعـداء فـى الخـارج.

** مرحلة الانطلاق:

وتبـدأ فـي الانتشـار بيـن النـاس ويلعـب أغلـب النـاس دورا فـى الإشـاعة سـواء بالترويـج لهـا عـن طريـق الحديـث والروايـة أو بالاسـتماع والعليـق والتفسـير سـلبا أو إيجابـا. ويتخـذ الانتشـار والشـيوع للإشـاعة

عدة صور وأشكال، فهي قد تكون بطيئة، أي تزحف وتحبوا ببطء فيتناقلها الناس همسا وبطريقة سرية إلى أن يعرفها الجميع فى نهاية المطاف, وقد يكون انتشار الإشاعة سريعا فتنتشر انتشار النار فى الهشيم أو تكون بسرعة البرق والصوت، وبخاصة فى حالات الحروب والكوارث، حيث تتسابق الأحداث، ويتزايد اهتمام الناس بالأخبار ويترقبون الجديد منها.

و قد يتخذ الانتشار شكلا دوريا حيث تظهر الإشاعة فترة ثم تغطس، أو تكمن فترة أخرى ثم تظهر من جديد، وذلك عندما تسمح الظروف بذلك، ويكون الموقف مشابها للموقف الأول، وهذا يعنى أن الإشاعة تبقى مخزونة في ذاكرة مروجيها ثم تعود لترويجها مرة أخرى بعد فترة الكمون ذلك.

ومن أمثلة ذلك تلك الإشاعة التي ظهرت في أمريكا عام (١٩٨٥) م والتي

تقول: بأن بعض الأمريكيين، والأوروبيين، والاسرائيليين، يخطفون الأطفال من أمريكا اللاتينية، ويذبحونهم من أجل استخدام أعضائهم فى عمليات زرع لأفراد آخرين، ولكن هذه الإشاعة لم يتم تناقلها من قبل وسائل الإعلام مما أدى إلى اختفائها، غير أنها عادت إلى الظهور فى عام (١٩٨٧) م تناقلتها الصحافة العالمية ومحطات الإذاعة فى أكثر من (٥٥) دولة فى العالم، وقد استمر عمر هذه الاشاعة منذ والدتها حتى نهايتها ثلاث سنوات.

** مرحلة الاندثار:

وهى المحطة النهائية والأخيرة لعملية انتشار الإشاعة، فكل إشاعة مهما طال عمرها مآلها إلى الزوال والفناء، فبعض الإشاعات قد تحيى ساعات أو أيام أو شهور أو سنوات وقد تستمر عدة قرون ومن الإشاعات التي عاشت قرونا عدة بعض الإسرائيليات الموجودة فى بعض كتب التراث الاسلامى، مثل إشاعة صلب المسيح عليه السلام لدى المسيحيين من قبل اليهود فى حين أن الحقيقة تقول إن الله تعالى قد رفعه إليه كما أخبرنا القرآن الكريم.

ويتفق علماء النفس والاجتماع والأعلام وأيضا خبراء الأمن الذين هم بالأصل نتاج او مجموعة من هؤلاء على إن هناك طرق لمكافحة الإشاعة كي يتم معها بالطرق المناسبة والحد من تأثيرها على أمن الفرد والمجتمع وكما يأتي:

- تحليل الإشاعات من خلال إجراء ما يعرف باسم « عيادة الشائعات» من خلال
- تعيين لجنة فحص تقوم بتحديد الوقائع والأحداث المرتبطة بموضوع الشائعة، وكتابة تقرير تدحض فيه مثل هذه الوقائع والأحداث.
- استغلال وسائل الإعلام المختلفة لكشف زيف الشائعات، بالاستعانة بخبرات تكون مهمتهم تناول مضمون الشائعات والعمل على تحليلها وبيان أوجه التناقض فيها.
- استخدام الملصقات التي تصور الشائعة على أنها مصدر إعلام يخدم العدو من شأنه أن يؤدى إلى إحجام الناس عن ترويج الشائعات.
- استخدام النشرات والكتيبات المطبوعة كوسائل لنقل الأخبار.
- استخدام الأفلام السينمائية والتلفزيونية لمحاربة مخاطر الشائعات. تلك الطريقة التى استعملها الحلفاء لمدة سنتين خلال الحرب العالمية الثانية، ثم نبذوها بعد أن استطاعوا تبديل هزائمهم إلى انتصارات حربية، وبذلك اختفت الشائعات السوداء من تلقاء نفسها، وكانت هذه الطريقة تعتمد على تخصيص عمود فى صحيفة يومية لتحليل الشائعات تحليلا نفسيا ومنطقيا لتفنيدها بطريقة عملية وبحجج قوية.

** تكذيب الشائعة: وهو من الطرق الناجحة فى مكافحة الشائعات، وأكثرها شيوعا غير أنه لا يكتب لها النجاح إلا إذا استندت على أساسين:

- - عدم تكرار الشائعة نفسها عند تكذيبها

باستخدام الألفاظ نفسها التي استخدمت فيها وإنما يجب الاقتصار على الألفاظ المقتضبة الدالة عليها.

- - قيام شخصية لها مكانتها الاجتماعية أو السياسية أو العسكرية بتكذيبها ويستحسن أن يكون ذلك من خلال التلفزيون وليس الراديو لأن المستمع سيكتفي بسماع الشائعة في الراديو ثم يهمل سماع التكذيب.

** قتل الشائعة بشائعة أخرى أكبر منها حجما:
وهى الطريقة التي استخدمها النازيون على نطاق واسع خلال الحرب العالمية الثانية، فعندما انتشرت الشائعات عن قيام هتلر بإعدام معظم قادة النازية عام (١٩٤٣) م، لاتهامهم بالمؤامرة ضده. قام (جوبلز) بمناورة مشورة، فقد أضاف إلى الشائعة المعروفة ما هو أشد فظاعة، فأوعز إلى أجهزة الإعلام أن تذيع خبر مقتل هتلر نفسه، فضرب الشائعة الصغيرة بشائعة كبيرة ألفها وروجها وكذبها بأسلوبه الخاص.

الأسلوب الأمني في مواجهة الشائعات

حددت دراسة حديثة ثلاث توصيات لصياغة رسائل تصحيحية أكثر فاعلية في مواجهة انتشار المعلومات المضللة، تضمنت مشاركة الإعلام والجمهور وصانعي القرار.
اعتمدت الدراسة -التي أجراها فريق بحثي من جامعتي إلينوي وبنسلفانيا الأمريكيتين- على منهجية التحليل التجميعي أو البعدي -Meta analysis، التي تقوم على التقييم المنهجي لدراسات سابقة تناولت الموضوع نفسه واستخلاص نتيجة عامة منها، وقد شملت بالتحليل ٢٠ تجربة تضمنت ٦٨٧٨ مشاركًا، وهي التجارب التي أُجريت بين عامي ١٩٩٤ و٢٠١٥.
تَقصَّت الدراسة -التي نشرتها دورية جمعية العلوم النفسية- العوامل الكامنة وراء فاعلية الرسائل التي تسعى لتقويم السلوكيات والمعتقدات التابعة لتلقِّي المعلومات المضلِّلة، نظرًا لما يؤدي إليه تلقِّي مثل هذا النوع من المعلومات من قرارات مستقبلية خطأ يصعب تصحيحها.
وارتكزت الدراسة على ثلاثة متغيرات رئيسية، هي: التضليل، والتصحيح، وقدرة المعلومات المضلِّلة على الاستمرار، وتوصلت إلى أن قدرة المعلومات المضلِّلة على مقاومة رسائل التصحيح تزداد حينما يولِّد الجمهور أسبابًا تدعم المعلومات المضلِّلة التي حصلوا عليها أولاً.
كما توصل الفريق البحثي إلى نتيجة مفاجئة، وفق وصفه؛ إذ ارتبط تقديم رسالة تصحيحية مفصلة إيجابيًّا مع مُعامل التصحيح ومع مُعامل استمرار التضليل أيضًا، أي أن الرسائل التصحيحية استطاعت التقليل من مصداقية المعلومات المضللة غير أنها لم تستطع وقف انتشارها.
وأشار فريق البحث إلى أن «ذلك قد يعود إلى أن عينات رسائل التضليل في الدراسات التي خضعت للتحليل كانت طويلة ومفصلة أيضًا على نحوٍ مَنَحها قدرةً على مقاومة التصحيح».

التوصيات:

وانتهت الدراسة إلى ثلاث توصيات لصانعي القرار:
الأولى: بعدم منح الفرصة لإثارة الجدل والنقاشات الداعمة للمعلومات المضللة.
الثانية: بأن تتضمن رسائل التصحيح معلومات مفصلة وجديدة دون الاكتفاء بمجرد تكذيب المعلومة المضللة.
الثالثة: إشراك الجمهور في مكافحة المعلومات المضلِّلة ونشر الوعي.
تقول سالي تشان -الأستاذ المساعد بقسم علم النفس في جامعة إلينوي، والباحث الرئيسي في الدراسة- لـ»للعلم»: «إن الحسابات الإخبارية لا ينبغي أن تعيد بث المعلومات المضللة ولا تكرارها، ولا مناقشة حجج وأفكار داعمة لها؛ إذ إن ذلك يساعد في بناء بيئة داعمة للتضليل».
وتوضح أن «مواجهة التضليل يجب أن تتضمن تقديم معلومات وأدلة جديدة دون الاكتفاء بوصف المعلومات الأولى بـ»عدم الصحة»؛ إذ تقل احتمالات قبول الناس لرسائل التصحيح إذا جرت بوضع لافتة «غير صحيح» على تلك المعلومات دون مواجهتها بدليل جديد».
وتضيف تشان لـ»للعلم»: من المفيد أن يكون الجمهور جزءًا من عملية توليد الحجج المضادة للتضليل، كما يجب على المؤسسات التعليمية تعزيز حالة من «التشكك الصحي»، فيما تضطلع وسائل الإعلام -وكذلك صانعو القرار- بتشجيع الجمهور على الانخراط في «مشاركة مفعمة بالأفكار»، مثل كتابة التعقيبات وتوجيه الأسئلة وإدارة المحادثات.
وتضيف تشان: الحد من المعلومات المضلِّلة أمر صعب حتى مع استخدام رسائل التصحيح المفصلة، وفق ما توصلت إليه الدراسة، ما يجعل من الضروري إجراء مزيد من الأبحاث المستقبلية لفهم أسباب استمرار التضليل، وكذلك نظريات المؤامرة وارتباطها بمُخرَجات الاتجاهات والسلوك.

غرف صدى الصوت

وإذا كانت تلك الدراسة قد اتخذت مدخلاً نفسيًّا للتحليل، فقد سبق أن قدمت (فابيانا زولو - الباحثة بكلية آي إم تي) التكنولوجية بمدينة لوكا الإيطالية- دراسةً متخصصة في انتشار المعلومات المضللة عبر فيسبوك، استخدمت فيها الأساليب الحاسوبية المتقدمة لتحليل البيانات الضخمة، إذ أخضع فريق البحث ٥٤ مليون مستخدم للشبكة الاجتماعية من يناير ٢٠١٠ إلى ديسمبر ٢٠١٤، للتحليل الآلي الكمي؛ بهدف المقارنة بين المستخدمين الذين اعتادوا استهلاك معلومات علمية، والمستخدمين المستهلكين لمعلومات غير علمية مثل تلك ذات الطابع التآمري، من حيث تفاعلهم مع أكثر من ٥٠ ألف منشور تصحيحي.
وتوصلت الدراسة إلى وجود ما سمَّته الدراسة «غرف صدى الصوت»، والذي تقصد به تلك المجتمعات التي تحمل سمة موحدة ويتفاعل أعضاؤها المتوافقون بعضهم مع بعض فيما اعتبره الباحثون نوعًا من القبلية الرقمية، وأسفر التحليل عن أن مستهلكي المحتوى العلمي كانوا أكثر تفاعلاً مع رسائل التصحيح، فيما حقق الفريق الآخر معدل تفاعل أقل أعقبه معدل مرتفع من التعقيب وإبداء الإعجاب في المنشورات التآمرية.

. وقد شملت بالتحليل ٢٠ تجربة تضمنت ٦٨٧٨ مشاركًا، وهي التجارب التي أُجريت بين عامي ١٩٩٤ و٢٠١٥.
تقول سالي تشان -الأستاذ المساعد بقسم علم النفس في جامعة إلينوي، والباحث الرئيسي في الدراسة- لـ»للعلم»: «إن الحسابات الإخبارية لا ينبغي أن تعيد بث المعلومات المضللة ولا تكرارها، ولا مناقشة حجج وأفكار داعمة لها؛ إذ إن ذلك يساعد في بناء بيئة داعمة للتضليل».
وتوضح أن «مواجهة التضليل يجب أن تتضمن تقديم معلومات وأدلة جديدة دون الاكتفاء

بوصم المعلومات الأولى بـ»عدم الصحة»؛ إذ تقل احتمالات قبول الناس لرسائل التصحيح إذا جرت بوضع لافتة «غير صحيح» على تلك المعلومات دون مواجهتها بدليل جديد».

وتضيف تشان لـ»للعلم»: من المفيد أن يكون الجمهور جزءاً من عملية توليد الحجج المضادة للتضليل، كما يجب على المؤسسات التعليمية تعزيز حالة من «التشكك الصحي»، فيما تضطلع وسائل الإعلام -وكذلك صانعو القرار- بتشجيع الجمهور على الانخراط في «مشاركة مفعمة بالأفكار»، مثل كتابة التعقيبات وتوجيه الأسئلة وإدارة المحادثات.

وتضيف تشان: الحد من المعلومات المضلِّلة أمر صعب حتى مع استخدام رسائل التصحيح المفصلة، وفق ما توصلت إليه الدراسة، ما يجعل من الضروري إجراء مزيد من الأبحاث المستقبلية لفهم أسباب استمرار التضليل، وكذلك نظريات المؤامرة وارتباطها بمُخرَجات الاتجاهات والسلوك.

بناء الثقة مع الجمهور العام

ويعقب الدكتور خالد حنفي -الباحث في العلوم السياسية بمجلة السياسة الدولية- بأنه «من اللازم الالتفات لسياق التجارب العلمية التي أخضعتها الدراسة الأمريكية للتحليل؛ إذ إن السياق المجتمعي بكافة مكوناته يؤدي دورًا كبيرًا في إتاحة الفرصة أمام انتشار المعلومات المضللة من ناحية وعناصر بناء رسائل التصحيح من ناحية أخرى».

يضيف «حنفي» لـ»للعلم»: توظيف المعلومات وتَراجُع التعليم وضعف مستوى الثقافة والوعي العام، كلها عناصر تخلق بيئة ملائمة لانتشار المعلومات المضللة، فضلاً عن تشظِّي مصادر المعلومات وطرق روايتها مع انتشار الإعلام الجديد، مشددًا على أهمية التعامل مع المعلومات الكاذبة في ضوء مفاهيم إدارة الأزمات بما تتضمنه من إجراءات استباقية واحترازية قوامها بناء الثقة مع الجمهور العام.

قلق عالمي

ويبدو أن قضية انتشار المعلومات المضللة باتت مصدر قلق عالمي، حتى إن تحالفًا دوليًّا غير ربحي تشكل عام ٢٠١٥ تحت اسم «فيرست درافت نيوز» بهدف مكافحة انتشار المعلومات المضللة عبر الوسائط الرقمية، يضم جناحًا أكاديميًّا لإجراء أبحاث لاستقصاء بيئة التضليل الرقمي، يشتمل على ٣٢ مؤسسة أكاديمية حول العالم، منها جامعة هونغ كونج، وجامعة ويتس في جوهانسبرغ، وجامعة يو تي إس في سيدني، وجامعة دبلن سيتي، وعدد من المؤسسات التعليمية في المملكة المتحدة والولايات المتحدة.

وكشف الباحثون في مشروع «فيرست درافت" أن "الشائعة بمفهومها التقليدي لم تعد المحتوى المضلِّل الوحيد على الشبكة، وإنما تنوعت أساليب التزييف والتضليل في بيئة المعلومات، مثل المحتوى الملفق وهو محتوى غير صحيح في معظمه ويهدف للخداع والأذى، والمحتوى المزور الذي ينتحل هوية المصادر الحقيقية، والمحتوى المضلِّل الذي يستخدم المعلومات بطريقة مضللة لتوجيه الاتهام زورًا، فضلاً عن التلاعب بالمحتوى والسياق المزيف والربط المزيف بوضع عناوين أو صور ليس لها صلة بالمحتوى، وأخيرًا التهكم أو السخرية التي قد تتسبب أيضًا في التضليل.

كما جاء اعتراف فيسبوك في نهاية أبريل الماضي باستخدام «جهات خبيثة» لخدماته في بث معلومات كاذبة بهدف التأثير على الانتخابات الرئاسية الأمريكية، ليثير حملة عالمية بشأن سبل مكافحة انتشار الشائعات والأخبار المزيفة والمعلومات المضللة عبر شبكات التواصل الاجتماعي، التي باتت تمثل بيئةً خصبةً لانتشار الشائعات وتداولها بشكل فائق السرعة بفعل خصائص التشبيك والبث الفوري والتداول الجماعي

التـي تتمتـع بهـا.

حرية تدفق المعلومات

مـن جهتهـا، تـرى الدكتـورة مهـا عبـد المجيـد -الخبيرة بالمركـز القومـي للبحـوث الاجتماعيـة والجنائيـة فـي القاهـرة- فـي تصريحـات لـ»للعلـم» أن قضيـة انتشـار المعلومـات المضللـة والأخبـار المفبركـة ترتبـط ارتباطًا وثيقًـا بحريـة تدفـق المعلومات مـن المصادر الرسـمية والمصـادر الموثـوق فيهـا لتصـل إلـى الإعلامييـن، وأن صعوبـة الحصـول علـى المعلومـات فـي كثيـر مـن البلـدان العربيـة تُسْـهِم فـي رفـع احتمـالات التـورط فـي نشـر أخبـار غيـر دقيقـة، أو مـن مصـادر غيـر موثـوق بهـا.

وتسـتطرد «عبـد المجيـد": تـزداد تلـك الأزمـة مـع انخفـاض مسـتويات ثقـة الجمهـور بوسـائل الإعـلام الرسـمية، وهـو مـا اقتـرن بتوجُّـه الجمهـور لمصـادر المعلومـات البديلـة، التـي تتضمـن تطبيقـات صحافـة المواطـن وغيرهـا، والسـعي للحصـول علـى المعلومات والأخبـار مـن مصـادر مختلفـة، قـد يكـون مـن بينهـا مصـادر غيـر دقيقـة.

وتشـدد علـى أن توفيـر بيئـة عمـل إعلاميـة تتسـم بالشـفافية وإتاحـة المعلومات من مصادرهـا الموثوقة، إضافـةً إلـى التركيـز علـى مفاهيـم التربيـة الإعلاميـة التـي تعتمـد علـى تنميـة وعـي مسـتخدمي الإعـلام فـي التعامـل مـع مصـادر المعلومـات وفـي تقييمهـا، يُعَـدُّ مـن أهـم عناصـر مكافحـة انتشـار المعلومـات المضللـة.

الخاتمة

ممـا لا يمكـن منـه فـي كل دراسـة بحثيـة تتنـاول قضيـة مهمـة مثـل الشـائعات ودورهـا المؤثـر علـى أمـن المجتمـع، فـلا بـد مـن خاتمـة لذلـك، ونخلـص ونلخـص كل مـا تـم تداولـه فـي الدراسـة إن موضـوع ذات تعقيـدات متعـددة مثـل الشـائعات وخصوصـا المواضيـع والمجـالات المتداخلـة مثلمـا تـم التطـرق لهـا فـي البحـث، فـان موضـوع الشـائعات لمـا لـه مـن أهميـة بالغـة فـي دوره الأساسـي في المجتمع بسـبب ارتباطـه بالوجـود البشـري وبالرغبـات التـي يمتلكهـا الإنسـان ذات النفـس الهدامـة أو ذات البسـاطة فـي الـكلام دون الحسـاب لأبعـاد مـا ينطـق بـه.

توصـل الباحـث مـن خـلال مـا تقـدم مـن معلومـات بسـيطة فـي متـن البحـث أن لابـد مـن وجـود معالجـات وحلـول لمثـل هكـذا ظواهـر خطيـرة ولخصهـا فيمـا يأتـي

أولا / ضـرورة قيـام أو إنشـاء عيـادة استشـارية يقـوم فيهـا متخصصيـن بالشـأن ذاتـه، يتـم التشـاور فيهـا بحـل حلـة المواضيـع الطارئـة نتـاج الشـائعات المزيفة الهادمـة، أسـوة بالعيـادات الطبيـة الاستشـارية والاستشـاريات القانونيـة.

ثانيـا / صانعـي القـرارات تجهـز وتـدرب فريـق متخصـص ممـن يجيـدون المعاملـة بالضـد كـي يتـم تلافـي الأخطـار الجسـيمة المحدقـة بالأفـق.

سلم الله تعالى الجميع من أي مخاطر

المصادر

١. الإشـاعة وأثرهـا علـى أمـن المجتمـع / محمـد بن دغـش سـعيد القحطانـي / الطبعـة الاولـى / ١٩٩٧ / دار طويـق للنشـر والتوزيـع / الريـاض – الناصريـة.
٢. الإتحـاف فـي خطـر الإشـاعة والإرجـاف / الشـيخ باسـم الحلـي / دار الـوارث للطباعـة والنشـر كربـلاء المقدسـة / ٢٠١٥.
٣. علـم نفـس الإشـاعة / كامـل محمـد محمـد عويضـة / الطبعـة الأولـى /دار الكتـب العلميـة بيـروت – لبنـان / ١٩٩٦.
٤. الإشـاعة / الدكتـور احمـد نوفـل / دار الفرقـان للنشـر والتوزيـع / الجامعـة الأردنيـة – كليـة الشـريعة / ١٩٨٧.
٥. الإشـاعة (تعريفهـا – أنواعهـا – عوامـل انتشـارها)

/د. صبري محمد خليل أستاذ الفلسفة بجامعة الخرطوم / شبكة المعلومات (الانترنت)
٦. sabri. khalil@hotmail. com
٧. الإشاعة وأثرها على الفرد والمجتمع (مجلة البحث العلمي في الآداب) / د. صفاء عباس عبد العزيز إبراهيم / جامعة السودان المفتوحة / العدد العشرون الجزء الثامن / لسنة ٢٠١٩.
٨. محاربة الشائعات / مشروع تخرج قدمه مجموعة من الطلبة هم (جابر صالح آل سنيد ألمري، عبد الرحمن احمد العبيد لي، سعيد جبريل جاحنوج، محمد أمين علي) الباحثين المذكورين يعملون في الشركة هذه للتوضيح فقط. . . إسم الشركة: الرؤية للإعلام – vision communication / ٢٠١٢.
٩. الشائعات الاقتصادية والتجارية وإستراتيجية التصدي / د. سعد جاد الله حمود -كلية القانون جامعة الكتاب- د. حاتم غائب سعيد – كلية القانون – جامعة الفلوجة – د. سعد حسين عبد ملحم – كلية القانون – جامعة الفلوجة / شبكة المعلومات (الانترنت) .
١٠. أساليب مواجهة الشائعات (دورة تدريبية) - تأثير الشائعات على الأمن الوطني / الرائد متعب بن شديد الهماش/ الرياض / ٢٠١٣ .
١١. دور الإعلام في محاربة الشائعات / محمد عبد الرءوف محمد /كلية الحقوق – جامعة طنطا (أطروحة دكتوراه) / ٢٠١٩.

مقال رأي

خديدا خلف

الحوار و الوسطية
كحلول للتطرف

مقدمة

إن التطرف الفكري والسلوكي أصبح من أعتى المهددات وأشدها خطراً وبلاء ورعباً على الأمن، نظرا لأن أصحاب هذا الفكر المنحرف يعملون في الظلام، ويحترفون إثارة الرعب بين الناس وتخويفهم بما يحرمهم صفو يقظتهم ولذة نومهم، ويستبيح حرمة دمائهم وأموالهم، ويعمل في نشر الرعب بين الآمنين. ويعتبر تشخيص الظاهرة وكشف أسبابها الحقيقية الركيزة الأولى في الانطلاق نحو العلاج السليم الذي لا يختزل الدور في التعامل مع أعراضها السطحية بقدر ما يركز على اقتلاع جذورها وعللها الجوهرية. وفي هذا السياق يتطلب علاج قضايا الإرهاب وما يتفرع عنها من ممارسات العنف المستندة إلى فكر التطرف جهود مختلف الهيئات ومؤسسات المجتمع ورموز الفكر والسياسة والتربية والثقافة كل حسب طبيعة أدواره ومسؤولياته في إطار من التنسيق والتكامل، ومن بين هذه المؤسسات والهيئات تضطلع المؤسسة الثقافية بدور مهم وبارز في تشخيص القضية وتحديد أسبابها داخليا وخارجيا.

فضلا عن مسؤوليتها -الثقافة- في إنتاج الشخصية الفردية والجمعية، حيث يشير تطور العلوم الاجتماعية إلى أن النسق الثقافي السائد هو المحور الأساس في دراسة الشخصية، وأن كل فعل اجتماعي لا يتم إلا في ثقافة معينة، ولا تقره فحسب الظروف الموضوعية للموقف وإنما تقره كذلك أفكار الفرد عن هذا الموقف وعن نفسه. وتؤكد النظريات التي أصلت للحوار والتفاعل بين معطيات الثقافة ونتاج الشخصية إلى أن المجتمعات من حين لآخر تواجه تفاوتا بين النماذج الثقافية والواقع – وهو ظرف يسفر عن مشكلة خاصة بإعادة التنظيم الثقافي -، وتربط هذه النظريات ذلك بتحليل المواجهات بين الثقافة المجتمعية وغيرها من الثقافات في النظام الكوني من جهة والحضور البارز للدين في العديد من مناطق العالم من جهة أخرى. (١)

المبحث الأول و تشمل مفاهيم:

المطلب الأول: التطرف

التطرف هو أكثر الأسلحة الفتاكة التي تُدمر المُجتمعات، بكافة أشكاله وأنواعه، لذلك ينبغي على الفرد والجماعات مُحاربة جميع الأفكار والمُعتقدات التي ليس لها أي صلةٍ من الصحة، والابتعاد عن الجماعات المشبوهة، والحرص على التسمك بالأفكار والتعاليم المبنية على القيم الإسلامية والأخلاقية والتربوية.

أولا: التطرف لغة الوقوف في الطرف، والطرف بالتحريك: جانب الشيء، ويستعمل في الأجسام والأوقات وغيره.

ثانيا: التطرف اصطلاحا

يعني التطرف أيضًا اصطلاحًا المعارضة الصريحة أو النشطة للقيم الأساسية، بما في ذلك الديمقراطية وسيادة القانون والحرية الفردية والاحترام المتبادل

والتسامح بين الأديان والمعتقدات المختلفة, و كذلك التطرف في الاصطلاح هو عملية تنمية المعتقدات والعواطف والسلوكيات غير الصحيحة، والمعتقدات الخاطئة والتي هي قناعات عميقة تتعارض مع القيم الأساسية للمجتمع، وقوانين الديمقراطية وحقوق الإنسان العالمية، وتدعو إلى سيادة مجموعة معينة (عرقية، دينية، سياسية، اقتصادية، اجتماعية، إلخ) ، وبالتالي فإنَّ التطرف يُعبر عن المشاعر والسلوكيات المُخالفة للقيم، وفي الأفعال التي تخرج عن القاعدة وتظهر ازدراء للحياة والحرية وحقوق الإنسان. (٢)

المطلب الثاني: الارهاب

ان القانون الدولي لا يقدم تعريفًا واضحًا لمصطلح الإرهاب. ويبقى تعريف الإرهاب محملًا بدلالات سياسية وأيديولوجية. إذ يمكن لشخص أن يعتبر إرهابيًا من قبل البعض ومقاتلًا في سبيل الحرية في نظر البعض الآخر. وعلى الرغم من محاولات الأمم المتحدة، لم تتفق الدول بعد على تعريف للإرهاب. مهما يكن من أمر، فإننا سنضع نصب أعيننا التعريفات التي اقترحتها الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي.

تُعرِّف الاتفاقية الدولية لقمع تمويل الإرهاب الموقعة في ٩ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٩٩ الإرهاب في مادتها ٢-١ ب بأنه "أي عمل يهدف إلى التسبب في موت شخص مدني أو أي شخص آخر أو إصابته بجروح بدنية جسيمة عندما يكون هذا الشخص غير مشترك في أعمال عدائية في حالة نشوب نزاع مسلح وعندما يكون غرض هذا العمل بحكم طبيعته أو في سياقه موجهًا لترويع السكان أو لإرغام حكومة أو منظمة دولية على القيام بأي عمل أو الامتناع عن القيام به".

أوضح مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة في قراره ١٥٦٦ الصادر في تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٤ هذا التعريف إذ نص على أن الأعمال الإرهابية هي "الأعمال الإجرامية بما في ذلك تلك التي ترتكب ضد المدنيين بقصد القتل أو إلحاق إصابات جسمانية خطيرة أو أخذ الرهائن بغرض إشاعة حالة من الرعب بين عامة الجمهور أو جماعة من الأشخاص أو أشخاص معينين أو لتخويف جماعة من السكان أو إرغام حكومة أو منظمة دولية على القيام بعمل ما أو عدم القيام به". ويُذكِّر مجلس الأمن بأن هذه الأعمال "لا يمكن تحت أي ظرف من الظروف تبريرها بأي اعتبارات ذات طابع سياسي أو فلسفي أو عقائدي أو عنصري أو أي طابع آخر من هذا القبيل". وأعادت الجمعية العامة للأمم المتحدة تأكيد هذا التعريف في (القرار ٤٣/٦٠) الصادر في كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٦ والذي يُعرِّف الأعمال الإرهابية بأنها "أعمال إجرامية يقصد أو يراد بها إشاعة حالة من الرعب بين عامة الناس أو جماعة من الأشخاص أو أشخاص معينين لأغراض سياسية. "

تشتق كلمة إرهاب من الفعل المزيد (أرهب) ؛ ويقال أرهب فلانا: أي خوفه وفزعه، وهو المعنى نفسه الذي يدل عليه الفعل المضعف (رهب) . أما الفعل المجرد من المادة نفسها وهو (رهب) ، يرهب رهبة ورهبا ورهبا فيعني خاف، فيقال: رهب الشيء رهبا ورهبة أي خافه. والرهبة: الخوف والفزع. أما الفعل المزيد بالتاء وهو (ترهب) فيعني انقطع للعبادة في صومعته، ويشتق منه الراهب والراهبة والرهبنة والرهبانية، وكذلك يستعمل الفعل ترهب بمعنى توعد إذا كان متعديا فيقال ترهب فلانا: أي توعده. وأرهبه ورهبه.

واسترهبه: أخافه وفزعه. وترهب الرجل: إذا صار راهبا يخشى الله. والراهب: المتعبد في الصومعة (١) . والإرهابيون في المعجم الوسيط: وصف يطلق على الذين يسلكون سبيل العنف والإرهاب لتحقيق أهدافهم السياسية (٢) . والإرهابي في المنجد: من يلجأ إلى الإرهاب لإقامة سلطته، والحكم الإرهابي هو نوع من الحكم يقوم على الإرهاب والعنف

تعمد إليه حكومات أو جماعات ثورية. والإرهاب في الرائد هو رعب تحدثه أعمال عنف كالقتل وإلقاء المتفجرات أو التخريب، والإرهابي من يلجأ إلى الإرهاب بالقتل أو إلقاء المتفجرات أو التخريب لإقامة سلطة أو تقويض أخرى، والحكم الإرهابي هو نوع من الحكم الاستبدادي يقوم على سياسة الشعب بالشدة والعنف بغية القضاء على النزعات والحركات التحررية والاستقلالية (٤) . وتجدر الإشارة إلى أن المعجمات العربية القديمة قد خلت من كلمتي الإرهاب الفرنسي.

| المبحث الثاني و تشمل:

المطلب الأول: الحوار كأداة

أولا معنى « الحوار لغة » الحوار في اللغة: مشتق من الحور، وهو الرجوع. فالحوار هو مراجعة الكلام (١) . والمحاورة: المجاوبة (٢) . وأحار الرجل الجواب أي رده. ثانياً: معنى « الحوار اصطلاحاً ». الحوار اصطلاحاً: هو لفظ عام يشمل صوراً عديدة منها المناظرة والمجادلة (٨) ويراد به: مراجعة الكلام والحديث بين طرفين، دون أن يكون بينهما ما يدل بالضرورة على الخصومة (٤) . والحوار بين الأديان من المصطلحات الحادثة المجملة، وهو يتنوع بحسب أهدافه وأغراضه إلى عدة أنواع، منها ما هو حق، ومنها ما هو باطل. ولذلك فإن هذا المصطلح لا يرد مطلقا لأننا بذلك نرد الحق الذي فيه، ولا نقبله مطلقا لأننا بذلك نقبل الباطل الذي فيه.

ومما تقدم، يمكننا أن نقول أن للحوار بين الأديان عدة معاني أهدافه وأغراضه منها

١. حوار الدعوة.
٢. حوار التعايش أو التسامح.
٣. حوار التقريب.
٤. حوار الوحدة.
٥. حوار الاتحاد.

(١) . وذكر هيوكيتسكل - زعيم حزب العمال البريطاني - في كتابه التعايش السلمي والخطر الذي ينتابه تعريف التعايش بأنه: مناورة خالصة، وهي ظاهرة مؤقتة، قد تقتضي تحوير السياسة بوقف القتال، وتخفيف الضغط (٢) . ومما جاء في الكتاب الصادر عن الفاتيكان عام ١٩٦٩ م:

١. هناك موقفان لا بد منهما أثناء الحوار: أن نكون صرحاء، وأن نؤكد مسيحيتنا وفقا لمطلب الكنيسة.
٢. سيفقد الحوار كل معناه إذا قام المسيحي بإخفاء أو بتقليل قيمة معتقداته التي تختلف مع القرآن.

المطلب الثاني: الوسطية كحل

الوسطية جاءت كلمة (وسط) في اللغة لعدة معان، ولكنها متقاربة في مدلولها عند التأمل في حقيقتها ومآلها. قال ابن فارس: (وسط) : الواو والشين والطاء: بناء صحيح يدل على العدل والنصف. وأعدل الشيء: أوسطه، ووسطه. ويقولون: ضربت وسط رأسه - بفتح السين – ووشط القوم - بسكونها -، وهو أوسطهم حسبا - إذا كان في واسطة قومه وأرفعهم محلا (١) .

أهمية الوسطية تكمن في الوسطية منهجا ومرجعية حضارية ترتبط بخاصية التوازن، لتكوّن بذلك عقيدة ونظاما أخلاقيا وسياسيا متكاملا، فالوسطية والاعتدال هما شريان محوري - حتى لا أقول رئيسيا - يسير في الجسد الفكري والثقافي للأمة الإسلامية خاصة، وذلك بالشكل الذي يعكس فعلا عمق وصلابة أسس الدين الإسلامي القائم أساسا على فكر التسامح، وتظهر تجلياته في العقيدة والعبادة والنظام الاجتماعي، بل وتمتد حتى إلى الجانبين الاقتصادي والسياسي. كما تزداد أهمية الحديث عن الوسطية والاعتدال اليوم، خصوصا والفكر العربي السياسي والاجتماعي في مفترق طرق، إذ يبدو مستعدا ليسلك الطريق أو السبيل الذي يجعله متسقا متوافقا مع موجة التطور التي يعيشها كثير من الأقطار الإسلامية،

ويسعى للانسجام مع تاريخ الوطن العربي وتطوره الاجتماعي والسياسي، ومن ثم وجبت قراءة آثار التطرف والرجعية والغلو باسم الدين في المنطقة العربية، مع ما تعايشه باقي أقطار العالم من آثار يصنعها تجار إنتاج وإعادة إنتاج الإرهاب سواء كفكر أو كسلوك منبوذ.

إن الوسطية معيار أساسي من معايير وعوامل تحقيق الاستقرار السياسي، باعتبارها بيئة ضامنة لمفهوم الأمن من جهة وداعمة لتحقيق التنمية من جهة أخرى، وذلك لأن الوسطية هي فعلا منهج في فهم الدين ونهج في العمل السياسي، ومن ثم يمكن القول إن الوسطية في مجال السياسة هي اجتهاد ومجال قائم على ضمان مقاصد الدين الإسلامي الحنيف، بما يعني الالتزام مثلا بالأصل في القرار السياسي؛ وهو المصلحة العامة وما يؤدي إليها ويدعم تحقيقها، لأن الصالح العام هو ما يقودنا نحو تحقيق العدالة الاجتماعية ويجسد مبدأ المساواة وتكافؤ الفرص بالشكل الذي يدعم الاستقرار. .

الوسطية في الدين تعبر عن هوية، والوسطية بالدين هي سلوك، وحسم هذه العلاقة تجسده خيارات المجتمع، لذلك فإن ثنائية السياسة والوسطية تقوم على مفهوم التوازن، وتتصف بتوجهها الإيجابي في تفسير الظواهر أو السلوك الاجتماعي أو الاقتصادي أو حتى الثقافي ضمن منظور السببية أو توصيف العلاقة بين مختلف عوامل صناعة الاستقرار والتنمية.

لهذا تعد الوسطية والاعتدال ضابطا من ضوابط مفهوم الحرية، وإطارا يضمن للمجتمع عدم الوقوع في فخ التحرر من كل شيء، كما أن الوسطية والاعتدال إذا اقترنت بصناعة القرار السياسي، تصبح مساهما في ضمان وتحقيق التناسق بين القبول الشعبي، وتعزيز الولاء والانتماء للدولة الوطن، وتعد الوسطية أيضا ضامنا من ضمانات تكريس مبدأ قبول الآخر والتعايش السلمي، كما تعد مفهوما يتماشى ومفهوم التعددية السياسية أين يلتقي المفهومان عند حدود مبدأ التوافق.

الخلاصة

لحد الأن المفاهيم و الأفكار العامة للشعوب امنغمسة في ركام الموروث الاجتماعي الراكد ومنظومات السلوك الطارد لمبادىء التداول السلمي للسلطة، ولأسس الديمقراطية وتداولها بشكل مهني ومنطقي باختيار ممثلي الشعب بكل نزاهة وحيادية وفق معايير الكفاءة والنزاهة والمؤهلات العلمية والأكاديمية، والحرص على مصالح الشعب والوطن، والمطالبة ببناء مؤسسات مدنية غير مسيسة، وتفعيل أدوار منظمات المجتمع المدني المستقلة. ولاتزال ذاكرة هذه المفاهيم تستنسخ بقوة صفحات التطرف، المحاباة، المحسوبية، المنسوبية، التزلف الى السلطان، كما ان القادة السياسيين لهذه البلدان مواضبون على التلهج والتبجح بالشعارات المخادعة والمضللة لشعوبهم اللاهئة خلف الرموز المقدسة، المستمدة من طقوس عبادة العصور الجاهلية الأولى.

مواضبون على التلهج والتبجح بالشعارات المخادعة والمضللة لشعوبهم اللاهئة خلف الرموز المقدسة، المستمدة من طقوس عبادة العصور الجاهلية الأولى

والحضارية والانسانية، أنها حقا ازدواجية في كل شيء، ولغز غامض يصعب التكهن بحله، ولعل التغيير الديموغرافي النوعي الحاصل اليوم في بنية هذه المجتمعات يحدث حراكا فكريا وثقافيا يخرج من اطار الانفعالات العاطفية وتأنيب الضمائر ورفع الأصوات، ويتحرر من عمليات الاستحواذ والاستغلال من قبل الجماعات المتربصة لنتائج هذا التغيير. ولا شك أن ثمة علاقة قوية بين السلام والتسامح كقيمتين أخلاقيتين، فلا سلام بغير تسامح، ولا تسامح بغير سلام. إننا ندرك ذلك جليا إذا ما

تفحصنا مليا دلالات مفهوم التسامح من ناحية ودلالات مفهوم السلام من ناحية أخرى.

الهوامش:

١- للمزيد ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي –تحقيق محمد رضوان- دار ٠ الفكر ط أولى سنة ١٩٩٠ م، والمعجم الوسيط مجمع اللغة العربية القاهرة (٢ / ٥٥٥)

٢- تعريف و معنى التطرف في معجم المعاني الجامع - معجم عربي عربي»، المعاني، اطّلع عليه بتاريخ ٢٠٢١/٢/١٨. بتصرّف

١- منظور، لسان العرب، المجلد صادر ودار بيروت: بيروت، ١٩٥٥ م / ١٣٧٤ هـ م٤٣٦-٤٣٩.

٢- منظور، لسان العرب، المجلد صادر ودار بيروت: بيروت، ١٩٥٥ م / ١٣٧٤ هـ م٤٣٦-٤٣٩. والفيروزآبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م

٣- باب الباء فصل الراء، ص ١١٨. - المعجم الوسيط،

٤- د. إبراهيم أنيس وآخرون، ج ١، ط ٢، القاهرة، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م، ص ٣٧٦.

١-مقاييس اللغة لابن فارس (٢ / ١١٧) .

٢-القاموس المحيط للفيروز آبادي (٢ / ٢٣ - ٢٤) .

٣- لسان العرب، لابن منظور (٣ / ٨٨٣- ٣٨٥) .

٤- لحوار مع أهل الكتاب: أسسه ومناهجه، لخالد القاسم (١٠٨) . التنصير، خطة لغزو العالم الإسلامي، الترجمة الكاملة لأعمال المؤتمر التبشيري الذي عقد في مدينة جلين أيري بالولايات الأمريكية عام ١٩٧٨ (٧٨٣-٧٦٧) .

١- معجم مقاييس اللغة مادة: (وسط) ٦ / ١٠٨. -١٣

٢- د. سليمان اعراج, وقفة مع الوسطية و الاعتدال (مقال)

تشتق كلمة التسامح في اللغة الإنجليزية من الفعل اللاتيني tollere بمعنى يرفع أو يسامح أو يرى أو يحترم، وجميعها معاني تؤدي إلى التسامح (أو التساهل والتحمل) tolerance. كما يشير الجذر

١- مفهوم السياسة والسلطة في الأنثروبولوجيا، علماء الآثار ، http://www.archaeology.land/forums/viewtopic.php?t=٣٢٧٥٢ .

مركز أبحاث

ميس قاسم

المرأة و السلام

المبحث الأول

المطلب الأول: المرأة في النزاعات

ان هـذا الخريـف سـوف يمثـل مـا يقـارب مـن ١٧ عاماً منـذ اعتمـاد قـرار مجلـس الأمـن التابـع للأمـم المتحـدة ١٣٢٥ (٢٠٠٠) بشـأن المـرأة والسـلام والأمـن. يتضمـن جـدول الأعمـال هـذا أحكامـاً محـددة لمفاوضـات واتفاقـات السـلام، شـأنها فـي ذلـك شـأن اتفاقيـة القضـاء علـى جميع أشـكال التمييز ضـد المرأة (CEDAW) لعـام ١٩٧٩. وبينمـا تحققـت إنجـازات فـي مجـال وصـول المـرأة إلـى عمليـات السـلام والمشـاركة فيهـا، فـلا يـزال هنـاك الكثيـر الـذي ينبغـي عملـه. وللأسـف، لا تـزال المـرأة مسـتبعدة إلـى حـد كبيـر مـن المشـاركة فـي عمليـات السـلام والوسـاطة. ١ ونتيجـة لذلـك، فـإن المنظـورات الجنسـانية غائبـة عـن اتفاقـات السـلام الناشـئة. ويحـدث هـذا علـى الرغـم مـن الـدور الهائـل الـذي تقـوم بـه المـرأة فـي تعزيـز السـلام والحـوار السـلمي وإنهـاء الأعمـال القتاليـة فـي كثيـر مـن الصراعـات المسـلحة. وتبيـن دراسـة أجرتهـا هيئـة الأمـم المتحـدة للمـرأة فـي عـام ٢٠١٢ بشـأن ٣١ عمليـة سـلام بيـن عامـي ١٩٩٢ و٢٠١١، مـدى هـذا التهميـش للمـرأة، حيـث أن: ٤ فـي المائـة فقـط مـن الموقعيـن، و٢. ٤ فـي المائـة مـن كبـار الوسـطاء، و٣. ٧ فـي المائـة مـن الشـهود، و٩ فـي المائـة مـن المفاوضيـن، كانـوا مـن النسـاء.

.

مـا الـذي يمكـن أن تسـهم بـه الجهـات الفاعلـة الخارجيـة والشـبكات الإقليميـة الخارجيـة فـي التصدي لتهميـش المـرأة بـل والاسـتبعاد مـن المشـاركة فـي عمليـات السـلام؟

إن تحقيـق وقـف لإطـلاق النـار بيـن الأطـراف المتحاربـة يشـكل بعـداً حاسـماً فـي عمليـات السـلام. ومـع ذلـك، فمـن المهـم بنفـس القـدر، أن تتعلـق عمليـات السـلام أيضـاً باسـتنباط وتحديـد هيـاكل سياسـية جديـدة ومؤسسـات للحكـم، بـل وفـي بعـض الحالات، إنشـاء دسـاتير جديـدة أو أحكامـاً تشـبه الدسـتور. إن عمليـات السـلام، عندمـا تنجـح، فهـي تمثـل لحظـات حاسـمة فـي تاريـخ البلـد ومسـاره، وينبغـي عـدم ترك المـرأة خـارج تلـك العمليـات. وثانيـاً، تتيـح عمليـات

السلام فرصة فريدة لتعزيز التزامات البلد بالمساواة بين الجنسين، وتنفيذ أحكام اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، فضلاً عن إدماج هذه الأهداف الاستراتيجية في تحديد الاتفاقات والمؤسسات والآليات والعمليات.

وقد تم إطلاق شبكة إقليمية للوسيطات من بلدان الشمال الأوروبي (NWM) في أوسلو بالنرويج في تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٥، وهي مستوحاة من مبادرة مماثلة بجنوب أفريقية (منتدى جيرترود شوب السنوي للحوار) ، ومنذ ذلك الحين، نشأت أيضاً خمس شبكات وطنية في كل بلد من بلدان الشمال الأوروبي. وأنشئت شبكة الوسيطات من بلدان الشمال الأوروبي لمعالجة مسألة محدودية مشاركة المرأة وإمكانية وصولها إلى عمليات السلام عن طريق تعزيز ودعم مشاركة المرأة في مفاوضات السلام على جميع المستويات والمراحل، سواء من خلال التعبير عن أصوات المرأة وشواغلها، والدعوة إلى عمليات أكثر شمولية، والاضطلاع بمشاريع مشتركة، وتبادل الخبرات أو إقامة الشبكات وبناء العلاقات مع شبكات وسيطات أخرى. ومن هنا، فإن الاعتراف بالمشاركة الكاملة للمرأة في عمليات السلام والنهوض بها بشكل نشط - كأطراف ومشاركات ووسيطات - يشكل جزءاً حاسماً من تنفيذ هذه الأجندة والتزامنا بها. ويجري إنشاء شبكات إقليمية أخرى ويمكنها أن تكون أداة فعالة في مختلف مناطق الأزمات والصراعات. "١"

وقد تمكنت اللواء كريستين لوند، بصفتها أول قائدة للقوات النسائية لقوة الأمم المتحدة لحفظ السلام في قبرص (UNFICYP) ، من المشاركة في عملية السلام الجارية ودعمها وتعزيزها. وتشكل النساء ٥٠ في المائة من فريق القيادة العليا. وكان النوع الجنساني دائماً على رأس جدول الأعمال داخلياً وخارجياً، ولم يكن أبداً البند الأخير. وجرى إدماج النوع الجنساني في جميع جوانب عملنا.

وعلاوة على ذلك، فإنكم وبصفتكم أحد قادة الأمم المتحدة، تتحملون مسؤولية والتزام بدعم التنوع والعمل وفقاً لقرار مجلس الأمن ١٣٢٥ (٢٠٠٠) . وفي قوة الأمم المتحدة لحفظ السلام في قبرص كان ذلك أمراً سهلاً. قد ساعد وجود القيادات النسائية في فتح أبواب كثيرة في المجتمع. ويمكن أن يؤدي الوصول إلى طبقات مختلفة من المجتمع دوراً هاماً في عملية السلام.

وفي أيار/ مايو ٢٠١٦، دعيت شبكة الوسيطات من بلدان الشمال الأوروبي (النرويج) إلى قبرص للالتقاء بالمنظمات النسائية، والفريق الاستشاري المعني بالمسائل الجنسانية، واللجنة التقنية المعنية بالمساواة بين الجنسين، والممثل الخاص للأمين العام والمستشار الخاص للأمين العام. وقد اكتسبت شبكة الوسيطات من بلدان الشمال الأوروبي (النرويج) خبرة واسعة من عمليات السلام في الشرق الأوسط وكولومبيا والفلبين. وقد تمت مشاركة وتبادل العديد من التجارب. وقد كان من الواضح أن تعزيز المساواة بين الجنسين لا يزال يأتي كجهد من القاعدة إلى القمة بدلاً من نهج يتم فرضه من أعلى إلى أسفل، والذي يكتسب أهمية حيوية بالنسبة للسلام المستدام. وفيما يتعلق بقاعدة الأدلة، أظهرت البحوث التي أجريت مؤخراً أنه مع عمليات السلام الشاملة، فإن نجاح التسويات التفاوضية أعلى، كما أن فرص إقامة سلام مستدام تزداد أيضا. "٢"

المطلب الثاني: تمكين النساء في النزاعات و الأزمات

إن تمكين النساء في الأزمات والصراعات لهو أمر حيوي. فهن يشكلن ٥٠ في المائة من سكان العالم، ولذلك يجب أن يكن جزءاً من الحل. وفي حالات النزاع المسلح والأزمات، من الضروري الوصول إلى مختلف النساء والمنظمات النسائية

والتشاور معها بانتظام. فالنساء لا يشكلن مجموعة متجانسة في أي بلد، ومن المهم أن تأخذ في الاعتبار الهويات العرقية والدينية واللغوية وغيرها. لا ينبغي للمرء أن يتوقع أن تكون جميع النساء بنفس العقلية. فعلى سبيل المثال، من المرجح أن تختلف آراء النساء المهنيات وشواغلهن واحتياجاتهن في المناطق الحضرية عن آراء المزارعات وصاحبات المشاريع الصغيرة في المناطق الريفية. تعامل مع النساء على محمل الجد. فستكون هناك نساء في مختلف جوانب النزاع، حيث أن آراءهن ووجهات نظرهن واحتياجاتهن وشواغلهن لن تكون دائما هي نفسها - مثلهن في ذلك مثل الرجال. وفي العديد من البلدان المتضررة من النزاع، ستكون هناك مبادرات سلام نسائية محلية - غالباً ليست في العاصمة ولكن في المناطق المتضررة. ومن الأهمية بمكان الوصول إلى هذه الجهود النسائية المحلية والتشاور معها ودعمها لإنهاء الأعمال القتالية وتعزيز الحوار والتفاهم. ويعد هذا أيضاً من إلتزامات قرار مجلس الأمن ١٣٢٥ (٢٠٠٠) (الفقرة ٨) .

وفي الحالات التي لا توجد فيها منظمات رسمية للمرأة ومنظمات للمجتمع المدني، من الضروري إقامة اتصالات مباشرة مع النساء، وحيثما أمكن، وضع آلية للتشاور مع أقرانهن وشركائهن. بالطبع يجب أن تكون على بينة من الهيكل السياسي حتى لا تضع النساء في وضع استبدالي.

وخلال فترات الصراع والأزمات، تهدف مختلف الجهود المحلية والوطنية والإقليمية والدولية إلى وقف العنف أو الحد منه وجلب الأطراف المتحاربة إلى مرحلة المشاورات التمهيدية السابقة للتفاوض من أجل معرفة ما إذا كان هناك أساس لمحادثات سلام رسمية بين هذه الجهات الفاعلة - في كثير من الأحيان يتضمن ذلك شكلاً من أشكال وقف إطلاق النار المؤقت. وتؤدي المشاورات التمهيدية السابقة للتفاوض، عندما تنجح، إلى خارطة طريق للقضايا الرئيسية للمحادثات الرسمية وللتسوية الرسمية.

وكثيراً ما تستثني النساء والجهات الفاعلة في المجتمع المدني من المحادثات والاتفاقات في مرحلة المشاورات التمهيدية السابقة للتفاوض، التي كثيراً ما تكون سرية للغاية. ونتيجة لذلك، فإن المرأة والمجتمع المدني غير قادرين على تقديم احتياجاتهما وشواغلهما خلال تلك المشاورات التمهيدية السابقة للتفاوض، عندما يتم وضع جدول أعمال للمحادثات الرسمية، يدرس «ماهية الصراع». وتركز معظم عمليات السلام على إنهاء العنف - أو العنف السياسي - ولكنها لا تعترف بالأشكال المختلفة للعنف التي تعاني منها النساء والأقليات، مثل الشعوب الأصلية - تاركة أشكال العنف هذه في مكانها وتخفق في معالجة الشواغل الأمنية لنصف السكان. وعلى هذا النحو، فإن المحادثات والاتفاقات في مرحلة المشاورات التمهيدية السابقة للتفاوض تشكل تحدياً كبيراً أمام المرأة والمجتمع المدني - حيث أن هذه المحادثات والاتفاقات تحدد مرحلة وهيكل المحادثات الرسمية.

وقد تكون هناك أيضاً فرص لدعم عمليات الحوار الموازية بين النساء والجهات الفاعلة في المجتمع المدني، ولكن هذا يتوقف كثيراً على الحالة الأمنية في البلد. وبمجرد أن يكون هناك وضوح أكبر في إمكانية عقد محادثات رسمية، من الأهمية بمكان العمل مع النساء والمنظمات النسائية والمجتمع المدني لمساعدتهن في الإعداد لمشاركتهن في عمليات السلام - سواء كان ذلك مباشرة على طاولة المفاوضات الرسمية أو في المسارات والهياكل والعمليات الموازية. إن عدد قليل جداً من الفاعلين في المجتمع المدني قادرون على الظهور في هذه العمليات والمشاركة فيها. ويحتاج الكثيرون إلى المساعدة والتوجيه والدعم إذا كانوا مخلصين ومستعدين

للمشاركة بفعالية - أي المساعدة التقنية والدعم المالي، ولكن أيضاً وسائل التشاور مع دوائرهم واستراتيجياتهم حول البنود الرئيسية في جدول الأعمال عند إعداد مدخلات بشأن قضايا معينة. "٣".

المبحث الثاني

المطلب الأول: دور المرأة في عمليات السلام الجارية

تؤدي النساء أدواراً متنوعة في عمليات السلام المعقدة والمتعددة المسارات. ويمكنهن الجلوس على طاولة المفاوضات الرسمية، أو في لجنة تقنية أو لجنة فرعية، أو يمكن أن يكون خارج المحادثات وينخرطن كأطراف فاعلة من المجتمع المدني في التطورات التالية. إن كل هذه الأدوار حاسمة. وفي العملية الأخيرة بين حكومة كولومبيا والقوات المسلحة الثورية الكولومبية - الجيش الشعبي (فارك/FARC) ، اضطلعت العناصر الفاعلة من النساء في المجتمع المدني بدور رئيسي في التعبئة الوطنية لهذه العملية وفي صياغة مطالبهن وشواغلهن. ولعبت هذه الأصوات التي لم تنقطع دوراً هاماً في تأمين عدد من الأحكام للنساء في الاتفاقيات النهائية. ٣

كما أن للخبرات النسائية وممثلات المجتمع المدني أهمية في ضمان أن تشمل الدساتير والأحكام القانونية والآليات والمؤسسات الجديدة اهتمامات المرأة ووجهات نظرها واحتياجاتها، كما هو الحال بالنسبة لإصلاح المحاكم والشرطة وقطاع الأمن والمؤسسات الحكومية الأخرى. إن الأحكام القانونية بالغة الأهمية، ولكن آليات التنفيذ تحظى بنفس الأهمية. وفي كل هذه الإصلاحات تتشكل فرصة فريدة لإدماج الأهداف الاستراتيجية المتعلقة بالنوع الجنساني وحقوق الإنسان ومعالجة الجذور الهيكلية لعدم المساواة.

وهناك ميل إلى النظر إلى «قضايا المرأة» بطريقة ضيقة إلى حد ما - كما هو الحال في مجالات الصحة والتعليم وأحياناً خدمات الحماية الاجتماعية. ومن الأهمية بمكان الخروج من هذا الفهم الضيق - أن إصلاح الشرطة وقطاع الأمن والمحاكم يتم فهمه على أنه أمر بالغ الأهمية بالنسبة للنساء بنفس قدر أهميته للرجال. فعلى سبيل المثال، لا يزال العنف ضد المرأة ظاهرة عالمية ومصدراً رئيسياً لانعدام الأمن بالنسبة للنساء والفتيات - سواءً حدث ذلك في المنزل في المجال الخاص أو في الأماكن العامة. وينبغي أن تشارك النساء في إصلاح خدمات الشرطة والمحاكم إذا كانت هناك حاجة جدية لإدماج احتياجاتهن في عمل هذه المؤسسات. ولكي تتمكن النساء والجهات الفاعلة في المجتمع المدني من المشاركة في هذه العمليات وضمان قاعدة عريضة من المشاركة، يجب إنشاء آليات لعمليات التشاور القطاعي.

إن الحاجة إلى دور الوسطاء في التواصل لا تتضاءل مع محادثات السلام الرسمية. وفي حال حدوث أي شيء، تزداد مسؤولية الوسطاء والميسرين بعد إنشاء عملية سلام رسمية. وللقيام بذلك، يجب على الوسطاء وضع خطة عمل وبروتوكول لضمان مشاركة المرأة. ويجب أن نمكن الجماعات النسائية ونيسر لها التعبير عن شواغلها ومطالبها وإبراز كلٍ منهما، كما هو الحال في عملية كولومبيا - فارك مع التعبئة الوطنية للنساء. وثانيا، من المهم إنشاء آليات تمكن هذه المجموعات من الوصول إلى المفاوضات الرسمية.

وتلعب الجهات الفاعلة الخارجية دوراً رئيسياً في ضمان أن تكون لهذه المنظمات والآليات النسائية موارد كافية تمكنها من المشاركة. وثمة دور هام آخر يمكن للوسطاء والميسرين والجهات الفاعلة الخارجية أن تضطلع به، ألاوهو ضمان أن تخلق المحادثات ساحة يمكن للمرأة أن تثير فيها شواغلها.

ويجب أن يكون تمكين النساء في الأزمات والنزاعات من أهم الأدوات في عملية السلام، وأن استخدام الوسيطات أو الشبكات القائمة على المرأة يمكن أن يكون نقطة بداية جيدة لجعل القادة يدركون أهمية إشراك جميع السكان.

وتبين كريستين بيل لماذا يسبب استبعاد النساء من عمليات السلام إشكالية كبيرة:

"إن استبعاد النساء يقطعهن من العمليات التي تعتبر عمليات هامة وأساسية لوضع الدستور، والتي ترسم طريق الخروج من الصراع، وتضع الهياكل السياسية والقانونية والاقتصادية للحكومة؛ وتقدم خطة إعادة الإعمار بعد انتهاء الصراع؛ وتحدد دور المنظمات الدولية؛ وتعيين التدفقات التمويلية"٤

المطلب الثاني: المرأة شريك في صناعة السلام

من هم أول الفئات التي تتضرر من النزاعات والحروب عالمياً؟ الأم والأخت والابنة، هن من يكافحن في الحرب والسلم، هن من يبادرن لحقن دماء أبنائهن، وقد يهرعن للنزوح هرباً من الموت في أماكن النزاع المسلّح، طلباً لحياة جديدة.

وعندما تتفق الأطراف المتصارعة، يُنسى دور المرأة، التي تشكّل نصف سكان العالم، في عمليات التفاوض، ومباحثات السلام والتنمية، وهو مفقود تاريخياً من عملية صون السلام وتحقيق الأمن. ووفقاً للمنتدى الاقتصادي العالمي، فإن ٤٪ من الموقعين على اتفاقيات صون السلام بين عامي ١٩٩٢ و٢٠١١ من النساء، بينما تشكل نسبتهن ٩٪ فقط من المشاركين في المفاوضات.

هذا العام، يحتفل مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، بمرور ٢٠ عاماً على القرار ١٣٢٥ التاريخي، الذي دعا إلى اتباع نهج متكامل اتجاه التوازن بين الجنسين في عمليات حفظ السلام والأمن.

ويعد هذا القرار، علامة بارزة وملهمة لمجلس الأمن، وتجسيداً لأولويات الأمم المتحدة، كما يمثل أيضاً أحد الإنجازات الأكثر شهرة للمجتمع المدني، وصانعي السياسات والدبلوماسيين.

وكان من الداعمين الرئيسين لمشاركة المرأة في محاور الأمن والسلام، الأمين العام السابق للأمم المتحدة، حينها، الراحل كوفي أنان، الذي يعتبر أحد المؤثرين لإصدار هذا القرار من مجلس الأمن، حيث قال «يقدم القرار ١٣٢٥ وعداً للنساء في جميع أنحاء العالم، بأن حقوقهن ستتم حمايتها، وأن الحواجز التي تحول دون مشاركتهن المتساوية، ومشاركتهن الكاملة في الحفاظ على السلام المستدام وتعزيزه، ستتم إزالتها، ويجب أن نفي بهذا الوعد».

عادة، عندما يتم إرسال بعثات حفظ السلام إلى البلدان التي مزقتها النزاعات، فإن النساء والفتيات، هن الأغلبية اللاتي يعانين من النزوح ونقص في الأدوية والغذاء، ومن أوضاع صعبة، تعرّض حياتهم للخطر. لذلك، فإن إشراك المرأة في بعثات حفظ السلام، أمر مهم لتحقيق التواصل مع المجتمع المحلي من النساء والفتيات، لا سيما في بيئة لا تستطيع فيها النساء التحدّث إلى الرجال، بسبب الطبيعة المحافظة، أو الخوف من القوات الأجنبية. لذلك، فإن دور المرأة مهم لبناء الثقة، وبدء الحوار والتواصل، وذلك لمساعدة النساء، وتوفير احتياجاتهن في ظل الظروف الصعبة. "٥".

قال أحد الرجال في المناطق النازحة، ذات مرة: «نتحدث ونثق بالمرأة المشاركة في مهمات حفظ السلام، لأننا نعلم أنها هنا لصنع السلام، وليس الحرب».

ولا بد من الإشارة هنا، إلى أن «قرار مجلس الأمن ١٣٢٥»، يحث الدول الأعضاء على زيادة مشاركة المرأة في محاور مجلس الأمن، والتي هي ثلاث ركائز رئيسة: منع النزاعات والحماية والمشاركة في حفظ السلام. كما حث الأطراف في نزاع مسلح،

على حماية النساء والفتيات من العنف الناتج عن الحروب، وإشراكهن في مفاوضات السلام، لضمان تحقيق سلام دائم. ووفقاً للأمم المتحدة، فإنه من المرجح أن يتم تحقيق السلام في مرحلة ما بعد الصراع لأكثر من عامين، بنسبة ٢٠٪ ، عندما تشارك المرأة في مفاوضات السلام.

ويعتبر «قرار مجلس الأمن ١٣٢٥»، نتيجة مشاركة فعالة وقوية من المنظمات العالمية والمجتمع المدني، وأفضى إلى مناقشة مخصصة للمرأة على مدى يومين في مجلس الأمن، هي الأولى من نوعها.

وفي ضوء «قرار مجلس الأمن ١٣٢٥»، اتخذت دولة الإمارات العربية المتحدة، زمام المبادرة، لدعم تقدمها، من خلال إطلاق برنامج تدريبي، برعاية مدرسة خولة بنت الأزور العسكرية في أبوظبي عام ٢٠١٩، لبناء قدرات المرأة في القطاعات العسكرية وحفظ السلام. حيث بدأت بـ ١٣٤ امرأة عربية في عام ٢٠١٩، وتوسعت لتشمل ٢٢٣ امرأة من أفريقيا وآسيا والدول العربية في يناير ٢٠٢٠. وأظهرت الجهود التزاماً قوياً، ودعماً من قبل حكومة الإمارات، وتثميناً للجهود، قامت الأمم المتحدة بإعادة تسمية برنامج تدريب المرأة للسلام والأمن، إلى «مبادرة الشيخة فاطمة بنت مبارك للسلام والأمن للمرأة».

لذا، فإنه من المهم، ويجب على الدول الأعضاء جميعها، والجهات الإقليمية، القيام بتقليص الفجوة بين طموحات «قرار مجلس الأمن ١٣٢٥»، والتنفيذ الفعلي على أرض الواقع. نظراً لاعتبار المرأة كمساهمة فعالة وبالغة الأهمية في عملية صنع القرار، عبر جميع مستويات منع النزاعات وحلها، وإنهاء الحروب، وتحقيق السلم والأمن والاستقرار المستدام. "٦"

الهوامش

١ كريستين بيل/Christine Bell، "المرأة وعمليات السلام، المفاوضات والاتفاقات: الفرص والتحديات التشغيلية»، موجز السياسات (أوسلو، مركز موارد بناء السلام النرويجي، ٢٠١٣) ، صفحتي ٢-٣. متاح على الرابط: https: //noref. no/ Publications/ Themes/Peace-processes-and-mediation/Women-and-peace-processes-negotiations-and-agreements- operational-opportunities-and-challenges.

٢ هيئة الأمم المتحدة للمساواة بين الجنسين وتمكين المرأة، «مشاركة المرأة في مفاوضات السلام: الروابط بين الوجود والنفوذ «، ورقة بحثية (نيويورك، ٢٠١٢) ، الصفحات ١-٣، و٥.

٣ هيلد سالفيسن/Hilde Salvesen، وداغ نيلاندر/Dag Nylander، "نحو سلام شامل: المرأة والنهج الجنساني في عملية السلام الكولومبية»، تقرير (أوسلو، المركز النرويجي لحل النزاعات، ٢٠١٧) . متاح على الرابط: https: //noref. no/About-NOREF/ News/New-report-women-and-the- gender-approach-in-the-Colombian-peace-process.

٤ بيل/Bell، "المرأة وعمليات السلام والمفاوضات والاتفاقات»، ص ٤

مروة البلوشي, المرأة شريك في بناء السلام ٥

د.ديانا جاليفا

ترجمة: د. نصر محمد علي

دبلوماسية الطاقة الحذرة لكردستان

تُفصح عن موقفها من الصراع في أوكرانيا

ملخص تنفيذي

ان لإقليم كردستان القدرة على تعويض بعض النقص في الطاقة، على الاقل، في أوروبا. إذ تقدر احتياطيات الغاز في إقليم كردستان بنحو ٣ تريليونات متر مكعب، أو مايقرب من ٢ في المائة من اجمالي الاحتياطيات العالمية. ونظراً لقيود العرض في أوروبا تدرس كردستان استعمال دبلوماسية الطاقة بوصفها أداةً للقوة الناعمة لتحقيق أهداف استراتيجية عبر تعزيز العلاقات الثنائية مع الدول الأخرى. وفيما ظلت كردستان محايدة رسمياً في الصراع الروسي الأوكراني، فقد نصبت نفسها بوصفها منافساً لموسكو عبر عرض توريد الغاز لأوروبا.

التقى رئيس الوزراء الكوردي مسرور بارزاني بنظيره البريطاني بوريس جونسون خلال زيارته الرسمية الأخيرة إلى المملكة المتحدة وأعرب عن رغبته في تصدير الطاقة إلى أوروبا لتقليل اعتمادها على النفط والغاز الروسي. ينتج إقليم كردستان العراق ويصدر حوالي نصف مليون برميل من النفط ومايقرب من ٥٠٠ مليون قدم مكعب من الغاز يومياً، مع إمكانية توسيع قدراته في كلا المجالين.

وبالنظر إلى طموحات الحكومة الكوردية الرامية لتحويل المنطقة المتمتعة بالحكم الذاتي إلى مركز للطاقة داخل الشرق الأوسط، فهل يمكن لدبلوماسية الطاقة أن تكون أداة فعالة للقوة الناعمة مع الدول الأوروبية؟ هذا ممكن لكن استعمالها سيتطلب دراسة متأنية لسياسات الطاقة في كردستان والتوترات الداخلية والإقليمية، واستجابة اللاعبين الآخرين في الشرق الأوسط لأزمة الطاقة في أوروبا الناجمة عن الحرب.

دبلوماسية الطاقة في سياق القوة الناعمة

ان السبل التي يمكن من خلالها متابعة المصالح الوطنية رداً على الحرب في أوروبا، إذا ما أراد المرء أن يأخذ في الحسبان مبادرات كردستان، فهي تعكس الفكرة التي تحظى باعتراف تام في الاقتصاد السياسي ونظرية العلاقات الدولية لـ «فن الحكم الاقتصادي»، وهو مفهوم قدمه ديفيد بالدوين. يُعنى مفهوم فن الحكم الاقتصادي بدراسة العوامل الاقتصادية المستعملة لتحقيق الأهداف الوطنية في الخارج بوصفها جزءاً من السياسية الخارجية، ويلاحظ التغيير الكمي (كيفية

تطبيق الأدوات الاقتصادية على نحو مكثف) والتحول النوعي (ماهي الوسائل المستعملة) ، وأي تغييرات في الأهداف (ماهي الأهداف الوطني التي ترمي تلك الوسائل الاقتصادية الى تحقيقها) . يمكن النظر إلى مشروع إقليم كردستان في استعمال «دبلوماسية الطاقة» على أنه دراسة حالة تتطلب فهماً أوسع لمفاهيم القوة الناعمة والقوة الصلبة. أن التحديات والتصورات المحتملة ناجمة، إلى حد ما، عن البنية الإقليمية الحالية، على النحو الذي سيتم مناقشته بمزيد من التفصيل بعد دراسة تفصيلية للعلاقات بين القوة الناعمة والقوة الصلبة في سياق دبلوماسية الطاقة.

لايوجد تعريف محدد يجسد مفهوم «دبلوماسية الطاقة»، بيد أنه يتصل بنحو عام بالأنشطة الخارجية المرتبطة بالحكومة والتي تعمل على ضمان أمن الطاقة في الدولة مع تحفيز فرص الأعمال المرتبطة بقطاع الطاقة. وتبعاً لستيفن غريفيث، فان الدبلوماسية تعد من أكثر الأدوات الحيوية التي يمكن للدولة استعمالها لحماية مصالحها في مجال الطاقة، ويمكن أن تكون ثنائية أو متعددة الاطراف في نطاقها. عادة ماتكون الدبلوماسية الثنائية، التي تتضمن الأنشطة الدبلوماسية المباشرة بين بلدين، مرنة وفعالة لأن مستوى التنسيق أقل كما تكون المواءمة في المصالح أسهل عندما يكون عدد الأطراف المشاركة أقل. كما ويمكن أن تكون الدبلوماسية الثنائية فعالة على نحو خاص عندما ترتبط المصالح المشتركة بين الدول وتتأثر بالقواسم المشتركة والاختلافات المرتبطة بالسياسة والثقافة والاقتصاد في كل بلد. يمكن تعزيز العلاقات الدبلوماسية الثنائية عندما تستطيع الدولة الاعتماد على التأثير الذي يمكن أن تمارسه حيال نظيراتها، من دون أن يترتب على ذلك مواجهة مباشرة. وفي هذا الصدد، فان القوة الناعمة تعد مفهوماً حيوياً، إذ تسمح لدولة ما بأن تجعل دولة أخرى تفعل ماتريد من دون إكراه. وهنا يكمن الفرق الرئيس بينها وبين «القوة الصلبة» التي تعتمد أساليب أكثر قسوة. قد تنجح الدول التي لديها موارد كافية في التحول في مجال الطاقة عبر تنفيذ تكتيكات «القوة الصلبة» للإكراه، بيد أن هذا النهج عادة مايفشل في بناء الثقة والشراكة القائمة على التعاون. فيما يمكن للقوة الناعمة من ناحية أخرى أن تنجح في كثير من الأحيان وإيجاد حلول أكثر كفاءة لنزاعات البلدان وتؤدي إلى شراكات طويلة الأمد.

هل الشراكة بين بغداد وأربيل تعتمد على نهج «رابح – رابح»؟

يمكن للمرء ضمن هذه التفسيرات النظرية أن يجادل بالقول أن اقليم كردستان يمكن أن يتحول صوب دبلوماسية الطاقة بوصفها أداةً للقوة الناعمة في سبيل إيصال النفط والغاز المطلوبين إلى أوروبا. مع ذلك ثمة تحديات سياسية واقتصادية على المستوى الداخلي، ولاسيما العلاقات بين بغداد وأربيل. ففي الوقت الذي تظل فيه كردستان منطقة شبه مستقل في العراق فان العلاقات بين بغداد وأربيل لاترتبط بإطار دستوري، بل مرتبطة بتوازن قوى غير منظم ومتغير. يقدم كاميران بلاني تصنيفات لهذه الأوجه والأشكال المختلفة، بحجة أنها تُحاكي العلاقة بين اقليم يتمتع بدرجة عالية من الحكم الذاتي وحكومة مركزية ضعيفة (٢٠٠٣-٢٠١٤) ، والعلاقة بين دولتين بحكم الأمر الواقع (٢٠١٤-

٢٠١٧) والعلاقة بين اقليم مستقل ضمن بنية فدرالية (أواخر ٢٠١٧ حتى الوقت الحاضر) .
ان لهذا الغموض السياسي تداعيات سياسية أيضاً، مثل قرار المحكمة الاتحادية العليا في العراق الذي غير قواعد اللعبة في وشباط / فبراير عام بإلغائه قانون عام ٢٠١٧ الذي يحكم صادرات النفط والغاز الطبيعي الكوردي- حيث نقل قرار المحكمة فجأة حقوق تسويق النفط إلى بغداد وطالب بخضوع عقود المشاركة في الانتاج كافة للرقابة الاتحادية عبر وزارة النفط. ويتحدى هذا القرار قدرة كردستان على إدارة سياسة الطاقة على نحو مستقل عن بقية العراق. ومع ذلك فان اقتراح الزعيم الكوردي الاخير لتأسيس كونفدرالية في العراق يمكن أن يساعد على التغلب على الغموض الحالي في علاقة اربيل ببغداد ويستوعب واقع الوجود كردستان العراق بحكم الأمر الواقع بوصفها «دولةً مستقلةً». ويقدم هذا النهج على أنه نهج «رابح – رابح» لكل من بغداد وأربيل لأنه سيساعد على إيجاد أرضية مشتركة لدبلوماسية الطاقة ويولد منافع اقتصادية لكلا الجانبين، ومساعدة كل من الحكومتين الفدرالية والاقليمية في تبني دبلوماسية للطاقة بوصفها أداة القوة الناعمة في علاقاتها مع الشركاء الدوليين.

الدبلوماسية بإزاء التوترات الإقليمية: القوة الناعمة بإزاء القوة الصلبة

يواجه مثل هذا التدبير تحديات جمة. لكن مع ذلك وكما لاحظ السيد البارزاني، فان اقليم كردستان لديه القدرة على تعويض بعض النقص في الطاقة على الاقل في أوروبا. تقدر احتياطيات الغاز في إقليم كردستان بنحو ٣ تريليونات متر مكعب، أو مايقرب من ٢ في المائة من اجمالي الاحتياطيات العالمية. ونظراً لقيود العرض في أوروبا تدرس كردستان استعمال دبلوماسية الطاقة بوصفها أداةً للقوة الناعمة لتحقيق أهداف استراتيجية عبر تعزيز العلاقات الثنائية مع الدول الأخرى. ويمكن العثور على نمط مماثل لهذه المبادرة في الترتيبات الحالية مع شركاء العراق في الخليج، مثل الإمارات العربية المتحدة. إذ طورت شركة كونسورتيوم بيرك بتروليوم العالمية حقل الغاز الرئيس في كردستان، بدءاً من عام ٢٠٠٧ واحرزت تقدم ملحوظ بعد عام ٢٠١٩، حيث تمتلك شركتا الغاز الكبرى كرسنت بتروليوم ودانة غاز (التي تمتلك الإمارات اغلبية أسهمها) حصة ٣٥٪ بالمائة لكل منهما. وتمت زيادة انتاج الحقل إلى أكثر من ٤٥٠ مليون قدم مكعب قياسي في اليوم ومن المقرر أن يصل إلى أكثر من ٧٠٠ مليون متر مكعب قياسي في اليوم عام ٢٠٢٣ و ٩٠٠ بحلول عام ٢٠٢٥.
وفتحت الحرب في أوكرانيا فرصة أخرى للتعاون على اساس القوة الناعمة مع اللاعبين الإقليميين. وأفادت التقارير، ان مسؤولين كورد وأتراك أوروبيون اجتمعوا لمناقشة خطة لضخ الغاز الكوردي إلى تركيا أوروبا بدعم إسرائيل واحتمال مشاركتها. لكن مع ذلك فان التوترات الحالية في المنطقة، وميل اللاعبين الإقليميين إلى استعمال تكتيكات القوة الصلبة لضمان الأمن، قد قللت بالفعل من استعمال مقاربات القوة الناعمة. وكما قيل فان خطة الامدادات التعاونية هذه هي جزء مما أغضب إيران ودفعها إلى ضرب أربيل في الصواريخ الباليستية في آذار / مارس. وهذا الأمر يُفصح عن تعقيد جلي في أهداف السياسة الخارجية العراقية، إذ

يُظهر ان المنافسة الاقليمية واستعمال القوة الصلبة يمكن تعطل مبادرات القوة الناعمة. لقد ارتبط الهجوم بالصراع المستمر بين إيران وإسرائيل بالوكالة، إلى جانب أجندة سياسات الطاقة الإيرانية- وتحديداً توقع المصادقة على صفقة نووية جديدة. إذ تهدف إيران، بموجب اتفاق نووي يرفع العقوبات عن قطاع الطاقة لديها، إلى الظهور بديلاً آخراً للاعتماد على امدادات الطاقة الروسية لأوروبا.

دبلوماسية الطاقة بوصفها قوة ناعمة

أخيراً، وفي الوقت الذي سعت فيه كردستان إلى تعزز مصالحها الوطنية، يتعين عليها أيضاً إدارة التحديات التي أوجدتها علاقتها الحالية مع القوى الخارجية. وفيما ظلت كردستان محايدة رسمياً في الصراع الروسي الأوكراني، فقد نصبت نفسها بوصفها منافساً لموسكو عبر عرض توريد الغاز لأوروبا. وتتمتع موسكو والكورد العراقيون بعلاقات عميقة طويلة الأمد، سواء في السياسة مجال السياسة أم في مجال الطاقة. ويمكن النظر إلى علاقات الطاقة الروسية الكوردية على أنها امتداد للعلاقات السياسية ومثالاً آخراً للقوة الناعمة عبر دبلوماسية الطاقة. وقد أظهرت روسيا دعمها للكورد عبر البقاء على الحياد بشأن استفتاء استقلال كردستان في أيلول / سبتمبر عام ٢٠١٧، فيما أدانه الفواعل الأجنبيون كافة تقريباً بما في ذلك الولايات المتحدة. زد على ذلك، فقد أقرضت شركة روسنفت الروسية العملاقة للطاقة في شباط / فبراير عام ٢٠١٧ إقليم كردستان حوالي ٢. ٥ مليار واستثمرت في البنية التحتية لتصدير النفط والغاز الكوردي. وكما أوضحت الدكتورة آنا بورشيفسكايا « ان موسكو أنقذت اقليم كردستان العراق بنحو كبير في منعطف حاسم ومنحت الكورد مزيداً من النفوذ على بغداد (على الرغم من أن روسيا كانت حريصة على عدم تعريض غازبروم الكبيرة للطاقة مع الحكومة الاتحادية العراقية للخطر) .

وعلى الرغم من ذلك، تماماً كما اتبع الكرملين نهجاً دقيقاً في التوازن بين العلاقات مع الأطراف كافة في المنطقة كالتعامل في وقت واحد مع بغداد وأربيل على سبيل المثال- فقد طور إقليم كردستان أيضاً صلاته الخاصة مع اللاعبين الخارجيين كافة، موضحاً موقفه المحايد في الحرب في أوروبا. وبالنظر إلى مثل هذه المحاولات في الحياد والتوازن، فمن المرجح أن تظل دبلوماسية الطاقة واستعمالها قوةً مناعمة أمراً حيوياً في المستقبل، ومع تغير الظروف في كل من المنطقة وحول العالم يتعين مواجهة عقبات وتحديات جديدة.

الملاحظات والتوصيات:

- اتاحت الأزمة في أوكرانيا وحاجة أوروبا لتقليل الاعتماد على الغاز الروسي الفرصة لكردستان لتصدير الغاز إلى اوروبا.
- تلتقي رغبة تركيا توظيف موقعها الجيوبولتيكي لتكون مركزاً لنقل الطاقة بين الشرق والغرب مع مصلحة كردستان في تصدير موارد الطاقة لديها عبر تركيا إلى اوروبا، الامر الذي من شأنه تعزيز العلاقات بينهما في هذا المجال.
- ان محاولات كردستان في توظيف «دبلوماسية الطاقة» يواجه تحديات تتصل بموقف الحكومة الاتحادية الرافض لإنتاج موارد الطاقة وتسويقها بمعزل عنها ولاسيما

بعـد قـرار المحكمـة الاتحاديـة الأخيـر، فيمـا سـتواجه التحـدي المتمثـل بمحاولـة إيـران، فـي حـال رفـع العقوبـات عليهـا فـي سـياق التفـاوض علـى برنامجهـا النـووي، بتعويـض النقـص فـي امـدادات الطاقـة إلـى أوروبـا.

- ان الوضـع القائـم فـي العلاقـة بيـن الحكومـة الاتحاديـة وحكومـة اقليـم كردسـتان فيمـا يتصـل بسياسـة الطاقـة لايصـب فـي مصلحـة الطرفيـن ويعـزز نهـج «خاسر-خاسـر»، ولابديـل عـن تبنـي سياسـة طاقـة موحـدة تسـتند بالأسـاس علـى قانـون اتحـادي للنفـط والغـاز ناجـع وقابـل للتطبيـق.

منة العريبي

ترجمة: فيصل الياسري

عطب السياسة النفطية في العراق

سادس اكبر مصدر عالمي للنفط لا يزال يعاني من نقص الوقود وانقطاع التيار الكهربائي

| خلاصة تنفيذية

انفـق العـراق ٨١ مليـار دولار علـى قطـاع الكهربـاء فـي السـنوات الخمسـة عشـر الماضيـة, مـن دون تحقيـق اي انجـاز يذكـر. ان العـراق قـادر علـى انتـاج مـا يكفـي مـن الكهربـاء لتلبيـة احتياجاتـه اذا مـا كان هنـاك تخطيـط ملائـم واذا مـا تـم اسـتئصال الفسـاد. ويشـير الخبـراء الـى ان الخسـائر فـي نقـل وتوزيـع الكهربـاء فـي العـراق هـي الاسـوء فـي العالـم. كمـا ان العـراق مسـتمر بحـرق اكثـر مـن نصـف كميـة الغـاز الطبيعـي الـذي تنتجـه حقولـه النفطيـة. ان تطويـر عمليـة التقـاط الغـاز والتـي مـن المقـرر ان يسـتثمر فيهـا العـراق مبلـغ ثلاثـة مليـارات دولار علـى مـدى السـنوات الخمـس المقبلـة, سـتكون حاسـمة فـي تقليـل الاعتمـاد غيـر المنطقـي علـى واردات الغـاز الايرانيـة التـي تصـل الـى ٥٠ مليـون متـر مكعـب يوميـا فـي اعلـى درجاتهـا

مـع دخـول الذكـرى السـنوية التاسـعة عشـر منـذ الاحتـلال الامريكـي وسـقوط نظـام الرئيـس العراقـي السـابق صـدام حسـين, لـم يتحـول العـراق حتـى اللحظـة الـى بلـد ديمقراطـي مزدهـر ومسـتقر بالشـكل الـذي وعـدت بـه الولايـات المتحـدة وحلفائهـا وتأمـل العراقيـون ان يكـون عليـه بلدهـم. فالميليشـيات تجـوب البـلاد, والفسـاد منتشـر, والخدمـات الاساسـية لا تـزال معدومـة, وسياسـيو البـلاد عاجزيـن عـن تشـكيل حكومـة فـي السـتة اشـهر الماضيـة التـي مـرت منـذ انعقـاد اخـر انتخابـات علـى المسـتوى الوطنـي.

لكـن لا شـيء يجسـد الاختـلال الوظيفـي فـي العـراق اكثـر مـن الحقيقـة المبتذلـة المتمثلـة باسـتمرار معانـاة سـادس اكبـر منتـج للنفـط فـي العالـم مـن نقـص الوقـود وانقطـاع التيـار الكهربائـي وصـراع ابنـاءه للحصـول علـى الوقـود والكهربـاء.

فـي المتوسـط, تحصـل كل اسـرة عراقيـة فـي بغـداد علـى سـت سـاعات مـن الطاقـة الكهربائيـة يوميـا مـن منظومـة الطاقـة الوطنيـة. ويدفـع مـن يسـتطيع تحمـل التكاليـف الـى مشـغلي المولـدات الاهليـة للحصـول علـى طاقـة كهربائيـة تغطـي سـاعات الانقطـاع المتبقيـة. امـا بالنسـبة للملاييـن مـن النـاس الغيـر قادريـن علـى تحمـل هـذه الاسـعار الباهضـة, فـان الكهربـاء تنقطـع عنهـم لسـاعات طويلـة يوميـا. بالاضافـة الـى المعانـاة اليوميـة مـن غيـاب الكهربـاء, يتأثـر النشـاط الاقتصـادي فـي العـراق بشـكل كبيـر. حيـث لا يمكـن للاعمـال ان تزدهـر مـن دون وجـود مصـادر للطاقـة الكهربائيـة يمكـن الاعتمـاد عليهـا.

في الوقت الذي يسرع فيه السياسيون العراقيون بالاشارة الى حقيقة ان الطلب على الكهرباء في البلاد تضاعف اربع مرات في العقدين الماضيين, لكن واقع الامر يشير الى ان العراق قادر على انتاج ما يكفي من الكهرباء لتلبية احتياجاته اذا ما كان هناك تخطيط ملائم واذا ما تم استئصال الفساد. ويشير الخبراء الى ان الخسائر في نقل وتوزيع الكهرباء في العراق هي الاسوء في العالم – وهي مسألة يمكن حلها عن طريق الاستثمار والترشيد الفعال في ادارة هذا القطاع.

يضاف الى ذلك ان بعض عوائد مولدات الكهرباء الاهلية تعد مصدر دخل للجماعات المسلحة ولرجال الاعمال النافذين والذين يعملون خلف الكواليس على عرقلة توفير الكهرباء. الجماعات المتطرفة هي الاخرى تستهدف قطاع الكهرباء بين الحين والاخر. ففي سنة ٢٠١٤, قام مسلحو تنظيم الدولة الاسلامية بالسيطرة على وتدمير محطة بيجي للطاقة, والتي تقع على بعد حوالي ١٥٠ ميل شمال بغداد. اليوم, وبعد مرور سبع سنوات على تحرير بيجي من سيطرة الدولة الاسلامية, لم تبدأ عملية اعادة بناء المحطة حتى هذه اللحظة. في ديسمبر من عام ٢٠٢٠, اعلنت لجنة برلمانية انه تم انفاق ٨١ مليار دولار على قطاع الكهرباء في السنوات الخمسة عشر الماضية, من دون تحقيق اي انجاز يذكر.

ان ازمة الكهرباء ما هي الا بعد واحد من ابعاد معضلة معقدة تتعلق بالطاقة في العراق. مع صعود اصعار النفط, تواجه عدة مدن عراقية نقصا متزايدا في الوقود. فاصحاب العجلات في الموصل يقفون في طوابير طويلة تصل مدة الانتظار فيها الى الساعة من اجل ملئ خزانات سياراتهم. والسبب وراء ذلك يعود جزئيا الى عمليات تهريب الوقود الى اقليم كردستان العراق, حيث اسعار الوقود هناك تبلغ ضعف الاسعار في باقي مناطق البلاد, والتي يكون الوقود فيها مدعوم بشكل كبير من قبل الحكومة. كما يتم تهريب البعض من هذا الوقود الى سوريا, وهو ما يعكس وجود ازمات اكبر في المنطقة.

وللاختلال في قطاع الطاقة العراقي اثاره وانعكاساته على البيئة. فالمولدات الاهلية, والتي تشارك بتوفير حوالي ٢٠ بالمئة من الكهرباء في العراق, تعمل على وقود الديزل, مساهمةً في زيادة التلوث في العراق. كما ان حرق الغاز المصاحب لاستخراج النفط هو احد اسوأ الملوثات, لكن العراق مستمر بحرق اكثر من نصف كمية الغاز الطبيعي الذي تنتجه حقوله النفطية.

الحلول لهذه المشكلات متاحة بسهولة, مثل المشاريع التي تشرف عليها شركة غاز البصرة – مشروع مشترك بين شركة الجنوب للغاز العراقية, وشركة شيل, وشركة ميتسيوبيشي – يعمل على عزل الغاز المصاحب لاغراض الاستخدام المحلي. ان تطوير عملية التقاط الغاز والتي من المقرر ان يستثمر فيها العراق مبلغ ثلاثة مليارات دولار على مدى السنوات الخمس المقبلة, ستكون حاسمة في تقليل الاعتماد غير المنطقي على واردات الغاز الايرانية التي تصل الى ٥٠ مليون متر مكعب يوميا في اعلى درجاتها.

وفيما اذا تم انفاق هذه المليارات الثلاث على مشاريع التقاط الغاز وتم تقليل استيراد الغاز من ايران, ستنعكس الفوائد على تقليل فواتير الابتزاز التي تدفع لايران كما انها ستسهم في تحسين البيئة في العراق.

في شهر فبراير, صرح وزير الكهرباء العراقي العامل بالوكالة عادل كريم ان بذمة العراق

١. ٦ مليار دولار كمستحقات عن تأخير دفع اثمان واردات الغاز المستورد من ايران. ومن المفارقات وجود مناطق غنية بالغاز في عدة اماكن في العراق, بضمنها منطقة اقليم كردستان, لكن الصراعات السياسية تحول دون تطوير هذه المناطق بشكل ملائم.

جانب اخر من جوانب التعقيد في معضلة الطاقة هو عدم وجود قانون خاص بالهايدروكاربونات في البلاد والذي من شأنه ان ينظم هذا الشأن وغير ذلك من الامور. هذا الامر سمح للتسييس المتزايد لقضية الطاقة, بما في ذلك قرار المحكمة الاتحادية الذي نص على عدم دستورية تصدير النفط من اقليم كردستان, بعد سنوات من التزام الصمت حيال هذه المسالة.

وتقوم حكومة اقليم كردستان باستخراج وتصدير النفط الخام, بشكل مستقل عن الحكومة الاتحادية ووزارة النفط العراقية منذ سنوات, وفي عام ٢٠٠٧ قامت بتشريع قانون النفط الخاص بها. في شهر فبراير من هذا العام, قامت المحكمة العليا بالعراق بتقديم خدمة للحكومة الفيدرالية من خلال اصدراها للحكم القاضي بضرورة ان تتم ادارة الشأن النفطي عن طريق الحكومة الفيدرالية, وبما يتماشى مع الدستور. كما نص الحكم على الغاء العقود المبرمة بين حكومة اقليم كردستان والشركات الاجنبية, ومن دون هذه العقود ستواجه منطقة كردستان صعوبة في الحفاظ على قطاع الطاقة فيها.

ان ملف الطاقة يقع في قلب ازمات العراق السياسية والامنية والاقتصادية. فتهريب النفط الايراني عن طريق العراق ساعد ايران في الالتفاف على العقوبات, وايران حريصة على الحفاظ على شريان الحياة هذه, خاصة مع التخبط الحاصل في المفاوضات النووية.

وتحاول ايران التأثير على قطاع النفط العراقي وخاصة في الجنوب, لكنها تواجه معارضة متزايدة.

يضاف الى ذلك الفساد الذي يشل الحياة العامة في العراق والمرتبط بالقطاع النفطي, من عصابات المولدات الاهلية الى العقود التي تقتسمها الجماعات السياسية المختلفة. فمنذ انتخابات اكتوبر الماضي, ادخلت الاحزاب السياسية نفسها في انسداد سياسي.

في ذات الوقت, تعمل ايران بدون كلل على التأثر على عملية تشكيل الحكومة المقبلة, خوفا من استبعاد وكلائها من هذه التشكيلة. فرجل الدين العراقي الشيعي السيد مقتدى الصدر, الذي فاز مرشحوه بثلاثة وسبعون مقعد في برلمان العراق المؤلف من ٣٢٩ مقعد, يمتلك الحق في تشكيل الحكومة القادمة كجزء من تحالف الاغلبية. وكان السيد الصدر من اكثر النقاد صراحة لايران بين الاحزاب الاسلامية الشيعية في العراق وقد انضم الى قوى الحزب الديمقراطي الكردستاني الذي يرأسه مسعود بارزاني, وتحالف السيادة الذي يتزعمه رئيس البرلمان, محمد الحلبوسي. ويعتقد بعض المسؤولين الاكراد ان قرار المحكمة الاتحادية هو جزء من الجهود للضغط على حكومة اقليم كردستان للخضوع في مسالة تشكيل الحكومة.

ومع استمرار ايران ووكلائها في محاربة تشكيل حكومة بمعزل عن تأثيرهم, فان قطاع الطاقة في كردستان اضحى تحت ضغط متزايد. بالاضافة الى قرار المحكمة الاتحادية لايقاف صادرات النفط, حدثت هناك هجمات مادية على قطاع الطاقة. ففي الثالث عشر من شهر اذار, تبنت ايران رسميا مسؤليتها

عن سلسلة هجمات صاروخية على منزل باز كريم برزنجي المدير التنفيذي لمجموعة كار, وهي شركة نفط كردية عراقية. في الوقت الذي ادعت فيه طهران ان هذه الهجمات استهدف عملاء الموساد الاسرائيلي, وهو ما نفته كل من الحكومة العراقية وحكومة اقليم كردستان, فان الرسالة كانت هي رغبة ايران بتسليط اكبر ضغط ممكن على الحزب الديمقراطي الكردستاني واظهار القدرة على ضرب شرايين الحياة الحيوية في كردستان. وما الهجوم على مصفاة النفط العائدة لشركة كار بعد ثلاثة اسابيع الا تعزيز لهذه الرسالة.

لولا هذه العطب والاختلال في السياسة النفطية العراقية, ومع الارتفاع في اسعار النفط العالمية, كان يمكن ان يكون العراق في موقف جيد للاستفادة من موارد الطاقة التابعة له والمضي للامام. في شهر اذار, بلغت عائدات النفط العراقية ١١ مليار دولار, الاعلى منذ خمسين عاما, حسب تصريحات وزارة النفط. ومع تحديد سعر النفط ب٥٥ دولارا في الموازنة العامة, فان الارباح الغير متوقعة من ارتفاع اسعار النفط من الممكن ان توفر فرصة نادرة للاستثمار في البنية التحتية للبلاد, وخاصة في قطاع الطاقة.

لكن الواقع اكثر تعقيدا. فالعراق يعتمد اعتمادا مفرطا على النفط, حيث تسهم عائداته بحوالي ٩٢٪ من موازنة الحكومة, وهنالك القليل يتم فعله لتنويع مصادر الاقتصاد العراقي. مع ارتفاع اسعار النفط, فان الحافز القليل الموجود لاحياء قطاعي الصناعة والزراعة في العراق سيتلاشى حيث سيعتمد المسؤولين على النفط مرة اخرى كمصدر رئيس للعائدات. بالاضافة الى ذلك فان الانقسام بين بغداد واربيل حول النفط اصبح اكثر تعقيدا مع وجود عائدات اكبر على المحك.

بدون وجود حكومة ومع الصراع السياسي القائم, فان فرص الاصلاح ضئيلة. ومع ذهاب العراق الى صيف قائض اخر, بدرجات حرارة تجتاز ٥٠ درجة, فان الخوف من ان الزيادة في العوائد النفطية تعني ببساطة فساد اكثر واستمرار هدر ثروات العراق.

| الملاحظات والتوصيات:

- تتسبب سياسات الطاقة المشوهة في العراق بمشاكل اقتصادية و بيئية كبيرة تتمثل بالهدر الهائل للغاز الطبيعي المصاحب لعمليات استخراج النفط والتلوث الذي يخلقه حرق ملايين الامتار المكعبة من هذا الغاز يوميا, بالاضافة الى جعل العراق اسيرا لواردات الغاز من دول الجوار وخاصة ايران.
- كسائر القطاعات الحيوية الاخرى في العراق, لا يزال قطاع الطاقة مشلولا وعقيما نتيجة للتسيس والخلافات الداخلية والفساد والتدخلات الخارجية وغياب التشريعات القانونية الخاصة باستخراج وتصدير واستثمار مصادر الطاقة.
- العراق بحاجة ماسة وملحة للاستثمار والافادة من الغاز الطبيعي المصاحب لعمليات استخراج النفط واستخدام هذا الغاز لتلبية الطلب المحلي وتشغيل محطات الطاقة الكهربائية, الامر الذي سيوفر مبالغ مالية ضخمة يقوم العراق بانفاقها على استيراد الغاز الايراني سنويا.
- ضرورة استثمار قسم من الوفرة المالية التي تحصل عليها العراق موخرا نتيجة ارتفاع اسعار النفط في الاسواق العالمية

فـي اسـتخراج الغـاز الطبيعـي وذلـك مـن اجـل تنويـع مصـادر تمويـل الاقتصـاد العراقـي التـي تعتمـد اعتمـادا تامـا علـى واردات النفـط.

- الاسـراع بتشـريع قانـون فيدرالـي خـاص باسـتخراج وتصديـر النفـط والغـاز مـن قبـل البرلمـان الاتحـادي فـي دورتـه التشـريعية الحاليـة لوضـع حـد للانقسام والتشـوه فـي السياسـة النفطيـة العراقيـة المتشـضية بيـن بغـداد واقليـم كردسـتان.

مقابلة مع **بنايمين تايتلبوم**

ترجمة: د.كرار البديري& فيصل الياسري

اليكسندر دوغن

رسول الرجعية للتطرف القومي الروسي

لم يسمع الكثير سابقا عن اليكسندر دوغين او يسمع بفلسفته التقليدية الغامضة. لكن كلا من دوغن وفلسفته اصبحا ذوي تأثير مهم على السياسية الروسية في العقود القليلة الماضية.

الف اليكسندر دوغن كتابا منهجيا بعنوان اسس الجيبولتيكس تضمن رؤيته لدور روسيا في العالم بعد سقوط الاتحاد السوفيتي. وهذا الكتاب هو نواة وجوهر تأثير دوغن في عالم اليوم حيث تم تدريس هذا الكتاب الى اجيال من القادة والنخب العسكرية في روسيا منذ انهيار الاتحاد السوفيتي، ولم يتضمن هذا الكتاب اي من الافكار المجنونة المتعلقة بدورة الزمان او افكار المدرسة التقليدية الاخرى. فالكتاب يتمحور حول حق روسيا الالهي للتوسع في مجال نفوذها، وكيفية فعل ذلك

ربما لم يسمع الكثير منا بشخص اليكسندر دوغن او التيار العالمي التقليدي الذي ينتمي اليه. لكن المفكر الروسي – وانظاره في البرازيل، الولايات المتحدة، وابعد من ذلك – يبدو انهم يمارسون تأثيرا حقيقيا على التيار اليميني العالمي بشكل غير مباشر. فبمزج الغلو القومي مع الافكار المناهضة للحداثة، اضحت فلسفة دوغن جزءا مهما من المرجعية الفكرية للبوتينية، ومحل اعجاب من القوى الرجعية في جميع انحاء الغرب. ما هو هذا التيار التقليدي وما هي الافكار الجوهرية التي يتبناها؟ الى اي مدى يلعب فكر دوغن دورا في الغزو الروسي الحالي لاوكرانيا، وكيف يمكن فهم تأثيره على السياسة الروسية بالمجمل؟ بهذه الاسئلة واجه لوك سافج، بنيامين تايتلبوم، الاستاذ المساعد في جامعة كولورادو بولدر، ومؤلف كتاب الحرب من اجل الابدية: عودة الفكر التقليدي وصعود اليمين الشعبوي، الصادر سنة ٢٠٢٠.

يسأل لوك سافج: من الواضح ان القومية هي سمة جوهرية في الفكر اليميني المعاصر، ومنذ سنة ٢٠١٦ بتنا نسمع الكثير ايضا حول المصطلح الضبابي والذي يُعرف بالشعبوية. وقد تطرق كتابك الاخير الى الكثير من هذه المواضيع، على الرغم من تركيزه المكثف على مصطلح اخر مبهم وغامض ايضا يدعى بالتقليدية. فلهؤلاء غير المطلعين على معنى المصطلح اعلاه نبدأ بالسؤال، ما هي التقليدية وكيف تصف دورها بالتأثير على اليمين العالمي؟

بينيامين تايتلبوم: التقليدية في المقام الاول وقبل كل شيء هي مدرسة روحانية ودينية قبل ان

تكون ايديولوجية سياسية. فهي تؤثر بالفعل على فكر اقصى اليمين، لكنها تأثيراتها تمتد الى ابعد من ذلك. وهنالك من يقول ان لاوجود لاي علاقة بين اليمين والتقليدية، وانا لا اصدق قولهم هذا. فليس من قبيل المصادفة انه عندما تتداخل التقليدية مع السياسة، فانها تدخل السياسة من باب اليمين التقليدي غير الليبرالي.

وبقدر تعلق الامر بالسياسة، يؤمن التقليديون بوجود دين حقيقي في وقت مضى، تقليد تم خسارته بمرور العصور، وقد تشضت حقائق ورؤى هذا الدين الى تقاليد واعراف عديدة في جميع انحاء المعمورة. ويعتقد ان الديانة الهندوسية هي الافضل بين هذا التقاليد لقدم عهدها ولحفاظها على ذاتها. ويضاف الى ذلك الفرق الباطنية في الديانة الاسلامية والديانة المسيحية. ويكرس التقليديون انفسهم لاحد هذه التفرعات، وغالبا ما ينخرطون في نوع من انواع الدين المقارن كمحاولة لاعادة احياء هذا التقليد.

وهناك شيئان ذوا اهمية للشخصيات التي حملت لواء التقليدية الى داخل مضمار السياسة، وهي: دورية الزمان: اعتقاد بان الزمن لا يسير بشكل خطي مستقيم، انما يستمر الزمن بالعودة الى الماضي. وتحديدا فان الزمن ياخذ شكلا دوريا ياخذ مسارا عكسيا وبحراك ارتكاسي، فبمرور الوقت، تسوء الامور تدريجياً، باستثناء لحظة واحدة استثنائية تعود بالزمن الى العصر الذهبي، ويبدا بعدها الافول مجدداً.

اما المفهوم الجوهري الاخر بالنسبة للتقليديين فهو التراتبية الاجتماعية والطبقية والتي تشبه الى حد كبير تلك الموجودة في الديانة الهندوسية، حيث تتربع طبقة البراهما على قمة المجتمع، في حين تتذيل طبقة الشودرا او العبيد قاع المجتمع – هذه الهرمية تنطوي على مجموعة من المبادئ التي سيكون لها تأثيراتها في المجال السياسي.

احد هذه المبادئ هو التناقض بين الروحانية واللامادية. فالطبقات العليا من المجتمع في بعض الاحيان ومن وجهة نظر التقليديين، يمنحون صفة عرقية. فاذا كان هناك رابطة تاريخية بين العرق الاري والبراهما على سبيل المثال، فان هناك حاجة لفهم تتعدى الفهم المعاصر للارية بالنسبة للتقليديين والتي ترى فيهم جماعة عرقية بيضاء نقية جدا تقع على النقيض من الجماعات الغير ارية التي تقع في قاع التراتبية الاجتماعية. فقمة الهرم الاجتماعي تعد اكثر ذكورية، بينما يكون القاع انوثي; القمة متميزة نوعياً، القاع يتميز بالكثرة. ويتداخل ذلك مع دورة الزمان، كوننا نعيش الان في عصر مظلم، وفقا لرؤية التقليديين، كما اننا ايضا نعيش في زمن تغلب عليه النزعة المادية فالسياسة والثقافة والمجتمع لا تتسم بالطابع المادي فحسب، بل ان القيم فيها تمتاز بالكثرة من غير النوع.

لذلك فاننا سنحصل على انظمة حكم تتناقض مع الحكم الثيوقراطي الديني. بدلا عن ذلك، سيكون لدينا انظمة تركز على تعدد الهيئات – ستاخذ شكل الديمقراطية او الشيوعية، وغيرها. كذلك، وهذا امر مهم، بينما ننتقل من العصر الذبي الى العصر المظلم، فان التراتبية المجتمعية ستتداعى وتتفكك ويستقر الجميع في قاع المجتمع. واحد المفاهيم الضمنية لهذا التصور هو اننا عندما نكون في العصر المظلم، فلا توجد هناك قيود ولا يوجد هناك حدود، ولا نتحمل اي احد يحمل جوهرا مختلفا عن جوهرنا او هوية او مكانا مختلف عن مكاننا.

ويعمم التقليديون مفهوم انعدام الحواجز والحدود خلال العصر المظلم على كل شيء: لا توجد حواجز عرقية، لا حواجز بين الرجال والنساء، لا حواجز قومية، ولا حواجز معرفية – فاذا ما كانت هناك صلة لاحد المجتمعات بالعلم التنويري، فعلى العالم اجمع ان يطوي نفسه داخل هذا المجتمع. وبالنسبة للتقليديين، فان السبيل للخروج هذا

الوضع يحتاج، اولا، المضي في العصر المظلم ورؤية كيف ان المؤسسات التي تسببت بازالة الحواجز والقيود تنهار (بمعنى اخر، الدمار) . ومحل هذا الحطام يرغب التقليديون برؤية عالم بحدود قائمة يتمايز فيه الرجال عن النساء، وتنفصل فيه الجماعات الثقافية، الاثنيات، والاعراق عن بعضها الاخر، وتعود الحدود القومية للظهور، وتتفكك فيه الفيدراليات والامبراطوريات اذا كانت امبراطوريات استعمارية حقيقية، وفيه هذه العالم الجديد هناك فهم متعدد للحقائق التي تتعايش مع بعضها دون ان تمتزج او يؤثر بعضها على الاخر. وهذا هو الهدف الحقيقي للتقليديين.

اما في ما يتعلق بتاثير التقليدية على الشعبوية والقومية في يومنا هذا، فلا ينبع هذا التأثير من الشعبية التي يتمتع بها الفكر التقليدي. ولا وجود لجموع كبيرة من الناس، ناهيك عن ناخبين او داعمين، لهذه الحركات تحتشد سرا وتتجمع بشكل شبيه لتجمعات الطرق الصوفية لتسعى لتدمير النتاج المعرفي والتنويري القائم. عوضا عن ذلك، فان تأثير التقليديين نابع من ثلة قليلة جدا من الاشخاص يتمركزون بمناصب متميزة. وقد ركزت في كتابي على ثلاثة منهم: ستيف بانون، والبرازيلي اولافو دي كارفاليو(الذي توفي مؤخرا) ، واليكسندر دوغين في روسيا. لا احد من هؤلاء الثلاثة هو سياسي، ولا احد منهم يبشر بتقليديتهُ ويدعو الى مناصرتها علناً. لكنهم جميعا لديهم تاريخ طويل مع التقليدية. ففي حالة كارفاليو فقد انضم رسميا الى احدى الطوائف التقليدية عن طريق رجل يعرف بفريتيوف شون (ولدى كارفاليو اسم صوفي اسلامي، وهو امر غريب نظرا لان كارفاليو اصبح مؤثرا في حكومة جاير بولسينارو) . لقد تعلم اليكسندر دوغين اللغة الايطالية من اجل ترجمة اعمال المفكرين الايطاليين المنتمين الى اقصى اليمين التقليدي، وليطلق اسماء المفكريين التقليديين على المدارس، وليتحدث بالمفردات التي يتحدثونها. ستيف بانون يصف نفسه بكونه منتمي الى الفكر التقليدي وبدرجات متفاوتة من التأهيل. وكان الفكر التقليدي محط اهتمام بانون بشكل ثابت خلال الشطر الاكبر من حياته. اما في الجوانب الاخرى من حياة بانون فانه يبدو وكانه لا يسير على وتيرة واحدة متنقلا بولائه من شخص الى اخر، ومن وظيفة الى وظيفة اخرى ومن مسعى الى مسعى اخر، لكن اهتمامه بالروحانية بشكل عام والروحانية البديلة المناهضة للحداثة (التقليدية على وجه التحديد) هو امر صاحب حياته لفترات طويلة من الزمن. وعليه فان هؤلاء الثلاثة هم الشخصيات الاساسية للفكر التقليدي، مع وجود بعض التقليديين الاخرين والذين يعملون كمستشارين مع حزب جوبك في هنغاريا. ويمكن قول الشيء نفسه عن الاحزاب الشعبوية في فرنسا، والنمسا، ولدرجة اقل، اسكندنافيا. فقد برز هناك بعض التقليديين لكنهم لم يلقوا نجاحا مماثلا لنجاح بانون وكارفاليو ودوغين.

لوك سافج: لنعود الى دوغن، والذي يعتبره البعض الفيلسوف الخاص بالبوتينية – ونظيره، في بعض النواحي على اقل تقدير، للدور الذي لعبه بشكل مؤقت ستيف بانون في مشروع دونالد ترامب. مسيرة حياة دوغن غريبة ومتنوعة كمحاولته تنظيم حزب بلشفي قومي، وتمثيله روسيا في مواقع سياسية ودبلوماسية متعددة، واشتراكه في القتال في جورجيا. فقبل البدء بالحديث عن افكار وتأثير دوغن، ما الذي تستطيع اخبارنا اياه عن حياته ومسيرته بشكل عام؟

بنيامين تايتلبوم: انها مسيرة حياة مجنونة. خصوصا في حياته الراشدة، فعندما نبدأ بالقول مثلاً، انه بالغ التأثير. او انه دماغ فلاديمير بوتن،

يقوم دوغن بعمل شيء تافه، الى درجة تجعلك تظن ان هذا الرجل خدع الجميع لخلق هذه الهالة التي يحضى بها اليوم. وفي الوقت نفسه، اذا ما قلت مثلا ان هذا الشخص اضحوكة، ومزيف، لنقم بتجاهله، فيطل عليك بشكل مفاجئ وبظروف دبلوماسية معقدة، وكانه احد اهم محركات السياسة الروسية وقد تم التقليل من شأنه. تمتع دوغن بحدس جيد خلال مسيرته المهنية، وهذه الخصلة لعبت دورا مهما في نجاحه: فهو يدرك تماما متى يفصح عن افكاره الباطنية ومتى يقوم باضمارها. لدى دوغن ولع شديد بالسحر الغريب والمخيف بالاضافة الى ولعه بالباطنية. لكنه ايضا يمتلك دهاءا في مجال السياسة الواقعية.

فقد كتب دوغن على سبيل المثال كتابا منهجيا بعنوان اسس الجيبولتيكس تضمن رؤيته لدور روسيا في العالم بعد سقوط الاتحاد السوفيتي. وهذا الكتاب بتقديري هو نواة وجوهر تأثير دوغن في يومنا هذا. فقد تم تدريس هذا الكتاب الى اجيال من القادة والنخب العسكرية في روسيا منذ انهيار الاتحاد السوفيتي، ولم يتضمن هذا الكتاب اي من الافكار المجنونة المتعلقة بدورة الزمان او افكار المدرسة التقليدية الاخرى. فالكتاب يتمحور حول حق روسيا الالهي للتوسع في مجال نفوذها، وكيفية فعل ذلك، وكيف يمكن لروسيا اعادة تصوير دورها العالمي.

كما يطرح هذا الكتاب كثيرا من المقترحات العملية حول الكيفية التي يمكن من خلالها لروسيا ان تقوض الديمقراطية في الغرب، ومن هذه المقترحات تغذية كل انواع الانقسامات الاثنية، زعزعة الثقة في بالحكومات، ونقد وسائل الاعلام. بل وتمتد الى اشاعة رسائل ورؤى متناقضة مصممة لغرض خلق الانشقاقات داخل الجسد السياسي الامريكي. يسعى دوغن الى خلق احزاب سياسية اكثر تطرفا من الحكومة الروسية نفسها. وعندما احتلت روسيا جورجيا واوكرانيا، كان يتم استضافة دوغن على قنوات الدولة الرسمية ليقوم بسرد مجريات الاحداث.

وان الامور تتجلى الان بشكل واضح، تشارلز كلوفر، صحفي يعمل مع الفاينانشل تايمز قام بتحليل رائع لهذا: من الواضح ان بوتين يستمع الى حديث دوغن، لان بوتين كان يكرر ما تعلمه من دوغن، الى درجة ان بوتين تعلم منه كيف يصف الحرب ودور روسيا في العالم. لكن خلال كل ذلك، لم يكن لدوغن اي منصب رسمي مهم في الحكومة الروسية، وهذا تحديدا ما يجعل دوغن عصيا على التصنيف.

لوك سافج: من المؤكد يبدو ان تحديد تأثير ونفوذ دوغن هو امر صعب نوعا ما. فمن جانب، يبدو ان كل ما يتعلق بمشروع التقليديين يمكن النظر اليه على انه هامشي ومبهم، حتى ضمن قطاعات من اليمين المتطرفة المنعزلة اصلا. ومن جانب اخر، فقد تسنم دوغن في الواقع عدة مناصب في الدولة الروسية واصبح محل اعجاب داخل اوساط بعض الفرق ضمن اليمين المتطرف. الى اي درجة باعتقادك تساهم تقليدية دوغن في تشكيل الحياة السياسية الروسية، والسياسة الخارجية الروسية والسياسة بشكل عام؟ ام ان المسألة في واقعها ان ما يقوم به دوغن هو مجرد التوليف، والتعبير، وتشكيل الافكار والميول الموجودة بالفعل؟

بينيامين تايتلبوم: اعتقد انه من المستحيل الاجابة عن هذا السؤال بشكل مؤكد. افضل ما يمكن ان افعله، عندما استمع الى احدهم وهو يقدم اجابة واثقة تركز على سياق واحد دون غيره، استطيع ان استحضر العديد من الاسباب لاثبات خطأ هذه الاجابة. بالتأكيد، ان تأثير دوغن على السردية مهم: الدفع باتجاه تبني روسيا لسياسات

عدوانية مهم، وكذا الامر بالنسبة لدوره في اضافة معنى على الحرب لينقلها من كونها مجرد حرب بين دولتين، انما هي صراع بين ايديولوجيتين مختلفتين. وهنا تحديدا اين يصبح دوغن مفيدا ومؤثرا: عندما يكون هناك تعارض متخيل ليس بين الشرق والغرب فحسب، او بين القيم الليبرالية والقيم المحافظة، لكن بين الحداثة والتقاليد، وبين المادية والروحانية.

واذا ما يتم وصف روسيا اليوم او اذا ما كانت روسيا قد وصفت نفسها على انها منارة للعالم اللامادي والعالم الروحاني (وهو امر يمكنك سماعه من بوتين بين الحين والاخر – وقد سمعنا شيئا مشابها له في مقدمة خطابه حول موضوع اوكرانيا قبيل الغزو) فهذا نتاج لتأثيرات دوغن، والتي يمكن رؤية انعكاساتها بشكل عميق على التأطيرات العاطفية الدينية والاخروية لهذه الحرب

لوك سافج: لقد التقى دوغن و ستيف بانون في روما سنة ٢٠١٨، وقد برز الانقسام المتوقع بينهما في اعقاب هذا اللقاء: فالاول يرى بان الليبرالية الغربية (وبالتالي، الولايات المتحدة) هي العدو الاكبر، في حين يجد بانون في الصين العدو الاكبر، ما الذي تستطيع اخبارنا اياه عن هذا اللقاء؟ و ما اهمية وجود خلاف بين التقليديين رغم توحد السرديات؟ يبدو ان هذا الخلاف من الممكن ان يحد من امكانية انتاج مشروع مشترك بين الطرفين؟

بنيامين تايتلبوم: لقد وصفت الامر بشكل مثالي. هذه احد مشاكل التقليدية. ولقد اعطيتك عرضا قصيرا عنها، ولكن حتى لو كنت قد منحتني ساعتين من الوقت للحديث، ليس بالامكان وصفها بدقة اكثر من ما تطرقت اليه. فالفكر التقليدي باختلاف اصنافه فقير المحتوى، وهذا باعتقادي ما حال دون بروز التقليديين كلاعبين سياسيين.

في الواقع، ان دور التقليديين في الغالب يقتصر على كونهم مستشارين وبشكل فردي ولايتملكون سلطات رسمية، ولا مواقع سياسية، وغير قادرين على التنسيق بشكل جيد مع الاخرين. ولكن، في هذه الحالة تحديدا، رأينا اثنين من هؤلاء التقليديين، دوغن و بانون، يحاولان التنسيق مع بعضهما الاخر ويسعيان الى توظيف نظام قيمي مشترك. ولم يكونا قادرين على فعل ذلك في نهاية المطاف لانهم، كما قد ذكرت انت، لا يستطيعون الاتفاق على من يمثلهم.

بالنسبة لدوغن، فان اصل الحداثة يتمثل بالولايات المتحدة. في حين يرى بانون بان الصين هو مصدر الحداثة. حيث يؤمن بانون بان الصين هي المحرك الحقيقي للعولمة وللكوزموبوليتانية ولدعوات ازالة الحدود والحواجز، يتعامل معها قليلة من نخبة المجتمع في الولايات المتحدة. فبالنسبة لبانون، فان الروح الامريكية التقليدية المندثرة يمكن العثور عليها في حال تم التنقيب عنها، وحتى جوهر الولايات المتحدة الذي كانا سائدا في عصر ما قبل الثورة، يمكنه ان يتعايش مع روسي وربما حتى يتعاون معها على الصعيد الدولي.

لم يثر هذا الطرح اهتمام دوغن، لكنه كان سعيدا بالجهد المبذول، و رأى في التغييرات العالمية الحاصلة في جميع انحاء العالم تطوراً ايجابياً، وخصوصا التحولات في الولايات المتحدة، وتحديدا في اللحظة التي بدا فيها ان هيلاري كلينتون كانت على وشك الفوز بالانتخابات (تمثل كلينتون تجسيدا للظلام النهائي حسب رؤية دوغن) ، ولكن وخلافا للتوقعات يخرج تقليدي مثل ترامب ويفوز بالانتخابات ليدفع بالامور الى الامام.

لم يهتم دوغن كثيرا بما دار بينه وبين بانون من حوار، لان الاول يعتقد بوجود قوى اخرى ذات تأثير اكبر، وما ستيف بانون الا مجرد اداة بيد هذه القوى. وبالنسبة لبانون، فان لقاءه مع دوغن كان

محبطاً للغاية. ولا يزال الامر كذلك لبانون حتى يومنا كون ان ما اراده بانون هو اصطفاف القوى التقليدية مع بعضها مجدداً. وسعى بانون ان تكون روسيا جزءا من الغرب، وتصطف معهما البرازيل التي رأي فيها واحة للتقاليد والثقافة الاوربية من حيث الجوهر، كجزء من خطة شاملة للتوحد معا وعزل الصين.

لم يفشل بانون في اقناع دوغن بالتبشير والدعوة الى احياء هذا الاصطفاف وحسب، لكن مسعاه كله تداعى وانهار تماما. لذلك فان جزء كبير من القصة التي اقوم بسردها هي في حقيقة الامر عن الفشل، فشل محاولات التنسيق خلف الكواليس والاستناد الى مجموعة افكار مبهمة ومنفرة وبعيدة حتى عما يعتقده الناس او يربطوه بالحركات الشعبوية اليمينية. الا ان ذلك لا يعني بكل تأكيد بعدم حدوث ضرر مصاحب لانتشار هذه الافكار التقليدية.

لوك سافج: يوما بعد يوما يبدو الغزو الروسي لاوكرانيا، والمدفوع بالكثير من الاسباب لكن المغالاة القومية هي اوضح محفزاته، بانه متجه نحو الفشل اذا لم يكن كارثة تامة بالنسبة الى فلاديمير بوتن- من ناحية الفشل بتحقيق الاهداف العسكرية والاقتصادية على حد سواء. وربما تكون الاجابة لهذا السؤال واضحة، لكن، مع افتراض ان هذا الانطباع سيتم التحقق من صحته في الاسابيع والاشهر القادمة، هل تعتقد ان مخرجات الحرب ستضعف ام ستعزز الافكار القومية المتطرفة والافكار المرتبطة بالكيسندر دوغن؟ ما الذي يخبأه المستقبل للفكر التقليدي في روسيا وغيرها؟

بنيامين تايتلبلوم: في الحقيقة يوجد الكثير من التساؤلات هنا. الفشل العسكري الكارثي هو احد الاحتمالات التي ارجح حدوثها ايضا. لن تروق هذه النتيجة للتقليديين بكل تأكيد. لكنهم من ناحية اخرى يرحبون بالعقوبات المفروضة على روسيا. اليكسندر دوغن سعيد جداً برؤية خروج سلسلة مطاعم ماكدونالد وجميع المصالح الاوربية الاخرى من روسيا. وهناك ايضا ادارة للفضاء المعلوماتي وهو امر يحبه دوغن ايضا. لقد انفصلت روسيا الان عن النظام المالي الغربي، وعن اضطرابات النظام الراسمالي العالمي، ومن تدفق الاموال والسلع الغربية. التقليديون مثل دوغن سعيدون بهذه التطورات. واذا ما كانت هذه النتائج النهائية لحملة عسكرية فاشلة، فباعتقادي ان دوغن سيرى في هذه الحملة احد افضل الاشياء التي قامت بفعلها روسيا على الاطلاق- حتى وان كان دوغن يريد استعادة اوكرانيا ويريد رؤية الاوكرانيين خاضعين لارادة روسيا وقاطعين لصلاتهم مع الغرب.

كل من يتابع دوغن، ومن ضمنهم انا، كان قد توقع انه عندما يتم الاعلان عن فرض العقوبات على روسيا، فان هذا الامر سيكون محل ترحيب من قبل التقليديين. في الامس فقط، على سبيل المثال، وسط انباء عن تقنين الانترنيت، خرج دوغن ليقول»هذا امر رائع. امر عظيم». اعتقد بانه ربما اصبح في موقع اقوى الان. ولا اعتقد بانك سوف ترى الجميع يقومون بانتقاد بوتن ومهاجمته لتسببه بفرض عقوبات على روسيا. في الكثير من الحالات، من المرجح انك سوف تراهم يتحشدون لتحدي هذه العقوبات. وهذا احد السبل التي من خلالها سيحافظ بها التقليديون على بعض كرامتهم في وجه ظروف اقتصادية قاسية. لذلك فان الذي يحدث في روسيا في هذه اللحظة سيقوي من دوغن، وسيعزز من القضية التي ينادي بها، لخلق جزيرة معزولة عن الغرب، الجزيرة الروسية. لكن حول السؤال عن مصير التقليديين في المستقبل، فان ذلك يرتبط بشكل كبير بمصير افراد محدودين، كون التقليدية ليست حركة

جماهيرية في نهاية المطاف.
لذلك، للاجابة عن هذا السؤال، يجب معرف ما الذي يخبأه القدر لشخصيات بعينها. اولافو دي كارفاليو- احد الشخصيات المؤثرة في التيار التقليدي كونه احد عرابين الرئيس البرازيلي جاير بولسونارو- ولا يشك احد بان بولسونارو قد ضم الى حكومته افرادا من المعتنقين لفكر اولافو دي كارفاليو. ومع موت دي كارفاليو، فلقد ضعف تياره وتشضى نتيجة لذلك. وليس من الواضح ما الذي سيحدث في المستقبل او اذا ما سيحل احد من التقليديين الاخرين او القوميين المتطرفين محل دي كارفاليو في الفضاء السياسي البرازيلي. اما فيما يخص دوغن، فاعتقد ان موقعه سيتعزز في روسيا، حتى لو انتهت حرب اوكرانيا بالهزيمة.
في السنوات ٢٠١٨ و٢٠١٩ عندما كنت لا ازال منشغلا بتاليف كتابي، كان الراي السائد بان ستيف بانون قد فقد تأثيره، لكن الامر تغير الان، فلا احد يقول بهذا في وقتنا هذا-على اقل تقدير في الولايات المتحدة. بانون ليس زعيما سياسياً. ولن يشغل منص المستشار الاول لاي رئيس امريكي بعد الان. وبالرغم من ذلك فان منصته وبرنامجه الاذاعي ارتقى تدريجيا ليصبح من اهم وسائل الاعلام المعنية بحراك «لنجعل امريكا عظيمة مرة اخرى». منصة ستيف بانون اضحت اليوم مؤسسة لحاملي لواء الترامبية ولاجندة حركة لنجعل امريكا عظيمة مرة اخرى. وحتى ان فشل ستيف بانون في مشروعه هذا، فانه سيطلق مشروع اخر. ومن غير المتوقع ان يختفي بانون من الساحة.
لكن هناك شيء اخر يجب ان يؤخذ بنظر الاعتبار عند الحديث عن الحركة التقليدية. هذه الشخصيات- دوغن، بانون، اولافو، تايبور بارانيا في هنغاريا—والى حد معين ظهروا بشكل مستقل عن بعضهم الاخر في وقت واحد بالسياق التاريخي الاوسع. فنحن نتحدث هنا عن عقود قليلة، غير انه لم يسبق لاحد من قبل ان يأتي بشيء مشابه لما جاء به هؤلاء. ولا اريد ان اثير الذعر بطرحي هذا او اكون شريكا في طروحات دوغن الاخروية الغريبة، فاني اتساءل اذا ما كان هناك شيء يخص الشعبوية ذات الادعاءات المبتذلة والغامضة، فباعتقادي انه مع وجود هذا الخواء من ناحية الرسالة والايديولوجية، فمن الطبيعي ان يحصل استقطاب بين شخصيات متباعدة لكنها تحمل فكر متشابه.
في بريطانيا، دومينيك كمنغ، وان لم يكن من التقليديين، الا ان طروحاته لامست الحدود الخارجية للافكار المعادية لليبرالية والفكر المعادي للحداثة. واعتقد انه من المرجح ان يستمر ذلك بالحدوث. فلكل التيارات الراديكالية المؤدلجة التي تطمح لتغيير الوضع القائم، ستضل الشعبوية اليمينية معينا ووسطا يمكن لهذه التيارات ان تعيش فيه. ولن اتفاجئ اذا لم تظهر بعد شخصيات مثل مستقبلا. واقصد هنا شخصيات مؤثرة قريبة من مصادر القرار.

ندوة العدد:

تنظيم: المعهد العراقي للحوار

بناء الدولة في العراق بعد ٢٠٠٣ . .
النجاحات والإخفاقات

(ندوة فصلية)

كلمة الدكتور عباس راضي العامري مدير المعهد العراقي للحوار

بسم الله الرحمن الرحيم
أسعد الله مسائكم وشكراً جزيلاً لتلبيتكم الدعوة، نستضيف في هذه الحلقة النقاشية الدكتور روجر بيترسون،
أهلاً وسهلاً بك دكتور روجر بيننا في بغداد، ويسعدنا أن تكون في ضيافة المعهد العراقي للحوار، وفي هذه الحلقة النقاشية.
وقد تحدث الدكتور العامري عن إنجازات الضيف بالقول: » إنّ الدكتور بيترسون بصدد إكمال تأليف كتاباً حول العراق، وفي هذه الجلسة سيستكمل جوانب مهمة من خلال المداخلات التي ستثري الندوة.

كلمة السيد روجر بيترسون Roger Petersen

أستاذ العلوم السياسية في معهد ماساتشوستس الأمريكي

في الحقيقة، أود أن أشكركم على إتاحة هذه الفرصة للحديث حول الموضوع، وكوني متخصص في الدراسات الأمنية ودراسة الحرب الأهلية. لكن سأتحدث في هذه الجلسة بعبارات أكثر عمومية عن بناء الدولة.
عندما يضع علماء السياسة الأمريكيون الدول في

جميع أنحاء العالم في ميزان المقارنة، فإنهم في الغالب لديهم عوامل محددة للمقارنة.
أولاً: عامل الهوية، وما هي العلاقات بين الجماعات داخل الدولة وكذلك شرعية الدولة؟
ثانياً: قدرة الدولة. وغالبا ما يتم تعريف ذلك من خلال ثلاثة أسئلة. ما هي قدرة الدولة على تحصيل الضرائب؟ ما هي قدرة الدولة على فرض القانون والنظام؟ ما هي قدرتها على توفير السلع العامة؟
القضية الثالثة: السيادة، وهي قدرة الدولة على السيطرة على جميع أراضيها.
والقضية الرابعة: هي طبيعة العقد الاجتماعي، الذي يلزم المواطنين بالدولة.
أنا هنا اليوم أطرح لكم وجهة نظر معينة بشأن العوامل التي ذكرتها للتو. ونعرج على العامل الأول: الهوية، وجاءت في الترتيب الأول لأنه لا يمكن معالجة الجوانب الثلاثة الأخرى لقوة الدولة وسيادتها وعقدها الاجتماعي بشكل متماسك حتى يكون لدى المواطنين اعتقاد واضح حول هوية الدولة وشرعيتها.
وقبل الحديث عن بناء الدولة في العراق، سأتحدث عن تجربتي في أوروبا الشرقية، حيث عملت لمدة ٢٠ عاماً، ثم أنقل الدروس التي تعلمتها في أوروبا الشرقية إلى كيفية تطبيقها في العراق.
إذا نظرت إلى تاريخ أوروبا الشرقية، عبر مئات السنين، فقد حكمت أوروبا الشرقية ثلاث إمبراطوريات متعددة الأعراق؛ الإمبراطورية الروسية، الإمبراطورية المجرية النمساوية، والإمبراطورية العثمانية. ومع تحديث هذه الإمبراطوريات ومواجهتها للمنافسة الدولية، احتاجت الدولة إلى التغلغل بشكل أعمق في حياة الأفراد من حيث التعليم والتجنيد الإلزامي والتنظيم، ومن أجل الكفاءة احتاجت الدولة إلى فرض ثقافة واحدة بلغة واحدة في هذه العملية. انتقل الناس من المناطق الريفية بشكل متزايد إلى المدن التي تهيمن عليها نخب الإمبراطورية لغوياً وسياسياً. وهناك شعور لدى الأغلبية الريفية الإقليمية بأن الأقليات الحضرية المتميزة تهيمن عليها ظلماً. ومن المحتم أن يكون هناك رد فعل عاطفي ضد هذه الهيمنة.
زادت هذه التطورات التاريخية من كيفية تماهي الأفراد مع المجموعة. في أوروبا الشرقية، كانت اللغة هي المهيمنة على المجموعة. وكان هناك أيضاً شعور قوي بأن بعض المجاميع تهيمن على التسلسل الهرمي العرقي، بينما كان آخرون في وضعية التابع.
وفي كثير من الحالات كانت هنالك مجموعة تعاني من التشتت فلا هي تعاني الهيمنة ولا هي تبعية. وهذا التصور للتبعية غير العادلة أججت مجموعة مشاعر (أسميها مشاعر السخط) ، منها شعوراً تحول إلى استياء، ومنها شعوراً زاد من الرغبة في تغيير الوضع، وشعوراً خلق هاجساً بموقف المجموعة، وشعوراً ساعد على فرض الاعتقاد بأن العمل وحتى العمل الشاق يجب أن يوظف لإعادة ترتيب التسلسل الهرمي للوضع ويرجع ذلك جزئياً إلى قوة مشاعر السخط.
قامت الإمبراطوريات الثلاثة متعددة الأعراق، بتفكيك الدول القومية القائمة على اللغة، التي تشكلت في العديد من الدول الجديدة في أوروبا الشرقية، وأصبحت المجموعة العرقية ذات الأغلبية مهيمنة سياسياً، ووضعت مجموعات أصغر أخرى نفسها وفقا لذلك. واستمرت عملية تشكيل الدول القومية بينما انهارت إمبراطوريات الأمة متعددة الجنسيات إلى دول متعددة الأعراق في الاتحاد السوفيتي ويوغوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا. ولكن مع العملية التاريخية لانهيار الشيوعية، انهارت كل دولة من هذه الدول متعددة الأعراق مرة أخرى. وانهار الاتحاد السوفيتي. ولدينا مع دول البلطيق أوكرانيا اليوم، التي لا تزال موضع نزاع. ولكن حتى عندما انهارت يوغوسلافيا، تركت الدولة الصربية،

والجبل الأسود أحراراً في أنفسهم مما كان ينظر إليه على أنه هيمنة.
لم يبق سوى البوسنة كدولة متعددة الأعراق. بالإضافة إلى أنها دولة متشعبة، ويتجنبون التبعية. وفي العديد من هذه الحالات، أدى العنف دوراً كبيراً في إعادة ترتيب التسلسل الهرمي العرقي. هذا التشكل للدول القومية التي تحكمها أغلبية مهيمنة واحدة حدث في كل دولة في المنطقة. هناك شيء ما يحدث، إما على المستوى النظامي الإقليمي أو على المستوى النفسي الفردي أو كليهما.
خلاصة ما أود قوله هو: تنوعت المجاميع بتنوع الطبيعة البشرية فذهبت إلى اتجاهات عدة منها: أفراداً يتماهون بسهولة وبشكل طبيعي مع المجموعات الكبيرة.
أفراداً يفكرون بشكل طبيعي من حيث التسلسل الهرمي العرقي.
أفراداً ينظرون إلى مجموعاتهم من منظور الهيمنة والتبعية.
تصور أن مجموعة الفرد تشغل دوراً ثانوياً غير عادل - وهذا التسلسل الهرمي يطلق عاطفة إنسانية مشتركة – والتي نسميها الاستياء. وتحت تأثير هذه المشاعر، يطور الأفراد رغبة أو تفضيلاً لتغيير هذا الوضع الظالم، فهم يتحيزون في جمع المعلومات الخاصة بهم لمعرفة ذلك الوضع غير العادل، ويؤمنون أن الإجراءات الرامية إلى تغيير هذا الوضع، حتى الإجراءات العنيفة، لها ما يبررها، ولكن وبالاستناد إلى ملاحظتي في أوروبا الشرقية، فإن مشاعر الاستياء هذه تتبدد. بمجرد تأسيس تسلسل هرمي عرقي جديد للدولة بشكل واضح وراسخ.
في هذه الحالة، يأتي أعضاء المجموعات التابعة لقبول النظام الجديد. فالمجموعة المهيمنة بمجرد أن تكون آمنة في وضعها الجديد، ستتمتع المجموعات التابعة بحقوقها وامتيازاتها. وأضرب لكم مثالاً عن ليتوانيا، فقد عملت كثيراً فيها. بمجرد أن أصبحت ليتوانيا آمنة كانت كلمة الشعب مسموعة لأنه تمتع بكافة حقوقه الثقافية. وفي ليتوانيا أيضاً، منحوا الكثير من الحقوق والامتيازات للأقليات الروسية والبولندية. وبمجرد إنشاء هذا النظام، يمكن للدولة الانتقال أكثر إلى أعمال أخرى بسهولة، ومرونة أكثر في زيادة قدرة الدولة.
في هذا الوقت، أججت التحولات التاريخية المختلفة هذه المشاعر القوية من الاستياء التي تجذرت في الطبيعة البشرية في أوروبا الشرقيةكما ذكرت للتو.
إن عملية تحديث الدولة أطلقت العنان للتصور الواسع للتبعية الظالمة والاستياء المصاحب لها كما في الولايات المتحدة اليوم، مما أدى إلى تغيير العمليات الديموغرافية أو خلق شعور بالارتفاع العرقي مع تحدي وضع الأغلبية للبيض، وهناك اتهامات شائعة بتفوق البيض وردود فعل شائعة بنفس القدر ضد تلك الاتهامات. حيث ترتبط هذه الاتهامات بوضوح بالتغييرات في التسلسل الهرمي للمجموعات، والتي ساعدت بلا شك في انتخاب دونالد ترامب. اما الآن، فوجهة نظري للعراق هو أن مزيجاً من التطورات التاريخية، جنباً إلى جنب مع التغييرات التي أحدثها الغزو والاحتلال الأمريكيان، أدى إلى عصر مشبع بمشاعر الاستياء في العراق. والمدة من ٢٠٠٣ إلى ٢٠١٧، في رأيي، كانت أرضاً خصبة لمشاعر الاستياء. ومع ذلك، أعتقد أن التسلسل الهرمي الجديد للحالة أصبحت صورته واضحة. وأصبحت قضايا الهوية بالدرجة الأولى أكثر وضوحاً هنا. والعراق اليوم في وضع يمكنه من معالجة قضايا قدرة الدولة وسيادتها.
في الواقع أنا لست بمؤرخ عراقي، لكن تصوري لمفهوم التسلسل الهرمي للجماعات في العراق هو أنه تم تشكيلها وفقاً للقواعد العثمانية والبريطانية آنذاك، بالإضافة إلى العامل الديموغرافي

في العراق والذي رافق تاريخه الحديث في جميع المراحل، الفكرة هي: كان هناك تسلسل هرمي في العراق مع وجود السنة في سدة الحكم. بالمقابل كان الشيعة يشكلون أغلبية ديموغرافية. كما هو الحال في أوروبا الشرقية، فأصبح الشيعة أكثر وعياً بمكانة مجموعتهم التابعة، ثم ومع التحضر وأثناء انتقالهم من الجنوب إلى بغداد. زاد القمع في عهد صدام وتفاقم لديهم الشعور بالجماعة والتبعية. بالنسبة للأكراد فلطالما سعوا لأن يصبحوا قادة مناطقهم وحققوا هذا الهدف جزئياً في إطار حرب تحرير الكويت عام ١٩٩١. ثم جاء الغزو الأمريكي لينهي هذا النظام، وبدء الديمقراطية التي من شأنها أن تمنح السلطة للأغلبية الديمغرافية. ثم جاء الشعور باضطراب التسلسل الهرمي لوضع المجموعة. كان أفضل مؤشر منفرد للعنف الجماعي في دراساتي في أوروبا الشرقية هو عندما تكون حالة مجموعة مهيمنة ستهدد بالانعكاس.

في العراق. لقد شعر السنة باحتمال حدوث مثل هذا الانعكاس في الوضع. واستشعر الشيعة فرصة تاريخية للتخلص من وضع التبعية الظالم. أما الأكراد فكانوا قلقين بشأن وضعهم، لكنهم أيضاً رأوا فرصة لكسب الهيمنة في كركوك. والأراضي المتنازع عليها. باختصار، كان العراق دولة مليئة بمخاوف إدارة الحكم ومشاعر السخط والاستياء.

ما الذي حدث خلال هذا الصراع الممزوج بالاستياء.

فمن ناحية، كان هناك تشويه لهيكل الدولة وتراجع في قدرة الدولة. حيث استولت المجموعات الطائفية على وزارات الدولة. وسعى التنظيم الطائفي إلى السيطرة على أجزاء مختلفة من النظام الأمني، مما أدى إلى نظام أمني مجزأ. وأصبحت الجهات الفاعلة من غير الدول بدلاً من الدولة موردة للسلع العامة.

وفي بعض الأحيان سعت نحو الفصل في النزاعات، و في أحيان أخرى قامت بإدارة الرعاية الاجتماعية، وكذلك سعت تلك المنظمات الطائفية غير الحكومية إلى إقامة شراكات مع كيانات أجنبية لتقلل من سيادة الدولة.

كانت الدولة نفسها ذات الجيش الضعيف بحاجة إلى دعم الجماعات المسلحة من غير الدول، فاجتمعت مع قوات الحشد الشعبي، مرة أخرى، مما شكل مشكلة بالنسبة لسيادة الدولة. وفي بعض المناطق، حلت التنظيمات الطائفية محل التنظيمات الفاسدة، ورأت أن كل ما سبق يؤدي إلى دولة ضعيفة مليئة بعدم الكفاءة والفساد، واستمرار استخدام العنف لأسباب سياسية. كل ما سبق ترك إرثاً إشكالياً أمام الإصلاح الحالي. لكنني أعتقد أن هناك أملاً في التغيير إذا تمت معالجة قضايا الهوية الأولى. وأود أن أزعم الآن أن العراق يمتلك تسلسلاً هرمياً جديداً وأكثر وضوحاً للوضع، وهو تسلسل مقبول من معظم الجهات الفاعلة، وهو الوسيلة.

وهذا يعني أن إدارة مشاعر الاستياء وشرعية حالة الحرب بهذا الترتيب، والشيعة هم المهيمنون. فقد قبل السنة والأكراد منصباً تابعاً. وجاء ذلك من خلال ثلاثة أحداث، معظمها في الحرب الطائفية، التي فاز بها الشيعة.

بالنسبة للصحوة السنية، لماذا تحالف السنة مع الأمريكيين وهم لا يحبونهم ؟ لأنهم عرفوا أنهم خسروا وكان أملهم الوحيد، هو التحالف مع الأمريكيين. وبالعودة إلى الحديث عن أحداث ٢٠٠٨ عندما كان المالكي مسؤولاً عن حملة صولة الفرسان في البصرة، أدرك المالكي أن المباراة ضد السنة والشيعة واحدة، والآن كان عليه الانتقال إلى خصوم داخل المجموعة الشيعية. أما السُّنة فكانوا يأملون في مراجعة جذرية لوضع النظام، سرعان ما تبددت هذه الآمال بسبب أحداث داعش وما آلت إليه من نتائج.

كذلك قضية الاستفتاء الكردي، أسفرت المعركة عن حل حقيقي في الأراضي المتنازع عليها. بمجرد إنشاء تسلسل هرمي جديد، كيف نعرف أننا نراه؟ في حين أن هناك مؤشرات معينة وأراها تحدث في العراق. ولن تدور منافسة سياسية واحدة بين المجموعات الرئيسية بل داخل المجموعة المهيمنة. لذلك لا تحتاج الفصائل عبر المجموعة المهيمنة إلى الاتحاد لأن موقعها المهيمن قد تم تأمينه.

في العراق، سوف تتنافس الأحزاب السياسية الشيعية ضد بعضها البعض لأنها لم تعد بحاجة إلى الاتحاد. بعد كل شيء، تم تأسيس الموقف السني أو الشيعي المهيمن. ومن المرجح أن تصطف فصائل المجموعة التابعة عبر مجموعة من أحزاب المجموعة المهيمنة، التي يسعى كل منها إلى أن يصبح شريكاً صغيراً في هذا التحالف. لذلك، في حين تتنافس الأحزاب والفصائل الشيعية على قيادة الحكومة العراقية، تصطف الأحزاب السنية والكردية كدعم وحلفاء.

وبالمثل، بالنسبة للأحزاب السنية، ما يجب أن نراه هو أنه بدلاً من المنافسة من الأحزاب الطائفية الوطنية، سنرى المزيد من الأحزاب الإقليمية. وإذا نظرت إلى الانتخابات الأخيرة بشكل صحيح، فإننا نرى أحزاباً تريد تأكيد ذاتها عن طريق الحد الأدنى هو "هويتنا". مثل: صلاح الدين هويتنا. لأن الهوية تدرس على المستوى الإقليمي ولم تعد على المستوى الوطني. سيكون هناك المزيد من المرشحين الأفراد الذين يتنافسون على شخصياتهم، بدلاً من الهوية الوطنية الواسعة، وعلى الرغم من أنني أعتقد أن ذلك في العراق له علاقة بالتغيرات في النظام الانتخابي أكثر من ارتباطه بعوامل أخرى. وسيتوقف الناس عن الحديث بالطائفية، أو حتى التفكير بالطائفية بسبب القضايا في حد ذاتها، ولن تكون هناك مجموعة جديدة من المقاطعات للانتخابات لأن النظام غير شرعي.

لذلك، في الختام في عصر الاستياء هذا، أعتقد أن نقطة النهاية للهيمنة المطلقة كانت حتمية تقريباً، وبالنظر إلى الديموغرافيا وكان ذلك طبيعياً. لم يكن الأمر غريباً بالنسبة لي، لأنني رأيت هذا النوع من العمليات يحدث في حالات أخرى حول العالم. وكذلك في منطقتي، حيث درست في أوروبا الشرقية. والنتيجة ليست بالضرورة أمراً سيئاً، لأن الوضوح والتسلسل الهرمي يسمحان الآن بالتوصل إلى حل وسط ومرونة.

هل ستنجح الدولة العراقية في معالجة قضايا قدرة الدولة على إنفاذ قانون تنظيم الحد من الفساد وتوفير المنافع العامة؟

سيتعين على الدولة التغلب على التشوهات التي أنتجها عصر الاستياء والعنف والاحتلال. وهناك العديد من الاحتمالات وأسمحوا لي أن أقول أربعة منها أعتقد أنها ممكنة.

الأول هو أنهم سيجرون هذه التعديلات. وسوف تكون مدفوعة بمطالب عامة السكان. ويمكن رؤية بدايات هذه العملية في النجاح النسبي الانتخابي الأخير لأحزاب الاحتجاجات، والفشل الواضح للقمة في الانتخابات الأخيرة.

الاحتمال الثاني: هذه التغييرات يمكن أن تحدث، لكنها لا يمكن أن تحدث حتى تكون هناك تغييرات مؤسسية كبيرة في نظام الحكم العراقي. ربما يكون الفرد رئيساً أقوى في نظام الأغلبية بدلاً من نظام الإجماع. أعني، يمكنك الانتقال إلى نظام التعددية على غرار نظام الولايات المتحدة التي من شأنها أن تجلب نظام الأغلبية. وأعتقد أن هذا غير مرجح. ولكن بإمكانك تغيير تشكيل الحكومة نحو نظام أكثر أغلبية، حيث يوجد برنامج واحد مقابل برنامج آخر.

الاحتمال الثالث هو أنك لن تقوم بإجراء هذه التغييرات ولن تقوم بذلك بسبب المنع المفروض من العملاء المحتملين. وأعتقد أن النخب

الموجودة حالياً تمثل النظام الحالي، لأنها متسقة. حيث يمكن لرئيس قوي أن يشكل تهديداً للغنائم أو البقاء على قيد الحياة وأن يكون أيضاً مرادفاً لسابقة ليست جيدة في العراق بالنسبة لنا. كما أن النظام الأمني المجزأ يمنع هيمنة وتهديد أي جماعة أو فصيل معارض يمنع مجموعة من الاستيلاء على نظام أمني موحد واستخدامه بمرأى من العنف ضد فصيل آخر مع تقسيم الواجبات الأمنية بطريقة يضمن فيها البقاء ويمنع التبعية. الاحتمال الرابع هو أن التغييرات لن يتم إجراؤها ولن يكون ذلك فقط بسبب النخب، ولكن سيتم إجراؤها بسبب التفضيلات. من غالبية السكان العراقيين. وهنا، أعني، أن مقاومة النخبة قد تكون متوقعة، لكن موضوع تفضيلات عامة السكان أقل وضوحاً. وهنا نأتي إلى مسألة العقد الاجتماعي. على سبيل المثال: كما في نظرية تشارلز تيلي في تفسير بناء الدولة في التجربة الاوروبية، احتاج الحكام إلى استخراج الموارد من السكان للدفاع عن حدود الدولة، وسيادتها الإقليمية. لذلك تم التوصل إلى اتفاق بشأن الضرائب مقابل الحماية، ولكن أيضاً في مقابل الاعتراف بحقوق وحريات السكان في ممارسة أعمالهم الخاصة، والتجارة والزراعة، ومهارات الحرفيين أيضاً، لأن المواطنين أصبحوا دافعي ضرائب، فإنهم سيكونون قلقين بشكل طبيعي بشأن كيفية إنفاق الدولة لهذه الأموال الضريبية، وسوف يبحثون عن طرق لمحاسبة الدولة. وستظهر أحزاب واعدة للقيام بذلك لكسب الأصوات.

ولا ينطبق العقد الاجتماعي المذكور على الواقع العراقي، إذ لا توجد ضرائب بنفس الطريقة. ويتم جمع القليل جدا من الميزانية للضرائب. لذلك، يفتقر المواطنون العراقيون إلى الحافز لمراقبة مسؤوليهم المنتخبين بنفس الطريقة، ولسان حالهم يقول: بدلاً من صفقة العقد الاجتماعي يجب أن توفر لنا الدولة وظيفة والحد الأدنى من السلع المادية. وإذا فعلوا ذلك، فإننا سنستمر في دعم الدولة و أحزابها ونظام التوافق، حتى لو كان فاسداً وغير فعال.

في الواقع، كل من النخب والعديد من عامة السكان يتسامحون مع النظام هذا، إن لم يعجبهم أو لم يحترموه، طالما أنه يفي بالحد الأدنى من متطلبات هذا العقد. وحاليا، عندما أنظر الإحصاءات أجد أنّ ٣٠٪ من السكان يتلقى معاشات تقاعدية أو دعماً حكومياً مباشراً، و ٤٠٪ يعتمد على رواتب الدولة، وهكذا فإنّ النظام يأخذ أموال النفط، والتي هي الآن أكثر وفرة لتحقيق الحد الأدنى من العيش.

وإذا كان هذا صحيحاً، فإن الطريقة الوحيدة التي يصحح بها الماضي هو إيجاد حلول لبعض الأزمات التي تغطي الحد الأدنى من المتطلبات. وربما يأتي ذلك اليوم مصحوباً بمشاكل، خاصة مع الطفرة الشبابية القادمة التي تظهر في الواجهة في العراق. وآمل مخلصا أن يكون السيناريو الأول الذي قدمت فيه ضغطاً شعبياً من أجل التغيير هو السيناريو الذي سيحدث ولكن من الصعب التنبؤ به في المستقبل.

أشكرتعليقاتكم مسبقاً وأتطلع إلى تعليقاتكم على حديثي. والرد عليها.

مداخلة السيد محمد شياع السوداني / نائب حالي ووزير العمل والشؤون الاجتماعية سابقاً.

شكراً جزيلاً لإتاحة الفرصة لاستضافة الأستاذ بيترسون، بالنسبة للصراعات التي بدأت على حساب الهوية الوطنية جاءت بسبب الإرث التاريخي الذي شهد بدوره صراعات أيضاً أم بسبب التدخلات التي حصلت بعد ٢٠٠٣ وبالتالي أثرت على العملية السياسية. وإثارة النعرات الطائفية والمذهبية والقومية أم بسبب الماضي الذي ينعكس على

إعـداد الدسـتور كمـا اعتـرف المؤسسـون لـه بذلـك.
السـؤال الآخـر هـو، هـل تعتقـد أنّ العـراق ومـا شـهده مـن صراعـات ومـا اتسـمت بـه العمليـة السياسـية مـن محاصصـة أدت إلـى فسـاد ونقـص خدمـات انعكـس علـى ثقة الشـعب بالعمليـة السياسـية، وكان هـذا واضحـاً فـي الانتخابـات الأخيـرة، والتـي شـهدت عـزوف عـدد كبيـر مـن المواطنيـن، هـل تعتقـد فـي هـذا الوقـت الحالـي أن تكـون الأغلبيـة المكوناتيـة هـي السـبيل الأنجـح فـي هـذه المرحلـة فـي ظـل وجـود المحاصصـة ومـا يلحـق بهـا مـن آثـار.
مداخلـة الدكتـور نـوري الدليمـي/ وزيـر التخطيـط السـابق
ذكـر الدكتـور تعقيبـاً علـى كلام الأسـتاذ بيترسـون حول إتاحـة الفرصـة للأغلبيـة أن تحكـم فـي العـراق، هـل هـذه الطريقـة بعـد ٢٠٠٣ مناسـبة لتمكيـن الأغلبيـة أن تحكـم، أم أنهـا بطريقـة التغييـر العسـكري ومـا نتـج عنـه مـن مشـاكل كثيـرة، والتـي لا زالـت تسـبب مشـاكل.
السـؤال الثانـي: مـا هـي احتماليـة الاسـتمرار فـي هـذا النظـام، أم أنّ هنـاك أمـلاً لتغييـر قواعـد اللعبـة فـي العـراق مـا بعـد٢٠٠٣
حسـنا، سـأبدأ بالسـؤال حـول الإرث. إنّ الكثيـر مـن أبحاثـي فـي الحقيقـة تتعامـل مـع الجنـود الأمريكييـن الموجوديـن هنـا مـن عـام ٢٠٠٣ إلى عـام ٢٠١١. وأعتقد أن جـزءاً مـن المشـكلة قـد سـببته الولايـات المتحـدة. كمـا تعلمـون، عندمـا جـاءت الولايـات المتحـدة إلـى العـراق، اعتقـد الكثيـر منهـم أنـه بسـبب نظـام صدام الشـمولي، كان العـراق صفحـة بيضـاء. وكان هنـاك عراقيـون قالـوا للأميركييـن نفـس الشـيء، كتـب أحـد المشـهورين مقـالاً ذكـر فيـه: سـنكون قادريـن علـى إرسـاء الديمقراطيـة بسـهولة بالغـة، لأنهـا، كل شـيء قـد تـم تسـويته مـن قبـل النظـام السـابق. وهـذا لـم يكـن صحيحـاً علـى الإطـلاق. كانـت هنـاك مجموعـات معينـة مـن جميـع الأطـراف كانـت هنـا، وتعاملـت الولايـات المتحـدة معها بشـكل سـيء للغايـة. واختاروا بعـض التفضيـلات. وسـاعدوا فـي خلـق هذه المشـكلة المتمثلـة فـي دولـة ضعيفـة، كمـا تعلمـون، الكثيـر مـن الجنـود الأمريكييـن يحبـون العمـل مـع منظمـة بـدر، لأنهـم كانـوا جنـوداً محترفيـن مدربين فـي العراق. و نحـن جنـود محترفـون. ولكـن لإضافـة جزئيـة لنـوع المجموعـة الأمنيـة، لتضـع لهـا عينـاً فـي كل مدينـة، لـذا فـإن الولايـات المتحـدة لـم تنشـئ قـط الأمـن المحلـي ولـم تقـم أبـدا بإصـلاح الشـرطة. والكثيـر مـن هـذه القضايـا تأتـي كإرث للتدخـل الأمريكـي والـذي تركـوه للعراقييـن لتصحيـح تلـك المشـاكل. ولا أعـرف مـا إذا كان مـن الأسـهل تصحيـح المشـاكل التـي جـاءت بسـبب الغـزو والاحتـلال أم تصحيـح المشـاكل ذات المـدى البعيـد. لكننـي أعتقـد أن هنـاك مشـاكل إقليميـة أيضـاً. لذلـك هنـاك مجموعـة متنوعـة مـن قضايـا الهويـة. ولكـن للعـودة إلـى السـؤال الآخـر حـول انعـدام الثقـة فـي الولايـات المتحـدة، لا يوجـد نقـص فـي الثقـة بيـن الديمقراطييـن والجمهورييـن. دعونـي اقـول لكـم أنهـم يكرهـون بعضهـم البعـض الآن. وهـم لا يثقـون ببعضهـم البعـض. لـذا فـإن الثقـة ليسـت هـي القضيـة. المشـكلة هـي إذا كنـت لا تثـق فـي المجموعـة الأخـرى، حسـناً، إذا خسـرت انتخابـات، فسـتعود ربمـا للفـوز فـي الانتخابـات القادمـة. والمشـكلة فـي البلـدان الخارجـة مـن الصراعـات مـع العـراق أيضـاً، إذا خسـرنا قـد يتـم القضـاء علينـا. والسـبب الـذي يجعلنـي متفائـلاً الآن، علـى الرغـم مـن ذلـك، هـو أنـك تحصـل علـى بعـض التحالفـات العابـرة للطوائـف، وتحصـل علـى انقسـامات داخـل المجموعـات. وأصبحـت أقـل، سـنقضي علـى مجموعـة هويـة أخـرى وسـنراوغ علـى المزيـد مـن السياسـة. وآمـل أن يكـون هـذا هـو الحـال. لكـن المشـكلة هـي أن هنـاك الكثيـر مـن الأسـلحة فـي العـراق. وطالمـا أن هـذا هـو الحـال، سـيكون هنـاك دائمـا هـذا الخـوف. ولهـذا السـبب ذكـرت النخـب، لقـد أحبـوا النظـام وأحبـوه كنظـام أمنـي مجـزأ لأنـه سـيمنع أي مجموعـة مـن الاسـتحواذ علـى تـوازن

القوة والحد من العنف. أعتقد أن الكثير من المجموعات مثل قوات الحشد الشعبي. أعني بعض الجماعات لديها المزيد من السلطة في وزارة الداخلية، وبعضها لديه المزيد من السلطة من خلال قوات الحشد الشعبي، وبعضها من خلال أجهزة مكافحة الإرهاب التابعة لوكالة المخابرات المركزية، يمتزج التحدي والصراع هنا بين القلق والعنف والفوز والتنازلات من أجل البقاء على قيد المنافسة للفوز بالانتخابات، كل ذلك نقطة التحول الرئيسية للسياسة العراقية.

ولا أعتقد أنه ضروري أن تثقون ببعضكم البعض لأنني لا أرى ثقة في الكثير من الأنظمة السياسية. عليك فقط أن يكون لديك ما يكفي من الثقة بأنهم لن يحيدوا عن طريق الحق. وبعد ذلك يمكنك تشكيل أغلبية واستبعاد الجانب الآخر. لذلك أقول: إنّ إقصاء الناس يجب ان يكون سياسياً وليس بعنف أو من خلال وسائل أخرى. وما أعتقد أنه لا يزال مخيبا للآمال بعض الشيء هو استخدام العنف بعد انتخاباتكم الأخيرة، إذا نظرت إلى فتح، فهم يستخدمون العنف حتى الآن لإظهار القوة، وأنه يجب أن يتم إشراكنا في الإجماع والحصول على بعض السلع لأننا لم نحصل على الكثير من الأصوات، ولكن لدينا السلطة بطرق أخرى. ويجب أن تكون السلطة في مرحلة يكون فيها النظام السياسي في الغالب من خلال الأصوات، وعدم القدرة على التسبب في مشاكل.

فيما يتعلق بالإجابة حول السؤال الذي يخص منح الحكم للأغلبية، فقد أجاب السيد روجر: أعتقد أن هذا هو أحد الأشياء التي أنا متفائل بشأنها هو أنه بمجرد أن تعتقد الأغلبية أنها في مكان مناسب، ثم يمكنك اتخاذ نمط السياسة المناسب، وكنت أذكر، في حالات في أوروبا الشرقية. أظن أن الأميركيين لا يدركون أن مجرد سلع مادية ستجعل الناس سعداء. ألا أن الناس قلقين فيما يخص ثقافتهم. ولديهم أفكارهم الخاصة حول الكرامة، ولكونهم أغلبية، ولكي يكونوا داعمين. فلا توجد كرامة في ذلك. فأن تكون أقلية، تحترمها المجموعة المهيمنة، هنالك أمرٌ يتعلق بمفهوم الكرامة. الذي يدفع الناس إلى هذه السياسات، وآمل أن يتم حلها. ويتم حلها من خلال هذا النوع الواضح من الفكرة القائلة: نعم، هناك أغلبية، و يجب أن تكون الأغلبية قادرة على ترك الحلول السياسية. لكن هذه الأغلبية لديها التزامات تجاه الأقليات الموجودة. و هي تريد تطوير الطريقة، لكن النظام قد تغير، ما الذي يمكن تغييره؟ التغيير في حجم الدوائر الانتخابية بعد ٢٠٠٣؟ وهذه هي مشكلة الديمقراطية. الديمقراطية تعزز الصراع. أعني أن الفكرة برمتها هي أن الديمقراطية ليست نظاما صراعياً. وعندما يتعين عليك إجراء انتخاباتك الأولى، انظر إلى ما حدث في عام ٢٠٠٥، فقد قاطعهم السُّنة، وكان هذا النظام غير شرعي لأنك تعلم، أننا سنخسر، ولم يكن من الصواب أن يكون السُّنة خاضعين للشيعة. وهذا شيء تعرفونه، عليكم أن تتغلبوا على مشاكل الديمقراطية. وعليكم أن تقولوا إن قواعد اللعبة الوحيدة هي الديمقراطية، وهذا قد استغرق وقتاً طويلاً حتى تأتي الجماعات لتحمله، خاصة عندما يكون لديك غرباء يمكنك الوقوف إلى جانبهم لمحاولة تغيير انطباعهم عن العرب السُّنة في محافظة الأنبار، حسناً، يمكنهم التحالف مع القاعدة في البداية واستخدام العنف وليس ومقاطعة الانتخابات. أنا فقط لا أعتقد أنهم يؤمنون بذلك ولذا أعتقد أننا ربما نتحرك إلى الماضي. وهذا ما حدث. أعتقد أنه في يوغوسلافيا وأماكن أخرى، تقبّل الناس تدريجياً حقيقة أن الأغلبية كانت ستطلق على اللعبة الديمقراطيات، لكن هذا يعني أن عليك تشكيل ديمقراطية جديدة أو أغلبيات جديدة، وأن الفصائل والفصائل الشيعية ستجد فصائل سنية وفصائل كردية تتفق معها على تشكيل أغلبية أقلية. والأغلبيات لن

تكـون أغلبيـات طائفيـة بعـد فتـرة مـن الوقـت، بـل أغلبيـات سياسـية مبنيـة علـى قضايـا سياسـية حـول الدولـة وهـذا يسـتغرق بعـض الوقـت ليحـدث لأن هـذا هـو مـا اقصـده بالضبـط، إنّ النـاس بطبيعـة الحـال يتماهـون معهـا ومـن الطبيعـي أن يسـتغرق الأمـر ١٥ عامـا قبـل أن تتشـكل التحالفـات السياسـية التـي لا بـدّ لهـا أن تتجـاوز مفهـوم الهويـة الطائفيـة.

مداخلة الدكتور منير حميد السعدي / رئيس جامعة بغداد

هـل جـاء الغـزو الأمريكـي للعـراق ويعلـم مـا يوجـد فـي العـراق مـن مجموعـات عرقيـة وطائفيـة ورسـم خطـة لمـا بعـد هـذه المرحلـة، أم جـاء ولـم يكـن يعلـم بمـا يوجـد فـي العـراق ممـا جعـل الأمـور تسـير ضمـن تجربـة فاشـلة، ومـا نعتقـده أنّ المشـروع الـذي جـاؤوا بـه لمحاربـة الدكتاتـور صـدام حسـين كان موضـوع سياسـي مـن أجـل تغييرالنظـام وليـس تغييـر الدولـة، ويفتـرض أن يكـون هـدف الأمريكييـن هـو تغييـر وتعديـل فـي محتـوى الدولـة، ونعتبـر أن الدولـة قـد خسـرت الكثيـر، وقـد أشـار جنابكـم إلـى التنـوع فـي العـراق والمواطنـة، ونعتقـد أنّ المواطنـة فـي العـراق تختلـف مـن مكـون إلـى مكـون آخـر ومـن جهـة إلـى جهـة أخـرى فـي حسـابات المكونـات والمواطنـة. لـذا فـإن جهـة معينـة تطـوّع مفهـوم المواطنـة وفـق مصالحهـا لا وفـق مصالـح العـراق.
هنالـك حركـة أو برنامـج يؤسـس إلـى تعديـل مفهـوم المواطنـة، بالنسـبة لموضـوع العقـد الاجتماعـي، فـإنّ العـراق لديـه الكثيـر مـن الطاقـات الكامنـة وهـذه الطاقـات يمكنهـا أن تكـون فعالـة بشـكل إيجابـي، ولكـن هنـاك عـدم قناعـة بتقديـم هـذه الخدمـات لعـدم الثقـة بالخدمـات المقدمـة، لانعـدام المؤشـرات الإيجابيـة التـي تعطـي الأمـل بـأن تتوافـق رؤى المواطـن مـع رؤى الدولـة، وهـذا يسـتدعي بنـاء مجموعـة برامـج و آليـات تعـزز العقـد الاجتماعـي بيـن المواطـن والدولـة. وللأسـف كلمـا علقنـا آمالنـا علـى انتخابـات مقبلـة ونأمـل أن يتحقـق مـا نهـدف إليـه ولا يتحقـق. ونعتقـد أنّ التنـوع الموجـود لـم يكـن إيجابيـاً، يرافقـه عـدم وجـود رؤيـة واضحـة للدولـة، وعـدم وجـود الدعـم الكافـي، هنالـك تراجـع كبيـر فـي هـذه المجـالات. هنالـك تغييـر كبيـر علـى مسـتوى النظـام التعليمـي والمنجـزات العلميـة فـي العـراق، ودخـول العـراق ضمـن التصانيـف العالميـة ويحقـق مراتـب متقدمـة جيـدة، وبعدمـا يكـون العمـل العلمـي بعيـداً عـن التجاذبـات السياسـية وتجاذبـات المكونـات، سـيحقق مـا يمتلكـه العـراق مـن إرث فـي تاريخـه وحضارتـه.

مداخلة الدكتور عادل بديوي/ عميد كلية العلوم السياسية/ جامعة بغداد

أتفـق معـك فيمـا ذهبـت إليـه حـول إشـكالية الهويـة، فمنـذ عـام ١٩٢١ وحتـى الوقـت الحاضـر تتـم عمليـة صنـع النظـام وتقويضـه عـن طريـق التدخـل الخارجـي مـا أثّـر كثيـراً فـي بنـاء الدولـة. هنالـك مسـارات لبنـاء الدولـة وبنـاء الهويـة، إمـا أن الحكومـة تخلـق دولـة مـن خـلال هويـة واضحـة كمـا حـدث فـي أوروبـا، أو هنـاك دولـة تبنـي هويـة واضحـة ومـن ثـم بنـاء دولـة كمـا فـي النمـوذج الأمريكـي.
نحـن وبصفتنـا عراقييـن فمنـذ ١٩٢١ وحتـى الوقـت الحاضـر افتقدنـا إلـى أمـة تبنـي دولـة أو دولـة تبنـي أمـة، فكانـت إشـكاليتنا كبيـرة.
عندمـا دخـل البريطانيـون وتبعهـم فـي عـام ٢٠٠٣ دخـول الأمريكيـون إلـى العـراق، دائمـاً مـا كان بنـاء الدولـة مشـفوعاً بالاتـكاء على قـوة فرعيـة، وبالمحصلة فـإن القـوى الفرعيـة سـتكون أقـوى مـن الدولـة، فالنمـوذج البريطانـي، سـاعد فـي تعزيـز العشـيرة علـى حسـاب الدولـة، أمـا النمـوذج الأمريكـي فسـاعد

في تعزيز المكون على حساب الدولة.
ولدينا إشكالية كبرى منذ عام ١٩٥٨ وحتى الوقت الحاضر، هذه الإشكالية تتعلق بأن هوية العراقيين لا تتفق مع الجغرافية العراقية، هويتنا إما أن تكون متضخمة أو هوية تؤدي إلى اتنزاف موارد الدولة. هناك العديد من المعوقات أما صنع هوية عراقية تضم العوامل التي ذكرتها عند بداية الندوة، واعتقد أنّ أحد المعوقات الكبرى للهوية في العراق هو شكل النظام الريعي في العراق فهذا النظام يقوم على أساس الموالاة والرعايا والرعية، هذا النظام يمنع بناء هوية وطنية عراقية.

مداخلة الدكتورة سهاد العزاوي، رئيس قسم الاستراتيجية، جامعة النهرين

هل ترغب أمريكا فعلاً في أن يكون هنالك دولة في العراق.
وهل تدعم محاولات القادة العراقيين في بناء الدولة وإعادة تأسيس الهوية الوطنية العراقية. الولايات المتحدة وحتى الآن غير مستقرة في دعم أي اتجاه سياسي لبناء الدولة العراقية من ٢٠٠٣ وحتى الآن، فنجدها مرة تميل إلى الكرد ومرة تميل مع السُّنة ومرة باتجاه الشيعة. مرة تدعم حكومة المالكي ومرة تدعم الحراك الاجتماعي في ٢٠١٩، فسؤالي بالتحديد أين تجد الولايات المتحدة نفسها في بناء الدولة العراقية مع أي توجه؟

مداخلة الدكتور روجر للإجابة على أسئلة الضيوف

من الصعب معرفة ذلك. وللأسف، فإن صورة العراق في أذهان الكثير من الأميركيين ترتبط بأفغانستان. ولا أعتقد أن الحالتين لهما علاقة كبيرة ببعضهما البعض. ولكن إذا استمعت إلى الرئيس بايدن، عندما انسحب من أفغانستان، فقد ألقى خطابا قال فيه إن عصر الولايات المتحدة التي تقوم ببناء الأمة قد انتهى. وهنالك فشل في جعل طالبان تدير أفغانستان. ثم لا أعرف ما إذا كان قد ذكر الكثير عن العراق. لكنني أعتقد أن الناس يقولون إن الولايات المتحدة فشلت في بناء دولة هنا. وأعتقد أن الموقف مشترك، والسبب في قيامه بذلك، هو أن الناس في الولايات المتحدة يتفقون معه، وأنه ليس لدينا أي عمل يحاول بناء ولايات وأماكن أخرى. وأعتقد أنه من الناحية السياسية، ليس هناك الكثير من الإرادة لدى الولايات المتحدة للمشاركة. هذا أولاً. الشيء الآخر في الولايات المتحدة هو الهوس ببعض العناصر السياسية القوية في إيران. وهدفهم الرئيسي، في الواقع هو مواجهة إيران. والغرض الرئيسي من العراق أن يكون ساحة معركتنا ضد الإيرانيين. وهذه مشكلة ذكرتها، في عواملي الأربعة عندما تحدثت عن السيادة. وهذه مشكلة صعبة للغاية بالنسبة للعراق في كيفية الحفاظ على سيادته عندما تستخدم كل من إيران والولايات المتحدة أراضيك لتحقيق مصالحها. لذا فإن مصالح الولايات المتحدة لا تزال نفطية. ولا أعتقد أن هذا سيختفي على الرغم من كل أعمال الطاقة الخضراء لمواجهة إيران، هنالك ثلاثة أدلة تنص على حقيقة أن اللوبي الإسرائيلي قوي جدا في الولايات المتحدة. وكما تعلمون، إذا كان هذا أيضاً ضد إيران بطرق معينة. الآن، أين تأتي أولوية مساعدة العراق، نسبياً ليست أهميتها عالية جدا؟
لا يبدو أن هناك حركة تقييد كبيرة. كان زميلي في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، باري بوزن، يقول، علينا أن نخرج من الشرق الأوسط ونتجه إلى الصين. ونحن أيضاً لا نريد التاكيد فيما يخص روسيا، لأن روسيا دولة ضعيفة. في هذا الوضع فمن الصعب التنبؤ بالمستقبل بسبب الحرب في أوكرانيا.

الـكل يقـول إن لدينـا عـدواً رئيسـياً واحـداً، أمـا الآن فلدينـا إثنيـن مـن الأعـداء، معظمهـم حولنـا ولا يسـتهان بهـم. الصيـن هـي عدونـا، وربمـا سـنتركها، وقـد لا يكـون هـذا هـو الحـال. لأنـه يمكنـك أن تـرى كـم مـن مليـارات الـدولارات التـي تتدفـق إلـى أوكرانيا. ولا أعتقـد أن الأمريكيـون سـيغادرون الشـرق الأوسـط، بسـبب الفكـرة الكاملـة بأننـا سـنفطم أنفسـنا عـن النفـط الآن، خاصـة مـع وقـف تدفـق النفـط عـن واشـنطن. لذلـك كانـت هنـاك هـذه الحركـة الكاملـة للخـروج مـن العـراق قـدر مـا نسـتطيع. لكـن الآن، لسـت متأكـدا، أعتقـد أن هنـاك فرصـاً للولايـات المتحـدة للعـودة والقيـام ببعـض الأشـياء البنـاءة.

وفـي نفـس الوقـت لا يـزال هنـاك هـذا التحيـز ضـد بنـاء الأمـة. وهـذا مـا أود أن أجيـب عنـه حول سـؤالكم عـن كيـف يمكـن للولايـات المتحـدة أن تسـاعد فـي بنـاء أمـة ولا بـدّ أن أذكـر أنـه بعـد هجمات ١١ سـبتمبر الإرهابيـة، كان هنـاك الكثيـر مـن النـاس الذيـن أرادوا غـزو صـدام والتخلـص منـه. وفـي ظـل عـدم وجـود انفتـاح سياسـي. سـمحت الهجمـات الإرهابيـة للولايـات المتحـدة وبعـض الجهـات الفاعلـة بالدخـول ومحاولـة الإطاحـة بصـدام، لسـت متأكـدا مـن الـذي صـدّق بأسـلحة الدمـار الشـامل. وأعتقـد أن التركيـز الفعلـي كان أن الولايـات المتحـدة سـتهدم العـراق، وسـتكون هـذه حالـة سـهلة. ومـن ثـم سـوف يلاحقـون القضيـة الصعبـة لإيـران فـي الواقـع ولـم ينجحـوا بهـذه الطريقـة. لكـن الإرهـاب كان هـو المنطـق الـذي قُـدم للشـعب الأمريكـي حـول سـبب الحاجـة إلـى الإطاحـة بصـدام، ولا أعتقـد أن هـذا هـو السـبب الحقيقـي. لكـن الإرهـاب لا يـزال يمثـل مشـكلة فـي الولايـات المتحـدة، حيـث لدينـا الآن ٢٥٠٠ مستشـار فـي العـراق، علـى مـا أعتقـد. ونحـن نحـاول التحـرك فـي مستشـاري الناتـو لأنهـم لا يبـدون مثـل الإمبرياليين، مثـل الولايـات المتحـدة. لكـن الـدول سـتبقي بعـض المستشـارين هنـا، ولـن تقطـع التواصـل مـع بلعـراق كمـا فعلـت فـي عـام ٢٠١١. لذلـك سـيكون هنالـك تحـرك علـى قـدم وسـاق فـي هـذا الجانـب.

أعتقـد أنـه سـتكون هنـاك حاجـة للبقـاء هنـا، لكننـي أعتقـد أنـه كان هنـاك مؤتمـر للمانحيـن، فـي عـام ٢٠١٨ أعتقـد أنـه كان ٣٠ مليـار دولار. إن نظـر الأمريكيـون إلـى الامـر سـيقولون، حسـناً هـل يجـب أن نتدخـل مـرة أخـرى؟ وهـذا ليـس فـي مجـال تخصصـي، لأنـي متخصـص أكثـر فـي مجـال الأمـن. ومـا أعرفـه هـو، أثنـاء حـرب داعـش، كان هنـاك تعـاون جيـد للغايـة بيـن القـوات الخاصـة للولايـات المتحـدة وأجهـزة مكافحـة الإرهـاب فـي العـراق. وأرادوا الحفـاظ علـى هـذه العلاقـة لضـرب الإرهابييـن بواسـطة الطائـرات بـدون طيـار، كذلـك هـم بحاجـة إلـى عيـون علـى الأرض. لذلـك أعتقـد، نعـم، سـيبقون هنـا مـن أجـل الأمـان ومـن أجـل مكافحـة الإرهـاب، وسـيبقون هنـا ربمـا مـن أجـل النفـط، هـذه الفكـرة بأكملهـا عـن الخـروج مـن الشـرق الأوسـط والتحـول إلـى الصيـن. لا أعتقـد أن ذلـك سـيحدث بالطريقـة التـي أرادهـا أوباما أن تحـدث. ولـذا أعتقـد أن هنـاك احتمـالات، لـم يخططـوا لهـا كثيـراً. هـذا واضـح.

كان هنـاك تخطيـط سـيئ للغايـة قـادم والكثيـر منـه كان لـه علاقـة بأسـباب سياسـية. اعتقـد الأمريكيـون أنّ البعـض يريـدون التخلـص مـن صـدام حسـين بشـدة ويريـدون اسـتخدام العـراق لملاحقـة إيـران بصـورة سـيئة للغايـة، لدرجـة أنهـم لـم يريـدوا أن يسـتوعبوا مـدى صعوبـة ذلـك لأن ذلـك قـد يعنـي أننـا لـن نأتـي إلـى هنـا علـى الإطـلاق. وكان لديهـم أسـباب سياسـية لمنـع إجـراء تقييـم واقعـي. ولكـن كانـت هنـاك بعـض التقييمـات الواقعيـة، إذا كنـت تريـد أن تقـول، هـل كان الفشـل الذريـع مـن هـذا الجـزء؟ بالطبـع، لـم يكـن ليحـدث ذلـك. إذ أنّ أحـداث ١١ سـبتمبر لـم تبقـي لديـك إرادة سياسـية تمنـع فيهـا الهجـوم الأمريكـي علـى شـخص مـا فـي الشـرق الأوسـط. أعنـي أنـه لـم تكـن هنـاك طريقـة لعـدم دخولنـا وغـزو أفغانسـتان لأن هـذا هـو المـكان الـذي كان يأتـي منـه تنظيـم القاعـدة. لـم تكـن هنـاك

طريقة ولكن العراق كان حرباً مفضلة فتمت إدارة القضية ضمن خطة مكافحة الإرهاب.

مداخلة السيد محمد صاحب الدراجي/ وزير صناعة ونائب سابق

براي توجد مشكلة بين العراقيين والأمريكيين تتمثل في سقف توقعات كل طرف متشعبة، فالعراقيون كانوا يتوقعون من الأمريكيين أن يبنوا لهم دولة واقتصاد والخ، بينما الأمريكيون يتوقعون حليفٌ قد حسم توقعاته معهم، بالمقابل لا يوجد تفهم من قبل كل طرف لظروف ومتغيرات وتحولات الطرف الآخر وهذه المشكلتين استمرت من ٢٠٠٣ وحتى الآن.

ضمن عدم الفهم العميق للتحولات العميقة، سأتكلم عن مشكلة واقعية في ٢٠٠٣ بصفتي شاب شيعي عراقي، كانت أولولية الشباب الشيعي هي ممارسة الطقوس الدينية وإثبات أنهم أغلبية وأولوية الشباب السُّنة أنهم لا يزالون أقوياء، وأنهم قادرون على استعادة زمام السلطة، وأولوية الشباب الكرد إثبات أنهم مختلفون ويستحقون دولة، وبعد ١٩ عام من الفشل والمشاكل، ظهر تحول ديموغرافي كبير، إذا علمنا أنّ ٥٠٪ من الشعب العراقي ولدوا بعد ٢٠٠٣، و٢٥٪ من الشعب العراقي كانوا صغاراً في ٢٠٠٣، نحن أمام جيل جديد لديه توجهات معينة وبالتالي يبحث عن شيء مختلف، فلم تعد الأولويات آيديولوجية بقدر ما هي أولويات اقتصادية ووظائف وخدمات، فهذه الأولويات أصبحت تشكل مدخل للهوية في الظرف الحالي.

والمشكلة الأساسية في بناء الدولة أنّ النظام والكتل السياسية لم يستوعبوا هذا التحول ولم يتمكنوا من الاستجابة لهذا التحول فحدثت فجوة وما ما جعل الأمر يزداد سوءاً هو سوء الأداء للإدارة فبالنتيجة أصبحت الفجوة كبيرة، مما أدى إلى أنّ

الجيل الجديد والجيل القديم لم يعد لديهم ثقة في النظام السياسي وبالنخبة السياسية. ثم بدأت هذه الفجوة بانتاج توترات متعاقبة ابتداءاً بما حصل على منصات الأنبار وهي جزء من الغضب الاجتماعي، استغلتها داعش وآخرون، وما تلاها من أحداث في البصرة وفي ٢٠١٩ مظاهرات تشرين، والقادم سيكون فيه العنف أكبر. إذن المستقبل يشير إلى تزايد العنف، ما الذي ينبغي أن يحصل ويتم، وللأسف النخبة السياسية غير مدركة لهذا الأمر. استغلال هذه الفجوة لتحسين الأداء، لكنه غير متوقع الحدوث من الواقع الحالي، أو إفساح المجال أمام الجيل الجديد، لنتمكن من انتاج حلول، أما إنتاج حلول عن طريق الآيديولوجيا والسياسة والأمن، فلا جدوى من ذلك الأمر.

تغيير النظام، فإن لم يتم بطريقة الإصلاح فسيتم بطريقة التغيير وهو الحل الاخطر خصوصاً إذا ترافق مع العنف فمعنى ذلك، انهيارات كبيرة مستقبلية.

مداخلة السيد روجر للرد على التعليق:

أعتقد أنني ذكرت في إحدى نقاط حديثي عن سبب حل بعض قضايا الهوية. ولهذا السبب نرى بعض الاحتجاجات في عام ٢٠١٩، لا علاقة لها بقضايا الهوية. بل كانت أكثرها حول النظام. الآن آخر ما لدي هو وضع أربعة سيناريوهات، اثنان منهما سلبيان، الأول: كل من النخب والسكان قد اعتادوا على هذا النظام المتمثل في الحصول على الحد الأدنى من الحقوق وهذا جيد بما فيه الكفاية. ثم هناك بعض الشباب، على ما أعتقد، في هذه الاحتجاجات يقولون إن هذا لم يعد جيداً بما فيه الكفاية بعد الآن. ثم السؤال هو ما إذا كانت هناك مؤسسات من شأنها أن تعتمد هذا النوع من الرأي في النظام السياسي القائم.

أعتقد أن حزباً ظهر من الاحتجاج، حركة امتداد، حصل على تسعة مقاعد، هل من الممكن أن ينتقل هذا الحزب من تسعة مقاعد إلى ٣٠

مقعدا إلى ٦٠ مقعدا، وسيكون هناك تطور وبالتالي الطلب على نظام مختلف؟ ومرة أخرى، أعتقد أن هذا ممكن لأن العراق مر بالكثير من العنف، وربما سئم الناس من العنف، وهم يبحثون عن نوع مختلف من الأنظمة. وهل يمكنكم الوصول في ظل النظام البرلماني الذي لديكم؟ أعتقد أنه من الصعب أن يحدث ذلك. لكنني أتساءل، هل يمكنني تخيل ذلك؟ هل يمكنك أن تتخيل حدوث ذلك، وأن هذا الحزب سوف ينمو من تسعة مقاعد إلى ٣٠ مقعدا أو ٦٠ مقعدا ويصبح لاعباً رئيسيا؟ أم أنها سوف تسقط الآن القضية التي أنا على دراية بها؟ هل كوران في كردستان، أليس كذلك؟ يبدو لي ذلك وكأنه حزب لأن السياسة على الرغم من أنها في كردستان كما أراها قائمة على الشخصية. بمجرد رحيل الزعيم نوعا ما، تبدد كوران أعتقد أن هناك مجلة جديدة ولكن كوران فشل في هذا المكان، الحزب الديمقراطي الكردستاني، والاتحاد الوطني الكردستاني. أما لماذا فشلت، أعتقد أن الحزب الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني يحافظان على سلطتهما بطريقة غير شفافة من خلال سيطرتهما على بعض المؤسسات الأمنية، وخاصة الأسايش، كنت في أربيل، وتلقيت دعوة لتناول العشاء في إحدى الليالي، في منزل رائع، والطعام الرائع. وكان هناك دوليون يحاولون القيام بأعمال تجارية, ومقاولوا الدفاع، وأشخاص آخرون من مونرو، كندا، وكان المدير السابق للأسايش المرتبط بالحزب الديمقراطي الكردستاني. وكما تعلمون، هذه هي الطريقة التي تقوم بها بالأعمال التجارية هناك. ثم يسيطرون عليه وهم يمنعون كوران من الظهور. وأيضاً ، فإن السكان أنفسهم مرتبطون جدا بالتصويت للشخصيات، بدلا من التصويت لبرنامج حزبي. كما تعلمون، عندما تذهب إلى السليمانية ترون صور طالباني في كل مكان في محطة وقود وترى بارزاني وأنت تعرف أن هذه ليست طريقة ديمقراطية ناضجة للقيام بالأشياء، لذلك ربما ستتجاوز ذلك ولديك برنامج، وفي ذلك ولكن بعد ذلك في حكومة إقليم كردستان تجربة كوران تجعلني أعتقد أنه من الصعب جدا على هذه الأحزاب البديلة الحصول على دعم هنا ولا أعرف كيف تتغير أنني متأكد من أن بعضكم لديه أفكار أفضل من أفكاري.

مداخلة السيد يزن الجبوري/ سياسي مستقل ومتخصص شؤون أمنية

اعتقد أن المشكلة الأساسية في العراق هي مشكلة الهوية، هوية المواطن من جهة، وهوية النظام السياسي من جهة أخرى، فالنظام السياسي في العراق غير معروف هل هو نظام رأس مالي، اشتراكي، لا يملك هوية واضحة، سأتحدث كهوية فرعية كسُّني، بالرغم من ما ذُكر أثناء الندوة أنّ هناك هوية وطنية في العراق، أما أنا فلا أعتقد أبداً بوجود هوية وطنية جامعة في العراق، هنالك هويات فرعية، وشرخ مجتمعي، تطور بين السُّنة والشيعة ثم انتقل إلى شرخ شيعي- شيعي وكردي- كردي، نحن خسرنا السلطة في ٢٠٠٣، وحاولنا إسقاط النظام السياسي، سياسياً مرة، وعسكرياً مرة، ومرة عبر الحرب الأهلية، داعش التي كانت من انتاج سني بحت، حالة من الغضب السنية، وكانت الحالة العسكرية الأقصى التي ولدت شعور عند السنة بأننا لا نستطيع إسقاط النظام السياسي بالعمل المسلح أبداً. ونحن لا نتمنى أن يسقط النظام السياسي وأيضاً لأننا مستفيدين بشكل شخصي، كطبقة سياسية من ذلك النظام، الآن ما هي السيناريوهات المتوقعة: إما أن ينهار النظام السياسي، ولا توجد بوادر حول هذا الأمر، أو أن ياتي تدخل خارجي وهو غير واقعي. أو أن يصلح النظام السياسي نفسه ولا خيار غير هذا.

المشكلة التي نواجهها أنّ الفاعل السياسي هو المسيطر والمهيمن، كان يجب أن يكون النظام السياسي هو المسيط والمهيمن وليس الفاعل السياسي، لأنّ النظام السياسي عقد اجتماعي عبر وجود نظام حقيقي، وتكون أنت شريك فيه ويعطيك هذه الحقوق، أفضل مما يعطيك إياها الفاعل السياسي وهذه هي المشكلة الرئيسية، الفاعل السياسي هو من كان يوزع الحقوق. وربما سيوزعها بطريقة لا ترضي الأطراف الأخرى مما يولد لديها مشاعر الغضب.

فسؤالي هو: ما هي الحلول لاستقرار النظام السياسي، وما هي آليات الإصلاح.

مداخلة الدكتور علي طاهر الحمود/ مدير مركز البيان للتخطيط والدراسات

واحدة من المشكلات التي نعانيها هي اعتماد الطوائف والقوميات في العراق في كيانات منبسطة مع بعضها البعض بشكل كبير، من السهل اعتبار العراق شيعة سنة كرد، لكن في الواقع العملي هم ليسوا كذلك في الحقيقة، بإمكانكم أن تجدوا شيعة في لبنان لم يزوروا مناطق سنية منذ الحرب الأهلية، لكن لا تجد سني أو شيعي في العراق لديه شعور القطيعة.

العراق تركيبة معقدة، فالتسلسل الذي تحدث عنه في العراق ليس هوياتياً، وإنما هو تسلسل هرمي بامتياز منذ اللحظة الأولى، أي قبل ٢٠٠٣ وبعد ٢٠٠٣، وكان الصراع على ثلاثة أنواع من الريع: الريع النفطي المتمثل في العقود والرواتب وما إلى ذلك

ريع الأرض وتوزيع الأراضي، والتي تشكل ثروة في العراق.

والريع الثالث هو ريع الوظائف الحكومية، بما أنه ليس لدينا قطاع خاص حقيقي.

الديمقراطية في العراق هي محاولة إعادة توزيع القوة والثروة والريوع التي تحدثنا عنها بين القوى حاملة السلاح.

إنّ الأجيال التي ظهرت بعد ٢٠١٩ والتي ابتعدت عن الإرث التاريخي باعتبار العراق ٣ هويات، أنّ يحصلوا بالتدريج على ثلاثة أمور: أن تكون قادرة على الإقناع، وقادرة على تنظيم العمل السياسي المنظم، برنامج لإصلاح الامة.

أنا برأيي أنّ الأجيال التي تتأثر بالمواقع التواصل الاجتماعي والمناخ والقضايا العالمية هم المحرك الأساسي الأساسي للتاريخ في العراق وليس الأجيال التي تأثرت بزمن الدكتاتورية وبالمظالم الطائفية.

لقد أجريت دراسة في البصرة وكان رأي النخبة المثقفة في البصرة بأن كثيراً من حوادث القتل والفساد والخطف والمشكلات التي تعاني منها البصرة يتحمل مسؤوليتها المليشيات، ولكن بنفس الوقت كانوا يقرون بأنّ هذه المليشيات ما تزال تحظى بشعبية واسعة جداً، لسبب بسيط أنها تؤمن العمل للشباب وتؤمن الخدمات الاجتماعية للأهالي هناك، وتقدم الأمن لمن ينتمي إليها، وهذه الوظائف هي وظائف الدولة بالحقيقة.

رد الدكتور روجر على هذه المداخلات

عندما ينظر علماء السياسة الأمريكيين إلى هذا الصراع، فإنهم يبحثون عن المتغيرات من أجل التوصل إلى حل. الآن حول مسألة الهوية، أنا أكتب، بالمناسبة، لدي دراسات حالة مفصلة جداً عن تحشيد التمرد في الغزالية وفي بقية المناطق الساخنة. وأنا آسف، ولكن أصبح الأمر سنياً وشيعياً هنا، يمكنك أن تقول، أنا لا أحدد بطريقة ما، لكن أن تكون مجبراً بسبب طبيعة العنف على أن تكون على هذا الجانب أو ذاك. الآن، عندما تحصل على نوع من السلام، وأنت تتجاوز ذلك، أعني، استغرق الأمر بعض الوقت. ولكن بعد فترة من الوقت، ستجد أنّ العنف بين الجماعات ليس موجوداً. ولكن لا تزال هناك اختلافات في السياسة،

بين الجنس، ولكن بعد فترة من الوقت، ستحصل على ما كنت أقوله قبل قليل وهو الهيمنة، بمجرد أن تصبح مهيمناً، سيكون هناك قتال. وسوف يبحثون خارج طائفيتهم عن شركاء. ومن ثم سوف تؤدي إلى تآكل الهوية الطائفية بمرور الوقت لأنك ستحصل على تحالفات عبرها. لذلك ثم بعد فترة من الوقت، لن تفكر في المجموعة بعد الآن. وقد حدث هذا في حالات معينة في العالم. هذه العمليات وغيرها من الحالات في جميع أنحاء العالم تستغرق عقوداً. ولذا فأنا أنظر إليكم إلى أن سياسة العنف بين الجماعات، ليست موجودة، لا يزال هناك عنف سياسي غير مقبول لأسباب أخرى، ولكن ليس لديكم تطهير عرقي في المناطق. ثم لا أعتقد أن لديكم حتى نفس النوع من السياسة الطائفية التي قمتم بها في عام ٢٠١١ على سبيل المثال. مع مقاومة النهر السني والاحتجاجات هناك، لدي فصل آخر في كتابي عن الفيلق، وأصول المقاومة السنية هناك، لكنكم لن تفعلوا ذلك، ثم توقفتم عن التفكير السياسي حول الطائفية بعد فترة من الوقت. لم أعد أتحدث عن تشكيل مزيج من الحكم ليكون مثل كردستان؟ لا أرى ذلك.

الآن، كيف يمكنك الحصول على آليات تساعد في الحفاظ على نظامك البرلماني؟ كيف يمكنك أن تجعله يعمل مثل النظام البرلماني في إنجلترا؟ حسنا، في وقت ما، سيتعين عليك الحصول على حزب، والذي سيفوز ب ١٢٠ مقعدا، لذلك لا يحتاجون إلى تشكيل كل هذه الصفقات. وكما تعلمون، ليس لديكم ذلك بعد، لأن نظامكم مجزأ للغاية، لكنكم تعلمون، قد يكون كذلك. ثم إذا تمكنتم من الحصول على حزب يمكنه أن يقول، ستحصلون على فوز حزبي، ١٦٥ مقعدا، فإنه يستبعد الجميع. ويقول: سوف ندير الأمور بطريقتنا. وربما يصبح ذلك هو القاعدة. هذا سيحدث، ربما، سيستغرق الأمر من ١٠ إلى ١٥ عاما أخرى أو شيء من هذا القبيل. ولكن هذه هي الطريقة التي تتطور بها الأنظمة. أعني، في الوقت الحالي، لا يزال لديكم أحزاب أعتقد أنها قلقة بشأن القضاء عليها، وأنها ستكون على وشك الترشح في الانتخابات المقبلة. ويستغرق الأمر وقتا طويلا حتى يحدث ذلك. لكن حقيقة أنه كان لديك عدد الانتخابات الآن أربعة أو خمسة منذ عام ٢٠٠٣.

الكثير من البلدان ليس لديها أربعة أو خمسة انتخابات، حقيقة لديكم احتجاجات يمكن أن تؤدي إلى انتخابات مبكرة. وهذا نوع من التقدم. كما تعلمون، أود أن أعطيكم الحل. وقد يبدوا أنه غير مقنع بالنسبة لكم

أنا لا أرى أنّ النظام ينهار ولست متأكداً من ذلك، كيف سينهار النظام هنا؟ لأن الكثير من الناس لديهم الآن مصلحة في ذلك. إنهم يحصلون على معاش تقاعدي. ويحصلون على وظيفة عامة، ويسيطرون على المحسوبية كسياسة لها. ما أراه في العراق، مجرد نوع من التعثر، ولكن ربما أكون مخطئا في ذلك. وربما يكون أكثر هشاشة مما أعتقد.

هناك حالات، خاصة في أوروبا الشرقية. لقد عملت كثيرا في مقدونيا من قبل. إنه نظام مثير للجدل منقسم للغاية. كانت لديهم حرب أهلية قصيرة جداً بين الألبان والمقدونيين العرقيين في عام ٢٠٠١. وبعد ذلك، طوروا نظاماً لم يكن فيه الكثير من العنف. كان هناك المزيد من الألبان داخل الأجهزة الأمنية. والشعب المهيمن كان المقدونيين العرقيين. كان هناك انقسام بين الحزبين المقدونيين العرقيين. كان هناك حزبان ألبانيان رئيسيان واصطف أحدهما على جانب واحد، وواحد على الجانب الآخر. وصار هذا المزيج من المقدونيين والألبان الذين يعارضون تحالفاً آخر من المقدونيين والألبان، لا يزال الأمر طائفياً، والكل مدرك للأمر، لكن السياسة لم تعد من خلال تحالفات عابرة للطوائف. لا توجد إمكانية

لانهيار هذا النظام، لأن جميع الأطراف لديها ذراع في اللعبة. وإذا خسروا انتخابات واحدة، فربما يفوز هذا الائتلاف في الانتخابات المقبلة. ولن تكون سياسية عنف بعد الآن. لذلك أعتقد أنه التقدم، وأنني أتساءل عما إذا كان سيحدث في العراق، ولا أعرف ما الذي سيخلق هذا التقدم، ونحن نتوقف الآن، لا تزال هناك أحزاب ليست مثل ما رأيته في مقدونيا. ترى أحزابا مثل فتح تخرج من العنف وهي جماعة مسلحة أولاً، ثم هي حزب سياسي يفوز ب ٤٨ مقعدا، ولكن بعد ذلك حزبها السياسي الذي يفوز ب ١٧ مقعدا، أعني، يمكن أن تختفي. وبالتالي لديهم حوافز لاستخدام ميزتهم، وهي الأسلحة النارية والعنف للحفاظ على أنفسهم. وكما تعلمون، تلك الأحزاب لا تزال تتوغل في جميع أنحاء العراق وطالما لديك ذلك، فإنه لا يزال نظاماً خطيراً ولكن كما تعلمون، هل من الممكن أن يعود هذا الحزب وهو جزء من قوات الحشد الشعبي والدخول في السياسة، سيعود إلى كونه حزباً سياسياً بمفرده وليس جزءاً من هذا الائتلاف؟ يمكن أن تتطور هذه الأشياء بطريقة معينة يمكن أن تتطور أيضاً بشكل أكثر خطورة، وهذا هو السبب في أن السياسة في العراق مثيرة للاهتمام للغاية.

مداخلة السيد محمد صاحب الدراجي/ وزير الصناعة، ونائب سابق

أود أن أنظر إلى الأمور من وجهة نظرعراقية تجاه الولايات المتحدة الأمريكية، نعلم جميعا أن الولايات المتحدة الأمريكية عندما تتخذ قراراً فإنه قرار فردي فتتخذ القرار وتوافق عليه لبناء نموذج مثالي في الشرق الأوسط، للأسف، سيطرت سلطة الائتلاف المؤقتة بقيادة بول بريمر يسيطرون على مؤسسات الدولة. ألا أنهم لم يستطيعوا السيطرة على الطائفية. لست متأكدا تماما كيف يسمون بعض المدن، لقد وجهوا الدستور بهذه الطريقة إلى هذا النظام السياسي، الذي يشبه النظام البريطاني وهم على حق. لانه ليس شائع جدا. وأعتقد أنّ الولايات المتحدة تتحمل مسؤولية أخلاقية للحفاظ على الاستقرار والقوة في العراق من خلال دعم الاقتصاد والأمن والاستقرار السياسي. الآن، السؤال الرئيسي الذي يجب أن أركز عليه. في رأيك، ما إذا كان ما يريدونه من العراق، في عام ٢٠٢٢، وليس عام ٢٠٠٣؟ لأنه لم تكن هناك أي سيناريوهات في صباح اليوم التالي في عام ٢٠٠٣. الآن، ما هو السيناريو المحتمل؟ ما هو تصنيف العراق على قائمة أولويات صناع السياسة الأمريكيين؟ في عام ٢٠٠٤، كان تصنيف العراق رقم واحد في الملف وكان يقوده نائب الرئيس. الآن من يقود هذه الملفات وما هو ترتيب العراق على قائمة الأولويات.

مداخلة السيد روجر للرد على تعليق السيد وزير:

من الواضح أن بايدن أراد بالفعل عندما كانت الولايات المتحدة لا تزال هنا، في عام ٢٠١٠، الخروج من العراق وجعله أقل أولوية. كان هذا ثابتاً. وأراد بايدن الخروج من أفغانستان، وقد فعل ذلك عندما أصبح رئيساً.
عندما كان نائباً للرئيس. وكما يعلم معظمكم، حصل إياد علاوي على أكبر عدد من الأصوات وكان ينبغي أن تتاح له الفرصة ليكون رئيس الوزراء. جاء بايدن وتأكد من أن المالكي سيصبح رئيساً للوزراء وسيبقى رئيساً للوزراء لأنه اعتقد أن هذه هي أسهل طريقة للولايات المتحدة للخروج من العراق. أما أوباما، فكل تفكيره هو الخروج من الشرق الأوسط والتحول إلى الصين. لذا فإن اهتمام الحزب الديمقراطي في الولايات المتحدة

منخفض جدا بشأن العراق.

وكان يعتقد أن المالكي سيكون الشخص الذي يساعد في الانسحاب الأمريكي. لذلك أردنا أن نبقيه في مكانه وأن نحافظ على الدعم لأنه كان بالفعل الشخص الذي أبرم الصفقة. لقد أبرمنا اتفاق حول مركزية القوات، وكان هو الشخص الأسهل. ولذا أعتقد، بالتزامن مع المغامرة في أفغانستان، إنّ الشعب الأمريكي لا يريد ذلك، كان هناك درس هو اننا يمكننا تأسيس أمة. وأما فكرتك عن الالتزام الأخلاقي، قد تكون على حق، لكنني أخشى أن بلدي لا يفكر أخلاقياً. أعتقد أن كيسنجر كان يقتبس من شخص آخر. لكنه يقول إن أمريكا ليس لديها أصدقاء. لديها مصالح فقط. وأعتقد أن هذه هي الطريقة التي يفكر بها الكثير من الناس وما هي المصالح هنا؟ المصالح هي مكافحة الإرهاب، ولكن ليس للانخراط في الاقتصاد والسياسة. أعتقد أن المصالح هي الاحتفاظ ب ٢٥٠٠ مستشار هنا لديهم علاقة خاصة مع جهاز مكافحة الإرهاب الخاص بكم. بهذه الطريقة، الفائدة هي أنك تعرف، لن يكون لديك داعش آخر، هذه هي مصلحتنا ألا يكون لديك داعش آخر. ولكن خارج ذلك، لا تزال هناك فكرة. أعتقد أن ترامب أراد الخروج. ومع ذلك، أعتقد أن السياسة شيء واحد، لكن وزارة الخارجية لديها مصالحها. وأنا هنا منذ فترة طويلة. وأعتقد أنهم سيحاولون إبقائنا في الداخل. ومع هذه الحرب الجديدة مع الروس، الفكرة برمتها حول الخروج من كل شيء، أعتقد أن الوضع في تغير مستمر. لذا لست متأكداً إلى أين تسير الأمور. لذلك يمكن أن يكون هناك شيء آخر يحدث هنا. لكن المصالح الرئيسية هي منع وإبقاء عدد كاف من الناس هنا لمنع داعش آخر وأيضا للحفاظ على وجود آخر بما فيه الكفاية هنا. لذلك ليس من الممكن أن تكون لدينا حرية مطلقة، لكنني أخشى أنني لا أرى مصالح كبيرة أخرى كبيرة تبقينا أكثر شراكة. ما هي مصالحنا خارج تلك المصالح الأمنية؟ وخارج النفط ربما حتى الآن. لأن النفط لا يزال عاملاً أكبر. وبالرغم من ذلك فأنا أوافق على أنه كانت هناك إخفاقات أخلاقية لكنني أخشى أنني لا أملك دفاعاً جيداً. شكراً لكم

المعهـد العراقي للحـوار

بغداد / الجادرية / شارع الوزراء
07905400123
Head@hewariraq.com

شروط النشر

• تقبل البحوث ذات الصلة بالدراسات الاستراتيجية , السياسية, الامنية, العسكرية, الاقتصادية .. والتي تتصف بالبعد التحليلي والستراتيجي وباللغتين العربية والانجليزية.
• يشترط ألا يكون البحث قد سبق نشره, أو قدم للنشر لجهات أخرى.
•يراعى في البحث اعتماد الأصول العلمية والمنهجية المتعارف عليها في كتابة البحوث الأكاديمية.
• ان لا يزيد البحث عن ٣٠ صفحة مطبوعة (A٤), بما في ذلك الهوامش, والمراجع , والملاحق.
• يقدم البحث بنسخة الكترونية مصححة طباعياً.
• يرسل الباحث موجزاً بسيرته العلمية , ورقم الهاتف والبريد الالكتروني.
• تكتب الهوامش بأرقام متسلسلة , وتوضع في نهاية البحث مع قائمة المراجع.
• تطبع الجداول والرسوم البيانية على صفحات مستقلة , مع تحديد مصادرها وبشار إلى مواقعها في متن البحث.
• تقوم هيئة التحرير بالمراجعة اللغوية , وتعديل المصطلحات بالشكل الذي لا يخل بمحتوى البحث أو مضمونه.

إجراءات النشر:

• يتم الاعلان عن ملف العدد والموضوعات الاخرى عبر موقع المعهد وصفحته على الفيس بوك ويعمم كتاب على الوزارات والجامعات والكليات ذات العلاقة وينشر في مواقع التواصل الاجتماعي .
• تعنون المراسلات والبحوث والدراسات باسم رئيس تحرير .
• يتم إخطار الباحث بتسلم بحثه.
• يقوم المحرر المختص براجعة وتحرير البحث بعد إجازته من هيئة التحرير.
• يخبر الباحث بصلاحية البحث للنشر من عدمه.
• يتم النقاش مع الباحثفيما اذا وجدت ملاحظات على البحث.
• تصبح البحوث والدراسات المنشورة ملكاً للمعهد العراقي للحـــــوار ومجلة حوار الفكر ولا يحق للباحث إعادة نشرها في مكان اخر دون الحصول على موافقة تحريرية من المعهد.

المعهد العراقي للحوار

- مركز تفكير وابحاث مستقل ، مشروعه بناء الدولة على أسس صحيحة
- يتيح مساحة حرية واسعة للباحثين والمفكرين دون قيود
- ليس له اتجاه سياسي محدد ولا يؤمن باحادية المسار للبناء
- غير حكومي يسعى لوضع تصورات صحيحة لصانع القرار

غير ربحي وعتمد على الشراكة مع المؤسسات والشركات لتنفيذ برامجه